الفصل

في الملل والأهواء والنحل

للإمام ابن حزم الظاهري الأندلسي المتوفى سنة ٤٥٦ هـ

وبهامشه

الملل والنحل للشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨ هـ

صححه وذيله بحواش مفيدة

عبد الرحمن خليفة

المدرس بمدرسة ماهر باشا وبمعهد الأزهر

الجزء الرابع — الطبعة الاولى سنة ١٣٤٧ هـ

حقوق الطبع بالسلميتات محفوظة للناشر

مصدر بمقدمة بقلم مصححه

يطلب من مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده

بميدان الأزهر بمصر

ACADEMY

24/10/30

بسم الله الرحمن الرحيم

(هل تعصى الانبياء عليهم الصلاة والسلام)

(قال ابو محمد) اختلف الناس في هل تعصى الانبياء عليهم السلام ام لا فذهبت طائفة الى ان رسل الله صلى الله عليهم وسلم يعصون الله في جميع الكبائر والصغائر عمدا حاشى الكذب في التبليغ فقط وهذا قول الكرامية من المرجئة وقول ابن الطيب الباقلاني من الاشعرية ومن اتبعه وهو قول اليهود والنصارى وسمعت من يحكي عن بعض الكرامية انهم يجوزون على الرسل عليهم السلام الكذب في التبليغ ايضا واما هذا الباقلاني فانا رأيناه في كتاب صاحبه أبي جعفر السمناني قاضي الموصل انه كان يقول ان كل ذنب دق او جل فانه جائز على الرسل حاشى الكذب في التبليغ فقط قال وجائز عليهم ان يكفروا قال واذا نهى النبي عليه السلام عن شيء ثم فعله فليس ذلك دليلا على ان ذلك النهي قد نسخ لانه قد يفعله عاصيا لله عز وجل قال وليس لاصحابه ان ينكروا ذلك عليه وجوز ان يكون في امة محمد عليه السلام من هو افضل من محمد عليه الصلاة والسلام مذ بعث الى ان مات

(قال ابو محمد) وهذا كله كفر مجرد وشرك محض وردة عن الاسلام قاطعة للولاية مبيحة دم من دان بها وماله موجبة للبراءة منه في الدنيا ويوم يقوم الاشهاد وذهبت طائفة الى ان الرسل عليهم الصلاة والسلام لا يجوز عليهم كبيرة من الكبائر أصلا وجوزوا عليهم الصغائر بالعمد وهو قول ابن فورك الاشعري وذهبت جميع اهل الاسلام من اهل السنة والمعتزلة والنجارية والخوارج والشيعة الى انه لا يجوز البتة ان يقع من نبي أصلا معصية بعمد لا صغيرة ولا كبيرة وهو قول ابن مجاهد الاشعري شيخ ابن فورك والباقلاني المذكورين

(قال ابو محمد) وهذا القول الذي ندين الله تعالى به ولا يحل لاحد ان يدين بسواه ونقول انه يقع من الانبياء السهو عن غير قصد ويقع منهم ايضا قصد الشيء يريدون به وجه الله تعالى والتقرب به منه فيوافق خلاف مراد الله تعالى الا انه تعالى لا يقرهم على شيء من هذين الوجهين أصلا بل ينبههم على ذلك ولا بد اثر وقوعه منهم ويظهر عز وجل ذلك لعباده ويبين لهم كما فعل نبيه صلى الله عليه وسلم في سلامه من اثنتين وقيامه من اثنتين وربما عاتبهم على ذلك بالكلام كما فعل نبيه عليه السلام في أمر زينب أم المؤمنين وطلاق زيد لها رضي الله

قدر استعدادات القوابل أظهر وقال لك نسبان نسب الى أبيك ونسب الى امك أنت باحدهما أشرف وبالآخر أوضع فانتسب في ظاهرك وباطنك الى من أنت به اشرف وتبرأ في باطنك وظاهرك ممن أنت به أوضع فان الولد الفسل يحب امه أكثر مما يحب أباه وذلك دليل على انه دخل العرق والفساد المحتد قيل اراد بذلك الهيولى والصورة أو البدن والنفس أو الهيولى والعقل الفعال وقال قد ارتفع اليك خصمان منك يتنازعان بك أحدهما محق والآخر مبطل فاحذر أن تقضي بينهما بغير الحق فتهلك أنت الخصمان أحدهما العقل والثاني الطبيعة وقال كما أن البدن الخالي من النفس يفوح منه نتن الجيفة كذلك النفس الخالية من الادب يحس نقصها بالكلام والافعال وقال الغائب المطلوب في طي الشاهد الحاضر وقال أبو سليمان السجزي مفهوم هذا الاطلاق ان كل ما هو عندنا بالحس بين فهو بالعقل هناك الا ان الذي عندنا ظل ذلك ولان من شأن الظل كما يريك الشيء الذي هو ظله مرة فاصلا

عنهما وفى قصة ابن مكتوم رضى الله عنه وربما يعص المكروه فى الدنيا كالذى اصاب آدم ويونس عليهما الصلاة والسلام والانبياء عليهم السلام بخلافنا فى هذا فانا غير مؤاخذين بما سهونا فيه ولا بما قصدنا به وجه الله عز وجل فلم يصادف مراده تعالى بل نحن ماجورون على هذا الوجه أجرا واحدا وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قرن بكل احد شيطانا وان الله تعالى أعانه على شيطانه فاسلم فلا يأمره الا بخير واما الملائكة فبرآء من كل هذا لانهم خلقوا من نور محض لاشوب فيه والنور خير كله لاكدر فيه حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا احمد بن فتح حدثنا عبد الوهاب بن عيسى حدثنا احمد بن محمد بن على حدثنا مسلم بن الحجاج عن عبد بن حميد عن عبد الرزاق عن معمر الزهرى عن عروة عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف

(قال ابو محمد) واحتجت الطائفة الاولى بآيات من القرآن وأخبار وردت ونحن ان شاء الله عز وجل نذكرها بين غلطهم فيها بالبراهين الواضحة الضرورية وبالله تعالى التوفيق

(الكلام فى آدم عليه السلام)

(قال ابو محمد) فمما احتجوا به قول الله عز وجل * وعصى ادم ربه فغوى * وقوله تعالى * ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين * قالوا فقربها آدم فكان من الظالمين وقد عصى وغوى وقال تعالى * فتاب عليه * والمتاب لايكون الا من ذنب وقال تعالى * فازلهما الشيطان * وازلال الشيطان معصية وذكروا قول الله تعالى * فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما * هذا كل ماذكروا فى آدم عليه السلام

(قال ابو محمد) وهذا كله بخلاف ما ظنوا اما قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى فقد علمنا ان كل خلاف لامر آمر فصورته صورة المعصية فيسمى معصية لذلك وغواية الا انه منه مايكون عن عمد وذكر فهذه معصية على الحقيقة لان فاعلها قاصد الى المعصية وهو يدرى انها معصية وهذا هو الذى نزهنا عنه الانبياء عليهم السلام ومنه مايكون عن قصد الى خلاف ماامر به وهو متاول فى ذلك الخير ولايدرى انه عاص بذلك بل يظن انه مطيع لله تعالى او ان ذلك مباح له لانه يتاول ان الامر الوارد عليه ليس على معنى الايجاب ولا على التحريم لكن اما على الندب ان كان بلفظ الامر او الكراهية ان كان بلفظ النهى وهذا شئ يقع فيه العلماء والفقهاء والافاضل كثيرا وهذا هو الذى يقع من الانبياء عليهم السلام ويؤاخذون به اذا وقع منهم وعلى هذا السبيل اكل آدم من الشجرة ومعنى قوله تعالى * فتكونا من الظالمين * اى ظالمين لانفسكما والظلم فى اللغة وضع الشئ فى غير موضعه فمن وضع الامر او النهى فى موضع الندب او الكراهة فقد وضع الشئ فى غير موضعه وهذا الظلم من هذا النوع من الظلم الذى يقع بغير قصد وليس معصية لا الظلم الذى هو القصد الى المعصية وهو يدرى انها معصية و[illegible] هذا مافيه نص الله تعالى ان آدم عليه السلام انما اكل من الشجرة الا [illegible] له ابليس ان الله عز وجل انما نهاهما عن اكل الشجرة لئلا يكونا ملكين او يكونا من الخالدين وانهما لايستحقان بذلك عقوبة اصلا بل يستحقان بذلك الجزاء الحسن وفوز الابد قال تعالى حاكيا عن ابليس انه * قال لهما ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين

على ماهو عليه ومرة ناقصا عما هو به ومرة على قدر عرض الحسبان والتوهم وصارا مزاحمين لليقين والتحقيق فينبغى أن يكون عنايتنا بطلب البقاء الابدى والوجود السرمدي أتم واظهر وابقى واملع فالحق ماكان الغائب فى طى الشاهد وتصفح هذا الشاهد يصح ذلك الغائب وقال الشيخ اليونانى النفس جوهر كريم شريف يشبه دائرة قد دارت على مركزها غير أنها دائرة لابعد لها ومركزها العقل وكذلك العقل دائرة استدارت على مركزها وهو الخير الاول المحض غير أن النفس والعقل ان كانا دائرتين لكن دائرة العقل لاتتحرك أبدا بل هى ساكنة دائمة شبيهة بمركزها اما دائرة النفس فانها تتحرك على مركزها والعقل حركة الاستكمال وعلى ان دائرة العقل وان كانت دائرة شبيهة بمركزها [illegible] تحرك حركة الاشتياق لانها تشتاق الى مركزها وهو الخير الاول واما دائرة العالم السفلى فانها دائرة تدور حول النفس واليها اشتياقها وانما تتحرك بهذه الحركة الذاتية شوقا الى النفس كشوق [illegible]

اوتكونا من الخالدين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور * وقد قال عز وجل
ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما *
(قال ابو محمد)فلما نسي آدم عليه السلام عهد الله اليه في أن ابليس عدو له احسن الظن بيمينه
(قال ابو محمد)ولا سلامة ولا براءة من القصد الى المعصية ولا ابعد من الجراءة علي الذنوب
اعظم من حال من ظن ان احدا لا يحلف حانثا وهكذا فعل آدم عليه السلام فانه
انما اكل من الشجرة التي نهاه الله عنها ناسيا بنص القرآن ومتاولا وقاصدا الى الخير لانه قدر
أنه يزداد حظوة عند الله تعالى فيكون ملكا مقربا اوخالدا فيما هو فيه أبدا فأداه ذلك الى
خلاف ما امره الله عزوجل به وكان الواجب ان يحمل أمر ربه عز وجل علي ظاهره لكن
تاول وأراد الخير فلم يصبه ولو فعل هذا عالم من علماء المسلمين لكان ماجورا ولكن آدم
عليه السلام لما فعله ووجد به اخراجه عن الجنة الى نكد الدنيا كان بذلك ظالما لنفسه وقد
سمى الله عز وجل قاتل الخطا قاتلا كما سمى العامد والمخطي لم يتعمد معصية وجعل في الخطا
في ذلك كفارة عتق رقبة اوصيام شهرين متتابعين لمن عجز عن الرقبة وهو لم يتعمد ذنبا واما
قوله عز وجل * لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما
آتاهما * فهذا تكفير لآدم عليه السلام ومن نسب لآدم عليه السلام الشرك والكفر كفرا
مجردا بلا خلاف من أحد من الامة ونحن ننكر علي من كفر المسلمين العصاة العشارين القتالين
والشرط الفاسقين فكيف من كفر الانبياء عليهم السلام وهذا الذي نسبوه الى آدم عليه السلام
من أنه سمى ابنه عبد الحارث خرافة موضوعة مكذوبة من تاليف من لا دين له ولا حياء
لم يصح سندها قط وانما نزلت في المشركين على ظاهرها وحتى لو صح انها نزلت في آدم
وهذا لا يصح اصلا لما كانت فيه للمخالف حجة لانه كان يكون الشرك اوالشركاء المذكورون
في الآية حينئذ على غير الشرك الذى هو الكفر لكن بمعنى انهما جعلا مع توكلهما شركة من
حفظه ومعناه كما قال يعقوب عليه السلام * يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب
متفرقة وما أغنى عنكم من الله من شيء ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون
ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء الا حاجة في نفس يعقوب
قضاها وانه لذو علم لما علمناه ولكن اكثر الناس لا يعلمون * فاخبر تعالى عز وجل ان يعقوب
عليه السلام امرهم ان يدخلوا من ابواب متفرقة اشفاقا عليهم امامن اصابة العين وأما من
تعرض عدو اومستريب باجتماعهم او بعض ما يخوفه عليهم وهو عليه السلام معترف ان
فعله ذلك وامره اياهم بما امرهم به من ذلك لا يغني عنهم من الله شيئا يريده عز وجل بهم
ولكن لما كانت طبيعة البشر جارية في يعقوب عليه السلام وفي سائر الانبياء عليهم السلام
كما قال تعالى حاكيا عن الرسل انهم قالوا * ان نحن الا بشر مثلكم * حملهم ذلك على بعض
النظر المحمى لحاجة النفس ونزاعها وتوقها الى السلامة من محب وان كان ذلك لا يغني شيئا كما
كان عليه السلام يحب الفال الحسن فكان يكون علي هذا معنى الشرك والشركاء ان يكون
عوذة اوتميمة اونحو هذا فكيف ولم تنزل الآية قط الا في الكفار لا في آدم عليه السلام
(الكلام في نوح عليه السلام)
(قال ابو محمد) ذكروا قول الله عز وجل لنوح * فلا تسألن ما ليس لك به علم اني اعظك

ان

الى العقل وشوق العقل الى
الخير المحض الاول ولان
دائرة هذا العالم جرم والجرم
يشتاق الى الشيء الخارج
منه ويحرص الى ان يصير
اليه فيعانقه فلذلك يتحرك
الجرم الاقصي الشريف
حركة مستديرة لانه يطلب
النفس من جميع النواحي
لينالها فيستريح اليها ويسكن
عندها وقال ليس للمبدع
الاول تعالى صورة ولا
حلية مثل صور الاشياء
العالية ولا مثل صور
الاشياء السافلة ولا قوة
مثل قواها لكنه فوق كل
صورة وحلية وقوة لانه
مبدعها بتوسط العقل وقال
المبدع الحق ليس شيئا من
الاشياء وهو جميع الاشياء
لان الاشياء منه وقد صدق
الافاضل الاوائل في قولهم
مالك الاشيا كلها هو الاشياء
كلها اذ هو علة كونها بانه فقط
وعلة شوقها اليه وهو خلاف
الاشياء كلها وليس فيه شيء
مما ابدعه ولا يشبه شيئا
منه ولو كان ذلك لما كان
علة الاشياء كلها واذا كان
العقل واحدا من الاشياء
فليس فيه عقل ولا صورة
ولا حلية أبدع الاشياء بانه
فقط وبانه يعلمها ويحفظها
ويدبرها لا بصفة من الصفات
وانما وصفناه بالحسنات

ان تكون من الجاهلين *

(قال ابو محمد) وهذا لا حجة لهم فيه لان نوحا عليه السلام تاول وعد الله تعالى ان يخلصه واهله فظن ان ابنه من اهله على ظاهر القرابة وهذا لو فعله احد لكان ماجورا ولم يسال نوح تخليص من ايقن انه ليس من اهله فتفرع على ذلك نهي عن ان يكون من الجاهلين فتندم عليه السلام من ذلك ونزع وليس ها هنا عمد للمعصية البتة وبالله تعالى التوفيق

(الكلام فى ابراهيم عليه السلام)

(قال ابو محمد) ذكروا ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من ان ابراهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات وانه قال اذ نظر فى النجوم اني سقيم وبقوله فى الكواكب والشمس والقمر هذا ربي وبقوله فى سارة هذه اختى وبقوله فى الاصنام اذ كسرها بل فعله كبيرهم هذا وبطلبه اذ طلب رؤية احياء الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي

(قال ابو محمد) وهذا كله ليس على ما ظنوه بل هو حجة لنا والحمد لله رب العالمين اما الحديث انه عليه السلام كذب ثلاث كذبات فليس كل كذب معصية بل منه ما يكون طاعة لله عز وجل وفرضا واجبا يعصى من تركه صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فيمني خيرا وقد اباح عليه السلام كذب الرجل لامرأته فيما يستجلب به مودتها وكذلك الكذب فى الحرب وقد اجمع اهل الاسلام على ان انسانا لو سمع مظلوما قد طلبه سلطان وطلبه ليقتله بغير حق او ياخذ ماله غصبا فاستتر عنده وسمعه يدعو على من طلبه قاصدا بذلك السلطان فسال السلطان ذلك السامع عما سمعه منه وعن موضعه فانه ان كتم ما سمع وانكر ان يكون سمعه او انه يعرف موضعه او موضع ماله فانه محسن ماجور مطيع لله عز وجل وانه ان صدقه فاخبره بما سمعه منه وبموضعه وموضع ماله كان فاسقا عاصيا لله عز وجل فاعل كبيرة مذموما عاما وقد ابيح الكذب فى اظهار الكفر فى التقية وكل ما روى عن ابراهيم عليه السلام فى تلك الكذبات فهو داخل فى الصفة المحمودة لا فى الكذب الذى نهي عنه واما قوله عن سارة هي اختى فصدق هي اخته من وجهين قال الله تعالى انما المؤمنون اخوة * وقال عليه السلام لا يخطب احدكم على خطبة اخيه والوجه الثاني القرابة وانها من قومه ومن مستجيبيه قال عز وجل والى مدين اخاهم شعيبا فمن عد هذا كذبا مذموما من ابراهيم عليه السلام فليعده كذبا من ربه عز وجل وهذا كفر مجرد فصح انه عليه السلام صادق فى قوله سارة اخته واما قوله اذ نظر نظرة فى النجوم فقال اني سقيم فليس هذا كذبا ولسنا ننكر ان تكون النجوم دلائل على الصحة والمرض وبعض ما يحدث فى العالم كدلالة البرق على هول البحر وكدلالة الرعد على تولد الكماة وكتولد المد والجزر على طلوع القمر وغروبه واعذاره وارتفاعه وامتلائه ونقصه وانما الكفر قول من قال ان الكواكب هي الفاعلة المدبرة لذلك دون الله تعالى او مشتركة معه وقد [illegible] واما قوله عليه السلام بل فعله كبيرهم هذا فانما هو تقريع لهم وتوبيخ كما قال تعالى ذق انك انت العزيز الكريم [illegible] الحقيقة فهان دليل مهين معذب فى النار [illegible] تفعل الخير والشر وعلى طلب المعذب فى [illegible] ابراهيم هذا انه محقق لان كبيرهم فعله اذ الكذب انما هو الاخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه [illegible] ذلك واما قوله عليه السلام اذ رأى الشمس والقمر [illegible] ابراهيم عليه السلام

والفضائل لانه علتها وانه الذي جعلها فى الصور هو مبدعها وقال ان تفاضلت الجواهر العالية العقلية لاختلاف قبولها من النور الاول فلذلك صارت ذوات مراتب شتى فمنها ما هو اول فى المرتبة ومنها ما هو ثانى ومنها ما هو ثالث فاختلفت الاشياء بالمراتب والفصول لا بالمواضع والاماكن وكذلك الحواس تختلف بالاماكنها على ان القوي الحاسة فانها معا لا يفترق بمفارقة الآلة وقال المبدع ليس متناهيا لانه جثة بسيطة وان اعظم جوهره بالقوة والقدرة لا بالكمية والمقدار فليس للاول صورة ولا حلية ولا شكل فلذلك صار محبوبا معشوقا يشتاقه الصور العالية والسافلة وان اشتاقت اليه صور جميع الاشياء لانه مبدعها وكساها من جوده حلية الوجود وهو قديم دائم على حاله لا يتغير والعاشق يحرص على أن يصير اليه ويكون معه والمعشوق الاول عشاق [illegible] وقد يفيض عليهم كلهم من نوره من غير أن ينقص منه شيء لانه ثابت قائم بذاته لا يتحرك وأما المطلق الجزئي فانه لا يعرف الشيء الا معرفة

قال ذلك محققا أول خروجه من النار وهذا خرافة موضوعة مكذوبة ظاهرة الافتعال ومن المحال الممتنع ان يبلغ أحد حد التمييز والكلام بمثل هذا وهو لم ير قط شمسا ولا قمرا ولا كوكبا وقد اكذب الله هذا الظن الكاذب بقوله الصادق . ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين . فمحال أن يكون من اتاه الله رشده من قبل يدخل فى عقله ان الكواكب ربه أو ان الشمس ربه من اجل انها اكبر قرصا من القمر هذا مالا يظنه الا مجنون العقل والصحيح من ذلك انه عليه السلام انما قال ذلك موبخا لقومه كما قال لهم نحو ذلك فى الكبير من الاصنام ولا فرق لانهم كانوا على دين الصابئين يعبدون الكواكب ويصورون الاصنام على صورها واسمائها فى هياكلهم ويعيدون لها الاعياد ويذبحون لها الذبائح ويقربون لها القرب والقرابين والدخن ويقولون انها تعقل وتدبر وتضر وتنفع ويقيمون لكل كوكب منها شريعة محدودة فوبخهم الخليل عليه السلام على ذلك وسخر منهم وجعل يريهم تعظيم الشمس لكبر جرمها كما قال تعالى . فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون : فاراهم ضعف عقولهم فى تعظيمهم لهذه الاجرام المسخرة الجمادية وبين لهم انهم مخطئون وانها مدبرة تنتقل فى الاماكن ومعاذ الله ان يكون الخليل عليه السلام اشرك قط بربه او شك فى ان الفلك بكل ما فيه مخلوق وبرهان قولنا هذا ان الله تعالى لم يعاتبه على شىء مما ذكر ولا عنفه على ذلك بل صدقه تعالى بقوله وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء فصح ان هذا بخلاف ما وقع لآدم وغيره بل وافق مراد الله عز وجل بما قال من ذلك وبما فعل واما قوله عليه السلام رب أرنى كيف تحيى الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى . فلم يقرره ربنا عز وجل وهو يشك فى ايمان ابراهيم عبده وخليله ورسوله عليه السلام تعالى الله عن ذلك ولكن تقرير الايمان فى قلبه وان لم ير كيفية احياء الموتى فاخبر عليه السلام عن نفسه انه مؤمن مصدق وانما اراد ان يرى الكيفية فقط ويعتبر بذلك وما شك ابراهيم عليه السلام فى ان الله تعالى يحيى الموتى وانما أراد أن يرى الهيئة كما انا لا نشك فى صحة وجود الفيل والتمساح والكسوف وزيادة النهر والخليفة ثم يرغب من لم ير ذلك منا فى ان يرى كل ذلك ولا يشك فى انه حق لكن ليرى العجب الذى يتمثله ولم تقع عليه حاسة بصره فقط واما ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم نحن أحق بالشك من ابراهيم فمن ظن ان النبى صلى الله عليه وسلم شك قط فى قدرة ربه عز وجل على احياء الموتى فقد كفر وهذا الحديث حجة لنا على نفى الشك عن براهيم اى لو كان الكلام من ابراهيم عليه السلام شكا لكان من لم يشاهد من القدرة ما شاهد ابراهيم عليه السلام احق بالشك فاذا كان من لم يشاهد من القدرة ما شاهد ابراهيم غير شاك فابراهيم عليه السلام ابعد من الشك

(قال أبو محمد) ومن نسب ههنا الى الخليل عليه السلام الشك فقد نسب اليه الكفر ومن كفر نبيا فقد كفر وايضا فان كان ذلك شكا من ابراهيم عليه السلام وكنا نحن احق بالشك منه فنحن اذا شكاك جاحدون كفار وهذا كلام نعلم والحمد لله بطلانه من أنفسنا بل نحن ولله الحمد مؤمنون مصدقون بالله تعالى وقدرته على كل شىء يسال عنه السائل وذكروا قول ابراهيم عليه السلام لابيه واستغفاره له وهذا لا حجة لهم فيه لانه لم يكن نهى عن ذلك قال تعالى . فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه . فاثنى الله تعالى عليه بذلك فصح ان استغفار ابراهيم لابيه انما كان مدة حياته راجيا ايمانه فلما مات كافرا تبرأ منه ولم يستغفر له بعدها تم الكلام فى ابراهيم عليه السلام

جزئية وشوق العقل الاول الى المبدع الاول أشد من شوق سائر الاشياء لان الاشياء كلها تحته واذا اشتاق اليه العقل لم يقل العقل لم صرت مشتاقا الى الاول اذ العشق لا علة له فاما المنطق الذى يختص بالنفس فيفحص عن ذلك ويقول ان الاول هو المبدع الحق وهو الذى لا صورة له وهو مبدع الصور فالصور كلها تحتاج اليه فتشتاق اليه وذلك ان كل صورة تطلب مصورها وتحن اليه وقال ان الفاعل الاول ابدع الاشياء كلها بغاية الحكمة لا يقدر احد ان ينال علل كونها ولم كانت على الحال التى هى الآن عليها وان لا يعرفها كنه معرفتها ولم صارت الارض فى الوسط ولم كانت مستديرة ولم تكن مستطيلة ولا منحرفة الا ان يقول ان البارى صيرها كذلك وانها كانت بغاية الحكمة الواسعة لكل حكمة وكل فاعل يفعل بروية وفكرة لا [illegible] فقط بل يحصل [illegible] وانذاك يكون [illegible] لا [illegible] الثمادة والاحكام والفاعل الاول لا يحتاج [illegible] ابداع الاشياء الى روية وفكرة وذلك انه ينال العلل [illegible] بل يبدع الاشياء ويعلم عللها قبل الروية

الكلام في لوط عليه السلام

قال أبو محمد — وذكروا قول الله تعالى في لوط عليه السلام انه قال * لو ان لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد * فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله لوطا لقد كان يأوي الى ركن شديد فظنوا ان هذا القول منه عليه السلام انكار على لوط عليه السلام أيضا * هؤلاء بناتي هن أطهر لكم.

(قال ابو محمد) وهذا لا حجة لهم فيه اما قوله عليه السلام لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد فليس مخالفا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله لوطا لقد كان يأوي الى ركن شديد بل كلا القولين منهما عليهما السلام حق متفق عليه لان لوطا عليه السلام انما أراد منعة عاجلة يمنع بها قومه مما هم عليه من الفواحش من قرابة او عشيرة او اتباع مؤمنين وما جهل قط لوط عليه السلام انه يأوي من ربه تعالى الى أمنع قوة واشد ركن ولا جناح على لوط عليه السلام في طلب قوة من الناس فقد قال تعالى * ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض. فهذا الذي طلب لوط عليه السلام وقد طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الانصار والمهاجرين منعة حتى يبلغ كلام ربه تعالى فكيف ينكر على لوط أمرا هو فعله عليه السلام تالله ما انكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما اخبر عليه السلام ان لوطا كان يأوي الى ركن شديد يعني من نصر الله له بالملائكة ولم يكن لوط علم بذلك ومن اعتقد ان لوطا كان يعتقد انه ليس له من الله ركن شديد فقد كفر اذ نسب الى نبي من الانبياء هذا الكفر وهذا أيضا ظن سخيف اذ من الممتنع ان يظن برب اراه المعجزات وهو دائبا يدعو اليه هذا الظن واما قوله عليه السلام هؤلاء بناتي هن فانما اراد التزويج والوطء في المكان المباح فصح ما قلناه ومن المحال ان يدعو قومه الى منكر وهو ينهاهم عن المنكر انقضي الكلام في لوط عليه السلام

الكلام في اخوة يوسف عليهم السلام

(قال ابو محمد) واحتجوا بفعل اخوة يوسف وبيعهم اخاهم وكذبهم لابيهم وهذا لا حجة لهم فيه لان اخوة يوسف عليه السلام لم يكونوا أنبياء ولا جاء قط في انهم انبياء نص لا من قرآن ولا من سنة صحيحة ولا من اجماع ولا من قول احد من الصحابة رضي الله عنهم وأما يوسف صلى الله عليه وسلم فرسول الله بنص القرآن قال عز وجل * ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به * الى قوله. من بعده رسولا. واما اخوته فافعالهم تشهد انهم لم يكونوا متورعين عن العظائم فكيف ان يكونوا انبياء ولكن الرسولين اباهم وأخاهم قد استغفرا لهم وأسقطا التثريب عنهم وبرهان ما ذكرنا من كذب من يزعم انهم كانوا انبياء قول الله تعالى حاكيا عن الرسول اخيهم عليه السلام انه قال لهم * انتم شر مكانا * ولا يجوز البتة ان يقول نبي من الانبياء نعم ولا لقوم صالحين اذ توقير الانبياء فرض على جميع الناس لان الصالحين ليسوا شرا مكانا وقد عق ابن نوح اباه اكثر مما عق به اخوة يوسف اباهم الا ان اخوة يوسف لم يكفروا ولا يحل لمسلم ان يدخل في الانبياء من لم يأت نص ولا اجماع أو نقل كافة بصحة نبوته ولا فرق بين التصديق بنبوة من ليس نبيا وبين التكذيب بنبوة من صحت نبوته منهم فان ذكروا في ذلك ما روى عن بعض الصحابة رضي الله عنهم وهو زيد بن أرقم انما ماتت ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لا نبي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم واولاد الانبياء انبياء فهذه

والفكر والملل والبرهان والعلم والقنوع وسائر ما أشبه ذلك انما كانت أجزاء وهو الذي أبدعها وكيف يستعين بها وهي لم تكن بعد (حكم: وفرسطيس) كان الرجل من تلامذة ارسطوطاليس وكبار أصحابه واستخلفه على كرسي حكمته بعد وفاته وكانت المتفلسفة تختلف اليه وتقتبس منه وله تركيب الشروح الكثيرة والتصانيف المعتبرة وبالخصوص في الموسيقا فمما يؤثر عنه انه قال الالهية لا تتحرك ومعناه لا تتغير ولا تتبدل لا في الذات ولا في شبه الافعال وقال السماء مسكن الكواكب والارض مسكن الناس على انهم مثل وشبه لما في السماء فهم الآلهة والمدبرون ولهم نفوس وعقول مميزة وليس لها أنفس نباتية ولذلك لا تقبل الزيادة والنقصان وقال الغناء فضيلة في المنطق أشكلت على النفس وقصرت عن تبيين كنهها فابرزتها ألحونا وأثارت بها شجونا وأهمم في عرضها فنونا وفتونا وقال الغناء شيء يخص النفس دون الجسم فيشغلها عن مصالحها كما أن لذة

عظة شديدة وزلة عالم من وجوه أولها أنه دعوى لادليل على صحتها وثانيها انه لوكان ماذكر لأمكن ان يكون ابراهيم في المهد كانبئ عيسى عليه السلام وكما اوتي يحيى الحكم صبيا وعلى هذا القول لعل ابراهيم كان نبيا وقد عاش عامين غير شهرين وحاشا الله من هذا وثالثها ان ولد نوح كان كافراً بنص القرآن عمل عملا غير صالح فلو كان أولاد الانبياء انبياء لكان هذا الكافر المسخوط عليه نبيا وحاشا الله من هذا ورابعها لو كان ذلك لوجب ولابد ان تكون اليهود كلهم أنبياء الى اليوم بل جميع اهل الارض انبياء لانه يلزم أن يكون الكل من ولد آدم لصلبه انبياء لان اباهم نبي واولاد اولاده انبياء أيضا لان آباءهم انبياء وأولاد انبياء وهكذا أبدا حتى يبلغ الامر الينا وفي هذا من الكفر لمن قامت عليه الحجة وثبت عليه مالا خفاء به وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) ولعل من جهل مرتين يقول عما هذا ينكر نبوة اخوة يوسف ويثبت نبوة نبي المجوس ونبوة ام موسى وام عيسى وام اسحاق عليهم السلام فنحن نقول وبالله تعالى التوفيق وبه نعتصم لسنا نقر بنبوة من لم يخبر الله عز وجل بنبوته ولم ينص رسول الله صلى عليه وسلم على نبوته ولا نقلت الكواف عن امثالها نقلا متصلا منه الينا معجزات النبوة عنه ممن كان قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بل ندفع نبوة من قام البرهان على بطلان نبوته لان تصديق نبوة من هذه صفته افتراء على الله تعالى لا يقدم عليه مسلم ولا ندفع نبوة من جاء القرآن بان الله تعالى نبأه فاما أم موسى وأم عيسى وأم اسحاق فالقرآن قد جاء بمخاطبة الملائكة لهن بالوحي والى بعضهن عن الله عز وجل بالانباء بما يكون قبل ان يكون وهذه النبوة نفسها التي لا نبوة غيرها فصحت نبوتهن بنص القرآن واما نبي المجوس فقد صح انهم اهل كتاب بأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الجزية منهم ولم يبح الله تعالى له اخذ الجزية الا من اهل الكتاب فقط فمن نسب الى محمد صلى الله عليه وسلم انه اخذ الجزية من غير اهل الكتاب فقد نسب اليه انه خالف ربه تعالى واقدم على عظيمة تقشعر منها جلود المؤمنين فاذ نحن على يقين من انهم اهل كتاب فلا سبيل البتة الى نزول كتاب من عند الله تعالى على غير نبي مرسل بتبليغ ذلك الكتاب فقد صح بالبرهان الضروري انهم قد كان لهم نبي مرسل يقينا بلا شك ومع هذا فقد نقلت عنه كواف عظيمة معجزات الانبياء عليهم السلام وكل ما نقلته كافة على شرط عدم التواطىء فواجب قبوله ولا فرق بين ما نقلته كواف الكافرين او كواف المسلمين فيما شاهدته حواسهم ومن قال لا اصدق الا ما نقلته كواف المسلمين فانا نسأله أي شيء يصح عنده موت ملوك الروم ولم يحضرهم مسلم اصلا وانما نقلته اليهود والنصارى ومثل هذا كثير فان كذب هذا خالط نفسه وعقله وكابر حسه وايضا فان المسلمين انما علمنا انهم محقون لتحقيق نقل الكافة لصحة ما بأيديهم فبنقل الكافة علمنا هدى المسلمين لا علم الاسلام صحة نقل الكافة بل هو معلوم بالبنية وضرورة العقل وقد اخبر تعالى ان له رسلا لم يقصصهم قال تعالى. ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك . وفي هذا كفاية وبالله تعالى التوفيق

الكلام في يوسف عليه السلام

وذكروا ايضا اخذ يوسف عليه السلام اخاه وايحاشه اباه عليه السلام منه وانه اقام مدة بمصر وفيها على ان يعرف اباه خبره وهو يعلم مايقاسي به من الوجد عليه فلم يفعل وليس بينه

الماكول والمشروب شيء يخص الجسم دون النفس وقال ان النفوس الى اللحون اذا كانت مبهمة أشد اصغاء منها الى ماقد تبين لها وظهر معناه عندها وقال العقل نحوان أحدهما مطبوع والآخر مسموع فالمطبوع منها كالارض والمسموع كالبذر والماء فلايخلص للعقل المطبوع عمل دون أن يرد عليه العقل المسموع فينبهه من نومه ويطلقه من وثاقه ويقلقله من مكانه كما يستخرج البذر والماء مافي قعر الارض وقال الحكمة غنى النفس والمال غنى البدن وطلب غنى النفس أولى لانها اذا غنيت بقيت والبدن اذا غنى فني وغنا النفس ممدود وغنى البدن محدود وقال ينبغي للعاقل أن يداري الزمان مداراة رجل لايسبح في الماء الجاري اذا وقع وقال لاتسطن بسلطان من غير عدل ولا غنى من غير حسن تدبير ولا بلاغة في غير صدق منطق ولا بجود في غير اصابة موضع ولا بأدب في غير اصابة رأي ولا بحسن عمل في غير حسبة (شيه رقلس) في قدم العالم ان القول في قدم العالم وأزلية الحركات بحداثات الصانع

بينه وبينه الا عشر ليال وبادخاله صواع الملك في وعاء اخيه ولم يعلم بذلك سائر اخوته ثم أمر من هتف ايتها العير انكم لسارقون وهم لم يسرقوا شيئا وبقول الله تعالى * ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه * وبخدمته لفرعون وبقوله للذي كان معه في السجن * اذكرني عند ربك

(قال ابو محمد) وكل هذا لا حجة لهم في شيء منه ونحن نبين ذلك بحول الله تعالى وقوته فنقول وبالله تعالى نتأيد اما اخذه أخاه واحتباسه اياه معه فلا شك في ان ذلك ليرفق باخيه وليعود اخوته اليه ولعلهم لو مضوا باخيه لم يعودوا اليه وهم في مملكة اخرى وحيث لا طاعة ليوسف عليه السلام ولا للملك مصر هنالك وليكون ذلك سببا لاجتماعه وجمع شمل جميعهم ولا سبيل الى أن يظن برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي اوتي العلم والمعرفة بالتاويل الا احسن الوجوه وليس مع من خالفنا نص بخلاف ما ذكرنا ولا يحل ان يظن بمسلم فاضل عقوق أبيه فكيف برسول الله صلى الله عليه وسلم واما ظنهم انه أقام مدة يقدر فيها على ان يعرف أبيه خبره ولم يفعل فهذا جهل شديد ممن ظن هذا لان يعقوب في أرض كنعان من عمل سلطان في قوم رحالين خصاصين في لسان آخر وطاعة اخرى ودين آخر وأمة أخرى كالذي بيننا اليوم وبين من يصاقبنا من بلاد النصارى كماليش وغيرها أو كصحراء البربر فلم يكن عند يوسف عليه السلام علم بعد فراقه أباه بما فعل ولا احي هو أو ميت اكثر من وعد الله تعالى بان ينبئهم بفعلهم به ولا وجد احدا يثق به فيرسل اليه للاختلاف الذي ذكرنا وانما يستسهل هذا اليوم من يرى أرض الشام ومصر لامير واحد وملة واحدة ولسانا واحدا وامة واحدة والطريق سابل والتجار داهبون وراجعون والرفاق سائرة ومقبلة والبرد ناهضة وراجعة فظن كل بقعة شجعة ولم يكن الامر حينئذ كذلك ولكن كما قدمنا ودليل ذلك انه حين أمكنه لم يؤخره واستجلب أباه وأهله أجمعين عند ضرورة الناس اليه وانقيادهم له للجوع الذي كان عم الارض وامتيارهم من عنده فانتظر وعد الله تعالى الذي وعده حين ألقوه في الجب فاتوه صاغرين راغبين كما وعده تعالى في رؤياه قبل أن يأتوه ورب رئيس جليل شاهدنا من أبناء الدشاكس والاورج لو قدر على أن يستجلب أبويه لكان أشد الناس بدارا الى ذلك ولكن الامر تعذر عليهم تعذرا أخرجه عن الامكان الى الامتناع فهذا كان أمر يوسف عليه السلام واما قول يوسف لاخوته انكم لسارقون وهم لم يسرقوا الصواع بل هو الذي كان قد أدخله في وعاء أخيه دونهم فقد صدق عليه السلام لانهم سرقوه من أبيه وباعوه ولم يقل عليه السلام انكم سرقتم الصواع وانما قال نفقد صواع الملك وهو في ذلك صادق لانه كان غير واجد له فكان فاقدا له بلا شك واما خدمته عليه السلام لفرعون فانما خدمه تقية وفي حق لاستنقاذ الله تعالى بحسن تدبيره ولعل الملك أو بعض خواصه قد آمن به الا ان خدمته له على كل حال حسنة وفعل خير وتوصل الى الاجتماع بابيه والى العدل والى حياة النفوس اذ لم يقدر على المغالبة ولا امكنه غير ذلك ولا مرية في ان ذلك كان مباحا في شريعة يوسف عليه السلام بخلاف شريعتنا قال الله تعالى ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾ واما سجودا ابويه فلم يكن ذلك محظورا في شريعتهما بل كان فعلا حسنا وتحقيقا لرؤياه الصادقة من الله تعالى ولعل ذلك السجود كان تحية كسجود الملائكة لآدم عليه السلام الا ان الذي

والقول بالعلة الاولى انما ظهر بعد ارسطوطاليس لانه خالف القدماء صريحا وأبدع هذه المقالة على قياسات ظنها حجة وبرهانا فنسج على منواله من كان من تلامذته وصرحوا القول فيه مثل الاسكندر الافرودوسي وثامسطيوس وفرفوريوس وصنف برقلس المنتسب الى أفلاطن في هذه المسئلة كتابا وأورد فيه هذه الشبه والا فالقدماء انما ابدوا فيه ما نقلناه سابقا الشبهة الاولى قال البارى تعالى جواد بذاته وعلة وجود العالم جوده وجوده قديم لم يزل فيلزم أن يكون وجود العالم قديما لم يزل ولا يجوز أن يكون مرة جوادا ومرة غير جواد فانه يوجب التغير في ذاته فهو جواد لذاته لم يزل قال ولا مانع من فيض جوده اذ لو كان مانع لما كان من ذاته بل من غيره وليس لواجب الوجود لذاته حامل على شيء ولا مانع من شيء * الشبهة الثانية قال ليس يخلوا الصانع من أن يكون لم يزل صانعا بالفعل أو لم يزل صانعا بالقوة بأن يقدر أن يفعل ولا يفعل فان كان الاول فالمصنوع معلول لم يزل وان

كان الثاني فما بالقوة لا يخرج الى الفعل الا بمخرج ومخرج الشيء من القوة الى الفعل غير ذات الشيء فيجب أن يكون له مخرج من خارج مؤثر فيه فذلك ينافي كونه صانعا مطلقا لا يتغير ولا يتأثر. الشبهة الثالثة قال كل علة لا يجوز عليها التحرك والاستحالة فانما يكون علة من جهة ذاته لا من جهة الانتقال من غير فعل الى فعل وكل علة من جهة ذاته فمعلولها من جهة ذاتها واذا كانت ذاتها لم تزل فمعلولها لم يزل. الشبهة الرابعة قال ان كان (١٠) الزمان لا يكون موجودا الا مع الفلك ولا الفلك الا مع الزمان لان الزمان هو العاد لحركات الفلك ثم لا جائز أن يقال متى وقبل الا حين يكون الزمان موجودا ومتى وقبل أبدي فالزمان أبدي فحركات الفلك أبدية فالزمان أبدي. الشبهة الخامسة قال ان العالم حسن النظام كامل القوام وصانعه جواد خير ولا ينقض الجيد الحسن الا شرير وصانعه ليس بشرير وليس يقدر على نقضه غيره فليس ينتقض ابدا وما لا ينتقض أبدا كان سرمدا. الشبهة السادسة قال لما كان الكائن لا يفسد الا بشيء غريب يعرض له ولم يكن شيء غير العالم خارجا منه يجوز أن يعرض فيفسد ثبت انه لا يفسد وما لا يتطرق اليه الفساد لا يتطرق اليه الكون والحدوث فان كل كائن فاسد. الشبهة السابعة قال ان الاشياء التى هى فى المكان الطبيعى لا تتغير ولا تتكون ولا تفسد وانما تتغير وتتكون وتفسد اذا كانت فى أماكن غريبة فتجاذب الى أماكنها كالنار التى فى أجساد ما تحاول الانفصال الى مركزها فيحل الرباط فيفسد فاذا الكون والفساد انما يتطرق الى المركبات لا الى البسائط التى هى الاركان فى أماكنها ولكن ما هى بحالة واحدة وما هو بحال واحدة فهو أزلى. الشبهة الثامنة قال ان العقل والنفس والافلاك تتحرك على الاستدارة والطبائع تتحرك إما على الوسط واما الى الوسط على الاستقامة واذا كان كذلك كان التفاسد فى العناصر انما هو لتضاد حركاتها والحركة الدورية لا ضد لها فلم يقع فيها فساد. قال وكليات العناصر انما تتحرك على استدارة وان كانت الاجزاء

لا شك فيه انه لم يكن سجود عبادة ولا تذلل وانما كان سجود كرامة فقط بلا شك واما قوله عليه السلام للذى كان معه فى السجن اذكرنى عند ربك فما علمنا الرغبة فى الانطلاق من السجن محظورة على احد وليس فى قوله ذلك دليل على انه أغفل الدعاء الى الله عز وجل لكنه رغب هذا الذى كان معه فى السجن فى عمل الخير وحضه عليه وهذا فرض من وجهين احدهما وجوب السعى فى كف الظلم عنه والثانى دعاؤه الى الخير والحسنات واما قوله تعالى * فانساه الشيطان ذكر ربه * فالضمير الذى فى أنساه وهو الهاء راجع الى الفتى الذي كان معه فى السجن اي ان الشيطان انساه ان يذكر ربه أمر يوسف عليه السلام ويحتمل ايضا ان يكون انساه الشيطان ذكر الله تعالى ولو ذكر الله عز وجل لذكر حاجة يوسف عليه السلام وبرهان ذلك قول الله عز وجل وادكر بعد أمة. فصح يقينا ان المذكور بعد أمة هو الذى انساه الشيطان ذكر ربه حتى تذكر وحتى لو صح ان الضمير من انساه راجع الى يوسف عليه السلام لما كان فى ذلك نقص ولا ذنب اذ ما كان بالنسيان فلا يبعد عن الانبياء واما قوله. همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه فليس كما ظن من لم يمعن النظر حتى قال من المتأخرين من قال انه قعد منها مقعد الرجل من المرأة ومعاذ الله من هذا ان يظن برجل من صالحي المسلمين او مستوريهم فكيف برسول الله صلى الله عليه وسلم فان قيل ان هذا قد روى عن ابن عباس رضى الله عنه من طريق جيدة الاسناد قلنا نعم ولا حجة فى قول احد الا فيما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط والوهم فى تلك الرواية انما هى بلا شك عمن دون ابن عباس أو لعل ابن عباس لم يقطع بذلك اذ انما أخذه عمن لا يدرى من هو ولا شك فى انه شيء سمعه فذكره لانه رضى الله عنه لم يحضر ذلك ولا ذكره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحال أن يقطع ابن عباس بما لا علم له به لكن معنى الآية لا يعدو أحد وجهين اما انه هم بالايقاع بها وضربها كما قال تعالى وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وكما يقول القائل لقد همت بك لكنه عليه السلام امتنع من ذلك ببرهان اراه الله اياه استغنى به عن ضربها وعلم ان الفرار اجدى عليه واظهر لبراءته على ما ظهر بعد ذلك من حكم الشاهد بأمر قد من القميص والوجه الثاني ان الكلام تم عند قوله ولقد همت به ثم ابتدأ تعالى خبرا آخر فقال وهم بها لولا ان رأى برهان ربه وهذا ظاهر الآية بلا تكلف تأويل وبهذا نقول حدثنا احمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكى حدثنا ابن عون الله انبأنا ابراهيم ابن احمد بن فراس حدثنا احمد بن محمد بن سالم النيسابوري انا اسحق بن راهويه انا المومل ابن اسماعيل الحميرى حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن انس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية. ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قالها يوسف عليه السلام قال له جبريل يا يوسف اذكر همك

فقال يوسف وماابرىء نفسى ان النفس لامارة بالسوء فليس فى هذا الحديث على معنى من المعانى تحقيق الهم بالفاحشة ولكنه فيه انه بامرما وهذا حق كما قلنا فسقط هذا الاعتراض وصح الوجه الاول والثانى معا الا ان الهم بالفاحشة باطل مقطوع علي كل حال وصح ان ذلك الهم ضرب سيدته وهى خيانة لسيده ادهم بضرب امرأته وبرهان ربه هاهنا هو النبوة وعصمة الله عزوجل اياه ولولاالبرهان لكان يهم بالفاحشة وهذا لاشك فيه ولعل من ينسب هذا الى النبي المقدس يوسف ينزه نفسه الرذلة عن مثل المقام فيهلك وقد خشى النبي صلي الله عليه وسلم الهلاك على من ظن به ذلك الظن اذ قال للانصاريين حين لقيهما هذه صفية

(قال ابو محمد) ومن الباطل الممتنع ان يظن ظان ان يوسف عليه السلام هم بالزنا وهو يسمع قول الله تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء فنسال من خالفنا عن الهم بالزنا بسوء هو ام غير سوء فلابد انه سوء ولو قال انه ليس بسوء لعاند الاجماع فاذ هو سوء وقد صرف عنه السوء فقد صرف عنه الهم بيقين وأيضا فانها قالت ماجزاء من أراد باهلك سوءا وانكر هو ذلك فشهد الصادق المصدق . ان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين . فصح انها كذبت بنص القرآن واذا كذبت بنص القرآن فما اراد بها قط سوء فما هم بالزنا قط ولو اراد بها الزنا لكانت من الصادقين وهذا بين جدا وكذلك قوله تعالى عنه انه قال . والا تصرف عنى كيدهن أصب اليهن واكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن : فصح عنه انه قط لم يصب اليها وبالله تعالى التوفيق تم الكلام في يوسف عليه السلام

(الكلام فى موسى عليه السلام وأمه)

(قال ابو محمد) ذكروا قول الله تعالى * وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ان كادت لتبدى به لولا أن ربطنا علي قلبها * فمعناه فارغا من الهم بموسي جملة لان الله عز وجل قد وعدها برده اليها اذ قال لها تعالى * انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين * فمن الباطل المحض ان يكون الله تعالى ضمن لها رده اليها ثم يصبح قلبها مشغولا بالهم بامره هذا مالا يظن بذى عقل أصلا وانما معنى قوله تعالى ان كادت لتبدي به أى سرورا بما اتاه الله عزوجل من الفضل وقولها لاخته قصية انما هو لترى أخته كيفية قدرة الله تعالى فى تخليصه من يدى فرعون عدوه بعد وقوعه فيهما وليتم بها ما وعدها الله تعالى من رده اليها فبعثت اخته لترده بالوحى وذكروا قول الله تعالى عن موسى عليه السلام فاخذ برأس أخيه يجره اليه * قال يابن أم لاتاخذ بلحيتى ولا برأسي * قالوا وهذه معصية أن ياخذ بلحية أخيه وشعره

منها تتحرك على الاستقامة فالفلك وكليات العناصر لاتفسد واذا لم يجز أن يفسد العالم لم يجز أن يتكون وهذه الشبهات هى التى يمكن أن يقال فتنقض وفى كل واحدة منها نوع مغالطة واكثرها تحكمات وقد افردت لها كتابا وأوردت فيه شبهات أرسطوطاليس وهذه تقريرات أبي على بن سينا ونقضتها على قوانين منطقية فليطلب ذلك ومن المتعصبين لبرقلس من مهد عذرا فى ذكر هذه الشبهات وقال انه كان يناطق الناس منطقين أحدهما روحانى بسيط والآخر جسمانى (١١) مركب وكان أهل زمانه الذين يناطقونه الى جسمانيين وإنما دعاه الى ذكر هذه الاقوال مقاومتهم اياه فخرج من طريق الحكمة والفلسفة من هذه الجهة لان من الواجب علي الحكيم أن يظهر العلم على طرق كثيرة يتصرف فيها كل ناظر بحسب نظره ويستفيد منها بحسب فكره واستعداده فلايجدوا على قوله مساغا ولا يصيبوا مقالا ولامطمعا لان برقلس لما كان يقول بدهر هذا العالم وانه باق لايدثر وضع كتابا فى هذا المعنى فطالعه من لم يعرف طريقته ففهموا منه جسمانية قوله دون روحانية فنقضوه على مذهب الدهرية وفى هذا الكتاب يقول لما اتصلت العوالم بعضها ببعض وحدثت القوى الواصلة فيها وحدثت المركبات من العناصر حدثت قشور واستبطنت لبوب فالقشور داثرة واللبوب قائمة دائمة ولا يجوز الفساد عليها لانها بسيطة وحيدة القوى فانقسم العالم الى عالمين عالم الصفوة واللب وعالم الكدورة والقشر فاتصل بعضه ببعض وكان آخر هذا العالم من بدو ذلك العالم فمن وجه لم يكن بينهما فرق فلم يكن هذا العالم دثر اذا كان متصلا بما ليس يدثر ومن وجه دثرت القشور وبالت الكدورة وكيف تكون القشور غير داثرة ولا مضمحلة ومالم تزل القشور باقية كانت اللبوب خافية وأيضا فان هذا العالم مركب والعالم الاعلى بسيط وكل مركب ينحل حتى يرجع الى البسيط الذى تركب منه وكل بسيط باق دائما غير مضمحل ولا متغير قال الذى يذب عن برقلس هذا الذي نقل عنه هو المقول عن مثله بل الذي اضاف اليه هذا القول الاول لايخلوا

من أحد أمرين أما ان لم يقف على مرامه للملة التى ذكرنا فيما سلف واما انه كان محسودا عند أهل زمانه لكونه بسيط الفكر وسيع النظر سائر القوى وكانوا أولئك أصحاب اوهام وخيالات فانه يقول فى موضع من كتابه ان الاوائل منها تكونت العالم وهى باقية لاتدثر ولاتضمحل وهى لازمة الدهر ماسكة له الا انها من أول واحد لايوصف نعته ولا يدرك بنعت ونطق لأن صور الاشياء كلها (١٢) منه وتحته وهو الغاية والمنتهى التى ليس فوقها جوهر هو أعظم منها الا الاول الواحد وهو الذى قوته اخرجت هذه الاوائل وقدرته ابدعت هــذه المبادىء وقال أيضا الحق لايحتاج الى ان يعرف ذاته لانه حق حقا بلا حق وكل حق حقا فهو تحته انما هو حق حقا اذا حققه الموجب له الحق والحق هو الجوهر المدد الطباع الحياة والبقاء وهو أفاد هذا العالم بدأ وبقاء بعد دثور قشوره وزكى البسيط الباطن من الدنس الذى كان فيه قد علق به وقال ان هذا العالم اذا اضمحلت قشوره وذهب دنسه صار بسيطا روحانيا بقى بما فيه من الجواهر الصافية النورانية فى حد المراتب الروحانيــة مثل العوالم العلوية التى لا نهاية وكان هذا واحدا منها وبقى جوهر كل قشر ودنس وخبث ويكون له أهل يلبسه لانه غير جائز أن تكون الانفس الطاهرة التى تلبس الادناس القشــور مع الانفس الــكثيرة القشور فى عالم واحد وانما يذهب من هذا العالم ماليس من جهة المتوسطات الروحانية وما كان القشر لى والدنس عليه أغلب وأما ما كان من البارى بلا متوسط أو كان من متوسط بلا قشر فانه لا يضمحل قال وانما يدخل القشر على شىء من غير المتوسطات ويدخل عليه بالعرض لا بالذات وذلك اذا كثرت المتوسطات وبعد الشىء عن الابداع الاول لانه حيث ماقلت المتوسطات فى الشىء كان انور واقل قشورا ودنسا وكلما قلت القشور والدنس كانت الجواهر اصفى والاشياء ابقى

وهو نبى مثله وأسن منه ولاذنب له

(قال ابو محمد وهذا ليس كما ظنوا وهو خارج على وجهين احدهما ان اخذه برأس اخيه ليقبل بوجهه عليه ويسمع عتابه له اذ تأخر عن اتباعه اذ رآهم ضلوا ولم يأخذ بشعر أخيه قط اذ ليس ذلك فى الآية أصلا ومن زاد ذلك فيها فقد كذب على الله تعالى لكن هارون عليه السلام خشى نادرة من موسى عليه السلام وسطوة اذ رآه قد اشتد غضبه فاراد توقيفه بهذا الكلام عما تخوفه منه وليس فى هــذه الآية مايوجب غير ماقلناه ولا أنه مد يده الى أخيه أصلا وبالله تعالى التوفيق والثانى ان يكون هارون عليه السلام قد يكون استحق فى نظر موسى عليه السلام النكير لتأخيره عن لحاقه اذ رآهم ضلوا فاخذ برأسه منكرا عليه ولو كان هذا لكان انما فعله موسى عليه السلام غضبا لربه عز وجل وقاصدا بذلك رضاء الله تعالى ولسنا نبعد هذا من الانبياء عليهم السلام وانما ننكر القصد الى المعصية وهم يعلمون انها معصية وهذا هو معنى ما ذكره الله تعالى عن ابراهيم خليله صلى الله عليه وسلم اذ قال * والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين * وقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم * ليغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر . انما الخطيئة المذكورة والذنوب المغفورة ماوقع بنسيان أو بقصد الى الله تعالى ارادة الخير فلم يوافق رضا الله عز وجل بذلك فقط وذكروا قول موسى عليه السلام للخضر عليه السلام . اقتلت نفسا زكية بغير نفس فانكر موسى عليه السلام الشىء وهو لايعلمه وقد كان اخذ عليه العهد ان لايسأله عن شىء حتى يحدث له منه ذكرا فهذا أيضا لاحجة لهم فيه لان ذلك كان على سبيل النسيان وقد بين موسى عليه السلام ذلك بقوله . لاتؤاخذنى بما نسيت ولاترهقنى من أمرى عسرا . فرغب اليه ان لايؤاخذه بنسيانه ومؤاخذة الخضر له بالنسيان دليل على صحة ماقلنا من انهم عليهم السلام مؤاخذون بالنسيان وبما قصدوا به الله عز وجل فلم يصادفوا بذلك مراد الله عز وجل وتكلم موسى عليه السلام على ظاهر الامر وقدر ان الغلام زكى اذ لم يعلم له ذنبا وكان عند الخضر العلم الجلى بكفر ذلك الغلام واستحقاقه القتل فقصد موسى عليه السلام بكلامه فى ذلك وجه الله تعالى والرحمة وانكار مالم يعلم وجهه وذكروا قول موسى عليه السلام فعلتها اذا وانا من الضالين فقول صحيح وهو حاله قبل النبوة فانه كان ضالا عما اهتدى له بعد النبوة وضلال الغيب عن العلم كما تقول أضللت بعيرى لاضلال القصد الى الاثم وهكذا قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ووجدك ضالا فهدى أى ضالا عن المعرفة وبالله تعالى التوفيق وذكروا قول الله عز وجل عن بنى اسرائيل فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم قالوا وموسى قد سأل ربه مثل ذلك فقال . رب ارنى انظر اليك قال

ومماينقل عن برقلس انه قال ان الباري عالم بالاشياء كلها اجناسها وأنواعها وأشخاصها وخالف بذلك ارسطوطاليس فانه قال يعلم أجناسها وأنواعها دون اشخاصها الكائنة الفاسدة فان علمه يتعلق بالكليات دون الجزئيات كما ذكرنا ومماينقل عنه في قدم العالم قوله لن يتوهم حدوث العالم الا بعد ان لم يكن فابدعه الباري في الحالة التي لم يكن لم يخلو من حالات ثلاث أما ان الباري لم يكن قادرا فصار قادرا وذلك محال لانه قادر لم يزل واما انه لم يرد فاراد وذلك محال ايضا لانه مريد لم يزل وأما انه لم يقتض الحكمة وذلك محال أيضا لان الوجود اشرف من العدم على الاطلاق فاذا بطلت هذه الجهات الثلاث تشابها في الصفة الخاصة وهي القدم على أصل المتكلم أو كان القدم بالذات له دون غيره وان كان معا في الوجود والله الموفق

(رأى ثامسطيوس)

وهو الشارح لكلام ارسطوطاليس وانما يعتمد شرحه اذا كان أهدى القوم الى اشاراته ورموزه وهو على رأى ارسطوطاليس في جميع ماذكرنا من اثبات العلة الاولى واختار من المذاهب في المبادىء قول من قال ان المبادىء ثلاثة الصورة والهيولى والعدم وفرق بين العدم المطلق والعدم الخاص فان عدم صورة ما عن مادة تقبلها مثل عدم السفينة عن الحديد ليس كعدم السفينة عن الصوف فان هذه المادة لاتقبل تلك الصورة أيضا وقال ان الافلاك حصلت من العناصر الاربعة لان العناصر حصلت من الافلاك ففيها نارية وهوائية ومائية وأرضية الا ان الغالب على الافلاك النارية كما أن الغالب على المركبات السفلية هو الارضية والكواكب نيران متشعلات حصلت تراكيبها على وجه لايتطرق اليها الانحلال بالاتقبل الكون والفساد والتغير والاستحالة والا فالطبائع واحدة والفرق يرجع الى ماذكرنا ونقل ثامسطيوس عن ارسطوطاليس وافلاطن وثاوفرسطيس وفرفريوس وفلوطرخيس وهو رأيه في أن

لن تراني . قالوا فقد سال موسى عليه السلام امرا عوتب سائلوه قبله

(قال ابو محمد) وهذا لاحجة لهم فيه لانه خارج على وجهين احدهما ان موسى عليه السلام سال ذلك قبل سؤال بني اسرائيل رؤية الله تعالى وقبل ان يعلم ان سؤال ذلك لايجوز فهذا لا مكروه فيه لانه سال فضيلة عظيمة اراد بها علو المنزلة عند ربه تعالى والثاني ان بني اسرائيل سالوا ذلك متعنتين وشكاكا في الله عز وجل وموسى سال ذلك على الوجه الحسن الذي ذكرنا آنفا

(الكلام على يونس عليه السلام)

(قال ابو محمد) وذكروا أمر يونس عليه السلام وقول الله تعالى عنه . وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين . وقوله تعالى . فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون . وقوله لنبيه عليه السلام . فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم . وقوله تعالى . فالتقمه الحوت وهو مليم . قالوا ولا ذنب أعظم من المغاضبة لله عز وجل ومن أكبر ذنبا ممن ظن ان الله لا يقدر عليه وقد أخبر الله تعالى انه استحق الذم لولا ان تداركه نعمة الله عز وجل وانه استحق الملامة وانه اقر على نفسه انه كان من الظالمين ونهى الله تعالى نبيه ان يكون مثله

(قال ابو محمد) هذا كله لاحجة لهم فيه بل هو حجة لنا على صحة قولنا والحمد لله رب العالمين أما أخبار الله تعالى ان يونس ذهب مغاضبا فلم يغاضب ربه قط ولا قال الله تعالى انه غاضب ربه فمن زاد هذه الزيادة كان قائلا على الله الكذب وزائدا في القرآن ماليس فيه هذا لا يحل ولا يجوز ان يظن بمن له ادنى مسكة من عقل انه يغاضب ربه تعالى فكيف ان يفعل ذلك نبي من الانبياء فعلم يقينا انه انما غاضب قومه ولم يوافق ذلك مراد الله عز وجل فعوقب بذلك وان كان يونس عليه السلام لم يقصد بذلك الا رضاء الله عز وجل واما قوله تعالى . فظن ان لن نقدر عليه . فليس على ماظنوه من الظن السخيف الذي لا يجوز ان يظن بضعيفة من النساء او بضعيف من الرجال الا ان يكون قد بلغ الغاية من الجهل فكيف بنبي مفضل على الناس في العلم ومن المحال المتيقن ان يكون نبي يظن ان الله تعالى الذي أرسله بدينه لا يقدر عليه وهو يرى ان آدميا مثله يقدر عليه ولا شك في ان من نسب هذا للنبي صلى الله عليه وسلم الفاضل فانه يشتد غضبه لو نسب ذلك اليه او الى ابنه فكيف الى يونس عليه السلام الذي يقول فيه رسول الله ﷺ لا تفضلوني على يونس بن متى فقد بطل ظنهم بلا شك وصح ان معنى قوله . فظن ان لن

العالم أجمع طبيعة واحدة عامة وكل نوع من أنواع النبات والحيوان مختص بطبيعة خاصة وحدوا الطبيعة العامة انها مبدأ الحركة في الاشياء والسكون فيها على الامر الاول من دواتها وهي علة الحركة في المتحركات وعلة السكون في الساكنات زعموا ان الطبيعة هي التي تدبر الاشياء كلها في العالم حياته ومواته تدبيرا طبيعيا وليست هي حية ولا قادرة ولا مختارة ولكن لا تفعل الا الحكمة وصوابا (١٤) وعلى تمام صحيح وترتيب محكم قال ثامسطيوس قال ارسطوطاليس في مقالة اللام ان الطبيعة تفعل ما تفعل من الحكمة والصواب وان لم يكن حيوانا الا انها الممت من سبب هو أكرم منها وأوهى الى ان السبب هو الله وقال أيضا ان الطبيعة طبيعتان طبيعة مستعلية على السكون والفساد بكلياتها وجزئياتها يعني الفلك والنيرات وطبيعة يلحق جزئياتها الكون والفساد لا كلياتها يريد بالجزئيات الاشخاص وبالكليات الاستقصات

(رأى الاسكندر الافروديسي) وهو من كبار الحكماء رأيا وعلما وكلامه امتن ومقالته أرصن وافق ارسطوطاليس في جميع آرائه وزاد عليه في الاحتجاج على ان الباري عالم بالاشياء كلها كلياتها وجزئياتها على نسق واحد وهو عالم بما كان وبما سيكون ولا يتغير علمه بتغير المعلوم ولا يتكثر بتكثره ومما انفرد به ان قال كل كوكب ذو نفس وطبع وحركة من جهة نفسه وطبعه ولا يقبل التحريك من غيره أصلا بل انما يتحرك بطبعه واختياره الا ان حركاته لا تختلف لانها دورية وقال لما كان الفلك محيطا بما دونه وكان الزمان جاريا عليه لان الزمان هو العاد للحركات او هو عدد الحركات ولما لم يكن يحيط بالفلك شيء آخر ولا كان الزمان جاريا عليه لم يجز أن يفسد الفلك ويكون فلم يكن قابلا للكون والفساد وما لم يقبل الكون والفساد كان قديما أزليا وقال في كتابه في النفس ان الصناعة تقبل

تقدر عليه . أي لن نضيق عليه كما قال تعالى « وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه » أي ضيق عليه فظن يونس عليه السلام ان الله تعالى لا يضيق عليه في مغاضبته لقومه اذ ظن انه محسن في فعله ذلك وانما نهى الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم عن ان يكون كصاحب الحوت فنعم نهاه الله عز وجل عن مغاضبة قومه وامره بالصبر على اذاهم وبالمطاولة لهم واما قول الله تعالى انه استحق الذم والملامة لولا النعمة التي تداركه بها للبث معاقبا في بطن الحوت فهذا نفس ما قلناه من ان الانبياء عليهم السلام يؤاخذون في الدنيا على ما فعلوه مما يظنونه خيرا وقربة الى الله عز وجل اذا لم يوافق مراد ربهم وعلى هذا الوجه أقر على نفسه بانه كان من الظالمين والظلم وضع الشيء في غير موضعه فلما وضع النبي صلى الله عليه وسلم المغاضبة في غير موضعها اعترف في ذلك بالظلم لا على انه قصده وهو يدرى انه ظلم انقضى الكلام في يونس عليه السلام والله تعالى التوفيق

(الكلام في داود عليه السلام)

وذكروا أيضا قول الله تعالى حاكيا عن داود عليه السلام * وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان * الى قوله فغفرنا له ذلك (قال أبو محمد) وهذا قول صادق صحيح لا يدل على شيء مما قاله المستهزئون الكاذبون المتعلقون بخرافات ولدها اليهود وانما كان ذلك الخصم قوما من بني آدم بلا شك مختصمين في نعاج من الغنم على الحقيقة بينهم بغى أحدهما على الآخر على نص الآية ومن قال انهم كانوا ملائكة معرضين بأمر النساء فقد كذب على الله عز وجل وقوله ما لم يقل وزاد في القرآن ما ليس فيه وكذب الله عز وجل وأقر على نفسه الخبيثة انه كذب الملائكة لان الله تعالى يقول * هل أتاك نبأ الخصم * فقال هو لم يكونوا قط خصمين ولا بغى بعضهم على بعض ولا كان قط لاحدهما تسع وتسعون نعجة ولا كان للآخر نعجة واحدة ولا قال له أكفلنيها فاعجبوا لم يقحمون فيه أهل الباطل أنفسهم ونعوذ بالله من الخذلان ثم كل ذلك بلا دليل بل الدعوى المجردة وتالله ان كل امرئ منا ليصون نفسه وجاره المستور عن أن يتعشق امرأة جاره ثم يعرض زوجها للقتل عمدا ليتزوجها وعن أن يترك صلاته لطائر يراه هذه أفعال السفهاء المتهوكين الفساق المتمردين لا أفعال أهل البر والتقوى فكيف برسول الله داود صلى الله عليه وسلم الذي أوحى اليه كتابه وأجرى على لسانه كلامه لقد نزهه الله عز وجل عن أن يمر مثل هذا الفحش بباله فكيف أن يستضيف الى أفعاله وأما استغفاره وخروره ساجدا ومغفرة الله تعالى له فالانبياء عليهم السلام أولى الناس بهذه الافعال الكريمة والاستغفار فعل خير لا ينكر من ملك ولا نبي

الطبيعة والطبيعة لاتقبل الصناعة وقال الطبيعة ألطف وقوة وان أفعالها تفوق في البراعة والالطف كل أعجوبة يتلطف فيها بصناعة من الصناعات وقال في ذلك الكتاب لافعل للنفس دون مشاركة البدن حتى التصور بالعقل فانه مشترك بينهما وأومى الى انه لايبقى للنفس بعد مفارقتها قوة أصلا حتى القوة العقلية وخالف استاذه ارسطوطاليس فانه قال الذي يبقى مع النفس من جميع مالها من القوى هي القوة العقلية فقط ولذتها في (١٥) ذلك العالم مقصورة على اللذات العقلية فقط اذ لا قوة لها دون ذلك فتحس وتلتذ والمتأخرون يثبتون بقاءها على هيآت أخلاقية استفادتها من مشاركة البدن فتستعد بها لقبول الهيئات الملكية في ذلك العالم (رأي فرفوريوس) وهو أيضا على رأي ارسطوطاليس ووافقه في جميع ماذهب اليه ويدعي ان الذي يحكى عن افلاطن من القول بحدث العالم غير صحيح قال في رسالته الى انابا نوما مافرق به افلاطن عندكم من انه يضع للعالم ابتداء زمانيا فدعوى كاذبة وذلك ان افلاطن ليس يرى ان للعالم ابتداء زمانيا لكن ابتداء على جهة العلة ويزعم ان علة كونه ابتداؤه وقد رأى ان المتوهم عليه في قوله ان العالم مخلوق وانه حدث لا من شيء وانه خرج من لانظام الى نظام فقد أخطأ وغلط وذلك انه لايصح دائما ان كل عدم أقدم من الوجود فيما علة وجوده شيء آخر غيره ولا كل سوء نظام اقدم من النظام وانما يعني افلاطن ان الخالق أظهر العالم من العدم الى الوجود ان وجدانه لم يكن من ذاته لكن سبب وجوده من الخالق وقال في الهيولى انها امر قابل للصور وهي كثيرة وصغيرة وهما في الموضوع والحد واحد ولم يبين العدم كما ذكره ارسطوطاليس الا انه قال الهيولى لاصورة له فقد علم ان عدم الصورة في الهيولى وقال ان المكونات كلها انما تكون بالصور على قول التغيير وتفسد بخلو الصور عنها وزعم فرفوريوس انها

نبي ولا من مذنب ولا من غير مذنب فالنبي يستغفر الله لمذنبي أهل الارض والملائكة كما قال الله تعالى * ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم * وأما قوله تعالى عن داود عليه السلام وظن داود أنما فتناه * وقوله تعالى * فغفرنا له ذلك فقد ظن داود عليه السلام أن يكون ما آتاه الله عز وجل من سعة الملك العظيم فتنة فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو في أن يثبت الله قلبه على دينه فاستغفر الله تعالى من هذا الظن فغفر الله تعالى له هذا الظن اذ لم يكن ما آتاه الله تعالى من ذلك فتنة

الكلام في سليمان عليه السلام

وذكروا قول الله عز وجل عن سليمان عليه السلام * ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب *

(قال أبو محمد) ولا حجة لهم في هذا اذ معنى قوله تعالى فتنا سليمان أي آتيناه من الملك ما اختبرنا به طاعته كما قال تعالى مصدقا لموسى عليه السلام في قوله تعالى * ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء * ان من الفتنة من يهدي الله من يشاء * وقال تعالى ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين * فهذه الفتنة هي الاختبار حتى يظهر المهتدي من الضال فهذه فتنة الله تعالى لسليمان انما هي اختباره حتى ظهر فضله فقط وماعدا هذا فخرافات ولدها زنادقة اليهود وأشباههم وأما الجسد الملقى على كرسيه فقد أصاب الله تعالى به ما أراد نؤمن بهذا كما هو ونقول صدق الله عز وجل كل من عند الله ربنا ولو جاء نص صحيح في القرآن أو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتفسير هذا الجسد ماهو لقلنا به فاذا لم يأت بتفسيره ما هو نص ولا خبر صحيح فلا يحل لاحد القول بالظن الذي هو أكذب الحديث في ذلك فيكون كاذبا على الله عز وجل الا اننا لا نشك البتة في بطلان قول من قال انه كان جنيا تصور بصورته بل نقطع على انه كذب والله تعالى لا يهتك ستر رسوله صلى الله عليه وسلم هذا الهتك وكذلك نبعد قول من قال انه كان ولدا له أرسله الى السحاب ليربيه فسليمان عليه السلام كان أعلم من أن يربي ابنه بغير ما طبع الله عز وجل بنية البشر عليه من اللبن والطعام وهذه كلها خرافات موضوعة مكذوبة لم يصح اسنادها قط وذكروا أيضا قول الله عز وجل عن سليمان عليه السلام اني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والاعناق * وتأولوا ذلك على ما قد نزه الله عنه من له أدنى مسكة من عقل

ان من الاصول الثلاثة التي هي الهيولى والصور والعدم ان كل جسم اما ساكن واما متحرك وهاهنا شيء يكون ما يتكون
ويحرك الاجسام وكل ما كان واحدا بسيطا ففعله واحد بسيط وما كان كثيرا مركبا فافعاله كثيرة مركبة وكل موجود
ففعله مثل طبيعته ففعل الله بذاته فعل واحد بسيط وباقي أفعاله يفعلها بمتوسط ومركب وقال كل ما كان موجودا فله
فعل من الافعال مطابق لطبيعته ولما كان البارى (٩٦) تعالى موجودا ففعله الخاص هو الاجتلاب الى الوجود ففعل فعلا واحدا
وحرك حركة واحدة
وهو الاجتلاب الى شبهه
يعني الوجود ثم اما أن يقال
كان المفعول معدوما يمكن
ان يوجد وذلك هو طبيعة
الهيولى بعينها فيجب ان
يسبق الوجود طبيعة
ما قابلة للوجود واما ان
يقال لم يكن معدوما يمكن
أن يوجد بل أوجده عن
لا شيء وابدع وجوده من
غير توهم شيء سبقه وهو
ما يقوله الموحدون قال فاول
فعل فعله هو الجوهر الا ان
كونه جوهرا اوقع بالحركة
فوجب أن يكون بقاؤه
جوهرا بالحركة وذلك انه
ليس للجوهر ان يكون
بذاته بمنزلة الوجود الاول
لكن من التشبه بذلك
الاول وكل حركة تكون
فاما على خط مستقيم وأما
على الاستدارة فتحرك
الجوهر بهاتين الحركتين
ولما كان وجود الجوهر
بالحركة وجب أن يتحرك
الجوهر في جميع الجهات
التي يمكن فيها الحركة
فيتحرك جميع الجواهر
في جميع الجهات حركة مستقيمة على جميع الخطوط وهي ثلاثة الطول والعرض
يقع
والعمق الا انه لم يمكن ان يتحرك على هذه الخطوط الى نهاية اذ ليس يمكن فيما هو بالفعل أن يكون بلا نهاية فيحرك
الجوهر في هذه الاقطار الثلاثة حركة متناهية على خطوط مستقيمة وبما يسال حتما بقي عليه أن يتحرك بالاستدارة
على الجهة التي يمكن فيه أن يتحرك بلا نهاية ولا يسكن وقتا من الاوقات الا انه ليس يمكن ان يتحرك بجميعه حركة

من أهل زماننا وغيره فكيف بنبي معصوم مفضل في انه قتل الخيل اذا اشتغل بها عن الصلاة
(قال ابو محمد) وهذه خرافة موضوعة مكذوبة سخيفة باردة قد جمعت افانين من القول
والظاهر انها من اختراع زنديق بلا شك لان فيها معاقبة خيل لا ذنب لها والتمثيل بها
واتلاف مال منتفع به بلا معنى ونسبة تضييع الصلاة الى نبي مرسل ثم يعاقب الخيل على ذنبه
لا على ذنبها وهذا أمر لا يستجيزه صبي ابن سبع سنين فكيف نبي مرسل ومعنى هذه
الآية ظاهر بين وهو انه عليه السلام اخبر انه أحب حب الخير من أجل ذكر ربه حتى
توارت الشمس بالحجاب أو حتى توارت تلك الصافنات الجياد بحجابها ثم أمر بردها فطفق
مسحا سوقها وأعناقها بيده برا بها واكراما لها هذا هو ظاهر الآية الذي لا يحتمل غيره
وليس فيها اشارة أصلا الى ما ذكروه من قتل الخيل وتعطيل الصلاة وكل هذا قد قاله
ثقات المسلمين فكيف ولا حجة في قول أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذكروا أيضا الحديث الثابت من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سليمان عليه السلام
قال لاطوفن الليلة على كذا وكذا امرأة كل امرأة منهن تلد فارسا يقاتل في سبيل الله
ولم يقل ان شاء الله
(قال أبو محمد) وهذا ما لا حجة لهم فيه فان من قصد تكثير المؤمنين المجاهدين في
سبيل الله عز وجل فقد أحسن ولا يجوز ان يظن به انه يجهل ان ذلك لا يكون الا
أن يشاء الله عز وجل وقد جاء في نص الحديث المذكور انه انما ترك ان شاء الله نسيانا
فاوخذ بالنسيان في ذلك وقد قصد الخير وهذا نص قولنا والحمد لله رب العالمين تم الكلام
في سليمان عليه الصلاة والسلام
(فصل) وذكروا قوله تعالى. واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه
الشيطان فكان من الغاوين
(قال أبو محمد) وهذا ما لا حجة لهم فيه لانه ليس في نص الآية ولا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان هذا المذكور كان نبيا وقد يكون اتاه الله تعالى لهذا المذكور
آياته انه أرسل اليه رسولا آيات كما فعل بفرعون وغيره فانسلخ منها بالتكذيب
فكان من الغاوين واذا صح ان نبيا لا يعصى الله عز وجل تعمدا فمن المحال أن يعاقبه
الله تعالى على ما لا يفعل ولا عقوبة أعظم من الحط عن النبوة ولا يجوز أن يعاقب بذلك
نبي البتة لانه لا يكون منه ما يستحق به هذا العقاب وبالله تعالى التوفيق فصح يقينا
ان هذا المنسلخ لم يكن قط نبيا وذكروا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ما من
أحد الا من ألم بذنب او كاد إلا يحيي بن زكريا او كلاما هذا معناه
(قال ابو محمد) وهذا صحيح وليس خلافا لقولنا اذ قد بينا ان الانبياء عليهم السلام

على الاستدارة لأن الدائر يحتاج الى شيء ساكن في وسط منه فمنذ ذلك انقسم الجوهر فتحرك بعضه على الاستدارة وسكن بعضه في الوسط وقال كل جسم يتحرك فباس حسبما سا كنا في طبيعته قبول التأثير منه حركه معه واذا حركه سخن واذا سخن لطف وانحل وخف فكانت النار تلي الفلك والجسم الذي يلي النار يبعد عن الفلك ويتحرك بحركة النار فيكون حركته أقل فلا يتحرك لذلك اجمعه لكن جزء منه فيسخن (١٧) دون سخونة النار وهو الهواء والجسم الذي يلي الهواء لا يتحرك لبعده عن المحرك فهو بارد لسكونه وحار حرارة يسيرة بمجاورة الهواء وكذلك انحل قليلا وأما الجسم الذي في الوسط فلانه بعد في الغاية عن الفلك ولم يستفد من حركته شيئا ولا قبل منه تأثيرا سكن وبرد وهذه هي الارض واذا كانت هذه الاجسام تقبل التأثير بعضها من بعض اختلطت وتولد عنها أجسام مركبة وهذه هي الاجسام المحسوسة وقال الطبيعة تفعل بغير فكر ولا عقل ولا ارادة ولكنها ليست تفعل بالبحث والاتفاق والخبط بل لا يفعل الا ما فيه نظم وترتيب وحكمة وقد يفعل شيئا من أجل شيء كما يفعل الرئة من أجل الانسان ويهيء أعضاءه لما يصلح له وقسم فرفوريوس مقالة أرسطاطاليس في الطبيعة خمسة أقسام أحدها العنصر والثاني الصورة والثالث المجتمع منهما كالانسان والرابع الحركة الحادثة في

الشيء بمنزلة حركة النار الثابتة لموجودة بها الى فوق والخامس الطبيعة العامة للكل لان الجزئيات لا يتحقق وجودها الا عن كل يشملها ثم اختلفوا في مركزها فمن الحكماء من صار الى انها فوق الكل وقال آخرون أنها دون الفلك قالوا وأما الدليل على وجودها أفعالها وقواها المبثة في العالم الموجبة للحركات والافعال كذهاب النار والهواء الى فوق وذهاب الماء والارض الى تحت وتعلم بقيها الولا وجودها أو وجبت تلك الحركات كانت مبدأ لها لم توجد فيها وكذلك

يقع منهم النسيان وقصد الشيء يظنونه قربة الى الله تعالى فاخبر عليه السلام انه لم ينج من هذا أحد الا يحيى بن زكريا عليهما السلام فيقول من هذا إن يحيى لم يذنب شيئا واجبا عليه قط ولا فعل الا ما وافق فيه مراد ربه عز وجل

(الكلام في محمد صلى الله عليه وسلم)

(قال ابو محمد) وذكروا قول الله تعالى لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم * وقوله تعالى * عبس وتولى ان جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى اما من استغنى فانت له تصدى وما عليك الا يزكى واما من جاءك يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى * والحديث الكاذب الذي لم يصح قط في قراءته عليه السلام في والنجم اذا هوى وذكروا تلك الزيادة المفتراة التي تشبه من وضعها من قولهم وانها الغرانيق العلى وان شفاعتها لترتجى وذكروا * قول الله تعالى * وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته * وبقوله تعالى * ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وان الوحي امتسك عنه عليه السلام لتركه الاستثناء اذ ساله اليهود عن الروح وعن ذي القرنين واصحاب الكهف * وبقوله تعالى * وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه * وبما روى من قوله عليه السلام لقد عرض علي عذابكم ادنى من هذه الشجرة اذ قبل الفداء وترك قتل الاسرى ببدر وبما روى من قوله عليه السلام لو نزل عذاب ما نجى منه الا عمر لان عمر اشار بقتلهم وذكروا انه عليه السلام مال الى رأى ابي بكر في الفداء والاستبقاء وبقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر * قالوا فان لم يكن له ذنب فماذا غفر له وباي شيء أمتن الله عليه في ذلك وبقوله صلى الله عليه وسلم لو دعيت الى ما دعي اليه يوسف لاجبت فانما هذا اذ دعي الى الخروج من السجن فلم يجب الى الخروج حتى قال للرسول ارجع الى ربك فاساله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ان ربي بكيدهن عليم . فامسك عن الخروج من السجن وقد دعي الى الخروج عنه حتى اعترف النسوة بذنبهن وبراءته وتيقن بذلك من كان شك فيه فاخبر محمد صلى الله عليه وسلم انه لو دعي الى الخروج من السجن لاجاب وهذا التفسير منصوص في الحديث نفسه كما ذكرنا من كلامه عليه السلام لو لبثت في السجن ما لبث يوسف عليه السلام ثم دعيت لاجبت الداعي او كلاما هذا معناه واما قول الله عز وجل . ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر . فقد بينا ان ذنوب الانبياء عليهم السلام ليست الا ما وقع نسيان او بقصد الى ما يظنون خيرا مما لا يوافقون مراد الله تعالى منهم وهذان الوجهان هما اللذان غفر الله عز وجل له واما قوله . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم . فانما الخطاب في ذلك للمسلمين لا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانما كان ذلك اذ تنازعوا في غنائم بدر فكانوا هم المذنبين المتشاحين عليه يبين ذلك

مايوجد في النبات والحيوان من قوة الغذاء وقوة النمو والنشو المتاخرون من فلاسفة الاسلام مثل يعقوب ابن اسحاق الكندي وحنين بن اسحاق ويحيى النحوي وأبي الفرج المفسر وابي سليمان السنجري وابى سليمان محمد المقدسي وابي بكر ثابت ابن قرة وابي تمام يوسف بن محمد النيسابوري وابي زيد احمد بن سهل البلخي وابي محارب الحسن بن سهل ابن محارب القمي واحمد بن الطيب السرخسي وطلحة بن محمد النسفي وابي حامد احمد بن محمد (١٨) الاسفرايني وعيسى بن علي الوزير وابي علي احمد بن مسكويه وابي زكريا يحيى ابن عدى الضيمرس وابى الحسن العامري وابي نصر محمد ابن محمد بن طرخان الفارابي وغيرهم واما علامة القوم ابو علي الحسين بن عبد الله بن سينا فقد سلكوا كلهم طريقة ارسطوطاليس في جميع ماذهب اليه وانفرد به سوى كلمات يسيرة ربما رأوا فيها رأي افلاطن والمتقدمين ولما كانت طريقة ابن سينا ادق عند الجماعة ونظره في الحقائق أغوص اخترت نقل طريقته من كتبه على ايجاز واختصار لانها عيون كلامه ومتون مرامه واعرضت عن نقل طرق الباقين وكل الصيد في جوف الفرا كلامه في المنطق (قال أبو علي بن عبد الله بن سينا) العلم اما تصور واما تصديق فالتصور هو العلم الاول وهو ان تدرك أمرا ساذجا من غير ان تحكم عليه بنفي او اثبات مثل تصورنا ماهية الانسان والتصديق هو ان تدرك امرا وامكنك ان تحكم عليه بنفي او اثبات مثل تصديقنا بان للكل مبدأ وكل واحد من القسمين منه ماهو أولي ومنه ماهو مكتسب فالتصور المكتسب انما يستحصل بالحد وما يجري مجراه والتصديق المكتسب انما يستحصل بالقياس وما يجري مجراه فالحد والقياس آلتان بهما تحصل المعلومات التي لم تكن حاصلة فتصير معلومة بالروية وكل واحد منهما منه ماهو حقيقي ومنه ماهو دون الحقيقي ولكنه نافع منفعة بحسبه ومنه ماهو باطل مشبه بالحقيقي والفطرة الانسانية غير كافية في التمييز بين

قوله تعالى. يسالونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم. وقوله تعالى في هذه السورة نفسها النازلة في هذا المعنى . يجادلونك في الحق بعد ماتبين كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون . وقوله تعالي قبل ذكره الوعيد بالعذاب الذى احتج به من خالفنا . تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة. فهذا نص القرآن وقدر الله عز وجل الامر في الانفال الماخوذة يومئذ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واما الخبر المذكور الذى فيه لقد عرض علي عذابكم ادنى من هذه الشجرة ولو نزل عذاب مانجى منه الا عمر فهذا خبر لايصح لان المنفرد بروايته عكرمة بن عمار اليمامي وهو ممن قد صح عليه وضع الحديث اوسوء الحفظ اوالخطا الذى لايجوز معها الرواية عنه ثم لو صح لكان القول فيه كما قلنا من انه قصد الخير بذلك واماقوله * عبس وتولى الايات فانه كان عليه السلام قد جلس اليه عظيم من عظماء قريش ورجا اسلامه وعلم عليه السلام انه لو اسلم لاسلم باسلامه ناس كثير واظهر الدين وعلم ان هذا الاعمى الذى يساله عن اشياء من امور الدين لايفوته وهو حاضر معه فاشتغل عنه عليه السلام بما خاف فوته من عظيم الخير عما لايخاف فوته وهذا غاية النظر للدين والاجتهاد في نصرة القرآن في ظاهر الامر ونهاية التقرب الى الله الذى لو فعله اليوم منا فاعل لاجر فعاتبه الله عز وجل على ذلك اذ كان الاولى عند الله تعالى ان يقبل على ذلك الاعمى الفاضل البر التقي وهذا نفس ماقلناه وكما سهى عليه السلام من اثنتين ومن ثلاث وقام من اثنتين ولاسبيل الى ان يفعل من ذلك شيئا تعمدا اصلا نعم ولايفعل ذلك تعمدا انسان منا فيه خير واما الحديث الذى فيه وانهن الغرانيق العلى وان شفاعتها لترتجى فكذب بحت موضوع لانه لم يصح قط من طريق النقل ولامعنى للاشتغال به اذ وضع الكذب لايعجز عنه احد واما قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولانبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فينسخ الله مايلقى الشيطان الآيه فلا حجة لهم فيها لان الاماني الواقعة في النفس لامعنى لها وقد تمنى النبي صلى الله عليه وسلم اسلام عمه ابي طالب ولم يرد الله عز وجل كون ذلك فهذه الاماني التى ذكرها الله عز وجل لاسواها وحاشا لله ان يتمنى نبي معصية والله تعالى التوفيق وهذا الذى قلنا هو ظاهر الاية دون مزيد تكلف ولايحل خلاف الظاهر الا بظاهر آخر والله تعالى التوفيق واما قوله * ولا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت فقد كفى الله عز وجل الكلام في ذلك ببيانه في اخر الاية ان ذلك كان نسيانا فعوتب عليه السلام في ذلك واماقوله تعالى . وتخفى في نفسك ماالله مبديه وتخشى الناس والله احق أن تخشاه * فقد أمنا من ذلك اذ لم يكن فيه معصية أصلا ولا خلاف فيما أمره الله تعالى به وانما كان اراد زواج مباح له فعله ومباح له تركه ومباح له طيه ومباح له اظهاره وانما

خشي

هذه الاصناف الا ان تكون مؤيدة من عند الله فلابد اذا للناظر من آلة قانونية تعصمه مراعاتها عن ان يضل في فكره وذلك هو الغرض في المنطق ثم ان كل واحد من الحد والقياس فمؤلف من معاني معقولة بتاليف محدود فيكون لها مادة منها ألفت وصورة بها التاليف والفساد قد يعرض من إحدى الجهتين وقد يعرض من جهتيهما معا فالمنطق هو الذي انه من اي المواد والصور يكون الحد الصحيح والقياس السديد الذي يوقع يقينا ومن ايها مايوقع (١٩) بمقدار شبيها باليقين ومن ايها مايوقع ظنا غالبا ومن ايها مايوقع مغالطة وجهلا وهذه فائدة المنطق ثم لما كانت المخاطبات النظرية بالفاظ مسموعة والافكار العقلية باقوال عقلية فتلك المعاني التي في الذهن من حيث يتأتى بها الى غيرها كانت موضوعات المنطق ومعرفة احوال تلك المعاني مسائل علم المنطق فكان المنطق بالنسبة الى المعقولات على مثل النحو بالنسبة الى الكلام والعروض الى الشعر فوجب على المنطقي أن يتكلم في الالفاظ ايضا من حيث تدل على المعاني واللفظ يدل على المعنى من ثلاثة أوجه أحدها بالمطابقة والثاني بالتضمن والثالث بالالتزام وهو ينقسم الى مفرد ومركب فالمفرد ما يدل على معنى وجزء من اجزائه لا يدل على جزء من اجزاء ذلك المعنى بالذات أي حين هو جزء له والمركب هو الذي يدل على معنى وله اجزاء منها يلتئم مسموعة ومن معانيها يلتئم معنى الجملة والمفرد ينقسم الى كلي والى جزئي فالكلي هو الذي يدل على كثيرين بمعنى واحد متفق ولا يمنع نفس مفهومه عن الشركة فيه والجزئي هو ما يمنع نفس مفهومه ذلك ثم الكلي ينقسم الى ذاتي وعرضي والذاتي هو الذي تتقوم ماهية ما يقال عليه والعرضي هو الذي لا يقوم ماهيته سواء كان مفارقا في الوجود والوهم وبين لوجود له ثم الذاتي ينقسم الى ماهو مقول في جواب ماهو وهو اللفظ المفرد الذي

خشي النبي صلى الله عليه وسلم الناس في ذلك خوف ان يقولوا قولا ويظنوا ظنا فيهلكوا كما قال عليه السلام للانصار بن انها صفية فاستعظما ذلك فاخبرهما النبي صلى الله عليه وسلم انه انما اخشى ان يلقي الشيطان في قلوبهما شيئا وهذا الذي خشيه عليه السلام على الناس من هلاك اديانهم بظن يظنونه به عليه السلام هو الذي يحققه هؤلاء المخذولون المخالفون لنا في هذا الباب من نسبتهم الى النبي صلى الله عليه وسلم تعمد المعاصي فهلكت اديانهم وضلوا ونعوذ بالله من الخذلان وكان مراد الله عز وجل أن يبدي ما في نفسه لما كان سلف في علمه من السعادة لاسما زينب رضي الله عنها

(قال أبو محمد) فان قال قائل انكم تحتجون كثيرا بقول الله عز وجل * وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى * وبقوله * فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما * وبقوله تعالى * لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكروا الله كثيرا وبقوله عليه السلام اني لاتقاكم لله واعلمكم بما آتي وآذر وتقولون من أجل هذه النصوص ان كل قول قاله عليه السلام فوحي من الله قاله وكل عمل عمله فبإذن من الله تعالى ورضي منه عمله فاخبرونا عن سلامه صلى الله عليه وسلم من ركعتين ومن ثلاث وقيامه من اثنتين وصلاته الظهر خمسا واخباره بانه يحكم بالحق في الظاهر لمن لا يحل له اخذه ممن يعلم انه في باطن الامر بخلاف ما حكم له به من ذلك أبوحي من الله تعالى وبرضاه فعل كل ذلك أم كيف تقولون وهل يلزم المحكوم عليه والمحكوم له الرضا بحكمه ذلك وهما يعلمان ان الامر بخلاف ذلك أم لا

(قال أبو محمد) فجوابنا وبالله تعالى التوفيق ان كل ما ذكرها فوحي من الله تعالى فعله وكل من قدر ولم يشك في انه قد أتم صلاته فالله تعالى أمره بان يسلم فاذا علم بعد ذلك انه سهي فقد لزمته شريعة الاتمام وسجود السهو برهان ذلك انه لو تمادى ولم يسلم قاصدا الى الزيادة في صلاته على تقديره انه قد أتم لبطلت صلاته كلها بلاشك ظاهرا وباطنا ولاستحق اسم الفسق والمعصية وكذلك من قدر انه لم يصل الا ركعة واحدة وانه لم يتم صلاته فان الله أمره بالزيادة في صلاته يقينا حتى لا يشك في الاتمام وبان يقوم الى ثانية عنده فمتى علم بان الامر كان بخلاف ذلك فصلاته تامة ولزمته حينئذ شريعة سجود السهو وبرهان ذلك أنه لو قعد من واحدة عنده متعمدا مستهزئا او سلم من ثلاث عنده متعمدا لبطلت صلاته جملة ولاستحق اسم الفسق والمعصية لانه فعل خلاف ما أمره الله تعالى به وكذلك أمره الله وأمرنا بالحكم بالبينة العدلة عندنا وباليمين من المنكر وباقرار المقر وان كانت البينة عامدة للكذب في غير علمنا وكانت اليمين والاقرار كاذبين في الباطن وافترض الله علينا بذلك سفك الدماء التي لو علمنا الباطن لحرمت علينا وهكذا

في الفروج والاموال برهان ذلك ان حاكما لو شهد عنده بينة عدل عنده فلم يقض بها وقضى باليمين علي المنكر الذي لا بينة عليه فحلف ثم قضى عليه لكان القاضي فاسقا بلا خلاف عاصيا لله عز وجل لخلافه ما أمره الله سبحانه وتعالى به وان وافق حقا لم يكن علم به وفرض علي المحكوم عليه والمحكوم له ان يرضيا بالحكم بالبينة واليمين وان يصيرا في أنفسهما الي حقيقة علمهما في أخذ الحق واعطائه وبالله تعالى التوفيق

(قال أبو محمد) وذكروا قول الله تعالى * حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا . بتخفيف الذال وليس هذا علي ما ظنه الجهال وانما معناه ان الرسل عليهم السلام ظنوا بمن وعدهم النصر من قومهم انهم كذبوهم فيما وعدوهم من نصرهم ومن المحال البين ان يدخل في عقل من له ادني رمق ان الله تعالى يكذب وكيف بصفوة الله تعالى من خلقه واتمهم علما واعرفهم بالله عز وجل ومن نسب هذا الى نبي فقد نسب اليه الكفر ومن اجاز الى نبي الكفر فهو الكافر المرتد بلا شك والذي قلناه هو ظاهر الآية وليس فيها ان الله تعالى كذبهم حاشا لله من هذا وذكروا أيضا قول الله تعالى . فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك

(قال ابو محمد) انما عهدنا هذا الاعتراض من أهل الكتاب وغيرهم واما من يدعي انه مسلم فلا ولا يمكن البتة أن يكون مسلم يظن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شاكا في صحة الوحي اليه ولنا في هذه الآية رسالة مشهورة وجملة حل هذا الشك ان في هذه الآية المذكورة معنى ما التي للجحد بمعنى . وما كنت في شك مما أنزلنا اليك . ثم أمره ان يسأل أهل الكتاب تقريراً لهم علي انهم يعلمون انه نبي مرسل مذكور عندهم في التوراة والانجيل وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) هذا كل ما موهوا به قد تقصيناه وبيناه وأريناه انه موافق لقولنا ولا يشهد شيء منه لقول مخالفنا وبالله التوفيق ونحن الآن ناخذ بحول الله وقوته في الاتيان بالبراهين الضرورية الواضحة على صحة قولنا وبطلان قول مخالفنا قال الله تعالى وما كان لنبي ان يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة وقال تعالى . وما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله * فوجدنا الله تعالى وهو اصدق القائلين قد نفى عن الانبياء عليهم السلام الغلول والكفر والتجبر ولا خلاف بين احد من الامة في ان حكم الغلول كحكم سائر الذنوب قد صح الاجماع بذلك وان من جوز على الانبياء عليهم السلام شيئا من تعمد الذنوب جوز عليهم الغلول ومن نفى عنهم الغلول نفى عنهم سائر الذنوب وقد صح نفي الغلول عنهم بكلام الله تعالى فوجب انتفاء تعمد الذنوب عنهم بصحة الاجماع علي انها سواء الغلول وقال عز وجل

يتضمن جميع المعاني الذاتية التي يتقوم الشيء بها وفرق بين المقول في جواب ماهو وبين الداخل في جواب ماهو والى ماهو مقول في جواب أي شيء هو وهو الذي يدل على معنى يتميز به اشياء مشتركة في معنى واحد تميزا ذاتيا واما العرضي فقد يكون ملازما في الوجود والوهم وبه يقع تمييز أيضا لاذاتيا وقد يكون مفارقا وفرق بين العرضي والعرض الذي هو قسيم الجوهر واما رسوم الالفاظ الخمسة التي هي الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام فالجنس يرسم بانه المقول على كثيرين مختلفين بالحقائق الذاتية في جواب ماهو والنوع يرسم بأنه المقول علي كثيرين مختلفين بالعدد في جواب ماهو اذا كان نوع الانواع واذا كان نوعا متوسطا فهو المقول على كثيرين مختلفين في جواب ماهو ويقال عليه قول آخر في جواب ماهو بالشركة وينتهي الارتقاء الى جنس لاجنس فوقه وان قدر فوق الجنس أمر أعم منه فيكون العموم بالتشكيك والنزول الى نوع لانوع تحته وان قدر دون النوع صنف أخص فيكون الخصوص بالعوارض ويرسم الفصل بانه الكلي الذاتي الذي يقال به على نوع تحت جنسه بانه أي شيء هو ويرسم الخاصة بانه هو الكلي الذاتي الدال على نوع واحد في جواب أي شيء هو لا بالذات ويرسم العرض العام بانه الكلي المفرد الغير الذاتي ويشترك في معناه كثيرون ووقوع العرض على هذا وعلى الذي هو قسيم الجوهر وقوع بمعنيين مختلفين في المركبات أم الشيء إما عين موجود واما صورة ماخوذة عنه في الذهن ولا يختلفان في النواحي والامم وأما اللفظة تدل على الصورة التي في الذهن وأما الكتابة دالة على اللفظ ويختلفان في الامم والكتابة دالة علي اللفظ واللفظ دال على الصورة في الذهن وتلك الصورة دالة على الاعيان الموجودة ومبادي القول والكلام اما اسم واما كلمة واما اداة فالاسم لفظ مفرد يدل على معنى

أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون .

(قال ابو محمد) فلا يخلوا مخالفنا الذى يجيز ان يكون الانبياء عليهم السلام قد اجترحوا السيئات من أحد وجهين لا ثالث لهما أما ان يقول ان فى سائر الناس من لم يعص ولا اجترح سيئة قيل له فمن هؤلاء الذين نفى الله عنهم ان يكون الذين اجترحوا السيئات مثلهم اذا كانوا غير موجودين فى العالم فلا بد من أن يجعل كلام الله عزوجل هذا فارغاً لا معنى له وهذا كفر من قائله اويقول هم الملائكة فان قال ذلك رد قوله هذا قول الله تعالى في الآية نفسها سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون . ولا نص ولا اجماع على ان الملائكة تموت ولو جاء بذلك نص لقلنا به بل البرهان موجب ان لا يموتوا لان الجنة دار لا موت فيها والملائكة سكان الجنان فيها خلقوا وفيها يخلدون أبداً وكذلك الحور العين وأيضا فان الموت انما هو فراق النفس للجسد المركب وقد نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان الملائكة خلقوا من نور فليس فيهم شيء يفارق شيأ فيسمي موتا فان اعترض معترض بقوله . كل نفس ذائقة الموت . لزمه ان حمل هذه الآية على عمومها ان الحور العين يمتن فيجعل الجنة دار موت وقد ابعدها الله تعالى عنه قال الله تعالى وان الدار الآخرة لهي الحيوان لوكانوا يعلمون . فعلمنا بهذا النص ان قوله تعالى . كل نفس ذائقة الموت . انما عنى به من كان فى غير الجنة من الجن والانس وسائر الحيوان المركب الذى يفارق روحه جسده وبالله تعالى التوفيق ويرد أيضا قوله ان قال بهذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن أحد الا وقد الم أوكاد الا يحيي بن زكريا أو يقول ان فى الناس من لم يجترح سيئة قط وان من اجترح السيئات لا يساويهم كما قال عزوجل فان قال ذلك فان الانبياء عليهم السلام عنده يجترحون السيئات وفى سائر الناس من لا يجترحها فوجب ان يكون في الناس من هو أفضل من الانبياء عليهم السلام وهذا كفر وما قدرنا ان أحدا ممن ينتمى الى اهل الاسلام ولا الى اهل الكتاب ينطلق لسانه بهذا حتى رأينا المعروف بابن الباقلانى فيما ذكر عنه صاحبه أبوجعفر السمناني قاضي الموصل انه قد يكون فى الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم من هو أفضل من النبي صلى الله عليه وسلم من حين يبعث الى حين يموت (١) فاستعظمنا ذلك وهذا شرك مجرد وقدح فى النبوة لاخفاء به وقد كنا نسمع عن قوم من الصوفية انهم يقولون ان الولى افضل من النبى وكنا لا نحقق هذا على احد يدين بدين الاسلام الى ان وجدنا هذا الكلام كما اوردنا فنعوذ بالله من الارتداد (قال أبو محمد) ولو ان هذا الضال المضل يدري مامعنى لفظة افضل ويدرى فضيلة النبوة لما انطلق لسانه بهذا الكفر وهذا التكذيب للنبى صلى الله عليه وسلم اذ يقول انى لاتقاكم

(١) هذا غير معروف عن الباقلاني اصلا فلعل الناقل حرف الاسم اوسهى المصنف اه مصححه

من غير ان يدل على زمان وجود ذلك المعنى والكلمة لفظ مفرد يدل على معنى وعلى الزمان الذى فيه ذلك المعنى لموضوع ماغير معين والاداة لفظ مفرد انما يدل على معنى يصح ان يوضع او يحمل بعد ان يقرن باسم اوكلمة واذا ركبت الالفاظ تركيبا يؤدى معنى فحينئذ يسمي قولا ووجوه التركيبات مختلفة وانما يحتاج المنطقى الى تركيب خاص وهوان يكون بحيث يتطرق اليه التصديق اوالتكذيب فالقضية هى قول فيه نسبة بين (٣١) شيئين بحيث يتبعه حكم صدق او كذب والحملية منها كل قضية فيها النسبة المذكورة بين شيئين ليس فى كل واحد منهما هذه النسبة الا بحيث يمكن ان يدل على كل واحد منهما بلفظ مفرد والشرطية منها كل قضية فيها هذه النسبة بين شيئين فيهما هذه النسبة من حيث هى منفصلة والمتصلة من الشرطية هى التى توجب اوتسلب لزوم قضية لاخرى من القضايا الشرطية والمنفصلة منها ماتوجب اوتسلب عناد قضية لاخرى من القضايا الشرطية والايجاب هو ايقاع هذه النسبة وايجادها وفى الجملة هو الحكم بوجود محمول لموضوع والسلب هو رفع هذه النسبة الوجودية وبالجملة هو الحكم بلا وجود محمول لموضوع والمحمول هو المحكوم به والموضوع هو المحكوم عليه والمخصوصة قضية حملية موضوعها شيء جزئى والمهملة قضية حملية موضوعها كلى ولكن لم يبين ان الحكم فى كله اوفى بعضه ولابد انه فى البعض وشك انه فى الكل فحكمه حكم الجزئي والمحصورة هى التى حكمها كلي والحكم عليه مبين انه فى كله او بعضه وقد تكون موجبة أو سالبة والسور هو اللفظ الذى يدل على مقدار الحصر ككل ولا واحد وبعض ولا كل والقضيتان المتقابلتان هما اللتان تختلفان بالسلب والايجاب وموضوعهما ومحمولهما واحد فى المعنى والاضافة والقوة والفعل والجزء والكل والزمان والمكان والشرط والتناقض هو التقابل بين قضيتين

لله وانى لست كهيئتكم وانى لست مثلكم فاذ قد صح بالنص ان فى الناس من لم يجترح السيئة وان من اجترح السيئات لا يساويهم عند الله عز وجل فالانبياء عليهم السلام احق بهذه الدرجة وبكل فضيلة بلا خلاف من احد من أهل الاسلام بقول الله عز وجل * الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس * فأخبر تعالى ان الرسل صفوته من خلقه وقد اعترض علينا بعض المخالفين بان قال فما تقول فيمن بلغ فآمن وذكر الله مرات ومات أثر ذلك او فى كافر اسلم وقاتل مجاهدا وقتل فجوابنا وبالله تعالى التوفيق ان نقول اما من كان كافرا ثم اسلم فقد اجترح من السيئات بكفره ما هو اعظم من السموات والارض وان كان قد غفر له بايمانه ولكن قد حصل بلا شك من جملة من قد اجترح السيئات واما من بلغ فآمن وذكر الله تعالى ثم مات فقد كان هذا ممكنا فى طبيعة العالم وفى بنيته لولا قول الله عز وجل * أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون * فان الله تعالى قطع قطعا لا يرده الا كافر بانه لا يجعل من اجترح السيئات كمن لم يجترحها ونحن نوقن ان الصحابة رضي الله عنهم وهم افضل الناس بعد الانبياء عليهم السلام ليس منهم أحد الا وقد اجترح سيئة فكان يلزم على هذا ان يكون من اسلم أثر بلوغه ومات أفضل من الصحابة رضى الله عنهم وهذا خلاف قول النبى صلى الله عليه وسلم انه لو كان لاحدنا مثل احد ذهبا فانفقه لم يبلغ مد احدهم ولا نصيفه فاذ هذا كما قلنا فقول الله عز وجل وقول رسوله صلى الله عليه وسلم أحق بالتصديق لا سيما قوله عليه السلام ما من احد الا ألم بذنب او كاد الا يحيى بن زكريا فنحن نقطع قطعا عاذكرنا انه لا سبيل الى ان يبلغ احد حد التكليف الا ولا بد له من ان يجترح سيئات الله اعلم بها وبالله التوفيق

(قال ابو محمد) ومن البرهان على انه لم يكن البتة ان يعصى نبى قوله صلى الله عليه وسلم ما كان لنبى ان تكون له خائنة الاعين لما قال له الانصارى هلا اومأت الى فى قصة عبد الله بن سعد بن ابي سرح فنفى عليه السلام عن جميع الانبياء عليهم السلام ان تكون لهم خائنة الاعين وهو اخف ما يكون من الذنوب ومن خلاف الباطن للظاهر فدخل فى هذا جميع المعاصي صغيرها وكبيرها سرها وجهرها

(قال ابو محمد) وايضا فانا مندوبون الى الاقتداء بالانبياء عليهم السلام والى الايتساء بهم فى افعالهم كلها قال الله تعالى * لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر * وقال تعالى * اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده * فصح يقينا انه لو جاز ان يقع من احد من الانبياء عليهم السلام ذنب تعمدا صغيرا وكبيرا كان الله عز وجل قد حضنا على المعاصى وندبنا الى الذنوب وهذا كفر مجرد ممن اجازه فقد صح يقينا ان جميع افعال الانبياء التى يقصدونها خير وحق

فى الايجاب والسلب تقابلا يجب عنه لذاته أن يقتسما الصدق والكذب ويجب أن يراعى فيه الشرائط المذكورة القضية البسيطة هى التى موضوعها أو محمولها اسم محصل والمعدولة هى التى موضوعها أو محمولها غير محصل كقولنا زيد غير بصير العدمية هى التى محمولها أخص المتقابلين أى دل على عدم شيء من شأنه أن يكون للشيء أو لنوعه أو لجنسه مثل قولنا زيد جائر مادة القضايا (٢٢) هى حالة للمحمول بالقياس الى الموضوع يجب بها لا محالة أن يكون له دائما فى كل وقت فى ايجاب أو سلب أو غير دائم له فى ايجاب ولا سلب وجهات القضايا ثلاث واجب ويدل على دوام الوجود وممتنع ويدل على دوام العدم وممكن ويدل على لا دوام وجود ولا عدم والفرق بين الجهة والمادة ان الجهة لفظ مصرح بها يدل على أحد هذه المعانى والمادة حالة للقضية بذاتها غير مصرح بها وربما تخالفا كقولك زيد يمكن أن يكون حيوانا فالمادة واجبة والجهة ممكنة والممكن يطلق على معنيين أحدهما ما ليس بممتنع وعلى هذا الشىء اما ممكن واما ممتنع وهو الممكن العامى والثانى ما ليس بضرورى فى الحالين أعنى الوجود والعدم وعلى هذا الشىء اما واجب وأما ممتنع وأما ممكن وهو الممكن الخاصى ثم الواجب والممتنع بينهما غاية الخلاف مع اتفاقهما فى معنى الضرورية فان الواجب ضرورى الوجود بحيث لو قدر عدمه لزم منه محال والممتنع ضرورى العدم بحيث لو قدر وجوده لزم منه محال والممكن الخاصى هو ما ليس ضرورى الوجود والعدم والحمل الضرورى على أوجه ستة تشترك كلها فى الدوام . الاول أن يكون الحمل دائما لم يزل ولا يزال والثانى ان يكون الحمل ما دام ذات الموضوع موجودة لم تفسد وهذان هما المستعملان والمرادان اذا قيل ايجاب أو سلب ضرورى. والثالث أن يكون الحمل ما دام ذات الموضوع موصوفة قال

(قال ابو محمد) وايضا فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم عظيم انكاره علي ذي الخويصرة لعنه الله ولعن امثاله اذ قال الكافر اعدل يا محمد ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك من يعدل اذا انا لم اعدل تامنني الله ولا تامنوني وقوله عليه السلام لام سلمة ام المؤمنين اذ سالته عن الذي قبل امرأته في رمضان الا اخبرتها اني فعلت ذلك وغضب عليه السلام اذ قال له لست مثلنا قد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وماتاخر فانكر عليه السلام اذ جعل له ذنبا بعمد وان صغر وقال عليه السلام اني والله لاعلمكم بالله واتقاكم لله أو كلاما هذا معناه فان قال قائل فهلا نفيتم عنهم عليهم السلام السهو بدليل الندب الى الايتساء بهم عليهم السلام قلنا وبالله تعالى التوفيق انكار ماثبت كاجازة مالم يثبت سواء ولا فرق والسهو منهم قد ثبت بيقين وايضا فان ندب الله تعالى لنا الى الايتساء بهم عليهم السلام لا يمنع من وقوع السهو منهم لان الايتساء بالسهو لا يمكن الا بسهو منا ومن المحال ان ندب الى السهو أو نكلف السهو لانا لو قصدنا اليه لم يكن حينئذ سهوا ولا يجوز أيضا ان ننهى عن السهو لان الانتهاء عن السهو ليس في بنيتنا ولا في وسعنا وقد قال تعالى . لا يكلف الله نفسا الا وسعها . ونقول أيضا انا مأمورون اذا سهونا ان نفعل كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ سها وأيضا فان الله تعالى لا يقر الانبياء عليهم السلام علي السهو بل ينبههم في الوقت ولو لم يفعل ذلك تعالى لكان لم يبين لنا مراده منا في الدين وهذا تكذيب لله عز وجل اذ يقول تعالى تبيانا لكل شيء . واذ يقول . اليوم اكملت لكم دينكم . وقوله تعالى وقد فصل لكم ما حرم عليكم .

(قال ابو محمد) فسقط قول من نسب الى الانبياء عليهم السلام شيأ من الذنوب بالعمد صغيرها وكبيرها اذا لم يبق لهم شبهة يموهون بها أصلا واذ قد قامت البراهين علي على بطلانها ولحقوا بذي الخويصرة

(قال ابو محمد) ولو جاز من الانبياء عليهم السلام شيء من المعاصي وقد ندبنا الى الايتساء بهم وبافعالهم لكنا قد ابيحت لنا المعاصي وكنا لا ندري لعل جميع ديننا ضلال وكفر ولعل كل ما عمله عليه السلام معاص ولقد قلت يوما لبعض من كان يجيز عليهم الصغائر بالعمد أليس من الصغائر تقبيل المرأة الاجنبية وقرصها فقال نعم قلت فتجوز أنه يظن بالنبي صلى الله عليه وسلم انه يقبل امرأة غيره متعمدا فقال معاذ الله من هذا ورجع الى الحق من حينه والحمد لله رب العالمين

(قال أبو محمد) قال الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما

بالفصة التي جعلت موضوعة معها . والرابع ان يكون الحمل موجودا وليس ضرورة بلا هذا الشرط . والخامس أن يكون الضرورة وقتا معينا لابد منه . والسادس أن يكون الضرورة وقتا غير معين ثم ان ذوات الجهة قد تتلازم طردا وعكسا وقد لا تتلازم فواجب ان يوجد يلزمه ممتنع ان لا يوجد وليس بممكن بالمعنى العام ان لا يوجد ونقائض هذه متعاكسة وقس عليه سائر الطبقات وكل قضية فاما ضرورية واما ممكنة (٢٣) واما مطلقة فالضرورة مثل قولنا كل اب بالضرورة أي كل واحد واحد مما يوصف بانه اب دائما او غير دائم فذلك الشيء دائما مادامت عين ذاته موجودة يوصف بانه او الممكنة فهو الذي حكمه من ايجاب او سلب غير ضروري والمطلقة فيها رايان احدهما انها التي لم يذكر فيها جهة ضرورة للحكم ولا امكان بل اطلق اطلاقا والثاني ما كان الحكم فيها موجودا لا دائما بل وقتاما وذلك الوقت اما مادام الموضوع موصوفا بما يوصف به وما دام المحمول محكوما به اوفي وقت معين ضروري اوفي وقت ضروري غير معين اما عكسه وهو تصيير الموضوع محمولا والمحمول موضوعا مع بقاء السلب والايجاب بحاله والصدق والكذب بحاله والسالبة الكلية تنعكس مثل نفسها والسالبة الجزئية لا تنعكس والموجبة الكلية تنعكس موجبة جزئية والموجبة الجزئية تنعكس مثل نفسها في القياس ومباديه واشكاله ونتائجه المقدمة قول توجب شيأ لشيء او يسلب شيأ عن شيء جعلت جزء قياس والحد ما ينحل اليه المقدمة من حيث هي مقدمة والقياس هو قول مؤلف من اقوال اذا وضعت لزم عنها بذاتها قول آخر غيرها اضطرارا واذا كان بين اللزوم سمي قياسا كاملا واذا احتاج الى بيان فهو غير كامل والقياس ينقسم الى اقتراني والى استثنائي والاقتراني أن يكون ما يلزمه ليس هو ولا نقيضه مقولا فيه بالفعل بوجه والاستثنائي أن يكون ما يلزمه هو أو نقيضه مقولا فيه بالفعل والاقتراني إنما يكون عن مقدمتين يشتركان في حد ويفترقان في

حدين فتكون الحدود ثلاثة ومن شان المشترك فيه أن يزول عن الوسط ويربط مابين الحدين الآخرين فيكون ذلك هو اللازم ويسمى نتيجة فالمكرر يسمى حدا أوسط والباقيان طرفين والذي يريد أن يصير محمول اللازم يسمي الطرف الاكبر والذي يريد أن يكون موضوع اللازم يسمي الطرف الاصغر والمقدمة التي فيها الطرف الاكبر يسمى الكبرى والتي فيها الطرف الاصغر يسمى الصغرى (٢٤) وتاليف الصغرى والكبرى يسمى قرينة وهيئة الاقتران يسمي شكلا والقرينة التي يلزم عنها لذاتها قولا آخر يسمى قياسا واللازم مادام لم يلزم بعد بل يساق اليه القياس يسمى مطلوبا واذا لم يلزم يسمى نتيجة والحد الاوسط ان كان محمولا في مقدمة وموضوعا في الاخرى يسمي ذلك الاقتران شكلا أولا وان كان محمولا فيهما يسمى شكلا ثانيا وان كان موضوعا فيهما يسمى شكلا ثالثا وتشترك الاشكال كلها في انه لاقياس عن جزئيتين وتشترك ماخلا الكائنة عن الممكنات في انه لاقياس عن سالبتين ولا عن صغرى سالبة كبراها جزئية والنتيجة تتبع أخس المقدمتين في الكم والكيف وشريطة الشكل الاول أن تكون كبراه كلية وصغراه موجبة وشريطة الشكل الثاني أن يكون الكبرى فيه كلية واحدى المقدمتين مخالفة للاخرى في الكيف ولا ينتج اذا كانت المقدمتان ممكنتين أو مطلقتين بالاطلاق الذي لا ينعكس على نفسه كليا. وشريطة الشكل الثالث أن يكون في الصغرى موجبة لا بد من كلية كـ ن في كل شكل وارجع في المخلطات الى تصانيفه وأما القياسات الشرطية وقضاياها أعلم ان الايجاب والسلب ليس يختص بالحمليات بل وفي الاتصال والانفصال فانه كما ان الدلالة على وجود الحمل ايجاد الحمل كذلك الدلالة على وجود الاتصال ايجاب في المتصل والدلالة على وجوب الانفصال ايجاب في المنفصل وكذلك السلب وكل سلب هو ابطال الايجاب

تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما *

(قال أبو محمد) ومن الباطل المحال ان يتم الله نعمته على عبد يعصى الله بما كبر وما صغر اذ لو كان ذلك لما كانت نعمة الله تعالى عليه تامة بل ناقصة اذ خذله فيما عصى فيه وقال تعالى * انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه * وقال الله تعالى * قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لاتعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم *

(قال ابو محمد) وما وقر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد بلغ الغاية القصوى في الاستهزاء برسل الله صلى الله عليهم وسلم من جوز ان يكونوا سراقا زناة ولاطة وبغائين ووالله ما نعلم كفرا اعظم من هذا ولا استهزاء بالله تعالى وبرسله وبالدين اعظم من كفر اهل هذه المقالة وليت شعرى ما الذى أمنهم من كذبهم في التبليغ لانا لاندرى لعلهم بلغوا الينا الكذب عن الله تعالى

(قال ابو محمد) فنقول لهم ولعل اعماله التي تاتي بها تبديل للدين ومعاص لله عز وجل ولا فرق

(قال ابو محمد) وما نعلم اهل فرقة اشد سعيا في افساد الاسلام وكيده من الرافضة واهل هذه المقالة فان كلتا الطائفتين الملعونتين اجازتا تبديل الدين وتحريفه وصرحت هذه الفئة مع ما اطلقت على الانبياء من المعاصي بان الله تعالى انما تعبدنا في دينه بغالب ظنوننا وانه لا حكم لله الا ما غلب عليه ظن المرء منا وان كان مختلفا متناقضا وما نمترى في انهم ساعون في افساد اغمار المسلمين المحسنين بهم الظن نعوذ بالله من الضلال

(قال ابو محمد) فان قال قائل انكم تقولون ان الانبياء عليهم السلام مؤاخذون بما أتوا على سبيل السهو والقصد الى الخير اذا لم يوافق مراد الله تعالى فهلا اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهوه في الصلاة قلنا له وبالله تعالى التوفيق قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وهذه فضيلة مما فضل به على جميع النبيين عليهم السلام وهكذا نص عليه السلام في حديث الشفاعة يوم القيامة ومصير الناس من نبي الى نبي فكل ذكر خطيئته او سكت فلما ذكروا النبي صلى الله عليه وسلم قال قائلهم عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فبطل ان يؤاخذ بما غفره الله وبالله تعالى التوفيق

قال ابو محمد) فان قال قائل ايجوز ان يكون نبي من الانبياء عليهم السلام ياتي معصية قبل ان ينبا قلنا لا يخلو من احد وجهين لا ثالث لهما اما ان يكون متعبدا بشريعة نبي اتى قبله كما كان عيسى عليه السلام واما ان يكون قد نشا في قوم قد درست شريعتهم ودثرت ونسيت كما في بعثة محمد صلى الله عليه وسلم في قوم قد نسوا شريعة اسماعيل وابراهيم عليهما السلام قال تعالى * ووجدك ضالا فهدى . وقال تعالى . لتنذر قوما ما انذر آباؤهم . فان

ورفعه وكذلك يجري فيها الحصر والاهمال وقد تكون القضايا كثيرة والمقدمة واحدة والاقتران من المتصلات أن يجعل مقدم احدها تالي الآخر او يشتركان في التالي أو يشتركان في المقدم وذلك على قياس الاشكال الحملية والشرائط فيها واحدة والنتيجة شرطية يحصل من اجتماع المقدم والتالي اللذين هما كالطرفين والاقترانيات من المنفصلات فلا يكون في جزء تام بل يكون في جزء غير تام وهو جزء تال او مقدم والاستثنائية مؤلفة من مقدمتين احداها شرطية والاخرى وضع أو رفع لاحدى جزأيها ويجوز أن تكون حملية وشرطية ويسمى المستثناة والمستثناة من قياس شرطية متصل أما أن يكون من المقدم فيجب أن يكون عين المقدم لينتج عين التالي وان كان من التالي فيجب أن يكون نقيضه لينتج نقيض المقدم واستثناء نقيض المقدم وعين التالي لا ينتج شيئا واما اذا كانت الشرطية منفصلة فان كانت ذات جزئين فقط موجبتين فايهما استثنيت عينه أنتج نقيض الباقي وأيهما استثنيت نقيضه انتج عين الباقي وأما القياسات المركبة فاذا حللت الى أفرادها كان ما ينتج كل واحد منها شيئا آخر الا أن تنتج بعضها مقدمات لبعض وكل نتيجة فانها تستتبع عكسها وعكس نقيضها وجزئها وعكس جزئها ان كان لها عكس والمقدمات الصادقة تنتج نتيجة صادقة ولا ينعكس فقد ينتج المقدمات الكاذبة نتيجة صادقة

(٤ ـ فصل ـ في الدليل الرابع) والدور أن تأخذ النتيجة وعكس احدى المقدمتين فينتج المقدمة الثانية أنه يمكن اذا كانت الحدود في المقدمات متعاكسة متساوية وعكس القياس هو أن تأخذ مقابلة النتيجة بالضد أو النقيض وتضيف الى احدى المقدمتين فينتج مقابلة النتيجة الاخرى احتيالا في الجدل وقياس الخلف هو الذي فيه المطلوب من جهة تكذيب نقيضه فيكون بالحقيقة مركبا من قياس اقتراني وقياس استثنائي والمصادرة على المطلوب الاول هو ان يجعل

كان النبي متعبدا بشريعة ما فقد أبطلنا آنفا ان يكون نبي يعصي ربه أصلا وان كان شاذا في قوم دثرت شريعتهم فهو غير متعبد ولا مأمور بما لم يأته أمر الله تعالى به بعد فليس عاصيا لله تعالى في شيء يفعله أو يتركه الا اننا ندري ان الله عز وجل قد طهر انبياءه وصانهم من كل ما يعابون به لان العيب أذى وقد حرم الله عز وجل ان يؤذى رسوله قال تعالى ﴿ ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا ﴾

(قال ابو محمد) فبيقين ندري ان الله تعالى صان انبياءه عن ان يكونوا لبغية أو من أولاد بغي أو من بغايا بل بعثهم الله تعالى في حسب قومهم فاذ لا شك في هذا فبيقين ندري ان الله تعالى عصمهم قبل النبوة من كل ما يؤذون به بعد النبوة فدخل في ذلك السرقة والعدوان والقسوة والزنا واللياطة والبغي وأذى الناس في حريمهم وأموالهم وأنفسهم وكل ما يعاب به المرء ويتشكى منه ويؤذى بذكره وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا ما حدثناه احمد بن محمد الطلمنكي انا ابن فرج انا ابراهيم بن احمد فراس انبانا احمد بن محمد بن سالم النيسابوري انا اسحاق بن راهويه انا وهب بن جرير بن حازم انا أبي انبانا محمد بن اسحاق حدثني محمد بن عبدالله بن قيس بن مخرمة عن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما هممت بقبيح مما كان أهل الجاهلية يهمون به الا مرتين من الدهر كلتاهما يعصمني الله منهما قلت ليلة لفتى كان معي من قريش باعلى مكة في أغنام لنا ترعى أبصر لي غنمي حتى اسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان قال نعم فخرجت فجئت ادنى دار من دور مكة سمعت غناء وصوت دفوف وزمير فقلت ما هذا قالوا فلان تزوج فلانة لرجل من قريش فلهوت بذلك الغناء وبذلك الصوت حتى غلبتني عيني فما ايقظني الا مس الشمس فرجعت الى صاحبي فقال لي ما فعلت فاخبرته ثم قلت له ليلة اخرى مثل ذلك ففعل فخرجت فسمعت مثل ذلك فقيل لي مثل ما قيل لي فلهوت بما سمعت حتى غلبتني عيني فما ايقظني الا مس الشمس فرجعت الى صاحبي فقال لي ما فعلت قلت ما فعلت شيأ والله ما هممت بعدها بسوء مما يعمل أهل الجاهلية حتى اكرمني الله بنبوته

(قال ابو محمد) فصح انه عليه السلام لم يعص قط بكبيرة ولا بصغيرة لا قبل النبوة ولا بعدها ولا هم قط بمعصية صغرت أو كبرت لا قبل النبوة ولا بعدها الا مرتين بالسمر حيث ربما كان بعض ما لم يكن نهي عنه بعد والهم حينئذ بالسمر ليس هما بزنا ولكنه بما يحذو اليه طبع البرية من استحسان منظر حسن فقط والله تعالى التوفيق تم الكلام في الانبياء عليهم السلام

(الكلام في الملائكة عليهم السلام)

(قال ابو محمد) قد ذكرنا قبل أمر هاروت وماروت ونريد هنا بيانا في ذلك وبالله تعالى التوفيق ان قوما نسبوا الى الله تعالى ما لم يأت به قط اثر يجب ان يشتغل به وانما هو

المطلوب نفسه مقدمة في قياس يراد فيه انتاجه وربما يكون في قياس واحد وربما يبين في قياسات وحيث ما كان ابعد كان من القول أقرب والاستقراء هو حكم علي كلي لوجود ذلك الحكم في جزئيات ذلك الكلي اما كلها وأما أكثرها واما التمثيل هو الحكم علي الشيء المعين لوجود ذلك الحكم في شيء آخر غير معين أو أشياء علي ان ذلك الحكم كلي علي المتشابه فيكون محكوما عليه في المطلوب ومقول منه (٢٦) الحكم وهو المثال ومعنى متشابه فيه هو الجامع وحكم الرأي مقدمة محمودة كلية في أن كذا كائن أو غير كائن صواب أم خطا الدليل قياس اضماري حده الوسط شيء اذا وجد للاصغر تبعه وجود شيء آخر للاصغر دائما كيف كان ذلك التبع والقياس الفراسي شبه بالدليل من وجه وبالتمثيل من وجه في مقدمات القياس من جهة ذواتها وشرائط البرهان المحسوسات هي أمور وقع التصديق بها الحس المجربات هي أمور أوقع التصديق بها الحس بشركة من القياس المقبولات آراء أوقع التصديق بها قول من يثق بصدقه فيما يقول اما لامر سماوي يختص به أو لرأي وفكر تميز به الوهميات آراء أوجب اعتقادها قوة الوهم التابعة للحس الذائعات آراء مشهورة محمودة أوجب التصديق بها شهادة الكل المظنونات آراء يقع التصديق بها لا علي الثبات بل يخطر امكان نقيضها بالبال ولكن الذهن يكون اليها اميل المتخيلات هي مقدمات ليست تقال ليصدق بها بل ليخيل شيئا علي انه شيء آخر علي سبيل المحاكاة الاولية هي قضايا تحدث في الانسان من جهة قوته العقلية من غير سبب يوجب التصديق بها البرهان قياس مؤلف من يقينيات لانتاج يقيني واليقينيات اما اوليات واما محسوسات واما تجربيات واما متواترات برهان لمي هو الذي يعطيك علة اجتماع طرفي النتيجة في الوجود وفي الذهن جميعا وبرهان اني هو الذي يعطيك علة اجتماع طرفي النتيجة عند الذهن والتصديق به والمطالب هل مطلقا هو تعرف حال الشيء

كذب مفترى من انه تعالى انزل الي الارض ملكين وهما هاروت وماروت وانهما عصيا الله تعالى وشربا الخمر وحكما بالزور وقتلا النفس وزنيا وعلما زانية اسم الله الاعظم فطارت به الى السماء فمسخت كوكبا وهي الزهرة وانهما عذبا في غار ببابل وانهما يعلمان الناس السحر وحجتهم علي ما في هذا الباب خبر رويناه من طريق عمير بن سعيد وهو مجهول مرة يقال له النخعي ومرة يقال له الحنفي ما نعلم له رواية الا هذه الكذبة وليس أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه أوقفها عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكذبة أخرى في ان حد الخمر ليس سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما هو شيء فعلوه وحاشاهم رضي الله عنهم من هذا

(قال ابو محمد) ومن البرهان علي بطلان هذا كله قول الله تعالى * الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين * فقطع الله عز وجل ان الملائكة لا تنزل الا بالحق وليس شرب الخمر ولا الزنا ولا قتل النفس المحرمة ولا تعليم العواهر اسماءه عز وجل التي يرتفع بها الى السماء ولا السحر من الحق بل كل ذلك من الباطل ونحن نشهد ان الملائكة ما نزلت قط بشيء من هذه الفواحش والباطل واذا لم تنزل به فقد بطل ان تفعله لانها لو فعلته في الارض لنزلت به وهذا باطل وشهد عز وجل انه لو انزل علينا الملائكة لما نظرنا فصح انه لم ينزل قط ملك ظاهر الا للانبياء بالوحي فقط وبالله تعالي التوفيق

(قال ابو محمد) وكذلك قوله تعالى * ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا * فابطل عز وجل ان يمكن ظهور ملك الى الناس وقال تعالى * ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون فكذب الله عز وجل كل من قال ان ملكا نزل قط من السماء ظاهرا الا الى الانبياء بالحق من عند الله عز وجل فقط وقال عز وجل * وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين . الآية فرفع الله تعالى الاشكال بهذا النص في هذه المسألة وقرن عز وجل نزول الملائكة في الدنيا برؤيته عز وجل فيها فصح ضرورة ان رؤيتهم في الدنيا الى غير الانبياء ممتنع البتة لا يجوز وان من قال ذلك فقد قال حجرا محجورا أي ممتنعا ظهورها كذب من ادعى ان ملكين نزلا الى الناس بتعليم السحر وقد استعظم الله عز وجل ذلك من رغبة من رغب نزول الملائكة الى الناس وسمى هذا الفعل استكبارا وعتوا وأخبر عز وجل أنا لا نرى الملائكة ابدا الى يوم القيامة فقط وانه لا بشرى يومئذ للمجرمين فاذ لا شك في هذا كله فقد علمنا ضرورة انه لا يخلو من أحد وجهين لا ثالث لهما كما قدمنا قبل اما ان هاروت وماروت لم يكونا ملكين واما ان قوله . وما انزل على الملكين . نفي لان

فى الوجود أو العدم مطلقا وهل يقيدا وهو تعرف وجود الشيء على حال ما أو ليس ما يعرف التصور وهو اما بحسب الاسم أى ما المراد باسم كذا وهو يتقدم كل مطلب وأما بحسب الذات أى ما الشيء فى وجوده وهو يعرف حقيقة الذات ويتقدمه الهل المطلق لم يعرف العلة بجواب هل وهو أما علة التصديق فقط وأما علة نفس الوجود وأى فهو بالقوة داخل فى الهل المركب المقيد وانما يطلب التمييز اما بالصفات الداتيه وأما بالخواص والامور التى يلتئم منها أمر (٢٧) البراهين ثلاثة موضوعات ومسائل ومقدمات فالموضوعات يبرهن فيها والمسائل يبرهن عليها والمقدمات يبرهن بها ويجب أن تكون صادقة يقينية ذاتية وينتهى الى مقدمات أولية مقولة على الكل كلية وقد تكون ضرورية الا على الامور المتغيرة التى هى فى الاكثر على حكم ما فتكون اكثرية وتكون عللا لوجود النتيجة فتكون مناسبة الحكم الذاتي يقال على وجهين أحدهما أن يكون المحمول مأخوذا فى حد الموضوع والثاني أن يكون الموضوع مأخوذا فى حد المحمول المقدمة الاولية على وجهين أحدهما ان التصديق بها حاصل فى أول العقل والثانى من جهة ان الايجاب والسلب لا يقال على ما هو أعم من الموضوع قولا كليا المناسب هو أن لا تكون المقدمات فيه من علم غريب الموضوعات هى التى توضع فى العلوم فيبرهن على اعراضها الذاتية المسائل هى القضايا الخاصة يعلم علم المشترك فيها المطلوب برهانا والبرهان يعطى حكم اليقين الدائم وليس فى شيء من الفاسدات عقد دائم فلا برهان عليها ولا برهان أيضا على الحد لأنه لا بد حينئذ من عقد وسط وان المطلوب من الحد والمحد متساويان وذلك الاوسط لا يخلو اما أن يكون حدا آخر او رسما خاصة فاما الحد الآخر فان السؤال فى اكتسابه ثابت فان اكتسب بحد ثالث فالامر ذاهب الى غير نهاية وان اكتسب بالحد الاول فهو دور وان اكتسب بوجه آخر غير

ينزل على الملكين ويكون هاروت وماروت حينئذ بدلا من الشياطين كانه قال ولكن الشياطين هاروت وماروت ويكون هاروت وماروت قبيلتان من قبائل الجن كانتا يعلمان الناس السحر وقد روينا هذا القول عن خالد ابن أبي عمران وغيره وروى عن الحسن البصري أنه كان يقرأ على الملكين بكسر اللام وكان يقول ان هاروت وماروت علجان من أهل بابل الا ان الذى لا شك فيه على هذا القول انهما لم يكونا ملكين وقد اعترض بعض الجهال فقال لى أبلغ من رفق الشيطان ان يقول للذي يتعلم السحر لا تكفر فقلت له هذا الاعتراض يبطل من ثلاث جهات أحدها ان نقول لك وما المانع من ان يقول الشيطان ذلك اما سحريا وأما لما شاء الله فلا سبيل لك الى دليل مانع من هذا والثاني انه قد نص الله عز وجل على ان الشيطان قال انى أخاف الله فقال تعالى واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم الى قوله تعالى . انى أخاف الله والله شديد العقاب . وقال تعالى . كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك انى أخاف الله رب العالمين . فقد أمر الشيطان الانسان بالكفر ثم تبرأ منه وأخبره انه يخاف الله وغر الكفر ثم تبرأ منهم وقال اني اخاف الله فاى فرق بين ان يقول الشيطان للانسان اكفر ويغره ثم يتبرأ منه ويقول انى اخاف الله وبين ان يعلمه السحر ويقول له لا تكفر والثالث ان معلم السحر بنص الآية قد قال للذى يتعلم منه لا تكفر فسواء كان ملكا أو شيطانا قد علمه على قولك ما لا يحل وقال له لا تكفر فلم تنكر هذا من الشيطان ولا تنكره فرعمك من الملك وأنت تنسب اليه انه يعلم السحر الذى عندك ضلال وكفر وأما ان يكون هاروت وماروت ملكين نزلا بشريعة حق يعلم ما على انبياء فعلماهم الدين وقالا لهم لا تكفروا ونهياهم عن الامر بحق واخبراهم انهم فتنة يضل الله تعالى بها وعما اتيانه من كفر به ويهدى بها من آمن به قال تعالى عن موسى انه قال له * ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء . وكما قال تعالى . الم أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ثم نسخ ذلك الذى أنزل على الملكين فصار كفرا بعد ان كان ايمانا كما نسخ تعالى شرائع التوراة والانجيل فتمادت الجن على تعليم ذلك المنسوخ وبالجملة فما فى الآية من نص ولا دليل على ان الملكين علما السحر وانما هو اقحام أقحم فى الآية بالكذب والافك بل وفيها بيان انه لم يكن سحرا بقوله تعالى . ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل ولا يجوز ان يحمل المعطوف والمعطوف عليه شيئا واحدا الا ببرهان من نص او اجماع او ضرورة والا فلا اصلا وايضا ان بابل هى الكوفة وهي بلد معروف بقربها محدودة معلوم ليس فيها غار فيه ملك فصح انه خرافة موضوعة اذ لو كان ذلك لما خفى مكانهما فى أهل الكوفة فبطل التعلق بهاروت وماروت والحمد لله رب العالمين

البرهان فلم لايكتسبه به هذا الحد وعلى أنه لايجوز أن يكون لشيء واحد حدان تامان على مايوضح به وان كانت الواسطة غير حد فكيف صار ماليس بحد أعرف وجودا للمحدود من الامر الذاتي المقوم له وهو الحد وأيضا فان الحد لايكتسب بالقسمة فان القسمة تضع أقساما ولاتحمل من الاقسام شيئا بعينه الا أن يوضع وضعا من غير أن يكون للقسمة فيه مدخل وأما استثناء نقيض قسم ليبقى القسم الداخل في الحد فهو الحد فهو ابانة الشيء بما هو مثله أو أخفى منه فانك اذا قلت لكن ليس الانسان غير ناطق فهو اذا ناطق لم يكن أحدث في الاستثناء شيئا أعرف من النتيجة وأيضا فان الحد لايكتسب من حد الضد فليس لكل محدود ضد ولا أيضا حد أحد الضدين أولى بذلك من حد الضد الآخر والاستقراء لايفيد علما كليا فكيف يفيد الحد لكن الحد يقتنص بالتركيب وذلك بان تعمد الى الاشخاص التي لاتنقسم وتنظر من أي جنس هي من العشرة فتاخذ جميع المحمولات المقومة لها التي في ذلك الجنس وتجمع العدة منها بعد ان تعرف أيها الاول وأيها الثاني فاذا جمعنا هذه المحمولات ووجدنا منها شيئا مساويا للمحدود من وجهين أحدهما المساواة في الحمل والثاني المساواة في المعنى وهو أن يكون دالا على كال حقيقة ذاته لايشذ منه شيء فان كثيرا مما تميز بالذات يكون قد أخل ببعض الاجناس أو ببعض الفصول فيكون مساويا في الحمل ولا يكون مساويا في المعنى قال وبالعكس ولايلتفت في الحد الى أن يكون وجيزا بل ينبغي أن يضع الجنس القريب باسمه أو بحده ثم ياتي بجميع الفصول الذاتية وانك اذا تركت بعض الفصول فقد تركت بعض الذات والحد عبارة عن الذات وبيان له فيجب أن يقوم في النفس صورة معقولة مساوية للصورة الموجودة بتمامها وحينئذ يعرض ان يتميز أيضا المحدود ولاحد بالحقيقة لما لاوجود له واما

(قال ابو محمد) وقد ادعى قوم ان ابليس كان ملكا فعصى وحاشا لله من هذا لان الله تعالى قد كذب هذا القول بقوله تعالى . الا ابليس كان من الجن . وبقوله . افتتخذونه وذريته اولياء من دوني . ولاذرية للملائكة وبقوله تعالى . انه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم . وباخباره انه خلق ابليس من نار السموم وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خلقت الملائكة من نور والنور غير النار بلاشك فصح ان الجن غير الملائكة والملائكة كلهم خيار مكرمون بنص القرآن والجن والانس فيهما مذموم ومحمود فان قال قائل ان الله عز وجل ذكر انهم قالوا . اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك . وهذا تزكية لانفسهم وقد قال تعالى . ولاتزكوا انفسكم . قلنا وبالله تعالى التوفيق مدح المرء نفسه ينقسم قسمين احدهما ماقصد به المرء افتخارا بغيا وانتقاصا لغيره فهذه هي التزكية وهو مذموم جدا والاخر ماخرج مخرج الاخبار بالحق كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولافخر وفضلت على الانبياء وكقول يوسف عليه السلام اجعلني على خزائن الارض انى حفيظ عليم ولايسمي هذا تزكية ومن هذا الباب قول الملائكة ههنا برهان هذا انه لوكان قولهم مذموما لانكره الله عز وجل عليهم فاذ لم ينكره الله تعالى فهو صدق ومن هذا الباب قولنا نحن المسلمون ونحن خير أمة أخرجت للناس وكقول الحواريين نحن انصار الله فكل هذا اذا قصد به الحض على الخير لاالفخر فهو خير فان قال قائل ان الله تعالى قال لهم . انى أعلم مالاتعلمون * قلنا نعم وماشك الملائكة قط أن الله تعالى يعلم مالايعلمون وليس هذا انكارا واما الجن فقد قلنا انهم متعبدون بملة الاسلام وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الروث والعظام طعام اخواننا من الجن وهذا بخلاف حكمنا فقد يخصهم الله عز وجل باوامر خلاف اوامرنا كما للنساء شرائع ليست للرجال من الحيض وقطع الصلاة وغير ذلك وكما لقريش الامامة وليست لغيرهم وكل ذلك دين الاسلام وبالله تعالى التوفيق وحسبنا الله ونعم الوكيل

(هل يكون مؤمنا من اعتقد الاسلام دون استدلال)
(ام لايكون مؤمنا مسلما الامن استدل)

(قال أبو محمد) ذهب محمد بن جرير الطبري والاشعرية كلها حاشا السمناني الى انه لايكون مسلما الامن استدل والافليس مسلم وقال الطبري من بلغ الاحتلام او الاشعار من الرجال والنساء او بلغ المحيض من النساء ولم يعرف الله عز وجل بجميع اسمائه وصفاته من طريق الاستدلال فهو كافر حلال الدم والمال وقال انه اذا بلغ الغلام او الجارية سبع سنين وجب تعليمهما وتدريبهما على الاستدلال على ذلك وقالت الاشعرية لايلزمهم الاستدلال على ذلك الابعد البلوغ

(قال أبو محمد) وقال سائر اهل الاسلام كل من اعتقد بقلبه اعتقادا لايشك فيه وقال بلسانه لااله الاالله وان محمدا رسول الله وان كل ماجاء به حق وبرىء من كل دين سوى دين محمد صلى الله عليه وسلم فانه مسلم مؤمن ليس عليه غير ذلك

(قال ابو محمد) فاحتجت الطائفة الاولى بان قالت قد اتفق الجميع على ان التقليد مذموم ومالم يكن يعرف باستدلال فانما هو تقليد لاواسطة بينهما وذكروا قول الله عز وجل انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون. وقال تعالى قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم وقال تعالى . أو لو كان اباؤهم لايعقلون شيئا ولايهتدون وقال تعالى وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا. وقالوا فذم الله تعالى اتباع الاباء والرؤساء قالوا وبيقين ندرى انه لايعلم أحد أى الامرين اهدى ولا اهل يعلم الاباء شيئا أو لايعلمون الا بالدليل وقالوا كل مالم يكن يصح بدليل فهو دعوى ولا فرق بين الصادق والكاذب بنفس قولهما لكن بالدليل قال الله عز وجل . قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين قالوا فمن لا برهان له فليس صادقا في قوله وقالوا مالم يكن علما فهو شك وظن والعلم هو اعتقاد الشيء على ماهو به عن ضرورة او استدلال قالوا والديانات لايعرف صحة الصحيح منها من بطلان الباطل منها بالحواس اصلا فصح انه لايعلم ذلك الا من طريق الاستدلال فاذا لم يكن الاستدلال فليس المرء عالما بما لم يستدل عليه واذا لم يكن عالما فهو شاك ضال وذكروا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسألة الملك في القبر ماتقول في هذا الرجل فاما المؤمن أو الموقن فانه يقول هو محمد رسول الله قال وأما المنافق أو المرتاب فانه يقول لاادرى سمعت الناس يقولون شيئا فقلته قالوا وقد ذكر الله عز وجل الاستدلال على الربوبية والنبوة فى غير موضع من كتابه وأمر به واوجب العلم به والعلم لايكون الا عن دليل كما قلنا

﴿قال ابو محمد﴾ هذا كل ما موهوا به قد تقصيناه لهم غاية التقصى وكل هذا لاحجة لهم فى شيء منه على مانبين بحول الله وقوته ان شاء الله تعالى لااله الا هو بعد ان نقول قولا تصححه المشاهدة ان جمهور هذه الفرقة ابعد من كل من ينتمى الى البحث والاستدلال عن المعرفة بصحة الدلائل فاعجبوا لهذا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين

﴿قال ابو محمد﴾ اما قولهم قد اجمع الجميع على ان التقليد مذموم وان مالا يعرف باستدلال فانما هو اخذ تقليد اذ لاواسطة بينهما فانهم شغبوا فى هذا المكان وموهوا فتركوا التقسيم الصحيح ونعم ان التقليد لايحل البتة وانما التقليد اخذ المرء قول من دون رسول الله ﷺ ممن لم يأمرنا الله عز وجل باتباعه قط ولا باخذ قوله بل حرم علينا ذلك ونهانا عنه وأما اخذ المرء قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى افترض علينا طاعته والزمنا اتباعه وتصديقه وحذرنا عن مخالفة امره وتوعدنا على ذلك اشد الوعيد فليس تقليدا بل هو ايمان

ذلك بشرح الاسم فالحد اذا قول دال على الماهية والقسمة معينة فى الحد خصوصا اذا كانت الذاتيات ولايجوز تعريف الشيء بما هو أخفى منه ولا بما هو مثله فى الجلاء والخفاء ولا بما لايعرف الشيء الا به فى الاجناس العشرة الجوهر هو كل ماوجود ذاته ليس فى موضوع أى فى محل قريب قد قام بنفسه دونه فى الفعل ولا تتقويمه الكم هو الذى يقبل لذاته المساواة واللامساواة والتجزي وهو اما أن يكون متصلا اذ يوجد (٢٩) لاجزائه بالقوة حد مشترك يتلاقى عنده ويتحد به كالنقطة للخط واما أن يكون منفصلا لايوجد لاجزائه ذلك لا بالقوة ولا بالفعل والمتصل قد يكون اذا وضع وقد يكون عديم الوضع وذو الوضع هو الذى يوجد لاجزائه اتصال وثبات وامكان أن يشار الى كل واحد منها انه أين هو من الاخر فمن ذلك مايقبل القسمة فى جهة واحدة وهو الخط ومنه مايقبل فى جهتين متقاطعتين على قوائم وهو السطح ومنه مايقبل فى ثلاث جهات قائم بعضها على بعض وهو الجسم والمكان أيضا ذو وضع بانه السطح الباطن من الحاوي وأما الزمان فهو مقدار للحركة الا انه ليس له وضع اذ لا توجد أجزاؤه معا وان كانت أجزاؤه متصلة اذ ماضية ومستقبلة يتحدان بطرف الآن وأما العدد فهو بالحقيقة الكم المنفصل ومن المقولات العشر الاضافة وهو المعنى الذى وجوده بالقياس الى شيء آخر وليس له وجود غيره مثل الابوة بالقياس الى البنوة لا كالاب فان له وجودا يخصه كالانسانية واما الكيف فهو كل هيئة قارة فى جسم لايوجب اعتبار وجوده فيه نسبة للجسم الى خارج ولا نسبة واقعة فى أجزائه ولا بالجملة يكون به ذا جزء مثل البياض والسواد فهو اما أن يكون مختصا بالكم من جهة ما هو كم كالتربيع للسطح والاستقامة بالخط والفردية بالعدد واما أن لا يكون مختصا به وغير المختص به اما أن يكون محسوسا ينفعل عنه الحواس ويوجد بانفعال

وتصديق واتباع للحق وطاعة لله عز وجل واداء للمفترض فهؤلاء القوم ما اطلقوا على الحق الذى هو اتباع الحق اسم التقليد الذى هو باطل وبرهان ما ذكرنا ان امرءا لو اتبع احدا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قول قاله لان فلانا قاله فقط واعتقد انه لو لم يقل ذلك الفلان ذلك القول لم يقل به هو أيضا فان فاعل هذا القول مقلد مخطئ عاص لله تعالى ولرسوله ظالم آثم سواء كان قد وافق قوله ذلك الحق الذي قاله الله ورسوله او خالفه وأما فسق لانه اتبع من لم يؤمر باتباعه وفعل غير ما أمره الله عز وجل ان يفعله ولو ان امرءا اتبع قول الله عز وجل وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لكان مطيعا محسنا ماجورا غير مقلد وسواء وافق الحق أو وهم فاخطأ وانما ذكرنا هذا لنبين ان الذى أمرنا به وافترض علينا هو اتباع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط وان الذى حرم علينا هو اتباع من دونه او اختراع قول لم يأذن به الله تعالى فقط وقد صح أن التقليد باطل لا يحل فى الباطل الممتنع ان يكون الحق باطلا معا والمحسن مسيئا من وجه واحد معا فاذ ذلك كذلك فمتبع من امر الله تعالى باتباعه ليس مقلدا ولا فعله تقليدا واما المقلد من اتبع من لم يأمره الله تعالى باتباعه فسقط تمويههم بذم التقليد وصح انهم وضعوه فى غير موضعه واوقعوا اسم التقليد على ما ليس تقليدا وبالله تعالى التوفيق وأما احتجاجهم بذم الله تعالى اتباع الاباء والكبراء فهو مما قلنا آنفا سواء سواء لان اتباع الاباء والكبراء وكل من دون رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو من التقليد المحرم المذموم فاعله فقط قال الله عز وجل * اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء * فهذا نص ما قلنا ولله الحمد

﴿قال ابو محمد﴾ واما احتجاجهم انه لا يعرف أى الامرين اهدى، ولا اهل يعلم الانسان شيئا أم لا الا بالدلايل وان كل ما لم يصح به دليل فهو دعوى ولا فرق بين الصادق والكاذب بنفس قولهما وذكرهم قول الله تعالى * قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين * فان هذا ينقسم قسمين فمن كان من الناس تنازعه نفسه الى البرهان ولا تستقر نفسه الى تصديق ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يسمع الدلايل فهذا فرض عليه طلب الدلايل لانه ان مات شاكا او جاحدا قبل أن يسمع من البرهان ما يثلج صدره فقد مات كافرا وهو مخلد فى النار وهو بمنزلة من لم يؤمن ممن شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى راى المعجزات فهذا أيضا لو مات مات كافرا بلا خلاف من أحد من أهل الاسلام وانما اوجبنا على من هذه صفته طلب البرهان لان فرضا عليه طلب ما فيه نجاته من الكفر قال الله عز وجل * قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة * فقد افترض الله عز وجل على كل احد ان يقى نفسه النار فهؤلاء قسم وهم الاقل من الناس والقسم الثانى من استقرت نفسه الى تصديق ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم وسكن قلبه الى الايمان ولم تنازعه نفسه الى طلب

المتزجات فالراسخ منه مثل صفرة الذهب وحلاوة العسل يسمى كيفيات انفعاليات وسريع الزوال منه وان كان كيفية بالحقيقة فلا يسمى كيفية بل انفعالات لسرعة استحالتها مثل حمرة الخجل وصفرة الوجل ومنه ما لا يكون محسوسا اما ان يكون استعدادات انما يتصور فى النفس بالقياس الى كمالات فان كان استعداد اللمقاومة واباء الانفعال سمى قوة طبيعية كالمصحاحية والصلابة وان (٣٠) كان استعداد السرعة الاذعان والانفعال سمى لاقوة طبيعية مثل الممراضية واللين واما ان يكون فى أنفسها كمالات لا يتصور انها استعدادات لكمالات أخرى وتكون مع ذلك غير محسوسة بذاتها فما كان منها ثابتا يسمى ملكة مثل العلم والصحة وما كان سريع الزوال سمى حالا مثل غضب الحليم ومرض المصحاح وفرق بين الصحة والمصحاحية فان المصحاح قد لا يكون صحيحا والمرض قد يكون صحيحا ومن جملة المشرة الاين وهو كون الجوهر فى مكانه الذى يكون فيه ككون زيد فى السوق ومتى وهو كون الجوهر فى الزمان الذى يكون فيه مثل كون هذا الامر أمس والوضع وهو كون الجسم بحيث يكون لاجزائه بعضها الى بعض نسبة فى الانحراف والموازاة والجهات وأجزاء المكان ان كان فى مكان مثل القيام والقعود وهو فى المعنى غير الوضع المذكور فى باب الكم والملك ولست أحصله وشبه ان يكون كون الجرم فى جوهر يشمله وينتقل بانتقاله مثل التلبس والتسلح والفعل وهو نسبة الجوهر الى أمر موجود فى غيره غير قار الذات بل لا يزال يتحدد ويتصرم كالتسخين والتبريد والانفعال وهو نسبة الجوهر الى حالة فيه بهذه الصفة مثل التقطع والتسخن والعلل أربعة يقال علة للفاعل ومبدأ الحركة مثل النجار للكرسي ويقال علة للمادة وما يحتاج ان يكون حتى يكون ماهية الشيء مثل الخشب وتقال علة للصورة فى كل شيء فانه لم يقترن الصورة بالمادة لم يتكون ويقال علة للغاية

وتصديق

والشيء الذي نحوه ولاجل الشيء مثل الكي للبيت وكل واحدة من هذه اماقريبة وأمابعيدة واما بالقوة وأما بالفعل واما بالذات واما [illegible] اماخاصة وأماعامة والعلل الاربع قدتقع حدوداوسطى في البراهين لانتاج قصاياتحمولاتها اعراض ذاتية وأما العلة الفاعلية والعلل [illegible] من وضعهما وضع المعلول وانتاجه ما لم يقترن بذلك ما يدل علي ضرورتهما علة بالفعل في تفسير [illegible] المطلق الظن الحق هو رأى فى شيء انه كذا ويمكن (٣١) أن لا يكون كذا العلم اعتقادا بان الشيء كذا وانه لا يكون كذا بواسطة توجبه والشيء كذلك في ذاته وقد يقال علم لتصور الماهية بتحديدالعقل اعتقاد بان الشيء كذاوانه لايمكن ان لا يكون كذا طبعا بلا واسطة كاعتقاد المبادى الاول للبراهين وقد يقال عقل لتصور الماهية بذاته لا بتحديدها كتصور المبادي الاول للحد والذهن قوة للنفس معدة نحوا كتساب العلم والذكاء قوة استعداد للحدس والحدس حركة النفس الى اصابة الحد الاوسط اذا وضع المطلوب أواصابة الحد الاكبر اذا أصيب الاوسط وبالجملة سرعة انتقال من معلوم الى مجهول والحس انما يدرك الجزئيات الشخصية والذكر والخيال يحفظان ما يؤديه الحس علي شخصيته أما الخيال فيحفظ الصورة وأما الذكر فيحفظ المعنى الماخوذ واذا تكرر الحس كان ذكرا واذا تكرر الذكر كان تجربة والفكر حركة ذهن الانسان نحو المبادي ليصير منها الى المطالب والصناعة ملكة نفسانية تصدر عنها أفعال ارادية بغير روية والحكمة خروج نفس الانسان الى كماله الممكن في حدى العلم والعمل اما في جانب العلم فان يكون متصورا للموجودات كما هي مصدقا للقضايا كما هي وأما في جانب العمل فان يكون قد حصل له الخلق الذي يسمى العدالة والملكة الفاضلة والفكر العقلي ينال الكليات مجردة والحس والخيال والذكر ينال الجزئيات

دليل توفيق [illegible] الله عزوجل له وتيسيره لما خلق له من الخير والحسنى فهؤلاء لايحتاجون [illegible] الى تكليف استدلال وهؤلاء هم جمهور الناس من العامة والنساء والتجار والصناع والاكرة والعباد وأصحاب الحديث الائمة الذين يذمون الكلام والجدل والمراء في الدين (قال ابو محمد) هم الذين قال لهم الله فيهم * ولكن حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم * وقال تعالى * فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء *

(قال ابو محمد) قد سمى الله عزوجل راشدين القوم الذين زين الايمان فى قلوبهم وحببه اليهم وكره اليهم الكفر والمعاصى فضلا منه ونعمة وهذا هو خلق الله تعالى للايمان فى قلوبهم ابتداء وعلي السنتهم ولم يذكرالله تعالى في ذلك استدلالا أصلا وبالله تعالى التوفيق وليس هؤلاء مقلدين لآبائهم ولا لكبرائهم لان هؤلاء مقرون بألسنتهم محققون فى قلوبهم ان اباءهم ورؤساءهم لو كفروا لما كفروا هم بل كانوا يستحلون قتل ابائهم ورؤسائهم والبراءة منهم ويحسون من انفسهم النفار العظيم عن كل ما سمعوا منه مايخالف الشريعة ويرون ان حرقهم بالنار أخف عليهم من مخالفة الاسلام وهذا امر قد عرفناه من أنفسنا احساوشاهدناه فى دواتنا يقينا فلعدنقينا سنين كثيرة ولا نعرف الاستدلال ولاوجوهه ونحن ولله الحمد فى غاية اليقين بدين الاسلام وكل ماجاء به محمد صلى الله عليه وسلم نجد انفسنا فى غاية السكون اليه وفى غاية النفار عن كل مايعترض فيه بشك ولقد كانت تخطر فى قلوبنا خطرات سوء فى خلال ذلك ينبذها الشيطان فنكاد لشدة نفارنا عنها ان نسمع خفقة قلوبنا استبشاعا لها كما اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ سئل عن ذلك فقالوا له ان أحدنا ليحدث نفسه بالشيء ما انه يقدم فتضرب عنقه احب اليه ان يتكلم به فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان ذلك محض الايمان وأخبر انه من وسوسه الشيطان وأمر صلى الله عليه وسلم فى ذلك بما امر به من التعوذ والقراءة والتفل عن اليسار ثم تعلمنا طرق الاستدلال واحكمناها ولله تعالى الحمد فما زادنا يقينا علي ما كنا بل عرفنا انا كنا ميسرين للحق وصرنا كمن عرف وقد أيقن بان الفيل موجود ولم يره ثم رآه فلم يزدد يقينا بصحة ابيته اصلا لكن ارانا صحيح الاستدلال رفض بعض الاراء الفاسدة التى نشأ عليها فقط كالقول فى الدين بالقياس وعلمنا انا كنا مقتدين بالخطأ فى ذلك ولله تعالى الحمد وان المخالفين له ليعرفون من انفسهم ما ذكرنا الا انهم يلزمهم ان يشهدوا علي انفسهم بالكفر قبل استدلالهم لابد فصح بما قلنا ان كل من محص اعتقاد الحق بقلبه وقاله بلسانه فهم مؤمنون محققون وليسوا مقلدين اصلا وانما كانوا مقلدين لوانهم قالوا واعتقدوا انما انما نتبع فى الدين آباءنا وكبراءنا فقط ولو ان

فالحس يعرض على الخيال امورا مختلطة والخيال على العقل ثم العقل يفعل التمييز ولكل واحد من هذه المعاني معونة في صواحبها في قسمي التصور والتصديق في الالهيات يجب أن تحصر المسائل التي تختص بهذا العلم في عشر مسائل الاولى منها في موضوع هذا العلم وجملة ما ينظر فيه والتنبيه على الوجود ان لكل علم موضوعا ينظر فيه فيبحث عن أحواله وموضوع العلم الالهي الوجود المطلق (٣٢) ولواحقه التي له لذاته ومباديه وينتهي في التفصيل الى حيث يبتدىء منه سائر العلوم وفيه بيان مبادئها وجملة ما ينظر فيه هذا العلم هو أقسام الوجود وهو الواحد والكثير ولواحقها والعلة والمعلول والقديم والحادث والتام والناقص والفعل والقوة وتحقيق المقولات العشر ويشبه أن يكون انقسام الوجود الى المقولات انقساما بالفصول وانقسامه الى الوحدة والكثرة وأخواتها انقساما بالأعراض الوجود يشمل الكل شمولا بالتشكيك لا بالتواطي ولهذا لا يصح أن يكون جنسا فانه في بعضها أولى وأول وفي بعضها لا أولى ولا أول وهو أشهر من أن يحد أو يرسم ولا يمكن أن يشرح بغير الاسم لانه مبدء أول لكل شيء فلا شرح له بل صورته تقوم في النفس بلا توسط شيء وينقسم نوعا من القسمة الى واجب بذاته وممكن بذاته والواجب بذاته هو اذا اعتبر ذاته لم يجب وجوده والممكن بذاته ما اذا اعتبر ذاته فقط وجب وجوده واذا فرض غير موجود لم يلزم منه محال ثم اذا عرض على القسمين عرضا جميعا الواحد والكثير كان الواحد أولى بالواجب والكثير أولى بالجائز وكذلك العلة والمعلول والقديم والحادث والتام والناقص والفعل والقوة ومعناه في الغير كما أحسن ان سماه أولى بالواجب بذاته وان لم تطرق اليه الكثرة بوجه لم يطرق اليه التقسيم بل يتوجه الى الممكن بذاته فانقسم الى جوهر وعرض وقد عرفناهما برسميهما واما نسبة احدهما الى الآخر فهو ان الجوهر محل مستغنٍ في

اباءنا وكبراءنا تركوا دين محمد صلى الله عليه وسلم لتركناه فلو قالوا هذا واعتقدوه لكانوا مقلدين كفارا غير مؤمنين لانهم انما اتبعوا آباءهم وكبراءهم الذين نهوا عن اتباعهم ولم يتبعوا النبي صلى الله عليه وسلم الذين امروا باتباعه وبالله تعالى التوفيق وانما كلف الله تعالى الاتيان بالبرهان ان كانوا صادقين يعني الكفار المخالفين لما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هذا نص الآية ولم يكلف قط المسلمين الاتيان بالبراهين والاسقط اتباعهم حتى يأتوا بالبرهان او الفرق بين الامرين واضح وهو ان كل من خالف النبي صلى الله عليه وسلم فلا برهان له اصلا فكلف المجيء بالبرهان تبكيتا وتعجيزا ان كانوا صادقين وليسوا صادقين بلا برهان لهم واما من اتبع ما جاءهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اتبع الحق الذي قامت البراهين بصحته ودان بالصدق الذي قامت الحجة القاطعة بوجوبه فسواء علم هو بذلك البرهان او لم يعلم حسبه انه على الحق الذي صح بالبرهان ولا برهان على ما سواه فهو محق والحمد لله رب العالمين واما قولهم ما لم يكن علما فهو شك وظن والعلم هو اعتقاد الشيء على ما هو به عن ضرورة او استدلال قالوا والديانات لا تعرف صحتها الا بالاستدلال فان لم يستدل المرء فليس عالما واذا لم يكن عالما فهو جاهل شاك او ظان واذا كان لا يعلم الدين فهو كافر

(قال ابو محمد) فهذا ليس كما قالوا لانهم قضوا قضية باطلة فاسدة بنوا عليها هذا الاستدلال وهي اقحامهم في حد العلم قولهم عن ضرورة أو استدلال فهذه زيادة فاسدة لا نوافقهم عليها ولا جاء بصحتها قرآن ولا سنة ولا اجماع ولا لغة ولا طبيعة ولا قول صاحب وحد العلم على الحقيقة انه اعتقاد الشيء على ما هو به فقط وكل من اعتقد شيئا على ما هو به ولم يتخالجه شك فيه فهو عالم به وسواء كان عن ضرورة حس او عن بديهة عقل أو عن برهان استدلال أو عن تيسير الله عز وجل له وخلقه لذلك المعتقد في قلبه ولا مزيد ولا يجوز البتة ان يكون محقق في اعتقاد شيء كما هو ذلك الشيء وهو غير عالم به وهذا تناقض وفساد وتعارض وبالله تعالى التوفيق وأما قولهم في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسألة الملك فلا حجة لهم فيه بل هو حجة عليهم كما هو لمجرده لان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما قال فيه فاما المؤمن أو الموقن فيقول هو رسول الله ولم يقل عليه الصلاة والسلام فاما المستدل فحسبنا بهذا المؤمن المؤقن الموقن كيف كان ايمانه ويقينه وقال عليه الصلاة والسلام واما المنافق او المرتاب ولم يقل غير المستدل فيقول سمعت الناس يقولون شيئا فقلته نعم هذا قولنا لان المنافق والمرتاب ليسا موقنين ولا مؤمنين وهذه صفة من قلد الناس لا تحقق فظهر ان هذا الخبر حجة عليهم كافية وبالله تعالى التوفيق واما قولهم ان الله عز وجل قد ذكر الاستدلال في غير موضع من كتابه وامر به واوجب العلم به والعلم لا يكون الا عن استدلال فهذه ايضا زيادة اقحموها وهي قولهم وامر به فهذا لا يجدونه ابدا ولكن الله تعالى ذكر

قوامه عن الحال فيه والعرض حال فيه غير مستغن في قوامه عنه فكل ذات لم يكن في موضوع ولا في قوامه به فهو جوهر وكل ذات قوامه في موضوع فهو عرض وقد يكون الشيء في المحل ويكون مع ذلك جوهرا لا في الموضوع اذا كان المحل القريب الذي هو فيه متقوما به ليس متقوما بذاته ثم مقوما له ونسميه صورة وهو الفرق بينهما وبين العرض وكل جوهر ليس في موضوع فلا يخلو اما ان لا يكون في محل أصلا أو يكون في محل لا يستغني في القوام عنه ذلك المحل فان كان في محل بهذه الصفة فانا نسميه صورة مادية وان لم يكن في محل أصلا فاما أن يكون محلا بنفسه لا تركيب فيه أو لا يكون فان كان محلا بنفسه فانا نسميه الهيولى المطلقة وان لم يكن فاما أن يكون مركباً مثل أجسامنا المركبة من مادة وصورة جسمية وان لا يكون وما ليس بمركب فلا يخلو إما أن يكون له تعلق ما بالاجسام أو لم يكن له تعلق فما له تعلق نسميه نفسا وما ليس له تعلق فنسميه عقلا وأما أقسام العرض فقد ذكرناها وحصرها بالقسمة الضرورية متعذرة

(المسألة الثانية) في تحقيق الجوهر الجسماني وما يتركب منه وأن المادة الجسمانية لا تعرى عن الصورة وان الصورة متقدمة على المادة في مرتبة الوجود اعلم ان الجسم الموجود ليس جسما بان فيه ابعادا ثلاثة بالفعل فانه ليس يجب أن يكون في كل جسم نقط أو خطوط بالفعل وانت تعلم ان الكرة لاقطع فيها بالفعل والنقط والخطوط قطوع بل الجسم انما هو جسم لانه بحيث يصلح أن يفرض فيه ابعاد ثلاثة كل واحد منها قائم على الآخر ولا يمكن أن يكون فوق ثلاثة فالذي يفرض فيه أولا هو الطول والقائم عليه العرض والقائم عليهما في الحد المشترك هو العمق وهذا الذي منه صورة الجسمية وأما الابعاد المحدودة التي تقع فيه فليست صورة له بل هي من باب الكم

الاستدلال وحض عليه ونحن لا ننكر الاستدلال بل هو فعل حسن مندوب اليه محضوض عليه كل من اطاقه لانه تزود من الخير وهو فرض على كل من لم تسكن نفسه الى التصديق نعوذ بالله عز وجل من البلاء وانما ننكر كونه فرضاً على كل احد لا يصح اسلام احد دونه هـذا هو الباطل المحض وأما قولهم ان الله تعالى أوجب العلم به فنعم وأما قولهم والعلم لا يكون الا عن استدلال فهذا هي الدعوى الكاذبة التي أبطلناها آنفا واول بطلانها انها دعوى بلا برهان وبالله تعالى العزيز الحكيم نتأيد

(قال أبو محمد) هذا كلما شنعوا به قد نقضناه والحمد لله رب العالمين فسقط قولهم اذ تعرى من البرهان وكان دعوى منهم مفتراة لم يأت بها نص قط ولا اجماع وبالله التوفيق

(قال ابو محمد) ونحن الآن ذاكرون بعون الله وتوفيقه وتاييده البراهين على بطلان قولهم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

(قال أبو محمد) يقال لمن قال لا يكون مسلما الا من استدل (١) أخبرنا متى يجب عليه فرض الاستدلال اقبل البلوغ ام بعده ؟ ولابد من أحد الامرين فاما الطبري فانه أجاب بان ذلك واجب قبل البلوغ

(قال أبو محمد) وهذا خطأ لان من لم يبلغ ليس مكلفا ولا مخاطبا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلاثة فذكر الصغير حتى يحتلم فبطل جواب الطبري رحمه الله وأما الاشعرية فانهم أتوا بما يملأ الفم وتقشعر منها جلود أهل الاسلام وتصطك منها المسامع ويقطع ما بين قائلها وما بين الله عز وجل وهي انهم قالوا لا يلزم طلب الادلة الا بعد البلوغ ولم يقنعوا بهذه الجملة حتى كفونا المؤنة وصرحوا بما كنا نريد أن نلزمهم فقالوا غير مساترين لا يصح اسلام احد حتى يكون بعد بلوغه شاكا غير مصدق

(قال ابو محمد) ما سمعنا قط في الكفر والانسلاخ من الاسلام باشنع من قول هؤلاء

(١) ذهب جمهور الائمة ومنهم الشيخ الاشعرى الى أن أول ما يجب قبل كل شيء على من بلغ النظر والاستدلال واعمال الفكرة فيما يوصله الى العلم بمعبوده من البراهين القاطعة والادلة الساطعة واتفق كذلك جمهورهم ومحققوا اهل السنة خلافا لبعض اهل الظاهر على أنه لا يصح الاكتفاء بالتقليد في العقائد وحاصل ما ذكروه في المقلد ثلاثة اقوال الاول انه مؤمن غير عاص بترك النظر الثاني انه مؤمن عاص ان ترك النظر مع القدرة الثالث انه كافر هذا هو المشهور من مذهب الاشعرية ومن وافقهم وما نسبه اليهم ابن حزم من قولهم لا يصح اسلام احد حتى يكون بعد بلوغه شاكا غير مصدق هو لازم مذهبهم اهـ مصححه

وهى لواحق لامقدمات ولا يجب أن يثبت شيء منها له بل مع كل تشكيل يتجدد عليه يبطل كل بعد متجدد كان فيه وربما اتفق فى بعض الاجسام أن تكون لازمة له لاتفارق ملازمة أشكالها وكما أن الشكل لاحق وكذلك ما يتجدد بالشكل وكما أن الشكل لا يدخل فى تحديد جسميته كذلك الابعاد المتجددة فالصورة الجسمية موضوعة لصناعة الطبيعيين أو داخلة فيها والابعاد المتجددة موضوعة لصناعة التعالميين أو داخلة فيهما ثم الصورة الجسمية طبيعية وراء الاتصال وهى بعينها قابلة للانفصال ومن المعلوم ان قابل الاتصال والانفصال أمر وراء الاتصال والانفصال فان القابل يبقى بطريان أحدهما والاتصال لا يبقى بعد طريان الانفصال وظاهر ان هاهنا جوهرا غير الصورة الجسمية هى الهيولى التى يعرض لها الانفصال والاتصال معاً وهى تقارن الصورة الجسمية فهي التى تقبل الاتحاد بالصورة الجسمية فتصير جسما واحداً بما يقومها وذلك هو الهيولى والمادة ولا يجوز أن تفارق الصورة الجسمية وتقوم موجودة بالفعل والدليل عليه من وجهين أحدهما انا لو قدرناها مجردة لا وضع لها ولا حيز ولا انها تقبل الانقسام فان هذه كلها صورة ثم قدرنا ان الصورة صادفتها فاما أن يكون صادفتها دفعة أعني المقدار المحصل يحل فيها دفعة لا على تدرج أو تحرك اليها المقدار والاتصال على تدرج فان حل فيها دفعة فى اتصال المقدار بها يكون قد صادفها حيث ان صاف اليها قبل فيكون لامحالة صادفها وهو الحيز الذى هو فيه فيكون ذلك الجوهر متحيزا وقد فرض غير متحيز البتة وهذا خلف ولا يجوز أن يكون التحيز قد حصل له دفعة واحدة مع قبول المقدار لان المقدار يوافيه فى حيز مخصوص وان حل فيها المقدار والاتصال على انبساط وتدريج وكل ما من شأنه أن ينبسط فله جهات وكل ما له جهات فهو ذو وضع

القوم انه لايكون احد مسلما حتى يشك فى الله عز وجل وفى صحة النبوة وفى هل رسول الله صلى الله عليه وسلم صادق ام كاذب ولا سمع قط سامع فى الهوس والمناقضة والاستخفاف بالحقائق ما قبح من قول هؤلاء انه لايصح الايمان الا بالكفر ولا يصح التصديق الا بالجحد ولا يوصل الى رضاء الله عز وجل الا بالشك فيه وان من اعتقد موقنا بقلبه ولسانه ان الله تعالى ربه لا اله الا هو وان محمدا رسول الله وان دين الاسلام دين الله الذى لادين غيره فانه كافر مشرك اللهم انا نعوذ بك من الخذلان فوالله لولا خذلان الله تعالى الذى هو غالب على أمره ما انطلق لسان ذى مسكة بهذه العظيمة وهذا يكفى من تكلف النقض لهذه المقالة الملعونة ومن بلغ هذا المبلغ حسن السكوت عنه ونعوذ بالله من الضلال ــ ثم نقول لهم اخبرونا عن هذا الذى اوجبتم عليه الشك فرضا او الشك فى صحة النبوة والرسالة كم تكون هذه المدة التى اوجبتم عليه فيه البقاء شاكا مستدلا طالبا للدلائل وكيف ان لم يجد فى قريته او مدينته ولا فى اقليمه مفسرا للدلائل فرحل طالبا للدلائل فاعترضته أهوال ومخاوف وتعذر من بحر او مرض فاتصل له ذلك ساعات واياما وجمعا وشهورا وسنين فقولكم فى ذلك فان حدوا فى المدة يوما او يومين او ثلاثة او اكثر من ذلك كانوا متحكمين بلا دليل وقائلين بلاهدى من الله تعالى ولم يعجز احد عن أن يقول فى تحديد تلك المدة بزيادة او نقصان ومن بلغ هاهنا فقد ظهر فساد قوله وان قالوا لانحد فى ذلك حداً قلنا لهم فان امتد كذلك حتى فنى عمره ومات فى مدة استدلاله التى حددتم له وهو شاك فى الله تعالى وفى النبوة ايموت مؤمنا ويجب له الجنة ام يموت كافراً وتجب له النار فان قالوا يموت مؤمنا تجب له الجنة اتوا باعظم الطوام وجعلوا الشكاك فى الله الذين لم يعدم شكاك مؤمنين من اهل الجنة وهذا كفر محض وتناقض لاخفاء به وكانوا مع ذلك قد منعوا فى ان يبقى المرء دهره كله شاكا فى الله عز وجل وفى النبوة والرسالة فان قالوا بل يموت كافرا تجب له النار قلنا لهم لقد امرتموه بما فيه هلاكه واوجبتم عليه ما فيه دماره وما يفعل الشيطان الا هذا فى امره بما يؤدى الى الخلود فى النار وان قالوا بل هو فى حكم اهل الفترة قلنا انهم هذا باطل لان اهل الفترة لم تأتهم النذارة ولا بلغهم خبر النبوة والنص انما جاء فى اهل الفترة ومن زاد فى الخبر ما ليس فيه فقد كذب على الله عز وجل ثم نقول لهم وبالله تعالى التوفيق ما حد الاستدلال (١) الموجب لاسم الايمان عندكم وقد يسمع دليلا عليه اعتراض أيجزيه ذلك الدليل ام لا فان قالوا يجزيه قلنا لهم ومن اين وجب ان يجزيه وهو دليل معترض فيه وليس هذه الصفة من الدلائل المخرجة عن الجهل الى العلم بل هي مؤدية الى الجهل الذى كان عليه

(١) صرحوا بان الواجب على الاعيان معرفة الدليل الاجمالى وعلى الكفاية معرفة الدليل التفصيلى

وقد فرض غير ذي وضع البتة وهذا خلف فتبين أن المادة لن تتعرى عن الصورة فقط وان الفصل بينهما فصل بالعقل والدليل الثاني انا لو قدرنا للمادة وجوداً خاصا متقوما غير ذى كم ولا حرء باعتبار نفسه ثم يعرض عليه الكم فيكون ماهو متقوم بانه لا جزء له ولا كم يعرض أن يبطل عنه ما يتقوم به بالفعل لورود عارض عليه فيكون حينئذ للمادة صورة عارضة بها تكون واحدة بالقوة والفعل وصورة أخرى بها (٣٥) تكون غير واحدة بالفعل فيكون بين الامرين شيء مشترك هو القابل للامرين من شانه أن يصير مرة ليس في قوته أن ينقسم ومرة في قوته أن ينقسم ويفرض الآن هذا الجوهر قد صار بالفعل شيئين ثم صار شيئا واحدا بأن خلعا صورة الاثنينية فلايخلو اما ان اتحدا وكل واحد منهما موحود فهما اثنان لا واحد وان اتحدا وأحدهما معدوم والآخر موحود فالمعدوم كيف يتحد بالموحود وان عدما جميعا بالاتحاد وحدث شيء واحد ثالث فهما غير متحدين بل فاسدين وبينهما وبين الثالث مادة مشتركة وكلاما فى نفس المادة لافى شيء ذى مادة فالمادة الجسمية لا توجد مفارقة للصورة وانها انما تقوم بالفعل بالصورة ولا يجوز أن يقال ان الصورة نفسها موجودة بالقوة وانما تصير بالفعل بالمادة لان جوهر الصورة هو الفعل وما بالقوة محله والصورة وان كانت لا تفارق الهيولى فليست تتقوم بالهيولى بل بالعلة المفيدة لها الهيولى وكيف يتصور أن تقوم الصورة بالهيولى وقد أثبت أنها علتها والعلة لا تتقوم بالمعلول وفرق بين الذى يتقوم به الشيء وبين الذى لا يفارقه فان المعلول لا يفارق العلة وليس علة لها فما يقوم الصورة أمر مباين لها مفيد وما يقوم الهيولى أمر ملاق لها وهى الصورة فاول الموجودات فى استحقاق الوجود الجوهر المفارق الغير الجسم الذى يعطي صورة الجسم وصورة كل موجود ثم الصورة ثم الجسم ثم

قبل الاستدلال فان قالوا بل لايجزيه الاحتى يوقن انه قد وقع على دليل لايمكن الاعتراض فيه تكلفوا ماليس فى وسع اكثرهم وما لايبلغه الا قليل من الناس فى طويل من الدهر وكثير من البحث ولقد درى الله تعالى انهم اصفار من العلم بذلك يعنى اهل هذه المقالة الملعونة الخبيثة

(قال أبو محمد) ومن البرهان الموضح لبطلان هذه المقالة الخبيثة انه لايشك أحد ممن يدرى شيئا من السير من المسلمين واليهود والنصارى والمجوس والمانية والدهرية فى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مذ بعث لم يزل يدعو الناس الجماء الغفير الى الايمان بالله تعالى وبما أتى به ويقاتل من أهل الارض من يقاتله ممن عند ويستحل سفك دمائهم وسبي نسائهم واولادهم وأخذ أموالهم متقربا الى الله تعالى بذلك وأخذ الجزية واصغاره ويقبل ممن آمن به ويحرم ماله ودمه وأهله وولده ويحكم له بحكم الاسلام وفيهم المرءة البدوية والراعى والراعية والعلام الصحراوى والوحشى والزنجى والمسبيء والزنجية المجلوبة والرومى والرومية والاغثر (١) الجاهل والضعيف فى فهمه فما منهم احد ولا من غيرهم قال عليه السلام انى لا اقبل اسلامك ولا يصح لك دين الاحتى تستدل على صحة ماادعوك اليه

(قال ابو محمد) لسنا نقول انه لم يبلغنا انه عليه السلام قال ذلك لاحد بل نقطع نحن وجميع اهل الارض قطعا كقطعنا على ماشهدناه انه عليه السلام لم يقل قط هذا لاحد ولا رد اسلام أحد حتى يستدل ثم جرى على هذه الطريقة جميع الصحابة رضى الله عنهم اولهم عن آخرهم ولا يختلف احد فى هذا الامر ثم جميع اهل الارض الى يومنا هذا ومن المحال الممتنع عند أهل الاسلام ان يكون عليه السلام يغفل ان يبين للناس مالا يصح لاحد الاسلام الا به ثم يتفق على اغفال ذلك أو تعمد عدم ذكره جميع أهل الاسلام ويبينه لهم هؤلاء الاشقياء ومن ظن انه وقع من الدين على مالا يقع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر بلا خلاف فصح ان هذه المقالة خلاف للاجماع وخلاف لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم وجميع أهل الاسلام قاطبة فان قالوا فما كانت حاجة الناس الى الآيات المعجزات والى احتجاج الله عز وجل عليهم بالقرآن واعجازه به وبدعاء اليهود الى تمنى الموت ودعاء النصارى الى المباهلة وشق القمر قلنا وبالله تعالى التوفيق ان الناس قسمان قسم لم تسكن قلوبهم الى الاسلام ولا دخلها التصديق فطلبوا منه عليه السلام البراهين فاراهم المعجزات فانقسموا قسمين طائفة آمنت وطائفة عندت وجاهرت فكفرت واهل هذه الصفة اليوم هم الذين يلزمهم طلب الاستدلال فرضا ولابد كما قلنا وقسم آخر وفقهم الله تعالى لتصديقه عليه السلام وخلق

(١) الاغثر يفسر بالاحمق والجاهل والساقط

عز وجل في نفوسهم الايمان كما قال تعالى * بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين * فهؤلاء آمنوا بما عليه السلام بلا تكليف

(قال أبو محمد) ويلزم أهل هذه المقالة ان جميع أهل الارض كفار لا الاقل وقد قال بعضهم انهم مستدلون

(قال ابو محمد) وهذه مجاهرة هو يدري انه فيها كاذب وكل من سمعه يدري انه فيها كاذب لان أكثر العامة من حاضرة وبادية لا يدرى ما معنى الاستدلال فكيف ان يستعمله

(قال ابو محمد) ويلزم من قال بهذه المقالة ان لا يأكل من اللحم الا ما ذبحه هو أو من يدري انه مستدل وان لا يطأ الا زوجة يدري انها مستدلة ويلزم ان يشهد على نفسه بالكفر ضرورة قبل استدلاله ومدة استدلاله وأن يفارق امرأته التي تزوج في تلك المدة وان لا يرث اباه ولا امه الا ان يكونوا مستدلين وان يعمل عمل الخوارج الذين يقتلون غيلة وعمل المغيرية المنصورية في ذبح كل من أمكنهم وقتله وان يستحلوا اموال اهل الارض بل لا يحل لهم الكف عن شيء من هذا كله لان جهاد الكفار فرض وهذا كله ان التزموا طرد أصولهم وكفروا انفسهم وان لم يقولوا بذلك تناقضوا وصح ان كل من اعتقد الاسلام بقلبه ونطق به لسانه فهو مؤمن عند الله عز وجل ومن اهل الجنة سواء كان ذلك عن قبول اونشأة أوعن استدلال وبالله تعالى التوفيق وأيضا فنقول لهم هل استدل من مخالفيكم في اقوالكم التي تدينون بها أحد أم لم يستدل قط احد غيركم فلا بد من اقرارهم بان من مخالفيهم أيضا قد استدلوا وهم عندكم مخطئون كمن لم يستدل وأنتم عندهم أيضا مخطئون فان قالوا ان الادلة أصحتنا من أن نكون مخطئين قلنا لهم وهذا نفسه هو قول خصومكم فانهم يدعون ان أدلتهم على صواب قولهم وخطا قولكم ولا فرق فما زالوا على هذه الدعوى مذ كانوا الى يومنا هذا فما الذي حصلتم من استدلالكم الا على ما حصل عليه من لم يستدل سواء سواء ولا فرق فان قالوا انما يلزم قولكم هذا ابطال الاستدلال جملة وابطال الدليل كافة قلنا معاذ الله من هذا لكن اريناكم انه قد يستدل من يخطىء وقد يستدل من يصيب بتوفيق الله تعالى فقط وقد لا يستدل من يخطىء وقد لا يستدل من يصيب بتوفيق الله تعالى وكل ميسر لما خلق له والبرهان والدلائل الصحاح غير المموهة ومن وافق الحق الذي قامت عند غيره البراهين الصحاح بصحته فهو مصيب محق مؤمن استدل اولم يستدل ومن يسر للباطل الذي قام البرهان عند غيره ببطلانه فهو مبطل مخطىء أو كافر سواء استدل أو لم يستدل وهذا هو الذي قام البرهان بصحته والحمد لله رب العالمين وبالله تعالى التوفيق

الكلام في الوعد والوعيد

(قال ابو محمد) اختلف الناس في الوعد والوعيد فذهبت كل طائفة لقول منهم من قال

الهيولى وهي وان كانت سببا للجسم فانها ليست بسبب يعطى الوجود بل بسبب يقبل الوجود بانه محل لنيل الوجود وللجسم وجودها وزيادة وجود الصورة فيه التي هي أكمل منها ثم العرض أولى بالوجود فان أولى الاشياء بالوجود هو الجوهر ثم الاعراض وفي الاعراض ترتيب في الوجود أيضا * المسئلة الثالثة في أقسام العلل وأحوالها وفي القوة والفعل واثبات الكيفيات في الكمية (٣٦) وان الكيفيات اعراض لا جواهر وقد بينا في المنطق ان العلل أربع فتحقيق وجودها ها هنا ان تقول المبدأ والعلة يقال لكل ما يكون قد استتم له وجوده في نفسه ثم حصل منه وجود شيء آخر يقوم به ثم لا يخلو ذلك اما أن يكون كالجزء لما هو معلول له وهذا على وجهين اما أن يكون جزءا ليس يجب عن حصوله بالفعل ان يكون ما هو معلول له موجودا بالفعل وهذا هو العنصر ومثاله الخشب للسرير فانك تتوهم الخشب موجودا ولا يلزم من وجوده وحده أن يحصل السرير بالفعل بل المعلول موجود فيه بالقوة واما أن يكون جزءا يجب عن حصوله بالفعل وجود المعلول له بالفعل وهذا هو الصورة ومثاله الشكل والتأليف للسرير وان لم يكن كالجزء لما هو معلول له فاما أن يكون مباينا أو ملاقيا لذات المعلول والملاقي فاما أن ينعت به المعلول واما أن ينعت بالمعلول وهذان هما في حكم الصورة والهيولى وان كان مباينا فاما أن يكون الذي منه الوجود وليس الوجود لاجله وهو الفاعل ان
واما أن لا يكون منه الوجود بل لأجله الوجود وهو الغاية والغاية تتأخر في حصول الموجود وتتقدم سائر العلل في الشيئية والغاية بما هو شيء فانها تتقدم وهي علة العلل في انها علل وبما هي موجودة في الاعيان قد تتأخر واذا لم تكن العلة هي بعينها الغاية كان الفاعل متأخرا في الشيئية عن الغاية ويشبه أن يكون الحاصل عند التمييز هو

ان الفاعل الاول والمحرك الاول فى كل شيء هو الغاية وان كانت العلة الفاعلية هى الغاية بعينهـا استغنى عن تحريك الغاية فـكان نفس ما هو فاعل نفس ما هو محرك من غير توسط وأما سائر العلل فان الفاعل والقابل قد يتقدمان المعلول بالزمان وأما الصورة فلا تتقدم بالزمان البتة بل بالرتبة والشرف لان القابل أبداً مستفيد والفاعل مفيد وقد تكون العلة علة للشيء بالذات وقد تكون بالعرض وقد تكون علة قريبة (٣٧) وقد تكون علة بعيدة وقد تكون علة لوجود الشيء فقط وقد تكون علة لوجوده ولد وأم ووجوده فانه انما احتاج الى الفاعل لوجوده وفى حال وجوده لا لعدمه السابق وفى حال عدمه فيكون الموجد انما يكون موجداً للموجود والموجود هو الذى يوصف بانه موجد وكما أنه فى حال ما هـو موجود يوصف بانه موجد كذلك الحال فى كل حال فـكل موجد محتاج الى موجـد مقيم لوجوده لولاه لعدم وأما القوة والفعل القوة تقال لمبدأ التغير فى آخر من حيث انه آخر وهو اما فى المنفعل وهي القـوة الانفعالية وأما فى الفاعل وهى القوة الفعلية وقوة المنفعل قد تكون محدودة نحو شيء واحـد كقوة الماء على قبول الشكل دون قوة الحفظ وفى الشـمع قوة عليهما جميعـا وفى الهيولى قوة الجميع ولكن بتوسط شيء دون شيء وقوة الفاعل قد تكون محدودة نحو شيء واحد كقوة النار على الاحراق فقط وقد يكون على اشياء كثيرة كقوة المختارين وقد يكون فى الشيء قوة على شيء ولـكن بتوسط شيء دون شيء والقوة الفعلية المحدودة اذا لاقت القوة المنفعلة حصل منها الفعل ضرورة وليس كذلك فى غيرها مما يستوى فيه الاضداد وهذه القوة ليست هي القوة التى يقابلها بها الفعل فان هذه تبقى موجودة عند ما يفعل والثانية انما تكون موجودة مع عدم الفعل وكل جسم صدر عنه فعل ليس بالعرض ولا بالقسر فانه يفعل بقوة ما فيـه

ان صاحب الـكبيرة ليس مؤمنا ولا كافرا ولـكنه فاسق (١) وان كل من مات مصرا على كبيرة من الـكبائر فلم يمت مسلما واذا لم يمت مسلما فهو مخلد فى النار ابدا وان من مات ولا كبيرة له اوتاب عن كبائره قبل موته فانه مؤمن من أهل الجنة لايدخل النار اصلا ومنهم من قال بان كل ذنب صغير او كبير فهو مخرج عن الايمان والاسلام فان مات عليه فهو غير مسلم وغير المسلم مخلد فى النار وهذه مقالات الخوارج والمعتزلة الا ان ابن بكر ابن اخت عبد الواحد ابن زيد قال فى طلحة والزبير رضى الله عنهما انهما كافران من اهل الجنة لانهما من اهل بدر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال لاهل بدر اعملوا ما شئتم فقد غفرت لـكم قال فاهل بدر ان كفر فمغفور لهم لانهم بخلاف غيرهم وقال بعض المرجئة (٢) لا تضر مع الاسلام سيئة كما لا ينفع مع الكفر حسنة قالوا فـكل مسلم ولو بلغ فى معصية فهو من أهل الجنة لايرى نارا وانما النار للكفار وكلتا هاتين الطائفتين تقربان احدا لا يدخل النار ثم يخرج عنها بل من دخل النار فهو مخلد فيها أبدا ومن كان من أهل الجنة فهو لا يدخل النار

(١) هى أول كلمة اختلف فيها واصل بن عطاء رأس المعتزلة مع شيخه الحسن البصرى واعتزل مجلسه وتبعه على ذلك سائر المعتزلة اذ وضعوا صاحب الكبيرة فى منزلة بين المنزلتين فقالوا انه لا مؤمن ولا كافر بل فاسق وأئمة المسلمين لا يثبتون له منزلة بين المؤمن والـكافر بل يقولون انه مؤمن ولـكنه فاسق أما الخوارج فيقولون انه كافر فاسق

(٢) المرجئة فرقة من كبار الفرق الاسلامية لقبوا بهذا اللقب لانهم يؤخرون العمل عن الايمان من أرجأه اى أخره استنادا على قوله تعالى (وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم) ولانهم يقولون لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الـكفر طاعة فهم يعطون الرجاء وعلى التأويل الاخير لا يهمز اسم المرجية وليتوضح مذهب الارجاء يجب النظر فى الخلاف الواقع بين الوعيدية وغيرهم فاهل السنة لا يأخذون بدلالة العام كالمعتزلة فى مثل قوله تعالى (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها) وفى مثل قوله (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها) بل يجعلون الخلود مشروطا بالكفر ويأخذون بدلالة الخاص فى مثل قوله تعالى اعدت للكافرين وقوله ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ويجعلون ترتب الجزاء فيما دون الشرك مشروطا بعدم التوبة أو العفو لقوله تعالى الا من تاب وقوله ويعفو عن كثير والوعيدية يخالفون فى هذا أما المرجئة فيقولون ان عدم تخلف الوعيد شرطه الكفر ومع الايمان ترجأ العقوبة وان لم يتب صاحب المعصية وقالوا عنى الله بآيات الوعيد الـكفار دون بعض الفسقة أو عنى بها التخويف دون التحقيق اهـ لمصححه

ما الذى بالارادة والاختيار فظاهر وأما الذي ليس بالاختيار فلا يخلو اما أن يصدر عن ذاته بما هو ذاته أو عن قوة في ذاته أو عن شيء مباين فان صدر عن ذاته بما هو جسم فيجب أن يشاركه سائر الاجسام واذا تميز عنها بصدور ذلك الفعل عنه فلمعنى فى ذاته زائد على الجسمية وان صدر عن شيء مباين فلا يخلو اما أن يكون جسما أو غير جسم فان كان جسما فالفعل منه بقسر لا محالة (٣٨) وقد فرض بلا قسر هذا خلف وان لم يكن جسما فتأثر الجسم عن ذلك المفارق اما أن يكون بكونه جسما أو لقوة فيه ولا يجوز أن يكون بكونه جسما فتعين أن يكون لقوة فيه هي مبدأ صدور ذلك الفعل عنه وذلك هو الذى نسميه القوة الطبيعية وهى التى يصدر عنها الافاعيل الجسمانية من التحيزات الى امكانها والتشكيلات الطبيعية واذا خليت وطباعها لم يجز أن يحدث منها زوايا مختلفة بل لا زاوية فيجب أن تكون كرة واذا صح وجود الكرة صح وجود الدائرة * المسئلة الرابعة في المتقدم والمتأخر والقديم والحادث واثبات المادة لكل متكون التقدم قد يقال بالطبع وهو أن يوجد الشيء وليس الآخر بموجود ولا يوجد الآخر الا وهو موجود كالواحد والاثنين ويقال فى الزمان كتقدم الاب على الابن ويقال فى المرتبة وهو الاقرب الى المبدأ الذى عين كالتقدم فى الصف الاول أن يكون أقرب الى الامام ويقال فى الكمال والشرف كتقدم العالم على الجاهل ويقال بالعلية لان للعلية استحقاقا لوجود قبل المعلول وهما بما هما ذاتان ليس يلزم فيهما خاصية التقدم والتأخر ولا خاصية المعى ولكن بما هما متضايفان وعلة ومعلول وان أحدهما لم يستفد الوجود من الآخر والآخر استفاد الوجود منه فلا محالة كان المفيد متقدما والمستفيد متأخرا بالذات واذا رفعت العلة ارتفع المعلول لا محالة وليس اذا ارتفع المعلول

وقال أهل السنة والحسين النجار وأصحابه وبشر ابن غياث المريسي وأبو بكر بن عبد الرحمن ابن كيسان الاصم البصري وغيلان ابن مروان الدمشقي القدري ومحمد بن شبيب ويونس بن عمران وأبو العباس الناشي والاشعري وأصحابه ومحمد بن كرام واصحابه ان الكفار مخلدون فى النار وان المؤمنين كلهم فى الجنة وان كانوا اصحاب كبائر ماتوا مصرين عليها وأنهم طائفتان طائفة يدخلون النار ثم يخرجون منها أى من النار الى الجنة. وطائفة لا تدخل النار الا ان كل من ذكرنا قالوا لله عز وجل ان يعذب من شاء من المؤمنين اصحاب الكبائر بالنار ثم يدخلهم الجنة وله أن يغفر لهم ويدخلهم الجنة بدون أن يعذبهم. ثم افترقوا فقالت طائفة منهم وهو محمد بن شبيب ويونس والناشي ان عذب الله تعالى واحدا من اصحاب الكبائر عذب جميعهم ولا بد ثم ادخلهم الجنة. وان غفر لواحد منهم غفر لجميعهم ولا بد. وقالت طائفة بل يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء وان كانت ذنوبهم كثيرة مستوية وقد يغفر لمن هو اعظم جرما ويعذب من هو اقل جرما. وقال ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم يغفر لمن يشاء من اصحاب الكبائر ويعذب من يشاء منهم الا القاتل عمدا فانه مخلد فى النار ابدا وقالت طائفة منهم من لقى الله عز وجل مسلما تائبا من كل كبيرة او لم يكن عمل كبيرة قط فسيئاته كلها مغفورة وهو من أهل الجنة لا يدخل النار ولو بلغت سيئاته ماشاء الله ان تبلغ ومن لقى الله عز وجل وله كبيرة لم يتب منها فاكثر الحكم فى ذلك الموازنة فمن رجحت حسناته على كبائره وسيئاته فان كبائره كلها تسقط وهو من اهل الجنة لا يدخل النار وان استوت حسناته مع كبائره وسيئاته فهؤلاء اهل الاعراف ولهم وقفة ولا يدخلون النار ثم يدخلون الجنة ومن رجحت كبائره وسيآته بحسناته فهؤلاء مجازون بقدر ما رجح لهم من الذنوب فمن لفحة واحدة الى بقاء خمسين الف سنة فى النار ثم يخرجون منها الى الجنة بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبرحمة الله تعالى وكل من ذكرنا يجازون فى الجنة بعد بما فضل لهم من الحسنات واما من لم يفضل له حسنة من اهل الاعراف فمن دونهم وكل من خرج من النار بالشفاعة وبرحمة الله تعالى فهم كلهم سواء فى الجنة ممن رجحت له حسنة فصاعدا

﴿قال ابو محمد﴾ فاما من قال صاحب الكبيرة يخلد وصاحب الذنب كذلك فان حجتهم قول الله عز وجل * ألا إن اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * وقوله تعالى * من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار * وقوله تعالى * والذين كسبوا السيات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون * وقوله تعالى * ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها * وبقوله تعالى * ومن

يقتل

ارتفع بارتفاعه العلة بل ان صح فقد كانت العلة ارتفعت أولا لعلة أخرى حتى ارتفع المعلول واعلم ان الشيء كما يكون محدثا بحسب الزمان كذلك قد يكون محدثا بحسب الذات فان الشيء اذا كان له في ذاته أن لا يجب له وجوده بل هو باعتبار ذاته ممكن الوجود مستحق العدم لولا علته والذي بالذات يجب وجوده قبل الذي من غير الذات فيكون لكل معلول في ذاته أولا انه ليس ثم عن العلة وثانيا انه ليس فيكون كل (٣٩) معلول محدثا أي مستفيد الوجود من غيره وان كان مثلا في جميع الزمان موجودا مستفيدا لذلك الوجود عن موجد فهو محدث لانه وجوده من بعد لا وجوده بعدية بالذات وليس حدوثه انما هو في آن من الزمان فقط بل هو محدث في الدهر كله ولا يمكن أن يكون حادث بعد ما لم يكن في زمان الا وقد تقدمته المادة فانه قبل وجوده ممكن الوجود وامكان الوجود اما أن يكون معنى معدوما أو معنى موجودا ومحال أن يكون معدوما فان المعدوم قبل والمعدوم مع واحد وهو قد سبقه الامكان والقبل المعدوم موجود مع وجوده فهو اذا معنى موجود وكل معنى موجود فاما قائم لا في موضوع أو قائم في موضوع وكل ما هو قائم لا في موضوع فله وجود خاص لا يجب أن يكون به مضافا وامكان الوجود انما هو ما هو بالاضافة الى ما هو امكان وجود له فهو اذا معنى في موضوع وعارض لموضوع ونحن نسميه قوة الوجود ويسمى حامل قوة الوجود الذي فيه قوة وجود الشيء موضوعا وهيولى ومادة وغير ذلك فاذا كل حادث فقد تقدمته المادة كما تقدمه الزمان * المسئلة الخامسة في الكلي والواحد ولواحقهما قال المعنى الكلي بما هو طبيعة ومعنى كالانسان بما هو انسان شيء وبما هو واحد وكثير خاص أو عام شيء بل هذه المعاني عوارض تلزمه لا من حيث هو انسان بل من حيث هو في الذهن أو في الخارج

يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما * وقوله * ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيمة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن * وقوله تعالى * ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا * وقوله تعالى * ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة * الآية وقوله تعالى * ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس المصير * وقوله * انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا * الى قوله تعالى * ولهم في الآخرة عذاب عظيم * وقوله تعالى * الذين يأكلون الربا * الآية وذكروا احاديث صحت عن النبي صلى الله عليه وسلم في وعيد شارب الخمر وقاتل الهرة ومن قتل نفسه بسم اوحديد او تردى من جبل فانه يفعل ذلك به في جهنم خالدا ومن قتل نفسه حرم الله عليه الجنة واوجب له النار وذكروا ان الكبيرة تزيل اسم الايمان فبعضهم قال الى شرك وبعضهم قال الى كفر نعمة وبعضهم قال الى نفاق وبعضهم قال الى فسق قالوا فاذا ليس مؤمنا فلا يدخل الجنة لانه لا يدخل الجنة الا المؤمنون هذا كل ما احتجوا به ما نعلم لهم حجة اصلا غير ما ذكرنا واما من خص القاتل بالتخليد فانهم احتجوا بقوله تعالى * ومن يقتل مؤمنا متعمدا فقطوا واما من قطع باسقاط الوعيد عن كل مسلم فاحتجوا بقول الله تعالى * لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى * قالوا وهذه الآية مثبتة ان كل من توعده الله عز وجل على قتل او ربا او غير ذلك فانما هم الكفار خاصة لا غيرهم واحتجوا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله مخلصا من قلبه دخل الجنة وان سرق وان شرب الخمر على رغم انف أبي ذر وقول الله عز وجل * ان رحمة الله قريب من المحسنين * قالوا ومن قال لا اله الا الله محمد رسول الله فقد احسن فهو محسن فرحمة الله قريب منه ومن رحمه الله فلا يعذب وقالوا كما ان الكفر محبط لكل حسنة فان الايمان يكفر كل سيئة والرحمة والعفو اولى بالله عز وجل

(قال أبو محمد) هذا كل ما احتجوا به ما نعلم لهم حجة غير هذا اصلا او يدخل فيما ذكرنا ولا يخرج عنه وبالله تعالى التوفيق واما من قال ان الله تعالى يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وقد يعذب من هو اقل ذنوبا ممن يغفر له فانهم احتجوا بقول الله عز وجل * ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء * وبعموم قوله تعالى * يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء * وبقول رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس صلوات كتبهن الله على العبد من جاء بهن لم ينقص من حدودهن شيئا كان له عند الله عهد ان يدخله الجنة ومن لم يأت بهن لم يكن له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء غفر له وجعلوا الآيتين اللتين ذكرنا

* واذا قد عرفت ذلك فقد يقال كلى للانسانية بلا شرط وهو بهذا الاعتبار موجود بالفعل في اشياء وهو المحمول على كل واحد لا على انه واحد بالذات ولا على انه كثير وقد يقال كلى للانسانية بشرط أنهـا مقولة على كثيرين وهو بهذا الاعتبار ليس موجودا بالفعل فى الاشياء فبين ظاهر ان الانسـان الذى اكتنفته الاعراض المشخصة لم يكتنفه اعراض شخص آخر حتى يكون ذلك (٤٠) بعينه فى شخص زيد وعمرو فلا كلى عام في الوجود بل الكلى العام بالفعل انما هو فى العقل وهي الصـورة التى فى العقل كنقش واحد ينطبق عليه صورة وصورة ثم الواحد يقال لما هو غير منقسم من الجهـة التى قيل انه واحد ومنه مالا ينقسم فى الجنس ومنه ما لا ينقسم في النوع ومنه مالا ينقسم بالعرض العام كالغراب والقير فى السواد ومنه ما لا ينقسم بالمناسبة كنسبة العقل الى النفس ومنه مالا ينقسم فى العدد ومنه مالا ينقسم فى الحد والواحد بالعدد اما أن يكون فيه كثرة بالفعل فيكون واحـد بالتركيب والاجتماع واما أن لا يكون ولكن فيه كثرة بالقوة فيكون واحداً بالاتصال وان لم يكن فيه ذلك فهو الواحد بالعدد على الاطلاق وهو العدد الذي ما ورآء الواحد كما ذكرنا والكثير بالاضافة هو الذى يترتب بازائه القليل فاقل العدد اثنان وأما لواحق الواحد فالمشابهة هو اتحاد فى الكيفية والمساواة هو اتحاد فى الكمية والمجانسة اتحاد فى الجنس والمشاكلة اتحاد فى النوع والموازاة اتحاد فى الاجزاء والمطابقة اتحاد فى الاطراف والهو هو حال بين اثنين جعلا اثنين فى الوضع يصير بهما بينهما اتحاد بنوع ما وتقابل كل منها من باب الكثير متقابل * المسئلة السـادسة في تعريف واجب الوجود بذاته وانه لا يكون بذاته وبغيره معاً وانه لا كثرة فى ذاته بوجه وانه خير محض وحق وانه واحد من وجوه شتى ولا يجوز

فلا

قاضيتين على جميع الآيات التى تعلقت بها سائر الطوائف وقالوا الله الامر كله لا معقب لحكمه فهو يفعل مايشاء مالم تقم حجة غيرما ذكرنا

(قال ابو محمد) واما من قال بمثل هذا الا انه قال الله تعالى ان عذب واحدا منهم عذب الجميع وان غفر لواحد منهم غفر للجميع فانهم قدرية جنحوا بهذا القول نحو العدل ورأوا ان المغفرة لواحد وتعذيب من له مثل ذنوبه جور ومحاباة ولا يوصف الله عز وجل بذلك وأما من قال بالموازنة فانهم احتجوا فقالوا ان آيات الوعيد واخبار الوعيد التى احتج بها من ذهب مذهب المعتزلة والخوارج فانها لا يجوز ان تخص بالتعلق بها دون آيات العفو واحاديث العفو التى احتج بها من اسقط الوعيد وهى لا يجوز التعلق بها دون الآيات التى احتج بها من اثبت الوعيد بل الواجب جمع جميع تلك الآيات وتلك الاخبار وكلها حق وكلها من عند الله وكلها مجمل تفسيرها بآيات الموازنة واحاديث الشفاعة التى هى بيان لعموم تلك الآيات وتلك الاخبار وكلها من عند الله قالوا ووجدنا الله عز وجل قد قال * ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا * وقال تعالى * ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل * الاية وقال تعالى * فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره * وقال تعالى * وما كان الله ليضيع ايمانكم * وقال تعالى * فاذا هم جميع لدينا محضرون فاليوم لا تظلم نفس شيئا * الاية وقال تعالى * ليجزى الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب * وقال تعالى * وتوفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون * وقال تعالى لتجزى كل نفس بما تسعى * وقال تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى * الى قوله * الجزاء الاوفى * وقال تعالى * وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك * وقال تعالى * ليجزى الذين أساؤا بما عملوا الاية وقال تعالى * هنالك تبلو كل نفس ما اسلفت * وقال تعالى * وان كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم * وقال تعالى * وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله * الايه وقال تعالى * ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له * الاية وقال تعالى * وما تفعلوا من خير فلن تكفروه * وقال تعالى * ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما * وقال تعالى * انى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى * وقال تعالى * وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد * الى قوله تعالى * قال قرينه ربنا ما اطغيته ولـكن كان فى ضلال بعيد * الى قوله تعالى * وما انا بظلام للعبيد * وقال تعالى * فاما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضيه واما من خفت موازينه الى آخر السورة وقال تعالى * ان الحسنات يذهبن السيئات * وقال تعالى * ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت أعمالهم * وقال تعالى * من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة

أن يكون اثنان واجبي الوجود وفي اثبات واجب الوجود بذاته قال واجب الوجود معناه انه ضروري الوجود وممكن الوجود معناه انه ليس فيه ضرورة لا في وجوده ولا في عدمه ثم ان واجب الوجود قد يكون بذاته وقد لا يكون بذاته والقسم الاول هو الذي وجوده لذاته لا لشيء آخر والثاني هو الذي وجوده لشيء آخر أي شيء كان ولو وضع ذلك الشيء صار واجب الوجود مثل الاربعة واجبة الوجود لا بذاتها ولكن عند وضع اثنين (٤١) اثنين ولا يجوز أن يكون شيء واحد واجب الوجود بذاته وبغيره معا فانه ان رفع ذلك الغير لم يخل اما أن يبقى وجوب وجوده أو لم يبق فان بقي فلا يكون واجبا بغيره وان لم يبق فلا يكون واجبا بذاته فكل ما هو واجب الوجود بغيره فهو ممكن الوجود بذاته فان وجوب وجوده تابع لنسبة ما وهي اعتبار غير اعتبار نفس ذات الشيء فاعتبار الذات وحدها اما أن يكون مقتضيا لوجوب الوجود وقد أبطلناه وأما أن يكون مقتضيا لامتناع الوجود وما امتنع بذاته لم يوجد بغيره وأما أن يكون مقتضيا لامكان الوجود وهو الباقي وذلك انما يجب وجوده بغيره لانه ان لم يجب كان بعد ممكن الوجود لم يترجح وجوده على عدمه ولا يكون بين هذه الحالة والاولى فرق وان قيل تجددت حالة فالسؤال عنها كذلك ثم واجب الوجود بذاته لا يجوز أن يكون لذاته مبادي تجتمع فيتقوم منها

(٦ ـ فصل ـ فى الملل رابع) وجب الوجود لا أجزاء كمية ولا أجزاء حد سواء كانت كالمادة والصورة أو كانت على وجه آخر بان تكون أجزاء القول الشارح لمعنى اسمه يدل كل واحد منها على شيء هو في الوجود غير الآخر بذاته وذلك لان كل ما هذا صفته فذات كل جزء منه ليس هو ذات الآخر ولا ذات المجتمع وقد وضح أن الاجزاء بالذات أقدم من الكل فتكون العلة الموجبة للوجود علة الاجزاء ثم الكل ولا يكون شيء منها بواجب الوجود وليس يمكننا أن

فلا يجزى الا مثلها * وقال تعالى * اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم * فهذا نص كلامه يوم القيامة وهو القاضي على كل مجمل قالوا فنص الله عز وجل انه يضع الموازين القسط وانه لا يظلم احدا شيئا ولا مثقال حبة خردل ولا مثقال ذرة من خير ومن شر فصح ان السيئة لا تحبط الحسنة وان الايمان لا يسقط الكبائر ونص الله تعالى انه تجزى كل نفس بما كسبت وما عملت وما سعت وانه ليس لاحد الا ما سعى وانه سيجزى بذلك من أساء بما عمل ومن أحسن بالحسنى وانه تعالى يوفي الناس أعمالهم فدخل في ذلك الخير والشر وانه تعالى يجازي بكل خير وبكل سوء وعمل وهذا كله يبطل قول من قال بالتخليد ضرورة وقول من قال باسقاط الوعيد جملة لان المعتزلة تقول ان الايمان يضيع ويحبط وهذا خلاف قول الله تعالى انه لا يضيع ايمانا ولا عمل عامل منا وقالوا ان الخير ساقط بسيئة واحدة وقال تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات * فقالوا ان السيئات يذهبن الحسنات وقد نص تعالى أن الاعمال لا يحبطها الا الشرك والموت عليه وقال تعالى * من جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها * فلو كانت كل سيئة أو كبيرة توجب الخلود في جهنم وتحبط الاعمال الحسنة لكانت كل سيئة أو كل كبيرة كفرا ولتساوت السيئات كلها وهذا خلاف النصوص وعلمنا بما ذكرنا ان الذين قال الله تعالى فيهم * لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * هم الذين رجحت حسناتهم على سيئاتهم فسقط كل سيئة قدموها وصح ان قوله تعالى * ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار * هو فيمن رجحت كبائرهم حسناتهم وان السيئة الموجبة للخلود هي الكفر لان النصوص جاءت بتقسيم السيئات فقال تعالى * ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم فهذه سيئات مغفورة باجتناب الكبائر وقال تعالى * وجزاء سيئة سيئة . مثلها . وقال تعالى ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره . فاخبر تعالى ان من السيئات المجازى بها ما هو مقدار ذرة ومنها ما هو أكبر ولا شك ان الكفر أكبر السيئات فلو كانت كل كبيرة جزاؤها الخلود لكانت كلها كفرا ولكانت كلها سواء وليست كذلك بالنص واما وعيد الله بالخلود في القاتل وغيره فلو لم يأت الا هذه النصوص لوجب الوقوف عندها لكنه قد قال تعالى . لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى . وكلامه تعالى لا يختلف ولا يتناقض وقد صح ان القاتل ليس كافرا وان الزاني ليس كافرا وان أصحاب تلك الذنوب المتوعد عليها ليسوا كفارا بما ذكرنا قبل من انهم مباح لهم نكاح المسلمات وانهم مأمورون بالصلاة والزكاة أموالهم مقبوضة وانهم لا يقتلون وانه ان عفي عن القاتل فهو مسلم فانه يقتل به وانه يرث ويورث وتؤكل ذبيحته فاذ ليس كافرا فيقين ندري ان خلوده انما هو مقام مدة ما وان الصلي(١) الذي نفاه الله تعالى عن كل من لم يكذب ولا تولى انما هو صلي الخلود لا يجوز البتة غير هذا وبهذا تتألف

(١) يقال صلى بالنار كرضي وصليها صليا كضرب وصليا وجثيا وبكيا واصطلى بها وتصلاها قاسى حرها

نقول ان الكل اقدم بالذات من الاجزاء فهو اما متأخر واما معا فقد اتضح أن واجب الوجود ليس بجسم ولا مادة فى جسم ولا صورة فى جسم ولا مادة معقولة لقبول صورة معقولة ولا صورة معقولة فى مادة معقولة ولا قسمة له لا فى الكم ولا فى المبادى ولا فى القول فهو واجب الوجود من جميع جهاته اذ هو واحد من كل وجه فلا جهة وجهه وأيضا فان قدر بان يكون واجبا من جهة ممكنا من جهة كان امكانه (٤٢) متعلقا بواجب فلم يكن واجب الوجود بذاته مطلقا فينبغى أن يتفطن من هذا ان واجب الوجود لا يتأخر عن وجوده وجود له منتظر بل كل ما هو ممكن له فهو واجب له فلا له ارادة منتظرة ولا علم منتظر ولا طبيعة ولا صفة من الصفات التى تكون بذاته منتظرة وهو خير محض وكمال محض والخير بالجملة هو ما يتشوقه كل شىء ويتم به وجود كل شىء والشر لا ذات له بل هو أما عدم جواهر أو عدم صلاح حال الجوهر فالوجود خيرية وكمال الوجود كمال الخيرية والوجود الذى لا يقارنه عدم لا عدم جوهر ولا عدم حال للجوهر بل هو دائما بالفعل فهو خير محض والممكن بذاته ليس خيرا محضا لان ذاته يحتمل العدم وواجب الوجود هو حق محض لان حقيقة كل شىء خصوصية وجوده الذى يثبت له فلا أحق اذا من واجب الوجود وقد يقال حق أيضا فيما يكون الاعتقاد به او جوده صادقا فلا أحق بهذه الصفة مما يكون الاعتقاد او جوده صادقا ومع صدقه دائما ومع دوامه لذاته لا لغيره وهو واحد محض لانه لا يجوز أن يكون دس نوع واجب الوجود لغير ذاته لان وجود نوعه له فيه أما أن يقتضيه ذات نوعه او لا يقتضيه ذات نوعه بل يقتضيه علة فان كان وجود نوعه مقتضى ذات نوعه لم يوجد الا له وان كان لعلة فهو معلول فهو اذا تام فى وحدانيته وواحد من جهة تمامية وجوده وواحد من جهة ان حده له وواحد من جهة انه لا ينقسم بالكم ولا بالمبادى المقومة له ولا باجزاء الحد وواحد من

النصوص وتتفق ومن المعهود فى المخاطبة ان من وفد من بلد الى بلد يحبس فيه لامر أوجب احتباسه فيه مدة ما فانه ليس من أهل ذلك البلد الذى حبس فيه فمن دخل فى النار ثم أخرج منها فقد انقطع عنه صليها فليس من أهلها وانما أهلها وأهل صليها على الاطلاق والجملة هم الكفار المخلدون فيها أبدا هكذا جاء فى الحديث الصحيح فقد ذكر عليه السلام فيه من يدخل النار بذنوبه ثم يخرج منها ثم قال صلى الله عليه وسلم واما أهل النار الذين هم أهلها يعنى الكفار المخلدين فيها وقد قال عز وجل . وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا . فقد بين عليه السلام ذلك بقوله فى الخبر الصحيح ثم يضرب الصراط بين ظهرانى جهنم فالقرآن وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم صح ان عمر الناس من يحشرهم الى الجنة انما هو بخوضهم وسط جهنم وينجى الله أولياءه من حرها وهم الذين لا كبائر لهم أو لهم كبائر تابوا عنها او رجحت حسناتهم كبائرهم او تساوت كبائرهم وسيئاتهم بحسناتهم وانه تعالى يمحص من رجحت كبائره وسيئاته بحسناته ثم يخرجهم عنها الى الجنة بايمانهم ويمحق الكفار بتخليدهم فى النار كما قال تعالى . وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين . وايضا فان كل آية وعيد وخبر وعيد تعلق به من قال بتخليد المذنبين فان المحتجين بتلك النصوص هم اول مخالف لها لانهم يقولون ان من يأتى بتلك الكبائر ثم تاب سقط عنه الوعيد فقد تركوا ظاهر تلك النصوص فان قالوا انما قلنا ذلك لنصوص أخر اوجبت ذلك قيل لهم نعم وكذلك فعلنا بنصوص آخر وهى آيات الموازنة وانه تعالى لا يضيع عمل عامل من خير او شر ولا فرق ويقال لمن اسقط آيات الوعيد جملة وقال انما كلها انما جاءت فى الكفار ان هذا باطل لان نص القرآن بالوعيد على الفار من الزحف ليس الا على المؤمن بيقين بنص الاية فى قوله تعالى . ومن يولهم يومئذ دبره . ولا يمكن ان يكون هذا فى كافر اصلا فسقط قول من قال بالتخليد وقول من قال باسقاط الوعيد ولم يبق الا قول من اجمل جواز المغفرة وجوز العقاب

﴿ قال أبو محمد ﴾ فوجدنا هذا القول مجملا قد فسرته آيات الموازنة وقوله تعالى الذى تعلقوا به * ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء * حق على ظاهرها وعلى عمومها وقد فسرتها ما قررناه آيات أخر لانه لا يختلف فى ان الله تعالى يغفر ان يشرك به لمن تاب من الشرك بلا شك وكذلك قوله تعالى * ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء . فهذا كله حق الا انه قد بين من هم الذين شاء ان يغفر لهم فان صرتم الى بيان الله تعالى فهو الحق وان ابيتم الا الثبات على الاجمال فاخبرونا عن قول الله تعالى . ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا وقوله تعالى . بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء . أترون ان هذا العموم تقولون به فتجيزون انه يغفر الكفر لانه

جهة ان لـكل شيء وحدة محضة وبهاكال حقيقته الذاتية وواحد من جهة انمرتبته من الوجود وهو وجوب الوجود ليس الا له فلا يجوز اذا أن يكون اثنان كل واحد منهما واجب الوجود بذاتة فيكون وجوب الوجود مشتركا فيه على أن يكون جنسا أو عارضا ويقع الفصل بشيء آخر اذ يلزم التركيب فى ذات كل واحد منهما بل ولاتظن أنه موجود وله ماهية وراء الوجود كطبيعة الحيوان واللون مثلا الجنسين الذين يحتاجان الى فصل وفصل حتى يتقررا في وجودهما لان تلك الطبائع معلومة وانما يحتاجان لافى نفس الحيوانية واللونية المشتركة بل فى الوجود وها هنا فوجوب الوجود هو الماهية وهو مكان الحيوانية التى لايحتاج الى فصل فى ان يكون موجودا ولا يظن ان يكون حيوانا بل فى ان يكون موجودا ولا يظن ان واجبى الوجود لا يشتركان فى شيء ما كيف وهما مشتركان فى وجوب الوجود ومشتركان فى البراءة عن الموضوع فان كان واجب الوجود يقال عليهما بالاشتراك فكلامنا ليس فى منع كثرة اللفظ والاسم بل فى معنى واحد هي معاني ذلك الاسم وان كان بالتواطؤ فقد حصل معنى عام عموم لازم أو عموم جنس وقد بينا استحالة هذا وكيف يكون عموم وجوب الوجود لشيئين على سبيل اللوازم التى تعرض من خارج واللوازم معلومة وأما اثبات واجب الوجود فليس يمكن الا ببرهان ان وهو الاستدلال بالممكن عن الواجب فنقول كل جملة من حيث انها جملة سواء كانت متناهية أو غير متناهية اذا كانت مركبة من ممكنات فانها لا تخلوا اما ان كانت واجبة بذاتها أو ممكنة بذاتها فان كانت واجبة الوجود بذاتها وكل واحد منها ممكن الوجود يكون واجب الوجود يتقوم بممكنات الوجود هذا خلف وان كانت ممكنة الوجود بذاتها فالجملة محتاجة فى الوجود الى مفيد للوجود فاما ان يكون المفيد خارجا عنها أو داخلا فيها فان كان داخلا فيها

دنب من الذنوب ام لا واخبرونا عن قول الله عز وجل حاكيا عن عيسى عليه السلام انه يقول له تعالى يوم القيامة . ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى ان اقول ماليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك . الى قوله . وانت على كل شيء شهيد . الى قوله تجرى من تحتها الانهار أيدخل النصارى الذين اتخذوا عيسى وامه الهين من دون الله تعالى فى جوار المغفرة لهم لصدق قول الله تعالى فى هذا القول من التخيير بين المغفرة لهم او تعذيبهم فا خبرونا عن قوله تعالى . قال عذابي اصيب به من اشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة . فمن قولهم ان المغفرة لاتكون البتة لمن كفر ومات كافرا وانهم خارجون من هذا العموم ومن هذه الجملة بقوله تعالى . ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء . قيل لهم ولم خصصتم هذه الجملة بهذا النص ولم تخصصوا قوله تعالى . ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء . بقوله . فاما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية واما من خفت موازينه فامه هاوية . وبقوله تعالى . هل تجزون الا ما كنتم تعملون . وبقوله تعالى . اليوم تجزي كل نفس بما كسبت . وهذا خبر لانسخ فيه فان قالوا نعم الا ان يشاء ان يغفر لهم قيل لهم قد اخبر الله تعالى انه لايشاء ذلك باخباره تعالى انه فى ذلك اليوم يجزى كل نفس بما كسبت ولا فرق

(قال أبو محمد) وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل يأتى يوم القيمة وله صدقة وصيام وصلاة فيوجد قد سفك دم هذا وشتم هذا فتؤخذ حسناته كلها فيقتص لهم منها فاذا لم يبق له حسنة قذف من سيآتهم عليه ورمى فى النار وهكذا اخبر عليه السلام فى قوم يخرجون من النار حتى اذا نقوا وهذبوا ادخلوا الجنة وقد بين عليه السلام ذلك انه يخرج من النار من فى قلبه مثقال حبة من شعير من خير ثم من فى قلبه مثقال برة من خير ثم من فى قلبه مثقال حبة من خردل ثم من فى قلبه مثقال ذرة الى ادنى ادنى ادنى من ذلك ثم من لم يعمل خيرا قط الا شهادة الاسلام فوجب الوقوف عند هذه النصوص كلها المفسرة للنص المجمل ثم يقال اخبرونا عمن لم يعمل شرا قط الا اللمم ومن هم بالشر فلم يفعله فمن قول اهل الحق انه مغفور له جملة بقوله تعالى * الا اللمم * وبقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تجاوز لامتى عما حدثت به انفسها مالم تخرجه بقول او عمل

(قال ابو محمد) وهذا ينقسم أقساما احدها من هم بسيئة اى شيء كانت من السيآت ثم تركها مختارا لله تعالى فهذا تكتب له حسنة فان تركها مغلوبا لا مختارا لم تكتب له حسنة ولا سيئة تفضلا من الله عز وجل ولو عملها كتبت له سيئة واحدة ولو هم بحسنة ولو يعملها كتبت له حسنة واحدة ان عملها كتبت له عشر حسنات وهذا كله نص رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ناظرت بعض المنكرين لهذا فذهب الى ان الهم بالسيئة اصرار عليها فقلت له

ويكون واحد منها واجب الوجود وكان كل واحد منها ممكن الوجود هذا خلف فتبين ان المفيد يجب ان يكون خارجا عنها وذلك هو المطلوب المسئلة السادسة فى ان واجب الوجود عقل وعاقل ومعقول وانه يعقل ذاته والاشياء وصفاته الايجابية والسلبية لا توجب كثرة فى ذاته وكيفية صدور الافعال عنه قال المعلم يدل على كل مجرد من المادة واذا كان مجردا بذاته فهو عقل لذاته وواجب الوجود مجرد بذاته عن المادة فهو عقل لذاته وبما يعتبر له ان الجردة لذاته فهو معقول لذاته وربما يعتبر له ان ذاته له هوية مجردة فهو عاقل لذاته وكونه عاقلا ومعقولا لا يوجب ان يكون اثنين فى الذات ولا اثنين فى الاعتبار فانه ليس تحصيل الامرين الا انه له ماهية مجردة وانه ماهية مجردة ذاته له وهاهنا تقديم وتأخير فى ترتيب المعانى فى عقولنا والغرض المحصل هو شيء واحد وكذلك عقلنا لذاتنا هو نفس الذات واذا عقلنا شيئا فلسنا نعقل ان نعقل بعقل اخرى لان ذلك يؤدى الى التسلسل ثم لما لم يكن جمال وبهاء فوق ان يكون الماهية عقلية صرفة وخيرية محضة برية عن المواد وانحاء النقص واحدة من كل جهة ولم يسلم لذلك نكتهـه الا واجب الوجود فهو الجمال المحض والبهاء المحض وكل جمال وبهاء وملائم وخير فهو محبوب معشوق وكل ما كان الادراك أشد اكتناها والمدرك أجمل ذاتا فحب القوة المدركة له وعشقه له والتذاذه به كان أشد وأكثر فهو أفضل مدرك لأفضل الآخر مدرك وهو عاشق لذاته ومعشوق لذاته عشق من غيره أو لم يعشق وأنت تعلم أن ادراك العقل المعقول أقوى من من ادراك الحس المحسوس لان العقل انما يدرك الامر الباقى ويتحد به ويصير هو هو ويدركه بكنهه لا بظاهره ولا كذلك الحس واللذة التى لنا بان نعقل فوق الذى بان نحس لكنه قد يعرض ان يكون القوة الداركة لا تلتذ بالملائم

هذا خطأ لان الاصرار لا يكون الا على ما عقد عليه المرء بعد تماد عليه ان يفعله واما من هم بما لم يفعل بعد فليس اصرارا قال الله تعالى * ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون * ثم نسألهم عمن عمل بالسيئات حاشا الكبائر عددا عظيما ولم يأت كبيرة قط ومات على ذلك أيجوزون ان يعذبه الله تعالى على ما عمل من السيئات أم يقولون أنها مغفورة له ولا بد فان قالوا أنها مغفورة ولا بد صدقوا وكانوا قد خصوا قوله تعالى ويغفر مادون ذلك لمن يشاء وتركوا حمل هذه الآية على عمومها فلا ينكروا ذلك على من خصها ايضا بنص آخر وان قالوا بل جائز ان يعذبهم الله تعالى على ذلك اكذبهم الله تعالى بقوله * ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما * وعوذ بالله من تكذيب الله عز وجل ثم نسألهم عمن عمل من الكبائر ومات عليها وعمل حسنات رجحت بكبائره عند الموازنة أيجوزون ان يعذبه الله تعالى بما عمل من تلك الكبائر ام هي مغفورة له ساقطة عنه فان قالوا بل هي مغفورة وساقطة عنه صدقوا وكانوا قد خصوا عموم قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وجعلوا هؤلاء ممن شاء ولا بد ان يغفر لهم وان قالوا بل جائز ان يعذبهم أكذبهم الله تعالى بقوله فاما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية . وبقوله ان الحسنات يذهبن السيئات .

(قال أبو محمد) وكذلك القول فيمن تساوت حسناته وكبائره وهم أهل الاعراف فلا يعذبون أصلا فقد صح يقينا ان هؤلاء الطبقات الاربع هم الذين شاء الله تعالى ان يغفر لهم بلا شك فبقي الذين لم يشأ الله تعالى ان يغفر لهم ولم يبق من الطبقات احد الا من رجحت كبائره فى الموازنة على حسناته فهم الذين يجازون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون من النار بالشفاعة ورحمة الله عز وجل فقالوا من هؤلاء من لم يغفر الله تعالى له وهم من هذه قلنا لهم اعندكم بهذا البيان نص وهم لا يجدونه ابدا وظهر تحكمهم بلا برهان وجهلهم بجميع الآيات التى تعلقوا بها فانهم مقرون على انها ليست على عمومها بل هي مخصوصة لان الله تعالى قال ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ولا خلاف فى انه تعالى يغفر الشرك لمن آمن فصح انها جملة تفسرها سائر الآيات والاخبار وكذلك حديث عبادة خمس صلوات كتبهن الله تعالى على العباد من جاء بهن لم ينقص من حدودهن شيئا كان له عند الله عهد ان يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ان شاء غفر له وان شاء عذبه فانهم متفقون على ان من جاء بهن لم ينتقص من حدودهن شيئا الا أنه قتل وزنى وسرق فانه قد يعذب ويقولون ان لم يأت بهن فانه لا يعذب على التأبيد بل يعذب ثم يخرج عن النار

(قال ابو محمد) هذا ترك منهم ايضا لظاهر هذا الخبر

(قال ابو محمد) ولا فرق بين قول الله تعالى * فاما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية وبين قوله واما من خفت موازينه فامه هاوية كلاهما سواء ان جاز ابطال أحدهما جاز ابطال

الاخر ومعاذ الله من هذا القول وكذلك قد منع الله تعالى من هذا القول بقوله تعالى . لا تختصموا لدى وقد قدمت اليكم بالوعيد ما يبدل القول لدى وما انا بظلام للعبيد . ونحن نقول ان الله تعالى يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وانه تعالى يغفر مادون الشرك لمن يشاء وان كل احد فهو في مشيئة الله تعالى الا انا نقول انه تعالى قد بين من يغفر له ومن يعذب وان الموازين حق . الموازنة حق . الشفاعة حق وبالله تعالى التوفيق حدثنا محمد بن سعيد بن نبات حدثنا احمد بن عبد البصير حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا محمد بن عبد السلام الخشني حدثنا محمد بن المثنى حدثنا وكيع بن الجراح حدثنا سفيان الثوري عن خالد الحذاء عن مجاهد عن ابن عباس في قول الله تعالى . واما لموفوهم نصيبهم غير منقوص قال ما وعدوا فيه من خير وشر وهذا هو نص قولنا وقد ادعى قوم ان خلاف الوعيد حسن عند العرب وانشدوا

واني وان اوعدته او وعدته . لمخلف ايعادي ومنجز موعدي

(قال ابو محمد) وهذا الشيء قد جعل فخر من احمق كافر حجة على الله تعالى والعرب تفتخر بالظلم قال الراجز احيا اباه هاشم بن حرمله . ترى الملوك حوله مغربله

يقتل ذا الذنب ومن لا ذنب له

وقد جعلت العرب تخلف الوعد كذا قال الشاعر انشده ابو عبيدة معمر بن المثنى

اتوعدني وراء بني رياح . كذبت لتقصرن يداك دوني

فان قالوا حصوا وعيد الشرك بالموازنة قلنا لا يجوز لان الله تعالى منع من ذلك قال تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم . فمن حبط عمله فلا خير له

(قال ابو محمد) وأهل النار متفاضلون في عذاب النار فاقلهم عذابا ابو طالب لعنه توضع جمرتان من نار في اخمصيه الى ان يبلغ الامر الى قوله تعالى . ادخلوا آل فرعون أشد العذاب . وقوله تعالى . ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار . ولا يكون الاشد الا الى جنب الادون وقال تعالى ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر .

(قال ابو محمد) والكفار معذبون على المعاصي التي عملوا من غير الكفر برهان ذلك قول الله سبحانه وتعالى . ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى اتانا اليقين . فنص تعالى على ان الكفار يعذبون على ترك الصلاة وعلى ترك الطعام للمسكين

(قال أبو محمد) وأما من عمل منهم العتق والصدقة اونحو ذلك من اعمال البر فحابط كل ذلك لان الله عز وجل قال انه من مات وهو كافر حبط عمله لكن لا يعذب الله احدا الا على ما عمل لا على ما لم يعمل قال الله تعالى . هل تجزون الا ما كنتم تعملون . فلما كان من لا يطعم المسكين من الكفار يعذب على ذلك عذابا زائدا فالذي اطعم المسكين مع كفره لا

لعوارض كالمرور بستمر النسل لعارض واعلم ان واجب الوجود ليس يجوز ان يعقل الاشياء من الاشياء والا فذاته اما متقومة بما يعقل او عارض لها ان يعقل وذلك محال بل كما انه مبدأ كل وجود فيعقل من ذاته ما هو مبدأ له وهو مبدأ للموجودات التامة باعيانها والموجودات الكائنة الفاسدة بانواعها أولا وبتوسط ذلك أشخاصها ولا يجوز ان يكون عاقلا لهذه المتغيرات مع تغيرها حتى يكون تارة يعقل منها انها موجودة غير معدومة وتارة لا أي معدومة غير موجودة ولكل واحد من الامرين صورة عقلية على حدة لا واحد من الصورتين يبقى مع الثانية فيكون واجب الوجود متغير الذات بل واجب الوجود انما يعقل كل شيء على نحو كلي ومع ذلك فلا يعزب عنه شيء شخصي ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وهذه من العجائب التي يحوج تصورها الى لطف قريحة واما كيفية ذلك فلانه اذا عقل ذاته وعقل انه مبدأ كل موجود عقل أوائل الموجودات وما يتولد عنها ولا شيء من الاشياء يوجد الا وقد صار من جهة ما يكون واجبا بسببه وتكون الاسباب بتصادمها تتأدى الى أن يوجد عنها الامور الجزئية فالاول يعلم الاسباب ومطابقاتها فيعلم ضرورة ما تتأدى اليه وما بينها من الازمنة وماله من العودات فيكون مدركا للامور الجزئية من حيث هي كلية أعني من حيث لها صفات وان تخصصت بها شخصا فبالاضافة الى زمان متشخص او حال متشخصة ويعقل ذاته ونظام الخير الموجود في الكل ونفس مدركة من الكل هو سبب لوجود الكل ومبدأته وأبداع وايجاد ولا يستمد هذا من الصورة المعقولة التي تحدث فينا فتصير سببا للصورة الموجودة الصناعية ولو كانت نفس وجودها كافية لان يتكون منها الصورة الصناعية دون آلات وأسباب لكان المعقول عندنا هو بعينه الارادة والقدرة وهو العقل المقتضي لوجوده فواجب الوجود ليس ارادته وقدرته مغايرة لعلمه لكن القدرة التي له هي كون ذاته عاقلة للكل عقلا هو مبدأ الكل

لاماخوذ عن الكل ومبدأ بذاته لامتوقفاعلى غرض وذلك هو ارادته وجواد بذاته وذلك هو بعينه قدرته وارادته وعلمه فالصفات منها ماهو بهذه الصفة انه موجود مع هذه الاضافة ومنها هذا الوجود مع سلب كمن لم يتحاش عن اطلاق لفظ الجوهر لم يعن به الا هذا الوجود مع سلب الكون في موضوع وهو واحد أي مسلوب عنه القسمة بالكم أو القول والمسلوب عنه الشريك وهو عقل وعاقل (٤٦) ومعقول أي مسلوب عنه جواز علاقة المادة وعلايقها مع اعتبار اضافة ما وهو أول

أى مسلوب عنه الحدوث مع اضافة وجوده الى الكل وهو مريد أى واجب الوجود مع عقليته أى سلب المادة عنه مبدأ لنظام الخير كله وجواد أى هو بهذه الصفة بزيادة سلب أى لا ينحوا غرضا لذاته فصفاته أما اضافية محضة واما مؤلفة من اضافة وسلب وأما سلبية محضة وذلك لايوجب تكثرا في ذاته قال واذا عرفت انه واجب الوجود وانه مبدأ لكل موجود فما يجوز أن يوجد عنه يجب أن يوجد وذلك لان الجائز ان يوجد وان لايوجد اذا تخصص بالوجود احتاج الى مرجح لجانب الوجود والمرجح اذا كان على الحال الذي كان قبل الترجيح ولم يعرض البتة شيء فيه ولا مباين عنه يقتضي الترجيح في هذا الوقت دون وقت قبله أو بعده وكان الامر على ما كان لم يكن مرجح اذا كان التعطل عن الفعل والفعل عنده بمثابة واحدة فلا بد وان يعرض له شيء وذلك

لايخلوا مان يعرض في ذاته وذلك يوجب التغير وقد قدمنا أن واجب الوجود لايتغير ولا يتكثر وأما ان يعرض مباينا عن ذاته والكلام في ذلك المباين كالكلام في سائر الافعال قال والعقل الصريح الذي لم يكذب يشهد ان الذات الواحدة اذا كانت من جميع جهاتها واحدة وهي كما كانت وكان لايوجد عنها شيء فيما قبل وهي الآن كذلك فالآن لايوجد عنها شيء فاذا صار الان يوجد منها شيء فقد حدث أمر لامحالة من قصد أو ارادة أو طبع أو قدرة او تمكن

يعذب ذلك العذاب الزائد فهو أقل عذابا لانه لم يعمل من الشر ما عمل من هو أشد عذابا لانه عمل خيرا

(قال ابو محمد) وكل كافر عمل خيرا وشرا ثم اسلم فان كل ما عمل من خير مكتوب مجازى به في الجنة وأما ما عمل من شر فان تاب عنه مع توبته من الكفر سقط عنه وان تمادى عليه أخذ بما عمل في كفره وبما عمل في اسلامه برهان ذلك حديث حكيم بن حزام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يارسول الله اشياء كنت اتحنث بها في الجاهلية من عتق وصدقة وصلة رحم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلمت على ما سلف لك من خير فاخبر انه خير وانه له اذا اسلم وقالت له عائشة رضي الله عنها يارسول الله أرأيت ابن جدعان فانه كان يصل الرحم ويقري الضيف أينفعه ذلك قال لا لانه لم يقل يوما . رب اغفر لى خطيئتي يوم الدين . فاخبر عليه السلام انه لم ينتفع بذلك لانه لم يسلم فاتفقت الاخبار كلها على انه لو اسلم لنفعه ذلك واما مؤاخذته بما عمل فحديث ابن مسعود رضي الله عنه نص ما قلنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قلنا فان اعترض معترض بقول الله تعالى * لئن اشركت ليحبطن عملك . قلنا اعاذه المؤمنات مشركا فقط برهان ذلك ان الله تعالى قال لئن اشركت ليحبطن عملك * ومن أسلم فليس من الخاسرين وقد بين ذلك بقوله * ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت أعمالهم * وان اعترضوا فيما قلنا من المؤاخذة بما عمل في الكفر بقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف قلنا لهم هذا حجة لنا لان من انتهى عن الكفر غفر له وان انتهى عن الربا غفر له وان لم ينته عن الربا لم يغفر له فانما يغفر له ما انتهى عنه ولم يغفر له مالم ينته عنه ولم يقل تعالى ان ينتهوا عن الكفر يغفر لهم سائر ذنوبهم والزيادة على الاية كذب على الله تعالى وهي اعمال متغايرة كما ترى ليست التوبة عن بعضها توبة عن سائرها ولكل واحد منها حكم فان ذكروا حديث عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم الاسلام يجب ما قبله فقد قلنا ان الاسلام اسم لجميع الطاعات فمن اصر على المعصية فليس فعله في المعصية التي يتمادى عليها اسلاما ولا ايمانا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن فصح ان الاسلام والايمان هو جميع الطاعات فاذا أسلم من الكفر وتاب من جميع معاصيه فهو الاسلام الذي يجب ما قبله واذا لم يتب من معاصيه فلم يحسن في الاسلام فهو ماخوذ بالاول والآخر كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وبهذا تتفق الاحاديث وكذلك قوله عليه السلام والهجرة تجب ما قبلها فقد صح عنه عليه السلام ان المهاجر من هجر مانهاه الله عنه فمن تاب من جميع المعاصي التي سلفت منه فقد هجر مانهاه الله عنه وهذه هي الهجرة التي تجب ما قبلها واما قوله عليه السلام والحج يجب ما قبله فقد جاء ان العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا

الجنة

او غرض ولان الممكن أن يوجد وان لا يوجد لا يخرج الى الفعل ولا يترجح له ان يوجد الا بسبب واذا كانت هذه الذات موجودة ولا ترجح ولا يجب عنها الترجيح ثم رجع فلابد من حادث موجب للترجيح فى هذه الذات والا كانت نسبتها الى ذلك الممكن على ما كان قبل ولم تحدث لها نسبة اخرى فيكون الامر بحاله ويكون المكان امكانا صرفا بحاله واذا حدثت لها نسبة فقد حدث أمر ولابد من أن يحدث فى ذاته أو مباين عن ذاته وقد (٤٧) بينا استحالة ذلك وبالجملة فانا نطلب النسبة الموقعة لوجود كل حادث في ذاته أو مباين عن ذاته ولا نسبة اصلا فيلزم ان لا يحدث شىء أصلا وقد حدث فيعلم انه انما حدث بايجاب من ذاته وانه سبقه لا بزمان ووقت ولا تقدير زمان بل سبقا ذاتيا من حيث أنه هو الواجب لذاته وكل ممكن بذاته فهو محتاج الى الواجب لذاته فالممكن مسبوق بالواجب فقط والمبدع مسبوق بالمبدع فقط لا بالزمان * المسئلة الثامنة فى ان الواحد لا يصدر عنه الا واحد وفى ترتيب وجود العقول والنفوس والأجرام العلويه وان المحرك القريب للسمويات نفس والمبدأ الابعد عقل وحال تكون الاستقصات عن العلل اذا صح ان واجب الوجود بذاته واحد من جميع جهاته فلا يجوز ان يصدر عنه الا واحد ولو لزم عنه شيئان متباينان بالذات والحقيقة لزوما معا فانما يلزمان عن جهتين مختلفتين فى ذاته ولو كانت الجهتان لازمتين لذاته فالسؤال فى لزومهما ثابت حتى يكونا من ذاته فيكون ذاته منقسما بالمعنى وقد منعناه وبينا فساده فتبين أن أول الموجودات عن الاول واحد بالعدد وذاته وماهيته واحدة لا فى مادة وقد بينا ان كل ذات لا فى مادة فهو عقل وانت تعلم ان فى الموجودات اجساما وكل جسم ممكن الوجود فى حيز نفسه وانه يجب بغيره وعلمت انه لا سبيل الى أن يكون عن الاول بغير واسطة وعلمت ان الواسطة واحدة فبالحرى أن يكون عنها المبدعات الثانية والثالثة

الجنة فهذا على الموازنة التى ربنا عز وجل عالم بمراتبها ومقاديرها وانما نقف حيث وقفنا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) واستدركنا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قاتل نفسه حرم عليه الجنة واوجب له النار مع قوله من قال لا اله الا الله مخلصا من قلبه حرم عليه النار واوجب له الجنه

(قال ابو محمد) قال الله تعالى * وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى * فصح ان كلامه صلى الله عليه وسلم كله وحى من عند الله تعالى وقال عز وجل * ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا * فصح ان ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن عند الله تعالى وانه لا اختلاف فى شىء منه وانه كله متفق عليه فاذ ذلك كذلك فواجب ضم هذه الاخبار بعضها الى بعض فيلوح الحق حينئذ بحول الله وقوته فمعنى قوله صلى الله عليه وسلم فى القاتل حرم الله عليه الجنة وأوجب له النار مبنى على الموازنة فان رجحت كبيرة قتله نفسه على حسناته حرم الله عليه الجنة حتى يقتص منه بالنار التى اوجبها الله تعالى جزاء على فعله وبرهان هذا الحديث الذي اسلم وهاجر مع عمرو بن الحممة الدوسى ثم قتل نفسه لجراح جرح به فتألم به فقطع عروق يده فنزف حتى مات فرآه بعض اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم في حال حسنة الا يديه فذكر له قيل له لن يصلح منك ما افسدت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم وليديه فاغفر ومعنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله مخلصا من قلبه حرم الله عليه النار واوجب له الجنة فهذا لا يختلف فيه مسلمان انه ليس على ظاهره منفرداً لكن بضمه الى غيره من الايمان لمحمد صلى الله عليه وسلم والبراءة من كل دين حاشا دين الاسلام ومعناه حينئذ ان الله عز وجل اوجب له الجنة ولابد اما بعد الاقتصاص واما دون الاقتصاص على ما توجبه الموازنة وحرم الله عليه ان يخلد فيها ويكون من اهلها القاطنين فيها على ما بينا قبل من قوله تعالى * لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى ومن يعمل سوءاً يجز به وما كان الله ليضيع ايمانكم وما تفعلوا من خير فلن تكفروه * وقوله تعالى * يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها * فنص الاية انها فى الكفار هكذا فى نص الاية

(قال ابو محمد) وأما الكبائر فان الله تعالى قال * ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم وندخلكم مدخلا كريما *

(قال ابو محمد) ومن المحال ان يحرم الله تعالى علينا امرا ويفرق بين احكامه ويجعل بعضه مغفورا باجتناب بعض ومؤاخذاً به ان لم يجتنب البعض الآخر ثم لا يبين لنا المهلكات من غيرها فنظرنا فى ذلك فوجدنا قوما يقولون ان كل ذنب فهو كبيرة

(قال أبو محمد) وهذا خطأ لان نص القرآن مفرق كما قلنا بين الكبائر وغيرها وبالضرورة

ندري انه لا يقال كبيرة الا بالاضافة الى ما هو أصغر منها والكبائر ايضا تتفاضل فالشرك اكبر مما دونه والقتل اكبر من غيره وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير وانه لكبير اما احدهما فكان لا يستبرئ من بوله واما الآخر فكان يمشي بالنميمة فاخبر عليه السلام انهما كبير وما هما بكبير وهذا بين لانهما كبيران بالاضافة الى الصغائر المغفورة باجتناب الكبائر وليسا بكبيرين بالاضافة الى الكفر والقتل

(قال ابو محمد) فبطل القول المذكور فنظرنا في ذلك فوجدنا معرفة الكبير من الذنوب مما ليس بكبير منها لا يعلم البتة الا بنص وارد فيها اذ هذا من احكام الله تعالى التي لا تعرف الا من عنده تعالى فبحثنا عن ذلك فوجدنا الله تعالى قد نص بالوعيد على ذنوب في القرآن وعلى لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجدنا ذنوبا أخر لم ينص عليها بوعيد فعلمنا يقينا ان كل ما توعد الله تعالى عليه بالنار او توعد عليه رسوله صلى الله عليه وسلم بالنار فهو كبير وكل ما نص عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم باستعظامه فهو كبير كقوله عليه السلام اتقوا السبع الموبقات الشرك والسحر والقتل والربا وذكر الحديث وكقوله عليه السلام عقوق الوالدين من الكبائر وكل ما لم يأت نص باستعظامه ولا جاء فيه وعيد بالنار فليس بكبير ولا يجوز ان يكون الوعيد بالنار على الصغائر على انفرادها لانها مغفورة باجتناب الكبائر فصح ما قلناه وبالله تعالى التوفيق

الموافاة

(قال أبو محمد) اختلف المتكلمون في معنى عبروا عنه بلفظ الموافاة وهم انهم قالوا في انسان مؤمن صالح مجتهد في العبادة ثم مات مرتدا كافرا وآخر كافر متمرد أو فاسق ثم مات مسلما تائبا كيف كان حكم كل واحد منهما قبل ان ينتقل الى ما مات عليه عند الله تعالى فذهب هشام ابن عمرو الفوطي وجميع الاشعرية الى ان الله عز وجل لم يزل راضيا عن الذي مات مسلما تائبا ولم يزل ساخطا على الذي مات كافرا او فاسقا واحتجوا في ذلك بان الله عز وجل لا يتغير علمه ولا يرضى ما سخط ولا يسخط ما رضي وقالت الاشعرية الرضا من الله عز وجل لا يتغير منه تعالى صفات الذات لا يزولان ولا يتغيران ( ) وذهب سائر المسلمين الى ان الله عز وجل كان ساخطا على الكافر والفاسق ثم رضي الله عنهما اذا أسلم الكافر وتاب الفاسق وانه كان تعالى راضيا عن المسلم وعن الصالح ثم سخط عليهما اذا كفر المسلم وفسق الصالح

(قال ابو محمد) احتجاج الاشعرية ههنا هو احتجاج اليهود في ابطال النسخ ولا فرق ونحن نبين بطلان احتجاجهم وبطلان قولهم وبالله تعالى التوفيق فنقول وبالله عز وجل نتأيد أما قولهم عن علم الله عز وجل لا يتغير فصحيح ولكن معلوماته تتغير ولم نقل ان علمه يتغير ومعاذ الله من هذا ولم يزل علمه تعالى واحدا يعلم كل شيء على تصرفه في جميع حالاته فلم

وغيرها بسبب اثنينية فيها ضرورة فالمعلول الاول ممكن الوجود بذاته وواجب الوجود بالاول ووجوب وجوده بانه عقل وهو يعقل ذاته ويعقل الاول ضرورة وليست هذه الكثرة له من الاول فان امكان وجوده له بذاته لا بسبب الاول بل له من الاول وجوب وجوده ثم كثرة انه يعقل الاول ويعقل ذاته كثرة لازمة لوجوب وجوده عن الاول وهذه كثرة ضافية ليست في أول وجوده وداخلة (٤٨) في مبدأ قوامه ولولا هذه الكثرة لكان لا يمكن أن يوجد منها الا واحدة ولكان يتسلسل الوجود من وحدات فقط فما كان يوجد جسم فالعقل الاول يلزم عنه بما يعقل الاول وجود عقل تحته وبما يعقل ذاته وجود صورة الفلك وكماله وهي النفس وطبيعة امكان الوجود الحاصلة له المندرجة فيما يعقله لذاته وجود جرمية الفلك الاعلى المندرجة في جملة ذات الفلك الاعلى بنوعه وهو الامر المشارك للقوة فبما يعقل الاول يلزم عنه عقل وبما يختص بذاته على جهتيه الكثرة الاولى بجزئيها أعني المادة والصورة والمادة بتوسط الصورة أو مشاركتها كما ان امكان الوجود يخرج الى الفعل بالفعل الذي يحاذي صورة الفلك وكذلك الحال في عقل عقل وفلك فلك الى أن ينتهي الى العقل الفعال الذي يدبر أنفسنا وليس يجب ان يذهب هذا المعنى الى غير النهاية حتى يكون تحت كل مفارق مفارق فانه ان لزم كثرة عن العقول فبسبب المعاني التي فيها من الكثرة وقولنا هذا ليس ينعكس حتى يكون كل عقل فيه هذه الكثرة فيلزم كثرته هذه المعلولات ولا هذه العقول متفقة الانواع حتى يكون مقتضى معانيها متفقا ومن المعلوم ان الافلاك كثيرة فوق العدد الذي في المعلول الاول فليس يجوز أن يكون مبدؤها واحدا هو المعلول الاول ولا أيضا يجوز أن يكون كل جرم متقدم منها علة للمتأخر لان الجرم بما هو جرم مركب من مادة وصورة فلو كان علة لجرم لكان بمشاركة المادة والمادة لها

طبيعة عدمية والعدم ليس مبدا للوجود فلا يجوز أن يكون جرم مبدأ للوجود فلا يجوز أن يكون جرم مبدأ لجرم ولا يجوز أن يكون مبدؤها قوة نفسانية هي صورة الجرم وكماله اذ كل نفس لكل فلك فهو كماله وصورته ليس جوهرا مفارقا والا كان عقلا وأنفس الافلاك انما يصدر عنها أفعالها في أجسام اخرى بواسطة اجسامها في مشاركتها وقد بينا ان الجسم من حيث هو جسم لا يكون مبدا الجسم ولا يكون متوسطا بين نفس ونفس ولو أن نفسا مبدأ (٤٩) النفس بغير توسط الجسم فلها انفراد

يزل يعلم أن زيدا سيكون صغيرا ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا ثم ميتا ثم مبعوثا ثم في الجنة أو في النار ولم يزل يعلم أنه سيؤمن ثم يكفر أو أنه يكفر ثم يؤمن أو أنه يكفر ولا يؤمن أو انه يؤمن ولا يكفر وكذلك القول في الفسق والصلاح ومعلوماته تعالى في ذلك متغيرة مختلفة ومن كابر هذا فقد كابر العيان والمشاهدات وأما قولهم أن الله تعالى لا يسخط ما رضي ولا يرضي ما سخط فباطل وكذب بل قد أمر الله تعالى اليهود بصيانة السبت وتحريم الشحوم ورضي لهم ذلك وسخط منهم خلافه وكذلك أحل لنا الخمر ولم يلزمنا الصلاة ولا الصوم برهة من زمن الاسلام ورضي لنا شرب الخمر واكل رمضان والبقاء بلا صلاة وسخط تعالى بلا شك المبادرة بتحريم ذلك كما قال تعالى * ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه ثم فرض علينا الصلاة والصوم وحرم علينا الخمر وسخط لنا ترك الصلاة واكل رمضان وشرب الخمر ورضي لنا خلاف ذلك وهذا لا ينكره مسلم ولم يزل الله تعالى عليما انه سيحل ما كان احل من ذلك مدة كذا وانه سيرضي منه ثم انه سيحرمه ويسخطه وانه سيحرم ما حرم من ذلك ويسخطه مدة ثم انه يحله ويرضاه كما علم عز وجل انه سيحيي من احياه مدة كذا وانه يعز من اعزه مدة ثم يذله وهكذا جميع ما في العالم من آثار صنعته عز وجل لا يخفى ذلك على من له ادنى حس وهكذا المؤمن يموت مرتدا والكافر يموت مسلما وان الله تعالى لم يزل يعلم انه سيسخطه فعل الكافر مادام كافرا ثم انه يرضى عنه اذا اسلم وان الله تعالى لم يزل يعلم انه يرضى عن افعال المسلم واعمال البر ثم انه يسخط اعماله اذا ارتد او فسق ونص القرآن يشهد بذلك قال تعالى * ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم * فصح يقينا ان الله تعالى يرضى الشكر ممن شكره فيما شكره ولا يرضى الكفر ممن كفر اذا كفر متى كفر كيف كان انتقال هذه الاحوال من الانسان الواحد وقوله تعالى * ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم * فبالضرورة يدري كل ذي حس سليم ان لا يمكن ان يحبط عمل الا وقد كان غير حابط ومن المحال ان يحبط عمل لم يكن محسوبا قط فصح ان عمل المؤمن الذي ارتد ثم مات كافرا انه كان محسوبا ثم حبط اذا ارتد وكذلك قال الله تعالى * يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب * فصح انه لا يمحو الا ما كان قد كتبه ومن المحال ان يمحى ما لم يكن مكتوبا وهذا بطلان قولهم يقينا ولله الحمد وكذلك نص قوله تعالى * أولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات فهذا نص قولنا وبطلان قولهم لان الله تعالى سمى اعمالهم الماضية سيئات والسيئات مذمومة عنده تعالى بلا شك ثم اخبر تعالى انه احالها وبدلها حسنات مرضية فمن انكر هذا فهو مكذب لله تعالى والله تعالى مكذب له وكذلك قال الله تعالى انه سخط اكل آدم من الشجرة وذهاب يونس مغاضبا ثم اخبر عز وجل انه تاب عليهما واجتبى يونس بعد ان لامه ولا يشك كل ذي عقل ان اللائمة غير الاجتباء

قوام من دون الجسم وليست النفس الفلكية كذلك فلا تفعل شيئا ولا تفعل جسما فان النفس متقدمة على الجسم في المرتبة والكمال فتعين الافلاك مبادي غير جرمانية وغير صور للاجرام والجميع يشترك في مبدأ واحد وهو الذي نسميه المعلول الاول والعقل المجرد ويختص كل فلك بمبدأ خاص فيه فيلزم دائما عقل عن عقل حتى يتكون الافلاك باجرامها ونفوسها وعقولها وينتهي بالفلك الاخير ويقف حيث يمكن أن تحدث الجواهر العقلية منقسمة متكثرة بالعدد تكثر الاسباب فكل عقل هو أعلى في المرتبة فانه بمعنى فيه وهو انه بما يعقل الاول يجب عنه وجود عقل آخر دونه وبما يعقل ذاته يجب عنه فلك بنفسه فاما جرم الفلك فمن حيث انه يعقل بذاته الممكن لذاته وانما نفس الفلك فمن حيث انه يعقل ذاته الواجب بغيره ويستقي

(٧ - فصل - في الملل رابع) الجرم توسط النفس الفلكية فان كل صورة هي علة لكون مادتها بالفعل والمادة بنفسها لا قوام لها كما أن الامكان بنفسه لا وجود له واذا استوفت الكرات السموية عددها لزم بعدها وجود الاستقصات ولما كانت الاجرام الاستقصية كائنة فاسدة وجب أن تكون مباديها متغيرة فلا يكون ما هو عقل محض وحده سببا لوجودها ولما كانت لها مادة مشتركة وصور مختلفة فيها وجب أن يكون اختلاف صورها مما تعين فيه اختلاف في أحوال الافلاك وأبقا

ومادتها مما تبين فيه اتفاق فى أحوال الافلاك فالافلاك لما اتفقت فى طبيعة اقتضى الحركة المستديرة كانتين كان مقتضاها وجود المادة ولما اختلفت فى أنواع الحركات كان مقتضاها تهيء المادة للصور المختلفة ثم العقول المفارقة بل آخرها الذى يلينا هو الذي يفيض عنه بمشاركة الحركات السموية شيء فيه رسم صور العالم الاسفل من جهة الانفعال كما ان فى ذلك العقل ارتسم الصور على جهة الفعل (٥٠) ثم يفيض منه الصور فيها بالتخصيص بمشاركة الاجرام السموية فيكون اذ خصص هذا الشيء تاثير من التاثيرات السموية بلا واسطة جسم عنصرى أو بواسطة تحمله على استعداد خاص به بعد العام الذى كان فى جوهره فاض عن هذا المفارق صورة خاصة وارتسمت فى تلك المادة وأنت تعلم أن الواحد لا يخصص الواحد من حيث كل واحد منهما واحد بامر دون أمر يكون له الا ان يكون هناك مخصصات مختلفة وهى معدات المادة والمعد هو الذي يحدث عنه فى المستعد أمر ما يصير مناسبته لشيء بعينه أولى من مناسبته لشيء بعينه أولى من مناسبته لشيء آخر ويكون هذا الاعداد مرجحا لوجود ما هو أولى منه من الاوائل الواهبة للصور ولو كانت المادة على التهيء الاول تشابهت نسبتها الى الصدين فلا يجب أن تختص بصورة دون صورة قال والاشبه أن يقال ان المادة التى تحدث بالشركة يفيض اليها من الاجرام السموية اما عن أربعة أجرام أو عدة

محصرة فى أربع أو عن جرم واحد وله تكون بسبب مختلفة انقساما من الاسباب   صلى

محصرة في أربع فتحدث منها العناصر الاربع وانقسمت بالخفة والثقل فما هو الخفيف المطلق فيميله الى الفوق وما هو الثقيل المطلق فيميله الى الاسفل وما هو الخفيف والثقيل بالاضافة فيهما وأما وجود المركبات من العناصر فتوسط الحركات السموية وسنذكر أقسامها وتوابعها وأما وجود الانفس الانسانية التى تحدث مع حدوث الابدان ولا تفسدها

(قال ابو محمد) ثم نقول لهم أفى الكافر كفر اذ كان كافرا قبل ان يؤمن وفى الفاسق فسق قبل ان يتوب وفى المؤمن ايمان قبل ان يرتد ام لا فان قالوا لا كابروا واحالوا وان قالوا نعم قلنا لهم فهل يسخط الله الكفر والفسق او يرضى عنهما فان قالوا بل يسخطهما تركوا قولهم وان قالوا بل يرضى عن الكفر والفسق كفروا وسألهم عن قتل وحشى حمزة رضي الله عنه ارضاء كان لله تعالى فان قالوا نعم كفروا وان قالوا بل ما كان الا سخطا فاسألهم يؤاخذه الله تعالى به اذا اسلم فمن قولهم لا وهكذا فى كل حسنة وسيئة فظهر فساد قولهم وبالله تعالى التوفيق وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

﴿ الكلام فى من لم تبلغه الدعوة ومن تاب عن ذنب اوكفر ثم رجع فيما تاب عنه ﴾

(قال ابو محمد) قال الله عز وجل * لانذركم به ومن بلغ * وقال تعالى * وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا * فنص تعالى ذلك على ان النذارة لا تلزم الا من بلغته لا من لم تبلغه وانه تعالى لا يعذب احدا حتى يأتيه رسول من عند الله عز وجل فصح بذلك ان من لم يبلغه الاسلام اصلا فانه لا عذاب عليه وهكذا جاء النص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يؤتى يوم القيامة بالشيخ الخرف والاصلع الاصم ومن كان فى الفترة والمجنون فيقول المجنون يارب أتاني الاسلام وانا لا أعقل و يقول الخرف والاصم والذى فى الفترة أشياء ذكرها فيوقد لهم نار و يقال لهم ادخلوها فمن دخلها وجدها بردا وسلاما وكذلك من لم يبلغه الباب من واجبات الدين فانه معذور لا ملامة عليه وقد كان جعفر بن ابى طالب واصحابه رضى الله عنهم بارض الحبشة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة والقرآن ينزل والشرائع تشرع فلا يبلغ الى جعفر واصحابه أصلا لانقطاع الطريق جملة من المدينة الى ارض الحبشة و بقوله كذلك ست سنين فما ضرهم ذلك في دينهم شيئا اذ عملوا بالمحرم وتركوا المفروض

(قال ابو محمد) ورأيت قوما يذهبون الى ان الشرائع لا تلزم من كان جاهلا بها ولا من لم تبلغه

(قال أبو محمد) وهذا باطل بل هي لازمة له لان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى الانس كلهم والى الجن كلهم والى كل من يولد اذ بلغ بعد الولادة

(قال ابو محمد) قال تعالى آمرا نبيه ان يقول * انى رسول الله اليكم جميعا * وهذا عموم لا يجوز ان يخص منه احدا وقال تعالى * أيحسب الانسان ان يترك سدى * فابطل سبحانه ان يكون احد سدى والسدى هو المهمل الذى لا يؤمر ولا ينهى فابطل عز وجل هذا الامر ولكنه معذور بجهله ومغيبه عن المعرفة فقط وان من بلغه ذكر النبي صلى الله عليه وسلم حيث ما كان من أقاصى الارض ففرض عليه البحث عنه فاذا بلغته نذارته ففرض عليه التصديق به واتباعه وطلب الدين اللازم له والخروج عن وطنه لذلك والا فقد استحق الكفر والخلود في النار والعذاب بنص القرآن وكل ما ذكرنا يبطل قول من قال من الخوارج ان فى حين بعث الى

كثيرة مع وحدة النوع والمعلول الاول الواحد بالذات فيه معاني متكثرة بها تصدر عنه العقول والنفوس كما ذكرنا ولا يجوز ان تكون تلك المعاني متكثرة متفقة النوع والحقائق حتى يصدر عنها كثرة متفقة النوع فانه يلزم أن تكون فيه مادة تشترك فيها صورة تخالف وتتكثر بل فيه معاني مختلفة الحقائق يقتضي كل معنى شيئا غير ما يقتضيه الآخر في النوع فلم يلزم كل واحد منهما ما يلزم الآخر فالنفوس الارضية كائنة عن المعلول (٥١) الاول بتوسط علة أو علل اخرى وأسباب من الامزجة والمواد وهى غاية ما ينتهى اليها الابداع ونبتدئ القول في الحركات واسبابها ولوازمها اعلم ان الحركة لا تكون طبيعية للجسم والجسم على حالته الطبيعية وكل حالة بالطبع فالحالة مفارقة للطبع غير طبيعية اذ لو كان شيء من الحركات مقتضى طبيعة الشيء لما كان باطل الذات مع بقاء الطبيعة بل الحركة انما يقتضيها الطبيعة لوجود حال غير طبيعته أما في الكيف وأما في الكم واما في المكان وأما في الوضع وأما مقولة اخرى والعلة في تجدد حركة بعد حركة تجدد الحال الغير الطبيعة وتقدير البعد عن الغاية فاذا كان الامر كذلك لم يكن حركة مستديرة عن طبيعة والا كانت عن حال غير طبيعية اذا وصلت اليها سكنت ولم يجز أن يكون فيها بعينها قصد الى تلك الحالة الغير الطبيعية لان الطبيعية ليست تعمل باختيار بل على سبيل تسخير وان كانت الطبيعية تحرك على الاستدارة فهى تحرك لا محالة اما عن اين غير طبيعي او وضع غير طبيعي هربا طبيعيا عنه وكل هرب طبيعي عن شيء فمحال أن يكون هو بعينه قصدا طبيعيا اليه والحركة المستديرة ليست تهرب عن شيء الا وتقصده فليست اذاً طبيعية الا انها قد يكون بالطبع وان لم تكن قوة طبيعية كان شيئا بالطبع وانما تحرك بتوسط الميل الذي فيه ونقول ان الحركة معنى متجدد النسب وكل شطر منه مختص بنسبة وانه لا ثبات له ولا يجوز ان يكون عن معنى ثابت البتة وحده ولو كان فيجب أن يلحقه ضرب من مثل

صلى الله عليه وسلم يلزم من في اقاصي الارض الايمان به ومعرفة شرائعه فان ماتوا في ذلك الحال ماتوا كفارا الى النار ويبطل هذا قول الله عز وجل * لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت * وليس في وسع احد علم الغيب فان قالوا فهذه حجة الطائفة القائلة انه لا يلزم احدا شيء من الشرائع حتى تبلغه قلنا لا حجة لهم فيها لان كل ما كلف الناس فهو في وسعهم واحتمال بنيتهم الا أنهم معذورون بمغيب ذلك عنهم ولم يكلفوا ذلك تكليفا يعذبون به ان لم يفعلوه وانما كلفوه تكليف من لا يعذبون حتى يبلغهم ومن بلغه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان له امرا من الحكم مجملا ولم يبلغه نصه ففرض عليه اجتهاد نفسه في طلب ذلك الامر والا فهو عاص لله عز وجل قال الله تعالى * فاسألوا أهل الذكر ان كنتم تعلمون * وبقوله تعالى * فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون * واما من تاب عن ذنب او كفر ثم رجع الى ما تاب عنه فانه ان كان توبته تلك وهو معتقد للعودة فهو عابث مستهزيء مخادع لله تعالى قال الله تعالى * يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم * الى قوله * عذاب اليم بما كانوا يكذبون * واما من كانت توبته نصوحا ثابت العزيمة في ان لا يعود فهي توبة صحيحة مقبولة بلا شك مسقطة لكل ما تاب عنه بالنص قال عز وجل * واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا * فان عاد بعد ذلك الى الذنب الذي تاب منه فلا يعود عليه ذنب قد غفره الله ابدا فان ارتد ومات كافرا فقد سقط عمله والتوبة عمل فقد حبطت فهذا يعود عليه ما عمل خاصة واما من راجع الاسلام ومات عليه فقد سقط عنه الكفر وغيره (قال ابو محمد) ولا تكون التوبة الا بالندم والاستغفار وترك المعاودة والعزيمة على ذلك والخروج من مظلمة ان تاب عنها الى صاحبها بتحلل او انصاف ورايت لابي بكر احمد بن علي بن يفجور المعروف بابن الاخشيد وهو أحد أركان المعتزلة وكان أبوه من أبناء ملوك فرغانة من الاتراك وولي ابوه الثغور وكان هذا ابو بكر ابنه يتفقه للشافعي فرأيت له في بعض كتبه يقول ان التوبة هي الندم فقط وان لم ينو مع ذلك ترك المراجعة لتلك الكبيرة (قال ابو محمد) هذا اشنع ما يكون من قول المرجئة لان كل معتقد للاسلام فلا شك يدري انه نادم على كل ذنب يعمله فالمانه مسيء فيه مستغفر منه ومن كان بخلاف هذه الصفة وكان مستحسنا لما فعل غير نادم عليه فليس مسلما فكل صاحب كبيرة فهو على قول ابن الاخشيد غير مؤاخذ بها لانه تائب منها وهذا خلاف الوعيد فان قال قائل فانكم تقطعون على قبول ايمان المؤمن أفتقطعون على قبول توبة التائب وعمل العامل للخيرات كل ذلك مقبول وهل تقطعون على المكثر من السيئات انه في النار قلنا وبالله تعالى التوفيق ان الاعمال لها شروط من توفية النية حقها وتوفية العمل حقه فلو ايقنا ان العمل وقع كاملا كما امر الله

من تبدل الاحوال والثابت من جهة ماهو ثابت لايكون عنه الا ثابت فان الارادة العقلية الواحدة لا يوجب التحرك فانها مجردة عن جميع أصناف التغير والقوة العقلية حاصرة المعقول دائما ولا يفرض فيها الانتقال من معقول الى معقول الا مشاركا الى التخيل والحس فلابد للحركة من مبدء قريب والحركة المستديرة مبدؤها القريب نفس فى الفلك يتجدد تصوراتها وارادتها وهى كمال جسم (٥٢) الفلك وصورته ولو كانت قائمة بنفسها من كل وجه لكانت عقلا محضا لا يتغير ولا ينتقل ولا يخالط ما بالقوة بل نسبتها الى الفلك نسبة النفس الحيوانية التى لنا الينا الا أن لها ان تعقل بوجه ما تعقلا مشوبا بالمادة وبالجملة أوهامها أو مايشابه الاوهام صادقة وتخيلاتها حقيقية كالعقل العملى فينا والمحرك الاول لها غير مادية أصلا وانما تحركت عن قوة غير متناهية والقوة التى للنفس متناهية لكنها بما يعقل الاول فيسنح عليه نوره دائما صارت قوتها غير متناهية وكانت الحركات المستديرة أيضا غير متناهية والاجرام السموية لما لم يبق فى جواهرها أمر ما بالقوة أعنى فى كمها وكيفها ترك صورتها فى مادتها على وجه ولا يقبل التحليل ولكن عرض لها فى وضعها وأينها اما بالقوة اذ ليس شيء من أجزاء مدار الفلك أو كوكب أولى بأن يكون ملاقيا له أو لجزئه من جزء آخر فمتى كان فى جزء بالفعل فهو فى جزء آخر بالقوة والتشبه بالخير الاقصى يوجب البقاء على أكمل كمال ولم يأن هذا ممكنا بالجرم السماوى ... الكلام بالعدد فحفظ بالنوع والتعاقب فصارت الحركة حافظة لما يكون من هذا الكمال ومبدؤها الشوق الى التشبه بالخير الاقصى فى البقاء على الكمال ومبدء الشوق هو ما يتلوه من نفس الشوق الى التشبه بالاول من حيث هو بالفعل فصدرت الحركة الفلكية صدور الشيء عن التصور الموجب له وان كان غير مقصود بذاته بالقصد الاول لانه لما تصوره بالفعل فحدث

تعالى لقطعنا بقول الله عز وجل له وأما التوبة فاذا وردت نصوحا فنحن نقطع بقبولها وأما القطع على مظهر الخير بانه فى الجنة وعلى مظهر الشر والمعاصى بانه فى النار فهذا خطا لاننا لانعلم مافى النفوس ولعل المظهر للخير مبطن للكفر او مبطن على كبائر لا نعلمها فواجب ان لانقطع من أجل ذلك عليه بشيء وكذلك المعلن بالكبائر فانه يمكن ان يبطن الكفر فى باطن أمره فاذا قرب من الموت آمن فاستحق الجنة او لعل له حسنات فى باطن امره تفى على سيئاته فيكون من أهل الجنة فلهذا وجب ان لا نقطع على احد بعينه بجنة ولا بنار حاشا من جاء النص فيه من الصحابة رضى الله عنهم بانهم فى الجنة وبان الله علم مافى قلوبهم فانزل السكينة عليهم واهل بدر واهل السوابق فانا نقطع على هؤلاء بالجنة لان الله تعالى اخبرنا بذلك على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وحاشا من مات معلنا للكفر فانا نقطع عليه بالنار ونقف فيمن عدا هؤلاء الا انا نقطع على الصفات فنقول من مات معلنا للكفر او مبطنا له فهو فى النار خالدا فيها ومن اتقى الله تعالى ورجحت الحسنات على السيئات والكبائر اومتن ونيه فهو فى الجنة لايعذب بالنار ومن اتقى الله تعالى ورجحت الكبائر على الحسنات ففى النار ويخرج منها بالشفاعة الى الجنة وبالله تعالى التوفيق

(قال أبو محمد) ورأيت بعض أصحابنا يذهب الى شيء يسميه شاهد الحال وهو ان من كان مظهر الشيء من الديانات متحملا للاذى فيه غير مستجلب بما يلقى من ذلك حالا فانه مقطوع على باطنه وظاهره قطعا لاشك فيه كعمر بن عبد العزيز وسعيد بن المسيب والحسن البصرى وابن سيرين ومن جرى مجراهم ممن قبلهم او معهم او بعدهم فان هؤلاء رضى الله عنهم رفضوا من الدنيا مالو استعملوه لما حط من وجاهتهم شيئا واحتملوا من المضض مالو خففوه عن انفسهم لم يقدح ذلك فيهم عند أحد فهؤلاء مقطوع على اسلامهم عند الله عز وجل وعلى خيرهم وفضلهم وكذلك نقطع على ان عمرو بن عبيد كان يدين بابطال القدر بلا شك فى باطن امره وان ابا حنيفة والشافعى رضى الله عنهما كان فى باطن امرهما يدينان الله تعالى بالقياس وان داود بن على كان فى باطن الامر يدين الله تعالى بابطال القياس بلا شك وان احمد بن حنبل رضى الله عنه كان يدين الله تعالى بالتدين بالحديث فى باطن امره بلا شك وبان القرآن غير مخلوق بلا شك وهكذا كل من تناصرت احواله وظهر جده فى معتقده وترك المسامحة فيه واحتمل الاذى والمضض من أجله

(قال ابو محمد) وهذا قول صحيح لاشك فيه اذ لا يمكن البتة فى بنية الطبائع ان يحتمل احد اذى ومشقة لغير فائدة يتعجلها او يتأجلها والله تعالى التوفيق ولابد لكل ذى عقد من ان يتبين عليه شاهد عقده بما يبدو منه من مسامحة فيه او صبر عليه واما من كان بغير هذه الصفة فلا نقطع عقده وبالله تعالى التوفيق

الكلام في الشفاعة والميزان والحوض وعذاب القبر والكتابة

(قال أبو محمد) اختلف الناس في الشفاعة فانكرها قوم وهم المعتزلة والخوارج وكل من تبع ان لايخرج أحد من النار بعد دخوله فيها وذهب أهل السنة والاشعرية والكرامية وبعض الرافضة الى القول بالشفاعة واحتج المانعون بقول الله عز وجل * فما تنفعهم شفاعة الشافعين * وبقوله عز وجل * يوم لاتملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله * وبقوله تعالى * قل انى لاأملك لكم ضرا ولارشدا * وبقوله تعالى * واتقوا يوما لاتجزى نفس عن نفس شيئا ولايقبل منها شفاعة * وبقوله تعالى * من قبل أن ياتى يوم لا بيع فيه ولاخلة ولاشفاعة * وبقوله تعالى * فما لنا من شافعين ولاصديق حميم * وبقوله تعالى * ولا يقبل منها عدل ولاتنفعها شفاعة ولاهم ينصرون *

(قال أبو محمد) قول من يؤمن بالشفاعة انه لايجوز الاقتصار على بعض القرآن دون بعض ولا على بعض السنن دون بعض ولا على القرآن دون بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قال له ربه عز وجل * لتبين للناس مانزل اليهم * وقد نص الله تعالى على صحة الشفاعة فى القرآن فقال تعالى * لايملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا * فاوجب عز وجل الشفاعة الا من اتخذ عنده عهدا بالشفاعة وصحت بذلك الاخبار المتواترة المتناصرة بنقل الكواف لما قال تعالى * يومئذ لاتنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضى له قولا * وقال تعالى * ولاتنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له * فنص تعالى على ان الشفاعة يوم القيامة تنفع عنده عز وجل ممن أذن له فيها ورضى قوله ولا احد من الناس اولى بذلك من محمد صلى الله عليه وسلم لانه أفضل ولد آدم عليه السلام وقال تعالى * من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه وكم من ملك فى السموات لاتغنى شفاعتهم شيئا الامن بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى * وقال تعالى * ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون * وقال تعالى مامن شفيع الا من بعد اذنه * فقد صحت الشفاعة بنص القرآن الذى لاياتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه فصح يقينا ان الشفاعة التى ابطلها الله عز وجل هى غير الشفاعة التى اثبتها عز وجل واذ لاشك فى ذلك فالشفاعة التى ابطل عز وجل هى الشفاعة للكفار الذين هم مخلدون فى النار قال تعالى لايخفف عنهم من عذابها ولا يقضى عليهم فيموتوا نعوذ بالله منها واذ لاشك فيه فقد صح يقينا أن الشفاعة التى أوجب الله عز وجل لمن اذن له واتخذ عنده عهدا ورضى قوله فانما هى لمذنبى أهل الاسلام وهكذا جاء الخبر الثابت

(قال أبو محمد) وهما شفاعتان احداهما الموقف وهو المقام المحمود الذى جاء النص فى القرآن به فى قوله * عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا * وهكذا جاء الخبر الثابت نصا

عنه طلب لما بالفعل ولايمكن لما بالشخص فيكون بالتعاقب ثم يتبع ذلك التصور تصورات جزئية على سبيل الانبعاث لا المقصود الاول وتتبع تلك التصورات الحركات المنتقل بها الى الاوضاع وهى كانها عبادة ملكية أوفلكية وليس من شرط الحركة الارادية أن تكون مقصودة فى نفسها بل اذا كانت القوة الشوقية يشتاق نحو أمر ينبعث منها تأثير تحرك الاعضاء فتارة يتحرك على النحو الذى به يوصل الى الغرض وتارة على نحو آخر متشابه واذا بلغ (٥٣) الالتذاذ ينتقل المبدأ الاول ربما يدرك منه على نحو عقلى أو نفسانى شغل ذلك عن كل شىء ولكن ينبعث منه ماهو أدون منه فى المرتبة وهو الشوق الى الاشبه به بقدر الامكان وقد عرفت ان الفلك متحرك بطبعه ومتحرك بالنفس ومتحرك بقوة عقلية غير متناهية وتميز عندك كل حركة عن صاحبتها وعرفت أن المحرك الاول بجملة السماء واحد ولكل كرة من كرات السماء محرك قريب يخصه ومتشوق معشوق يخصه فاول المفارقات الخاصة محرك الكرة الاولى وهى على قول من تقدم بطلميوس كرة الثوابت وعلى قول بطلميوس كرة خارجة عنها محيطة بها غير مكوكبة وبعد ذلك محرك الكرة التى تلى الاولى ولكل واحد مبدأ خاص وللكل مبدأ أفلاك تشترك الافلاك فى دوام الحركة وفى الاستدارة ولايجوز أن يكون شىء منها لاجل الكائنات السافلة لاقصد حركة ولاقصد جهة حركة ولاتقدير سرعة وتباطؤ بل ولاقصد فعل البتة لاجلها وذلك أن كل مبدع يجوز أن يكون أنقص وجودا من المقصود لان كل ما لاجله شىء آخر فهو أتم وجودا من الآخر ولايجوز أن يستفاد الوجود الاكمل من الشىء الاخس فلايجوز أن يكون البتة الى معلول قصد صادق والا كان القصد معطيا ومفيد الوجود ماهو أكمل وانما يقصد بالواجب شىء يكون القصد مهيئا له ومفيد وجوده شىء آخر وكل قصد ليس عبثا فانه يفيد كمالا ما لقاصد لو لم يقصد لم يكن ذلك الكمال ومحال أن

يكون المستكمل وجوده بالعلة يفيد العلة كالا لم يكن فالعالي اذا لا يريد امر الاجل السافل وانما هو ير يد لما هو اعلى منه وهو التشبيه بالاول بقدر الامكان ولا يجوز ان يكون الغرض تشبها بجسم من الاجسام السموية وان كان تشبه السافل بالعالي اذ لو كان كذلك لكانت الحركة من نوع حركة ذلك الجسم ولم يكن مخالفا له واسرع فى كثير من المواضع ولا يجوز أن يكون الغرض شيئا يوصل اليه (٥٤) بالحركة بل شيئا مباينا غير جواهر الافلاك من موادها وانفسها وبقى ان يكون لكل واحد من الافلاك شوق تشبه بجوهر عقلى مفارق يخصه ويختلف الحركات واعمالها واحوالها اختلافها الذي لها لاجل ذلك وان كنا لا نعرف كيفيتها وكميتها وتكون العلة الاولى متشرق الجميع الاشتراك وهذا معنى قول القدماء ان للكل محركا واحدا معشوقا ولكل كرة محركا يخصها ومعشوقا يخصها فيكون اذا لكل فلك نفس محركة تعقل الخير لها وبسبب الجسم تخيل أى تصور الجزئيات وارادة لها ثم يلزمها حركات ما دونها لزوما بالقصد الاول حتى ينتهى الى حركة الفلك الذى يليها ومديرها العقل الفعال ويلزم الحركات السموية حركات العناصر على مثال تناسب حركات الافلاك وتعد تلك الحركات موادها لقبول الفيض من العقل الفعال فيعطيها صورها على قدر استعداداتها كما قررنا فقد تبين لك اسباب الحركات ولوازمها وستعلم بواقيها فى الطبيعيات * المسئلة التاسعة فى العناية الازلية وبيان دخول الشر فى القضاء قال العناية هى كون الاول عالما لذاته وليس بما عليه الوجود فى نظام الخير وعلته لذاته الخير والكمال بحسب الامكان وراضيا به على النحو المذكور فيعقل نظام الخير على الوجه الابلغ فى الامكان فيفيض منه ما يعقله نظاما وخيرا على الوجه الابلغ الذى يعقله فيضانا على أتم تادية الى النظام بحسب الامكان فهذا هو معنى العناية والخير يدخل فى القضاء الالهي دخولا بالذات لا بالعرض والشر بالعكس منه

والشفاعة الثانية فى اخراج اهل الكبائر من النار طبقة طبقة على ما صح فى ذلك الخبر واما قول الله تعالى * قل لا املك لكم ضرا ولا رشدا ولا تملك نفس لنفس شيئا * فما خالفنا فى هذا اصلا وليس هذا من الشفاعة فى شيء فنعم لا يملك لاحد نفعا ولا ضرا ولا رشدا ولا هدى وانما الشفاعة رغبة الى الله تعالى وضراعة ودعاء وقال بعض منكرى الشفاعة ان الشفاعة ليست الا فى المحسنين فقط واحتجوا بقوله تعالى * ولا يشفعون الا لمن ارتضى * (قال أبو محمد) وهذا لا حجة لهم فيه لان من اذن الله فى اخراجه من النار وادخله الجنة واذن للشافع فى الشفاعة له فى ذلك فقد ارتضاه وهذا حق وفضل الله تعالى على من قد غمر له ذنوبه بان رجحت حسناته على كبائره او بان لم تكن له كبيرة او بان تاب عنها فهو ممن له عن شفاعة كل شافع فقد حصلت له الرحمة والفوز من الله تعالى وأمر به الى الجنة فيما دا يشفع له وانما الفقير الى الشفاعة من غلبت كبائره حسناته فادخل النار ولم ياذن تعالى باخراجه منها الا بالشفاعة وكذلك الخلق فى كونهم فى الموقف هم ايضا فى مقام شديد فهم ايضا محتاجون الى الشفاعة وبالله تعالى التوفيق وبما صحت الاخبار من ذلك نقول

(واما الميزان) فقد انكره قوم فخالفوا كلام الله تعالى جرأة واقداما وتنطع آخرون فقالوا هو ميزان بكفتين من ذهب وهذا اقدام آخر لا يحل قال الله عز وجل * وتقولون بافواهكم ماليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم *

(قال ابو محمد) وأمور الاخرة لا تعلم الا بما جاء فى القرآن او بما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يأت عنه عليه السلام شيء يصح فى صفة الميزان ولو صح عنه عليه السلام فى ذلك شيء لقلنا به فاذ لا يصح عليه السلام فى ذلك شيء فلا يحل لاحد ان يقول على الله عز وجل ما لم يخبرنا به لكن نقول كما قال الله عز وجل * ونضع الموازين القسط ليوم القيامة * الى قوله * وكفى بنا حاسبين * وقال تعالى * والوزن يومئذ الحق * وقال تعالى * فامامن ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية واما من خفت موازينه فامه هاوية * فنقطع على ان الموازين توضع يوم القيامة لوزن اعمال العباد قال تعالى عن الكفار * فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا * وليس هذا على ان لا توزن اعمالهم بل توزن لكن اعمالهم شائلة وموازينهم خفاف قد نص الله تعالى على ذلك اذ يقول * ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم فى جهنم خالدون * الى قوله * فكنتم بها تكذبون * فاخبر عز وجل ان هؤلاء المكذبين بآياته خفت موازينهم والمكذبون بآيات الله عز وجل كفار بلا شك ونقطع على ان تلك الموازين اشياء يبين الله عز وجل بها لعباده مقادير اعمالهم من خير أو شر من مقدار الذرة التى لا تحس وزنها فى موازيننا أصلا فما زاد ولا ندرى كيف تلك الموازين الا انا ندرى انها بخلاف موازين الدنيا وان ميزان من تصدق بدينار أو بلؤلؤة اثقل ممن تصدق بكذانة

وليس هذا وزنا وندري ان اثم القاتل أعظم من اثم اللاطم وان ميزان مصلى الفريضة أعظم من ميزان مصلى التطوع بل بعض الفرائض أعظم من بعض فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان من صلى الصبح في جماعة كمن قام ليلة ومن صلى العتمة في جماعة فكانما قام نصف ليلة وكلاهما فرض وهكذا جميع الاعمال فانما يوزن عمل العبد خيره مع شره ولو نصح المعتزلة انفسهم لعلموا ان هذا عين العدل واما من قال انا لا ندري ان ذلك الميزان ذو كفتين فانما قاله قياسا على موازين الدنيا وقد اخطأ في قياسه اذ في موازين الدنيا ما لا كفة له كالقرسطون(١) واما نحن فانما اتبعنا النصوص الواردة في ذلك فقط ولا نقول الا بما جاء به قرآن أو سنة صحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا ننكر الا ما لم يأت فيهما ولا نكذب الا بما فيهما ابطاله وبالله تعالى التوفيق

(وأما الحوض) فقد صحت الآثار فيه وهو كرامة للنبي صلى الله عليه وسلم ولمن ورد عليه من امته ولا ندري لمن انكره متعلقا ولا يجوز مخالفة ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا وغيره وبالله تعالى التوفيق

(واما الصراط) فقد ذكرناه في الباب الاول الذي قبل هذا وانه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوضع الصراط بين ظهراني جهنم ويمر عليه الناس فمخدوش(٢) وناج ومكردس (٣) في نار جهنم وان الناس يمرون عليه على قدر اعمالهم كمر الطرف فمادون ذلك الى من يقع في النار وهو طريق اهل الجنة اليها من المحشر في الارض الى السماء وهو معنى قول الله تعالى * وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا . واما كتاب الملائكة لاعمالنا فحق قال الله تعالى . وان عليكم لحافظين كراما كاتبين وقال تعالى . انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون . وقال تعالى . وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك وقال تعالى اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد

(قال ابو محمد) وكل هذا ما لا خلاف فيه بين أحد ممن ينتمي الى الاسلام الا انه لا يعلم أحد من الناس كيفية ذلك الكتاب

(عذاب القبر) قال ابو محمد ذهب ضرار بن عمرو الغطفاني أحد شيوخ المعتزلة الى انكار

(١) اراد بالقرسطون بفتحتين فسكون ميزانا ليس بذي كفتين ولم اعثر عليه بهذا المعنى وهو ليس بعربي ولعله عني به القبان وهو ميزان معروف لا كفة له

(٢) (٣) المخدوش من الخدش وهو قشر الجلد بعود أو نحوه والمكردس الذي جمع يداه ورجلاه وألقي فيها ولفظ الحديث عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في صفة القيامة وجواز الناس على الصراط فمنهم مسلم ومخدوش ومنهم مكردس في نار جهنم اهـ ومسلم بالتشديد على صيغة اسم المفعول اي ناج لمصححه

وهو على وجوه فيقال شر لمثل النقص الذي هو الجهل والضعف والتشويه في الخلق ويقال شر لمثل الآلام والغم ويقال شر لمثل الشرك والظلم والزنا وبالجملة الشر بالذات هو العدم ولا كل عدم بل عدم مقتضى طباع الشيء من الكمالات الثابتة لنوعه وطبيعته والشر بالعرض هو المعدم والحابس للكمال عن مستحقه والشر بالذات ليس بأمر حاصل الا ان يخبر عن لفظه ولو كان له حصول ما لكان الشر العام وهذا الشر يقابله الوجود على كماله الاقصى أن يكون (٥٥) بالفعل وليس فيه ما بالقوة أصلا فلا يلحقه شر وأما الشر بالعرض فله وجود ما وانما يلحق ما في طباعه أمر بالقوة وذلك لاجل المادة فيلحقها لامر يعرض لها في نفسها وأول وجودها هيئة من الهيئات المانعة لاستعدادها الخاص للكمال الذي توجهت اليه فتجعله أردى مزاجا وأعصى جوهرا لقبول التخطيط والتشكيل والتقويم فتشوهت الخلقة وانتقصت البتة لا لان الفاعل قد حرم بل لان المنفعل لا يقبل وأما الامر الطارىء من خارج فاحد شيئين اما مانع للمكمل وأما مضاد ماحق للكمال مثال الاول وقوع سحب كثيرة وتراكمها واظلال جبال شاهقة يمنع تأثير الشمس في الثمار على الكمال ومثال الثاني حسن البرد للنبات المصيب لكماله في وقته حتى يفسد الاستعداد الخاص ويقال شر للافعال المذمومة ويقال شر لمباديها من الاخلاق مثال الاول الظلم والزنا ومثال الثاني الحقد والحسد ويقال شر للآلام والغموم ويقال شر لنقصان كل شيء عن كماله والحاصل كله أما عدم وجود واما عدم كمال فيقول الامور اذا توهمت موجودة فاما أن تمنع أن يكون الا خيرا على الاطلاق أو شرا على الاطلاق أو خيرا من وجه وهذا القسم اما أن يتساوى فيه الخير والشر أو الغالب فيه احدهما وأما الخير المطلق الذي لا شر فيه فقد وجد في الطباع والخلقة وأما الشر المطلق الذي لا خير فيه أو الغالب فيه ان المساوى فلا وجود له أصلا فبقي ما في الغالب وجوده الخير وليس يخلو عن شر فالاحرى به أن يوجد فان لا كونه

اعظم شرا من كونه فواجب ان يفيض وجوده من حيث يفيض منه الوجود لئلا يفوت الخير الكلي لوجود الشر الجزءى وايضا لو امتنع وجود ذلك الخير من الشر امتنع وجود اسبابه التي تؤدى الى الشر بالعرض فكان فيه أعظم خلل في نظام الخير الكلي بل وان لم يثبت الى ذلك وصيرنا التفاتنا الى ما ينقسم اليه الامكان في الوجود من اصناف الموجودات المختلفة في احوالها وكان الوجود المبرأ من الشر (٥٦) من كل وجه قد حصل وبقي نمط من الوجود انما يكون على سبيل أن لا يوجد الا ويتبعه ضرر وشر مثل النار فان الكون انما يتم بان يكون فيه نار ولن يتصور حصولها الا على وجه يحرق ويسخن ولم يكن بد من المصادمات الحادثة أن تصادف النار ثوب فقير ناسك فيحترق والامر الدائم الاكثرى حصول الخير من النار فاما الدائم فلان أنواعا كثيرة لا يستحفظ على الدوام الا بوجود النار واما الاكثر فلان أكثر اشخاص الانواع في كنف السلامة من الاحراق فما كان يحسن ان يترك المنافع الاكثرية والدائمة لاعراض شرية اقلية فاريدت الخيرات الكائنة عن مثل هذه الاشياء ارادة أولية على الوجه لذى يصلح ان يقال ان الله تعالى يريد الاشياء ويريد الشر ايضا على الوجه الذى بالعرض فالخير مقتضى بالذات والشر مقتضى بالعرض وكل بقدر فالحاصل ان الكل انما رتبت فيه القوى الفعالة والمنفعلة السماوية والارضية الطبيعية والنفسية بحيث تؤدى الى النظام الكلى مع استحالة ان تكون هي على ما هي ولا يؤدى الى شرور فيلزم من احوال العالم بعضها بالقياس الى بعض ان يحدث في نفس صورة اعتقاد رديء أو كفر اوشر آخر ويحدث في بدن صورة قبيحة مشوهة لو لم يكن ذلك لم يكن النظام الكلى يثبت فلم يعبأ ولم يلتفت الى اللوازم الفاسدة التي تعرض بالضرورة (قال) وقيل خلقت هؤلاء للجنة ولا ابالي وخلقت هؤلاء للنار ولا ابالي وكل ميسر لما خلق له * المسئلة العاشرة في المعاد واثبات سعادات

عذاب القبر وهو قول من لقينا من الخوارج وذهب اهل السنة وبشر بن المعتمر والجبائي وسائر المعتزلة الى القول به وبه نقول لصحة الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم به (قال ابو محمد) وقد احتج من انكره بقول الله تعالى . ربنا امتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين * وبقوله تعالى * كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم الآية (قال أبو محمد) وهذا حق لا يدفع عذاب القبر لان فتنة القبر وعذابه والمسئلة انما هي للروح فقط بعد فراقه للجسد اثر ذلك قبر اولم يقبر برهان ذلك قول الله تعالى * ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم * الآية وهذا قبل القيامة بلا شك وأثر الموت وهذا عذاب القبر وقال * انما توفون أجوركم يوم القيامة * وقال الله تعالى في آل فرعون النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون اشد العذاب * فهذا العرض المذكور هو عذاب القبر وانما قيل عذاب القبر فاضيف الى القبر لان المعهود في اكثر الموتى انهم يقبرون وقد علمنا ان فيهم اكيل السبع والغريق تأكله دواب البحر والمحرق والمصلوب والمعلق فلو كان على ما يقدر من يظن انه لا عذاب الا في القبر المعهود لما كان لهؤلاء فتنة ولا عذاب قبر ولا مسألة ونعوذ بالله من هذا بل كل ميت فلا بد له من فتنة وسؤال وبعد ذلك سرور أو نكد الى يوم القيامة فيوفون حينئذ أجورهم وينقلون الى الجنة أو النار وأيضا فان جسد كل انسان فلا بد من العود الى التراب يوما ما كما قال الله تعالى * منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى * فكل من ذكرنا من مصلوب أو معلق او محرق او أكيل سبع أو دابة فانه يعود رمادا أو رجيعا أو يتقطع فيعود الى الارض ولا بد وكل مكان استقرت فيه النفس أثر خروجها من الجسد فهو قبر لها الى يوم القيامة وأما من ظن ان الميت يحيى في قبره فخطأ لان الآيات التي ذكرنا تمنع من ذلك ولو كان ذلك لكان تعالى قد أماتنا ثلاثا وأحيانا ثلاثا وهذا باطل وخلاف القرآن الا من أحياه الله تعالى آية لنبي من الانبياء * والذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم * و * الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال اني يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه * وكذلك قوله تعالى * الله يتوفى الانفس حين موتها * الى قوله * الى اجل مسمى * فصح بنص القرآن ان روح من مات لا يرجع الى جسده الا الى أجل مسمى وهو يوم القيامة وكذلك أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى الارواح ليلة اسرى به عند سماء الدنيا عن يمين آدم عليه السلام ارواح اهل السعادة وعن شماله ارواح اهل الشقاء واخبر عليه السلام يوم بدر اذ خاطب القتلى واخبر انهم قد وجدوا ما توعدهم به حقا قبل ان يكون لهم قبور فقال المسلمون يا رسول الله اتخاطب قوما قد جيفوا فقال عليه السلام ما انتم باسمع لما اقول منهم فلم ينكر عليه السلام على المسلمين قولهم أنهم قد جيفوا واعلمهم انهم سامعون فصح ان ذلك لارواحهم فقط بلا شك واما الجسد فلا حس له

(قال ابو محمد) ولم يات قطعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خبر يصح ان ارواح الموتى ترد الى اجسادهم عند المسالة ولو صح ذلك عنه عليه السلام لقلنا به فاذ لا يصح فلا يحل لاحد ان يقوله وانما انفرد بهذه الزيادة من رد الارواح المنهال بن عمرو وحده وليس بالقوي تركه شعبة وغيره وسائر الاخبار الثابتة على خلاف ذلك وهذا الذي قلنا هو الذي صح ايضا عن الصحابة رضي الله عنهم لم يصح عن احد منهم غير ما قلنا كما حدثنا محمد بن سعيد بن نبات حدثنا اسماعيل بن اسحاق حدثنا عيسى بن حبيب حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن ابن محمد عبد الله بن يزيد المقرى عن جده محمد بن عبد الله عن سفيان بن عيينة عن منصور ابن صفية عن أمه صفية بنت شيبة قالت دخل ابن عمر المسجد فابصر ابن الزبير مطروحا قبل أن يصلب فقيل له هذه اسماء بنت ابى بكر الصديق فمال اليها فعزاها وقال ان هذه الجثث ليست بشيء وان الارواح عند الله فقالت اسماء وما يمنعني وقد اهدى رأس يحيى بن زكريا الى بغي من بغايا بني اسرائيل وحدثنا محمد بن نبات ثنا أحمد بن عون الله حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا محمد بن عبد السلام الخشني ثنا ابو موسى محمد بن المثنى الزمن ثنا عبد الرحمن بن مهدى ثنا سفيان الثوري عن ابى اسحق السبيعي عن ابى الاحوص عن ابن مسعود في قول الله عز وجل * ربنا أمتنا اثنتين واحييتنا اثنتين . قال ابن مسعود هي التي في البقرة كنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم * فهذا ابن مسعود واسماء بنت أبى بكر الصديق وابن عمر رضي الله عنهم ولا مخالف من الصحابة رضي الله عنهم تقطع اسماء وابن عمر على ان الارواح باقية عند الله وان الجثث ليست بشيء ويقطع ابن مسعود بان الحياة مرتان والوفاة كذلك وهذا قولنا وبالله التوفيق

(قال أبو محمد) وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه رأى موسى عليه السلام قائما في قبره يصلى ليلة الاسراء واخبر انه رآه في السماء السادسة او السابعة وبلا شك انما رأى روحه واما جسده فموارى بالتراب بلا شك فعلى هذا ان موضع كل روح يسمى قبرا فتعذب الارواح حينئذ ولا تسأل حيث كانت وبالله تعالى التوفيق

(مستقر الارواح) قال ابو محمد اختلف الناس في مستقر الارواح وقد ذكرنا بطلان قول اصحاب التناسخ في صدر كتابنا هذا والحمد لله رب العالمين فذهب قوم من الروافض الى ان ارواح الكفار ببرهوت وهو بئر بحضرموت وان ارواح المؤمنين بموضع آخر اظنه الجابية وهذا قول فاسد لانه لا دليل عليه أصلا وما لا دليل عليه فهو ساقط ولا يعجز أحد عن ان يدعى للارواح مكانا آخر غير ما ادعى هؤلاء وما كان هكذا فلا يدين به الا مخذول والله لى التوفيق وذهب عوام اصحاب الحديث الى ان الارواح على أفنية قبورها وهذا قول لا حجة له اصلا تصححه الا خبر ضعيف لا يحتج بمثله لانه في غاية السقوط لا يشتغل به أحد من علماء الحديث وما كان هكذا فهو ساقط ايضا وذهب ابو الهذيل العلاف والاشعرية

دائمة للنفوس واشارة الى النبوة وكيفية الوحي والالهام والتقدم على الخوض فيها أصولا ثلاثة الاصل الاول أن لكل قوة نفسانية لذة وخيرا يخصها وأذى وشرا يخصها وحيث ما كان المدرك اشد ادراكا وأفضل ذاتا والمدرك أكمن وجودا واشرف ذاتا وادوم ثباتا فاللذة أبلغ وأوفر * الاصل الثاني * انه قد يكون الخروج الى الفعل في كمال ما بحيث يعلم ان المدرك لذيذ ولكن لا يتصور كيفيته ولا يشعر به فلم يشتق اليه ولم ينزع نحوه فيكون حال المدرك حال الاصم والاعمى المتيقنين بطراوة اللحن وملاحة الوجه من غير شعور وتصور وادراك * الاصل الثالث * ان الكمال والامر الملائم قد تيسر للقوة الداركة وهناك مانع أو شاغل للنفس فتكرهه وتؤثر ضده وتكون القوة المميزة بصدد ما هو كالعاقل فلا يحس به كالمريض والممرور فاذا زال العائق عاد الى واجبه في طبعه فصدقت شهوته واشتهت طبيعته وحصل له كمال اللذة فنقول بعد تمهيد الاصول ان النفس الناطقة كمالها الخاص بها ان تصير عالما عقليا مرتسما فيها صورة الكل والنظام المعقول في الكل والخير الفائض من واهب الصور على الكل مبتداء من المبداء او سالكا الى الجواهر الشريفة الروحانية المطلقة ثم الروحانية المتعلقة نوعا ما بالابدان ثم الاجسام العلوية بهيآتها وقواها ثم كذلك حتى تستوفي في نفسها هيئة الوجود كله فتصير عالما معقولا موازيا للعالم الموجود كله مشاهدا لما هو الحسن المطلق والخير المطلق والجمال الحق ومتحدا به ومنتقشا في سلكه ومنخرطا بمثاله وصائرا من جوهره فهذا الكمال لا يقاس بسائر الكمالات وجودا ودواما ولذة وسعادة بل هذه اللذة أعلى من اللذات الحسية وأعلى من الكمالات الجسمانية بل لا مناسبة بينهما في الشرف والكمال وهذه السعادة لا تتم الا باصلاح الخير والعمل من النفس وتهذيب الاخلاق والخلق ملكة يصدر بها عن النفس افعال ما بسهولة من غير تقدم روية وذلك باستعمال المتوسط بين الخلقين المتضادين لا بان يعمل افعال

المتوسط بل ان يحصل ملكة التوسط فيحصل في القوة الحيوانية هيئة الاذعان وفي القوة الناطقة هيئة الاستعلاء ومعلوم ان ملكة الافراط والتفريط مقتضيا للقوى الحيوانية فاذا قويت حدثت في النفس الناطقة هيئة اذعانية قد رسخت فيها من شانها ان تجعلها قوى العلاقة مع البدن والانصراف اليه وأما ملكة التوسط فهي من مقتضيات الناطقة واذا قويت قطعت العلاقة من البدن فسعدت السعادة الكبرى ٥٨ ثم للنفوس مراتب في اكتساب ما بين هاتين القوتين أعني العلمية والعملية والتقصير فيهما

فلم ينبغي ان يحصل عند نفس الانسان من تصور المعقولات والتخلق بالاخلاق الحسنة حتى تجاوز الحد الذي في مثله يقع في الشقاوة الابدية وأي تصور وخلق يوجب له بالشقاء المؤبد واى تصور وخلق يوجب له الشقاء الموقت قال فليس يمكنني ان أنص عليه الا بالتقريب وليته سكت عنه وقيل دع عنك الكتابة لست منها ولو سودت وجهك بالمداد قال وأظن ذلك أن يتصور نفس الانسان المبادى المفارقة تصورا حقيقيا وتصدق بها تصديقا يقينيا لوجودها عنده بالبرهان ويعرف العلل الغائية للامور الواقعة في الحركات الكلية دون الجزئية التى لاتتناهى ويتقرر عنده هيئة الكل ونسب أجزائه بعضها الى بعض والنظام الآخذ من المبدأ الاول الى اقصى الموجودات الواقعة في ترتيبه ويتصور العناية وكيفيتها ويتحقق ان الذات المتقدمة للكل اى وجود يخصها واية وحدة يخصها وانه كيف يعرف حتى لا يلحقها تكثر وتغير بوجه وكيف ترتيب نسبة الموجودات اليها وكلما ازداد استبصارا ازداد للسعادة استعدادا وكانه ليس يتبرأ والانسان عن هذا العالم وعلائقه الا ان يكون أكد العلاقة مع ذلك العالم فصار له شوق وعشق الى ما هنالك يصده عن الالتفات الى ما خلفه جملة ثم ان النفوس والقوى الساذجة التى لم تكتسب هذا الشوق ولا تصورت هذه التصورات فان كانت

الى ان الارواح أعراض تفنى ولا تبقى وقتين فاذا مات الميت فلا روح هنالك أصلا ومن عجائب اصحاب هذه المقالة الفاسدة قولهم ان روح الانسان الآن غير روحه قبل ذلك وانه لا يملك تحدث له روح ثم تفنى ثم روح ثم تفنى وهكذا ابدا وان الانسان يبدل الف الف روح واكثر في مقدار اقل من ساعة زمانية وهذا يشبه تخليط من هاج به البرسام وزاد بعضهم فقال ان صحت الآثار في عذاب الارواح فان الحياة ترد الى أقل جزء لا يتجزأ من الجسم فهو يعذب وهذا أيضا حمق آخر ودعاوى في غاية الفساد وبلغني عن بعضهم انه يزعم أن الحياة ترد الى عجب الذنب فهو يعذب أو ينعم وتعلق بالحديث الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يأكله التراب الا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب

(قال ابو محمد) وهذا الخبر صحيح الا انه لا حجة فيه لانه ليس فيه ان عجب الذنب يحيا ولا انه يركب فيه حياة ولا انه يعذب ولا ينعم وهذا كله مقحم في كلام النبي صلى الله عليه وسلم وانما في الحديث ان عجب الذنب خاصة لا يأكله التراب فلا يحول ترابا وانه منه ابتدأ خلق المرء ومنه يبتدأ انشاؤه ثانية فقط وهذا خارج احسن خروج على ظاهره وان عجب الذنب خاصة تتمدد اجزاؤه وهي عظام فحسبها لا تحول ترابا وان الله تعالى يبتدىء الانشاء الثاني بجمعها ثم يركب تمام الخلق للانسان عليه وانه اول ما خلق من جسم الانسان ثم ركب عليه سائره واذ هذا ممكن لو لم يأت به نص خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم احق بالتصديق من كل خبر لانه عن الله عز وجل قال تعالى * هو أعلم بكم اذ انشأكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون أمهاتكم * وقال تعالى * ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم * وقال ابو بكر بن كيسان الاصم لا ادرى ما الروح ولم يثبت شيء غير الجسد

(قال ابو محمد) وسنبين ان شاء الله تعالى فساد هاتين المقالتين في باب الكلام في الروح والنفس من كتابنا هذا بحول الله وقوته والذى نقول به في مستقر الارواح هو ما قاله الله تعالى ونبيه صلى الله عليه وسلم لا نتعداه فهو البرهان الواضح وهو ان الله تعالى قال * واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين * وقال تعالى * ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا * فصح ان الله عز وجل خلق الارواح جملة وهي الانفس وكذلك اخبر عليه السلام ان الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف

(قال ابو محمد) وهي العاقلة الحساسة واخذ عز وجل عهدها وشهادتها وهي مخلوقة مصورة عاقلة قبل أن يأمر الملائكة بالسجود لآدم على جميعهم السلام وقبل أن يدخلها في الاجساد والاجساد يومئذ تراب وماء ثم اقرها تعالى حيث شاء لان الله تعالى ذكر ذلك بلفظة ثم التى توجب التعقيب والمهلة ثم اقرها عز وجل حيث شاء وهو البرزخ الذى ترجع اليه عند

بقيت على ساذجيتها واستقرت فيها هيئات صحيحة اقناعية وملكات حسنة خلقية سعدت بحسب ما اكتسبت اما اذا كان الامر بالضد من ذلك او حصلت اوائل الملكة العملية وحصل لها شوق قد تبع رأيا مكتسبا الى كمال حالها فصدها عن ذلك عائق مضاد فقد شقي الشقاء الابدي وهؤلاء اما مقصورون في السعي لتحصيل الكمال الانساني واما معاندون متعصبون لآراء فاسدة مضادة للآراء الحقيقية والجاحدون اسوأ حالا والنفوس البله ادنى من الخلاص في فطانة بتراء لكن ٥٩ النفوس اذا فارقت وقد رسخ

فيها نحو من الاعتقاد في العاقبة على مثل ما يخاطب به العامة ولم يكن لهم معنى جاذب الى الجهة التي فوقهم لا كمال فتسعد تلك السعادة ولا عدم كمال فتشقى تلك الشقاوة بل جميع هيآتهم النفسانية متوجهة نحو الاسفل منجذبة الى الاجسام ولا بد لها من تخيل ولا بد للتخيل من أجسام قال فلا بد لها من أجرام سماوية تقوم بها القوة المتخيلة فتشاهد ما قيل لها في الدنيا من احوال القبر والبعث والخيرات الاخروية وتكون الانفس الرديئة أيضا تشاهد العقاب المصور لهم في الدنيا وتقاسيه فان الصورة الخيالية ليست تضعف عن الحسية بل تزداد تأثيرا كما تشاهد في المنام وهذه هي السعادة والشقاوة بالقياس الى الانفس الخسيسة واما الانفس المقدسة فانها تبعد عن مثل هذه الاحوال وتتصل عن كمالها بالذات وتنغمس في اللذة الحقيقية ولو كان بقي فيها اثر من ذلك

اعتقادي او خلقي تأذت به وتخلفت عن درجة عليين الى ان ينفسخ ذلك والدرجة الاعلى فيما ذكرنا لمن له النبوة ادنى قواه النفسانية خصائص ثلاث نذكرها في الطبيعيات وهو يسمع كلام الله ويرى ملائكته المقربين وقد تحولت على صورة يراها وكما ان الكائنات ابتدأت من الاشرف فالاشرف حتى ترقت في الصعود الى العقل الاول ونزلت في الانحطاط الى المادة وهي الاخس كذلك ابتدأت من الاخس حتى بلغت النفس الناطقة وترقت الى درجة النبوة ومن المعلوم ان نوع الانسان محتاج الى اجتماع ومشاركة في

الموت لا تزال يبعث منها الجملة بعد الجملة فينفخها في الاجساد المتولدة من المني المنحدر من أصلاب الرجال وارحام النساء كما قال تعالى * ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى * وقال عز وجل * ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما * الآية وكذلك أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يجمع خلق ابن آدم في بطن أمه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح وهذا نص قولنا والحمد لله فيبلوهم الله عز وجل في الدنيا كما شاء ثم يتوفاها فترجع الى البرزخ الذي رآها فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به عند سماء الدنيا ارواح أهل السعادة عن يمين آدم عليه الصلاة والسلام وارواح أهل الشقاوة عن يساره عليه السلام وذلك عند منقطع العناصر وتعجل أرواح الانبياء عليهم السلام وارواح الشهداء الى الجنة وقد ذكر محمد بن نصر المروزي عن اسحاق بن راهويه انه ذكر هذا القول الذي قلنا بعينه وقال على هذا أجمع أهل العلم

(قال ابو محمد) وهو قول جميع اهل الاسلام حتى خالف من ذكرنا وهذا هو قول الله عز وجل * واصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة والسابقون السابقون اولئك المقربون في جنات النعيم * وقوله تعالى * فاما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين واما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم ان هذا لهو حق اليقين * ولا تزال الارواح هنالك حتى يتم عدد الارواح كلها بنفخها في اجسادها ثم برجوعها الى البرزخ المذكور فتقوم الساعة ويعيد عز وجل الارواح ثانية الى الاجساد وهي الحياة الثانية ويحاسب الخلق ففريق في الجنة وفريق في السعير خالدين ابدا

(قال ابو محمد) قول بعض الاشعرية معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم في العهد المأخوذ في قول الله عز وجل * واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم * ان ذلك هنا معنى اذا فقول في غاية السقوط لوجوه خمسة اولها انه دعوى بلا دليل والثانية ان هذا معنى اذا لا يعرف في اللغة وثالثها انه لو صح له تأويله هذا الفاسد وهو لا يصح لكان كلاما لا يعقل ولا يفهم وانما اورده عز وجل حجة علينا ولا يحتج الله عز وجل الا بما يفهم لا بما لا يفهم لان الله تعالى قد تطول علينا باسقاط الاصر عنا ولا اصر اعظم من تكليفنا فهم ما ليس في بنيتنا فهمه ورابعها انه لو كان كما ادعى لما كان على ظهر الارض الا مؤمن والعيان يبطل هذا لانا نشاهد كثيرا من الناس لم يقولوا قط ربنا الله ممن نشأ على الكفر وولدت عليه الى ان مات وممن يقول بان العالم لم يزل ولا محدث له من الاوائل والدهريين وخامسها ان الله عز وجل انما اخبر بهذه الآية عما فعل وذلك يدل على ان الذكر يعود بعد فراق الروح للجسد كما كان قبل حلوله فيه لانه تعالى اخبر بانه اقام علينا الحجة بذلك الاشهاد

اتيتا انا واخي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا له ان أمنا ماتت في الجاهلية وكانت تقرى الضيف وتصل الرحم فهل ينفعها من عملها ذلك شيء قال لا قلنا له ان أمنا وادت اختا لنا في الجاهلية لم تبلغ الحنث فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الموؤدة والوائدة في النار الا ان تدرك الوائدة الاسلام فتسلم

(قال ابو محمد) وهذه اللفظة يعني لم تبلغ الحنث ليست بلا شك من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنها من كلام سلمة بن يزيد الجعفي واخيه فلما احكم عليه السلام بان تلك الموؤدة في النار كان ذلك انكارا وابطالا لقولهما انها لم تبلغ الحنث وتصحيحا لانها قد كانت بلغت الحنث بخلاف ظنهما لا يجوز الا هذا القول لان كلامه عليه السلام لا يتناقض ولا يتكاذب ولا يخالف كلام ربه عز وجل بل كلامه عليه السلام يصدق بعضه بعضا ويوافق لما اخبر به عز وجل ومعاذ الله من غير ذلك وقد صح اخبار النبي صلى الله عليه وسلم بان اطفال المشركين في الجنة قال الله تعالى * واذا الموؤدة سئلت باي ذنب قتلت * فنص تعالى على انه لا ذنب للموؤدة فكان هذا مبينا لان اخبار النبي صلى الله عليه وسلم بان تلك الموؤدة في النار اخبار عن انها قد كانت بلغت الحنث بخلاف ظن اخويها وقد روى هذا الحديث عن داود بن ابي هند محمد بن عدي وليس هو دون المعتمر ولم يذكر فيه لم تبلغ الحنث ورواه ايضا عن داود بن ابي هند عبيدة بن حميد فلم يذكر هذه اللفظة التي ذكرها المعتمر واما حديث عبيدة فحدثناه احمد بن محمد بن الجسور قال انا وهب بن ميسرة قال حدثنا محمد بن وضاح حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة حدثنا عبيدة ابن حميد عن داود بن ابي هند عن الشعبي عن علقمة بن قيس عن سلمة بن يزيد قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم انا واخي فقلنا يا رسول الله ان امنا كانت تقرى الضيف وتصل الرحم في الجاهلية فهل ينفعها ذلك شيئا قال لا قال فانها وأدت اختا لنا في الجاهلية فهل ينفع ذلك اختنا شيئا قال لا الوائدة والموؤدة في النار الا ان تدرك الاسلام فيعفوا الله عنها واما حديث بن ابي عدي فحدثناه احمد ابن عمر بن انس العذري حدثنا ابو بدر عبد بن احمد الهروي الانصاري حدثنا ابو سعيد الخليل بن احمد السجستاني حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز حدثنا احمد بن محمد بن حنبل حدثنا محمد بن ابي عدي عن داود بن ابي هند عن الشعبي عن علقمة بن سلمة ابن يزيد الجعفي قال انطلقت انا واخي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله ان مليكة كانت تصل الرحم وتقرى الضيف وتفعل وتفعل هلكت في الجاهلية فهل ذلك نافعها شيئا قال لا قال فانها وادت اختا لنا في الجاهلية فهل ذلك ينفع اختنا قال لا الوائدة والموؤدة في النار الا ان تدرك الوائدة الاسلام فيعفو الله عنها

(قال ابو محمد) هكذا رويناه لما بالهاء على انها اخت الوائد

بالفعل متناهية وهي تلك الاجسام المفردة التي منها تركبت واما الاجسام المفردة فليس لها في الحال جزء بالفعل وفي قوتها ان تتجزأ اجزاء غير متناهية كل واحد منها أصغر من الاخر والتجزىء اما بتفريق الاتصال وأما باختصاص العرض ببعض منه وأما بالتوهم واذ لم يكن أحد هذه الثلاثة فالجسم المفرد لا جزء له بالفعل قال ومن أثبت الجسم مركبا من أجزاء لا تتجزأ بالفعل فبطلانه بان كل جزء مس جزء فقد (٦٢) شغله بجهة أولا يدع فان ترك فراغا فقد تجزأ الممسوس وان لم يترك فراغا فلا يتأتى أن يماسه آخر غير مماس الاول وقد ماسه آخر هذا خلف وكذلك في جزء موضوع على جزء متصل وغيره من تركيب المربعات منها المساواة الاقطار والاضلاع ومن جهة مسامتات الظل والشمس دلائل على أن الجزء الذي لا يتجزأ محال وجوده فتكلم بعد هذه المقدمة في مسائل هذا العلم وحصرها في مقالات * المقالة الاولى في لواحق الاجسام الطبيعية مثل الحركة والسكون والزمان والمكان والخلا والتناهي والجهات والتماس والالتحام والاتصال والتتالي اما الحركة فيقال على تبدل حال قارة في الجسم يسيرا يسيرا على سبيل اتجاه نحو شيء والوصول اليه هو بالقوة وبالفعل فيجب من هذا أن تكون الحركة مفارقة الحال ويجب أن يقبل الحال التنقص والتزيد ويكون باقيا غير متشابه الحال في نفسه وذلك مثل السواد والبياض والحرارة والبرودة والطول والقصر والقرب والبعد وكبر الحجم وصغره فالجسم اذا كان في مكان فتحرك فقد حصل فيه كمال وفعل أول به يتوصل به الى كمال وفعل ثان هو الوصول فهو في المكان الاول بالفعل وفي المكان الثاني بالقوة فالحركة كمال أول لما بالقوة من جهة ما هو بالقوة ولا يكون وجودها الا في زمان بين القوة المحضة والفعل المحض وليست من الامور التي تحصل بالفعل حصولا قارا مستكملا وقد ظهر ... في كل ...

(قال ابو محمد) وهذا حديث قد رويناه مختصرا كما حدثناه عبد الله ابن ربيع التميمي حدثنا عمر ابن عبد الملك الخولاني حدثنا محمد ابن بكر الوراق البصري حدثنا ابو داود السجستاني حدثنا ابراهيم بن موسى حدثنا يحيى بن زكريا ابن ابي زائدة حدثني ابي عن عامر الشعبي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوائدة والموؤدة في النار قال يحيي بن زكريا ابن ابي زائدة قال ابي فحدثني ابو اسحق بن عامر حدثه بذلك عن علقمة عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم (قال ابو محمد) وهذا مختصر وهو على ماذكرنا انه عليه السلام انما عنى بذلك التي بلغت لايجوز غير هذا لما ذكرنا وبالله تعالى التوفيق واما احتجاجهم بقول رسول الله صلي الله عليه وسلم م من آبائهم فانما قاله عليه السلام في الحكم لافي الدين ولله تعالى ان يفرق بين احكام عباده ويفعل مايشاء لامعقب لحكمه وايضا فلامتعلق لهم بهذا اللفظ لانه انما فيه انهم من آبائهم وهذا لاشك فيه انهم توالدوا من آبائهم ولم يقل عليه السلام انهم على دين ابائهم واما قولهم ينبغي ان تصلوا على اطفال المشركين وتورثوهم وترثوهم وان لاتتركوهم يلتزموا دين آبائهم اذا بلغوا فاما ردة فليس لهم ان يعترضوا على الله تعالى فليس ترك الصلاة عليهم يوجب انهم ليسوا مؤمنين فهؤلاء الشهداء وهم افاضل المؤمنين لايصلى عليهم واما انقطاع المواريث بيننا وبينهم فلاحجة في ذلك على انهم ليسوا مؤمنين فان العبد مومن فاضل ولا يورث وقد ياخذ المسلم مال عبده الكافر اذا مات وكثير من الفقهاء يورثون الكافر مال العبد من عبيده يسلم ثم يموت قبل ان يباع عليه وكثير من الفقهاء يورثون المسلمين مال المرتد اذا مات كافرا مرتدا أو قتل على الردة وهذا معاذ بن جبل ومعاوية بن ابى سفيان ومسروق بن الاجدع وغيرهم من الائمة رضى الله عنهم يورثون المسلمين من اقاربهم الكفار اذا ماتوا ولله تعالى ان يفرق بين أحكام من شاء من عباده وانما نقف حيث اوقفنا النص ولا مزيد وكذلك دفنهم في مقابر ابائهم ايضا وكذلك تركهم يخرجون الى اديان آبائهم اذا بلغوا فان الله تعالى أوجب علينا ان نتركهم وذلك ولا نعترض على احكام الله عز وجل ولا يسال عما يفعل وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الملة حتى يكون ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ويشركانه

(قال ابو محمد) فبطل ان يكون لهم في شيء مما ذكرنا متعلق وانما هو تشغيب موهوا به لان كل ماذكرنا فانما هي احكام مجردة فقط وليس في شيء من هذه الاستدلالات نص على ان اطفال المشركين كفار ولا على انهم غير كفار وهذه الكتتان هما اللتان قصدنا بالكلام فقط وبالله تعالى التوفيق واما من قال فيهم بالوقف فانهم احتجوا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ سئل عن الاطفال يموتون فقال عليه السلام الله اعلم بما كانوا عاملين وبقوله صلى الله عليه وسلم لعائشة أم المومنين رضى الله عنها اذا مات صبي من ابناء الانصار فقالت

التنقص والتزيد وليس شيء من الجواهر كذلك فاذا لاشيء من الحركات في الجوهر وكون الجوهر وفساده ليس بحركة بل هو أمر يكون دفعه وأما الكمية فانها تقبل التزيد والتنقص فخليق أن يكون فيها حركة كالنمو والذبول والتخلخل والتكاثف وأما الكيفية فما يقبل منها التنقص والتزيد والاشتداد كالتبيض والتسود فيوجد فيه الحركة وأما المضاف فابدا عارض لمقولة من البواقي في قبول التنقص والتزيد فاذا أضيف اليه حركة فذلك بالحقيقة لتلك المقولة وأما الاين فان وجود الحركة فيه ظاهر وهو النقلة واما متى فان وجوده للجسم بتوسط الحركة فكيف يكون فيه الحركة ولو كان كذلك لكان لمتى متى وأما الوضع فان فيه حركة على رأينا خاصة كحركة الجسم المستدير على نفسه اذ لو توهم المكان المحيط به معدوما لما امتنع كونه متحركا ولو قدر ذلك في الحركة المكانية لامتنع ومثاله في الموجودات الجرم الاقصى الذي ليس وراءه جسم والوضع يقبل التنقص والاشتداد فيقال انتصب وانتكس وأما الملك فان ماتبدل الحال فيه تبدل اولا في الاين فاذا الحركة فيه بالعرض واما ان يفعل فتبدل الحال فيه بالقوة اوالعزيمة أو الالة فكانت الحركة في قوة الفاعل أو عزيمته اوآلته أولا وفي الفعل بالعرض على ان الحركة ان كانت خروجا عن هيئة فهي عن هيئة قارة وليس شيء من الافعال كذلك فاذا لاحركة بالذات الا في الكم والكيف والاين والوضع وهو كون الشيء بحيث لايجوز أن يكون على ماهو عليه من اينه وكمه وكيفه ووضعه قبل ذلك ولا بعده والسكون هو عدم هذه الصورة في ما من شانه أن توجد فيه وهذا العدم له معنى ما ويمكن أن يرسم ويفرق بين عدم القرين في الانسان وهو السلب المطلق عقدا وقولا وبين عدم الشيء له فهو حالة مقابلة للشيء عند ارتفاع علة الشيء وله وجود ما بنحو من الانحاء وله علة

عصفور من عصافير الجنة فقال لها عليه السلام وما يدريك يا عائشة إن الله خلق خلقا للنار وهم في أصلاب آبائهم

(قال أبو محمد) وهذان الخبران لا حجة لهم في شيء منهما لأنهما إنما قالهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يوحى إليه أنهم في الجنة وقد قال تعالى آمرا لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول * وما أدري ما يفعل بي ولا بكم * قبل أن يخبره الله عز وجل بأنه قد غفر له الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عثمان بن مظعون رضي الله عنه وما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي وكان هذا قبل أن يخبره الله عز وجل بأنه لا يدخل النار من شهد بدرا وهو عليه السلام لا يقول إلا ما جاءه به الوحي كما أمره الله عز وجل أن يقول * إن أتبع إلا ما يوحى إلي * فحكم كل شيء من الدين لم يأت به الوحي أن يتوقف فيه المرء فإذا جاء البيان فلا يحل التوقف عن القول بما جاء به النص وقد صح الإجماع على أن ما عملت الأطفال قبل بلوغهم من قتل أو وطء أجنبية أو شرب خمر أو قذف أو تعطيل صلاة أو صوم فإنهم غير مؤاخذين في الآخرة بشيء من ذلك ما لم يبلغوا وكذلك لا خلاف في أنه لا يؤاخذ الله عز وجل أحدا بما لم يعمله بل قد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن من هم بسيئة لم يعملها لم تكتب عليه فمن المحال الممتنع أن يكون الله عز وجل يؤاخذ الأطفال بما لم يعملوا مما لو عاشوا بعد لعملوه وهم لا يؤاخذهم بما عملوا ولا يختلف اثنان في أن إنسانا لو مات ولو عاش لزنى أنه لا يؤاخذ بالزنى الذي لم يعمله وقد أكذب الله عز وجل من ظن هذا بقوله الصادق * اليوم تجزى كل نفس بما كسبت * وقوله تعالى * هل تجزون إلا ما كنتم تعملون * فصح أنه لا يجزى أحد بما لم يعمل ولا بما لم يكن [illegible] قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أعلم بما كانوا عاملين ليس فيه أنهم كفار ولا أنهم في النار ولا أنهم يؤاخذون بما لو عاشوا لكانوا عاملين به مما لم يعملوه بعد وفي هذا [illegible] ان الله تعالى يعلم ما لم يكن ولا يكون لو كان كيف كان يكون [illegible] هذا حق لا يشك فيه مسلم [illegible] الخبرين إذ لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه المسألة [illegible] الله تعالى يقول * ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى * [illegible] في الجنة [illegible] ذكر الإسلام [illegible] إن شاء الله تعالى

(قال أبو محمد) [illegible]

[illegible]

[illegible] خلق [illegible]

بنحو والمشي علة ما العرض لذلك العدم فالمعدوم معلول بالعرض فوجود بالعرض ثم اعلم أن كل حركة توجد في الجسم فإنما توجد له حركة إذ لو تحرك بذاته وبما هو جسم لكان كل جسم متحركا فيجب أن يكون المحرك معنى زائدا على هيولى الجسمية وصورتها ولا يخلو إما أن يكون ذلك المعنى في الجسم وإما أن لا يكون فإن كان المحرك مفارقا فلا بد أن تحريكه من معنى في الأجسام قابل لجهة التحريك والتغير ثم المتحرك لمعنى في ذاته يسمى متحركا لذاته وذلك إما (٦٤) أن تكون العلة الموجودة فيه يصح عنه أن يتحرك تارة ولا يتحرك أخرى فيسمى متحركا بالاختيار وأما أن لا يصح فيسمى متحركا بالطبع والمتحرك بالطبع لا يجوز أن يتحرك وهو على حالته الطبيعية لأن كل ما اقتضاه طبيعة الشيء لذاته ليس يمكن أن يفارقه إلا والطبيعة قد فسدت وكل حركة تعين في الجسم فإنما يمكن أن يفارق والطبيعة لم تبطل لكن الطبيعة إنما تقتضي الحركة للعود إلى حالتها الطبيعية فإذا عادت ارتفع الموجب للحركة وامتنع أن تتحرك فيكون مقدار الحركة على مقدار البعد من الحالة الطبيعية وهذه الحركة ينبغي أن تكون مستقيمة [illegible] لا تكون [illegible] كل ميل طبيعي على أقرب المسافة وكل ما هو على أقرب المسافة فهو على خط مستقيم فالحركة المكانية المستديرة ليست طبيعية ولا الحركة الوضعية فإن كل حركة طبيعية فإنما [illegible] عن حالة غير طبيعية [illegible] وإن [illegible] العود إلى مفارقة [illegible] اختيارها [illegible] طبيعية [illegible] [illegible] تلك المسافة وقد تكون واحدة بالنوع وذلك إذا كانت ذات جهة مفروضة من جهة واحدة إلى جهة واحدة في نوع واحد

الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط * الى قوله * لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون * الى قوله * صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون * فنص عز وجل على ان فطر الناس على الايمان وان الايمان هو صبغة الله تعالى وقال عز وجل * واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى * فصح يقينا ان كل نفس خلقها الله تعالى من بني آدم ومن الجن والملائكة فمؤمنون كلهم عقلاء مميزون فاذ ذلك كذلك فقد استحقوا كلهم الجنة بايمانهم حاشا من بدل هذا العهد وهذه الفطرة وهذه الصبغة وخرج عنها الى غيرها ومات على التبديل وبيقين ندري ان الاطفال لم يغيروا شيئا من ذلك فهم من أهل الجنة وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كل مولود يولد على الفطرة وروي عنه عليه السلام انه قال على الملة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ويشركانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل يجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا انتم الذين تجدعونها وهذا تفسير الآيات المذكورات حدثنا عبد الله بن ربيع حدثنا محمد بن اسحاق السكن حدثنا ابو سعيد بن الاعرابي حدثنا ابو داود سليمان بن الاشعث حدثنا الحسن بن علي حدثنا الحجاج بن المنهال قال سمعت حماد بن سلمة يفسر حديث كل مولود يولد على الفطرة فقال هذا عندنا حيث اخذ الله العهد عليهم في أصلاب آبائهم حيث قال * الست بربكم قالوا بلى * وقد صح أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طريق عياض بن حمار المجاشعي قال عن الله تعالى انه قال خلقت عبادي حنفاء كلهم فاجتالتهم الشياطين عن دينهم فصح يقينا انه كل من مات قبل ان تجتاله الشياطين عن دينه فقد مات حنيفا وهذا حديث تدخل فيه الملائكة والجن والانس عباد له عز وجل مخلوقون أيضا لله عز وجل أخبر بقول ابليس له تعالى ان يغوي الناس فقال تعالى * ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين * فصح يقينا ان الغواية داخلة على الايمان وان الاصل من كل واحد فهو الايمان وكل مؤمن ففي الجنة وأيضا فان الله تعالى قال * فانذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى * وليست هذه صفة الصبيان فصح انهم لا يدخلون النار ولا دار الا الجنة أو النار فاذا لم يدخلوا النار فهم بلا شك في الجنة وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرؤيا الكبيرة التي رآها انه رأى ابراهيم عليه السلام في روضة خضراء معتمرة فيها من كل نور ربيع وحواليه من احسن صبيان رآهم قط فسأل عليه السلام عنهم فاخبر انهم من مات من اولاد الناس قبل ان يبلغوا فقيل له يا رسول الله واولاد المشركين قال واولاد المشركين فارتفع الاشكال وصح بالثابت من السنن صحيحها ان جميع من لم يبلغ من اطفال المسلمين والمشركين ففي الجنة ولا يحل لاحد تعديه ما صح بالقرآن والسنن وبالله تعالى التوفيق فان قال قائل اذا قلتم ان النار دار جزاء فالجنة كذلك ولا جزاء للصبيان فما

وفي زمن مساو مثل بيص بالتبيض وقد تكون واحدة بالشخص وذلك اذا كانت عن متحرك واحد بالشخص في زمان واحد ووحدتها بوجود الاتصال فيها والحركات المتفقة في النوع لا تتضاد واما تتطابق الحركات فيعنى بها التي لا يجوز أن يقال لبعضها اسرع من بعض أو ابطاء أو مساو والاسرع هو الذي يقطع شيئا مساويا لما يقطعه الآخر في زمان أقصر وضده الابطاء والمساوي معلوم وقد يكون التطابق في القوة وقد يكون بالفعل وقد يكون بالتحيل واما تضاد الحركات فان الضدين هما الذان ووضوعهما واحد وهما ذاتان يستحيل أن يجتمعا فيه وبينهما غاية الخلاف فتضاد الحركات ليس لتضاد المتحركين ولا للزمان ولا لتضاد ما يتحرك فيه بل تضادهما هو لتضاد الاطراف والجهات فعلى هذا لا تضاد بين الحركة المستقيمة والحركة المستديرة المكانية لانهما لا يتضادان في الجهات بل المستديرة لا جهة فيها بالفعل لانه متصل واحد والتضاد في الحركة المكانية المستقيمة يتصور فالهابطة ضد الصاعدة والمتيامنة ضد المتياسرة وأما التقابل بين الحركة والسكون فهو كتقابل العدم والملكة وقد بينا أن ليس كل عدم هو السكون بل هو عدم ما من شانه أن يتحرك ويختص ذلك بالمكان الذي يتأتى فيه الحركة والسكون في المكان المقابل انما يقابل الحركة عنه الحركة اليه بل انما كان هذا

٩ ـ فصل ـ في المدال رادم)

السكون استكمالا لها واذا عرفت ما ذكرناه سهل عليك معرفة الزمان بان تقول كل حركة تفرض في مسافة على مقدار من السرعة وأخرى معها على مقدارها وابتدأتا معا فانهما يقطعان المسافة معا وان ابتدأ أحدهما ولم يبتدأ الآخر ولكن تركا الحركة معا فان احدهما يقطع دون ما يقطعه الاول وان ابتدأ معه بطئ واتفقا في الاخذ والترك وجد البطئ قد قطع أقل والسريع اكثر

وكان بين أخذ السريع الاول وتركه امكان قطع مسافة معينة بسرعة معينة وأقل منها ببطيء معين وبين أخذ السريع الثاني وتركه امكان أقل من ذلك بتلك السرعة المعينة يكون ذلك الامكان طابق جزأ من الاول ولم يطابق حرأ مقتضيا وكان من شان هذا الامكان التقضي لانه لو ثبتت الحركات بحال واحدة لكان يقطع المتفقات في السرعة أي وقت ابتدأت وتركت مسافة واحدة بعينها ولما كان قبل امكان أقل من امكان فوجد في هذا الامكان زيادة ونقصان يتعينان كان ذا مقدار مطابق للحركة فاذا هما مقدار للحركات مطابق لها وكل ما طابق للحركات فهو متصل ويقتضي الاتصال متجدده وهو الذي نسميه الزمان ثم هو لا بد وان يكون في مادة ومادته الحركة فهو مقدار الحركة واذا قدرت وقوع حركتين مختلفتين في العدم وكان هناك امكانان مختلفان بل مقداران مختلفان وقد سبق ان الامكان والمقدار لا يتصور الا في موضع فليس الزمان محدثا حدوثا زمانيا بحيث يسبقه زمان لان كلامنا في ذلك الزمان نفسه واما حدوثه حدوث ابداع لا يسبقه الا مبدعه وكذلك ما يتعلق به الزمان ويطابقه فالزمان متصل يتهيأ أن ينقسم بالتوهم فاذا قسم ثبت منه انات وانقسم الي الماضي والمستقبل وكون الآن فيه ككون أقسام العدد في العدد وكون الآن فيه كالوحدة في العدد وكون المتحركات فيه ككون المعدودات في العدد والدهر هو المحيط بالزمان وأقسام الزمان ما فصل منه بالتوهم كالساعات والايام والشهور والاعوام وأما المكان فيقال مكان لشيء يكون محيطا بالجسم ويقال لشيء يعتمد عليه الجسم والاول هو الذي يتكلم فيه الطبيعي وهو حاو للمتمكن مفارق له عند الحركة ومساو له وليس في المتمكن وكل هيولى وصورة فهو في المتمكن فليس المكان اذا هيولى وصورة وللابعاد التي يدعى انها مجردة عن المادة قائمة بمكان الجسم المتمكن لا مع امتناع خلوها كما يراه قوم ولا مع

و الله تعالى التوفيق انما نقف عندما جاءت به نصوص في الشريعة فجاء النص بان النار دار جزاء فقط وان الجنة دار جزاء وتفضل فهي لاصحاب الاعمال دار جزاء بقدر اعمالهم ولمن لا عمل له دار تفضل من الله تعالى مجرد وقد قال قوم ان الصبيان هم خدم اهل الجنة وقد ذكر الله تعالى الولدان المخلدين في غير موضع من كتابه وانهم خدم اهل الجنة فلعلهم هؤلاء والله اعلم

(قال ابو محمد) واما المجانين الذين لا يعقلون حتى يموتوا فانهم كما ذكرنا يولدون على الملة حنفاء مؤمنين ولم يغيروا ولا بدلوا فماتوا مؤمنين فهم في الجنة حدثنا احمد بن محمد الطلمنكي بالثغري قال حدثنا محمد بن احمد بن يحيي بن المفرج القاضي حدثنا محمد بن ايوب الصموت البرقي انا ابا محمد بن عمر بن عبد الخالق البزاز حدثنا محمد بن المثنى ابو موسى الزمن حدثنا معاذ بن هشام الدستوائي حدثنا ابي عن قتادة عن الاسود بن سريع التميمي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يعرض على الله الاصم الذي لا يسمع شيئا والاحمق والهرم ورجل مات في الفترة فيقول الاصم رب جاء الاسلام وما اسمع شيئا ويقول الاحمق جاء الاسلام وما اعقل شيئا ويقول الذي مات في الفترة ما اتاني لك من رسول قال البزاز وذهب عني ما قال الرابع قال فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه فيرسل الله اليهم ان ادخلوا النار فوالذي نفسي بيده لو دخلوها لكانت عليهم بردا وسلاما

الكلام في القيامة وتغير الاجساد

اتفق جميع اهل القبلة على تنابذ فرقهم على القول بالبعث في القيامة وعلى تكفير من انكر ذلك ومعنى هذا القول ان لمكث الناس وتناسلهم في دار الابتلاء التي هي الدنيا امدا يتناهى اليه يعلمه الله تعالى فاذا انتهى ذلك الامد مات كل من في الارض ثم يحيي الله تعالى ويحيي كل من مات منذ خلق الله عز وجل الحيوان الى انقضاء الاجل المذكور ورد ارواحهم التي كانت باعيانها وجمعهم في موقف واحد وحاسبهم عن جميع اعمالهم ووفاهم جزاءهم ففريق من الجن والانس في الجنة وفريق في السعير وبهذا جاء القرآن والسنن قال تعالى * من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم * وقال تعالى * وان الله يبعث من في القبور * وقال تعالى عن ابراهيم عليه السلام انه قال * رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي * الى آخر الآية وقال تعالى * الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم * وقال تعالى * فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام * الى قوله * وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما * الآية وقال تعالى عن المسيح عليه السلام * واحيي الموتى باذن الله * ولا يمكن البتة ان يكون الاحياء المذكور في جميع هذه الآيات

الارد الروح الى الجسد ورجوع الحس والحركة الارادية التي بعد عدمها منه لم يكن غير هذا البتة الان اباالعاص حكم بن المنذر بن سعيد القاضي اخبرني عن اسماعيل بن عبدالله الرعيني انه كان ينكر بعث الاجساد ويقول ان النفس حال فراقها الجسد تصير الى معادها في الجنة او النار ووقفت على هذا القول بعض العارفين باسماعيل فذكر لي ثقاة منهم انهم سمعوه يقول ان الله تعالى ياخذ من الاجساد جزء الحياة منها

(قال ابو محمد) وهذا تلبيس من القول لم يخرج به عما حكى لي عنه حكم بن المنذر لانه ليس في الاجساد جزء الحياة الا النفس وحدها

(قال أبو محمد) ولم الق اسماعيل الرعيني قط على اني قد ادركته وكان ساكنا معي في مدينة من مداين الاندلس تسمى بجاية مدة ولكنه كان محتجبا وكان له اجتهاد عظيم في ذلك من عبادة وصلاة وصيام والله أعلم وحكم بن المنذر ثقة في قوله بعيد من الكذب وتبرأ منه حكم بن المنذر وكان قبل ذلك يجمعهما مذهب بن مسرة في القدر وتبرأ منه أيضا ابراهيم بن سهل الاريولي وكان من رؤس المرية وتبرأ منه أيضا صهره احمد الطيب وجماعة من المرية وتولته جماعة منهم وبلغني عنه انه كان يحتج لقوله هذا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وقف على ميت فقال اما هذا فقد قامت قيامته وبانه عليه السلام كانت الاعراب تساله عن الساعة فينظر الى اصغرهم فيخبرهم انه ان استوفى عمره لم يمت حتى تقوم قيامتهم أو ساعتهم

(قال ابو محمد) وانما عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا قيام الموت فقط بعد ذلك الى يوم البعث كما قال عز وجل ﴿ ثم انكم يوم القيامة تبعثون ﴾ فنص تعالى على ان البعث يوم القيامة بعد الموت بلفظة ثم التي هي للمهلة وهكذا اخبر عز وجل عن قولهم يوم القيامة ﴿ يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ﴾ وانه يوم مقداره خمسون الف سنة وانه يحيي العظام ويبعث من في القبور في مواضع كثيرة من القرآن وبرهان ضروري وهو ان الجنة والنار موضعان ومكانان وكل موضع ومكان ومساحة متناهية بحدوده بالبرهان الذي قدمنا على وجوب تناهي الاجسام وتناهي كل ماله عدد وبقول الله تعالى ﴿ جنة عرضها السموات والارض ﴾ فلو لم يكن لتولد الخلق نهاية لكانوا ابدا يحدثون بلا آخر وقد علمنا ان مصيرهم الجنة أو النار ومحال ممتنع غير ممكن ان يسع ما لا نهاية له فيما له نهاية من الاماكن فوجب ضرورة ان للخلق نهاية فاذ ذلك واجب فقد وجب تناهي عالم الذر والتناسل ضرورة وانما كلامنا هذا مع من يؤمن بالقرآن وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وادعى الاسلام واما من انكر الاسلام فكلامنا معه على ما رتبناه في ديواننا هذا من النقض على اهل الالحاد حتى تثبت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصحة ما جاء به فيرجع اليه بعد التنازع وبالله تعالى التوفيق وقد نص الله تعالى على ان العظام يعيدها ويحييها كما كانت أول مرة واما اللحم فانما هو كسوة كما قال ﴿ ولقد خلقنا الانسان

جواز خلوها كما يظنه مثبتوا الخلاء ونقول في نفي الخلاء ان فرض خلاء خالي فليس هو لاشياء محضا بل هو ذات ماله كم لان كل خلاء يفرض فقد يوجد خلاء آخر أقل منه أو أكثر ويقبل التجزي في ذاته والمعدوم والاشيء ليس يوجد هكذا فليس الخلاء لاشيء فهو ذو كم وكل كم اما متصل واما منفصل والمنفصل لذاته عديم الحد المشترك بين أجزائه وقد تقرر في الخلاء حد مشترك فهو اذا متصل الاجزاء منحازها في جهات فهو اذا كم ذو وضع قابل للابعاد الثلاثة كالجسم الذي يطابقه وكانه جسم تعليمي مفارق للمادة فنقول الخلاء المقدر اما ان يكون موضوعا لذلك المقدار او يكون الوضع والمقدار جزئين من الخلاء والاول باطل فانه اذا رفع المقدار في التوهم كان الخلاء وحده بلا مقدار وقد فرض انه ذو مقدار فهو خلف وان بقي متقدرا بنفسه فهو مقدار بنفسه لا المقدار حله وان كان الخلاء مجموع مادة ومقدار فالخلاء اذا جسم لا خلاء وايضا فان الخلاء يقبل الاتصال والانفصال وكل شيء يقبل الاتصال والانفصال فهو ذو مادة ونقول ان التمانع في محسوس بين الجسمين وليس التمانع هو من حيث المادة فان المادة من حيث انها مادة لا انحياز لها عن الآخر وانما يحاز الجسم عن الجسم لاجل صورة البعد وطباع الابعاد يأبى التداخل ويوجب المقاومة أو التنحي وأيضا فان بعدا لو دخل بعدا فاما ان يكونا جميعا موجودين أو معدومين أو أحدهما موجودا والآخر معدوما فان وجدا فيها... من الواحد وكل ما هو عظيم وهو أزيد فهو أعظم وان عدما جميعا أو وجد أحدهما وعدم الآخر فليس مداخلة فاذا الجسم في خلاء فيكون بعدا في بعد وذلك محال ويقول نفي النهاية عن الجسم ان كل موجود ذات ذا وضع وترتيب فهو متناه فاما ان يكون غير متناه من الاطراف كلها أو غير متناه من طرف ... من الطرف المتناهي جزء بالتوهم فيوجد

اولاطبيعيا ولا منافيا او بعضه طبيعيا و بعضه منافيا و يبطل ان يكون كل حيز له طبيعيا لانه يلزم منه ان يكون مفارقة كل مكان لمخارجا عن طبعه او التوجه الى كل مكان له ملائما لطبعه وليس الامر كذلك فهو خلف و بطل ان يكون كل حيز منافيا لطبعه لانه يلزم منه ان لا يسكن جسم البتة بالطبع ولا يتحرك ايضا وكيف يسكن او يتحرك بالطبع و كل مكان مناف لطبعه و بطل ان يكون كل مكان لاطبيعيا ولامنافيا لانا اذا اعتبرنا الجسم على حالته وقد ارتفع عنه العوارض فحينئذ لابد له من حيز يختص به ويتحيز اليه وذلك هو حيزه الطبيعي فلا يزول عنه الا بقسر قاسر ويتعين القسم الرابع ان بعض الاحياز له طبيعي و بعضه غير طبيعي وكذلك يقول في الشكل ان لكل جسم شكلا ما بالضرورة لتناهي حدوده وكل شكل فاما طبيعي له او بقسر قاسر واذا رفعت القواسر في التوهم واعتبرت الجسم من حيث هو جسم وكان في نفسه متشابه الاجزاء فلا بد ان يكون شكله كرويا لان فعل الطبيعة في المادة واحد متشابه فلا يمكن ان يفعل في جزء زاوية وفي جزء خطا مستقيما او منحنيا فينبغي ان يتشابه الاجزاء فيجب ان يكون الشكل كرويا واما المركبات فقد يكون اشكالها غير كروية لاختلاف أجزائها فالاجسام السموية كلها كروية واذا تشابهت اجزاؤها وقواها كان حيزها الطبيعي وجهاتها واحدة فلا يتصور ارضان في وسطين في عالمين ولا ناران في افقين بل لا يتصور عالمان لا فقد ثبت ان العالم واحد كروي الشكل فلو قدرنا كرويان احدهما بجنب الآخر كان بينهما خلاء فلا يتصلان الا بجزء واحد لا ينقسم وقد تقدم استحالة الخلاء واما الحركة فمن المعلوم ان كل جسم اعتبر ذاته من غير عارض يلحقه من حيث هو جسم في حيز فهو اما ان يكون متحركا واما ان يكون ساكنا او ذلك ما نعنيه بالحركة الطبيعية والسكون الطبيعي فنقول ان كان الجسم بسيطا كانت اجزاؤه متشابهة واجزاء ما يلاقيه

الاجهم بن صفوان وابا الهذيل العلاف وقوما من الروافض فاما جهم فقال ان الجنة والنار يفنيان ويفنى اهلهما وقال ابو الهذيل ان الجنة والنار لا يفنيان ولا يفنى اهلهما الا ان حركاتهم تفنى ويبقون بمنزلة الجماد لا يتحركون وهم في ذلك احياء متلذذون ومعذبون وقالت تلك الطائفة من الروافض ان أهل الجنة يخرجون من الجنة وكذا أهل النار من النار الى حيث شاء الله

(قال ابو محمد) أما هذه المقالة فهي غاية الغثاثة والتعري من شيء يشغب به فكيف من اقناع أو برهان وما كان هكذا فهو ساقط واما قول ابي الهذيل فانه لا حجة له الا انه قال كلما احصاه العدد فهو ذو نهاية ولا بد والحركات ذات عدد فهي متناهية

(قال ابو محمد) فظن أبو الهذيل لجهله بحدود الكلام وطبائع الموجودات أن ما لم يخرج الى الفعل فانه يقع عليه العدد وهذا خطأ فاحش لان ما لم يخرج الى الفعل فليس شيئا ولا يجوز أن يقع العدد الا على شيء وانما يقع العدد على ما خرج الى الفعل من حركات أهل النار والجنة متى ما خرج فهو محدود متناه وهكذا ابدا قد احكمنا هذا المعنى في أول هذا الكتاب في باب ايجاب حدوث العالم وتناهي الموجودات فاغنى عن اعادته و بالله تعالى التوفيق فبطل ما موه به أبو الهذيل ولله الحمد ثم نقول ان قوله هذا خلاف الاجماع المتيقن وأيضا فان الذي فر منه في الحركات فانه لازم له في مدد سكونهم وتنعمهم وتألمهم لانه مقر بانهم يبقون ساكنين متنعمين متألمين بالعذاب والضرورة تدري ان السكون والنعيم والعذاب مدد ايعد كل ذلك كما تعد الحركة بمددها ولا فرق وأيضا فلو كان ما قاله ابو الهذيل صحيحا لكان أهل الجنة في عذاب راصب وفي صفة المخدور والمفلوج ومن أخذه الكابوس ومن سقي البنج وهذا غاية الكد والشقاء ونعوذ بالله من هذا الحال وأما جهم بن صفوان فانه احتج بقول الله تعالى * واحصى كل شيء عددا * وبقوله تعالى * كل شيء هالك الا وجهه * وقال كما لا يجوز أن يوجد شيء لم يزل غير الله تعالى فكذلك لا يجوز أن يوجد شيء لا يزال غير الله تعالى

(قال أبو محمد) ما نعلم له حجة غير هذا أصلا وكل هذا لا حجة له فيه اما قوله تعالى * كل شيء هالك الا وجهه * فانما عنى تعالى الاستحالة من شيء الى شيء ومن حال الى حال وهذا عام لجميع المخلوقات دون الله تعالى وكذلك مدد النعيم في الجنة والعذاب في النار كلما فنيت مدة أحدث الله عز وجل اخرى وهكذا أبدا بلا نهاية ولا آخر يدل على هذا ما نذكره بعد ان شاء الله تعالى من الدلائل على خلود الجنة والنار وأهلهما وأما قوله تعالى * واحصى كل شيء عددا * فان اسم الشيء لا يقع الا على موجود والاحصاء لا يقع على ما ذكرنا الا على ما خرج الى الفعل ووجد بعد واذا لم يخرج من المدد فهو لا شيء بعد ولا يجوز ان يعد لا شيء وكل ما خرج الى الفعل من مدة بقاء الجنة والنار وأهلهما فمحصى بلا شك ثم يحدث الله تعالى لهم مددا آخر وهكذا ابدا بلا نهاية ولا آخر وقالوا هل احاط الله تعالى علما بجميع مدة الجنة والنار أم لا فان قلتم لا جهلتم الله وان قلتم نعم جعلتم مدتها محاطا بها وهذا هو التناهي نفسه

(قال ابو محمد) ان الله تعالى انما يعلم الاشياء على ما هي عليه لان من علم الشيء على خلاف ما هو عليه فهو جاهل به مخطيء في اعتقاده ظان للباطل وليس علما ولا حقا ولا هو عالم به وهذا ما لا شك فيه وعلم الله عز وجل هو الحق اليقين على ما هي معلوماته عليه فكل ما كان ذا نهاية فهو في علم الله تعالى ذو نهاية ولا سبيل الى غير هذا البتة وليس للجنة والنار عدد غير متناهية محاط بها وانما لهما عدد كل ما خرج منها الى الفعل فهو محصى محاط بعدده وما لم يخرج الى الفعل فليس بمحصى لكن علم الله تعالى احاطة انه لا نهاية لهما واما قوله كما لا يجوز ان يوجد شيء غير الله تعالى لا نهاية له لم يزل فان هذه قضية فاسدة وقياس فاسد لا يصح والفرق بينهما ان اشياء ذوات عدد لا اول لها ولم تزل لا يمكن ان تتوهم البتة ولا يشكل بل هي محال في الوجود كما ذكرنا في الرد على من قال بان العالم لم يزل فغني عن اعادته وليس كذلك قولنا لا يزال لان احداث الله تعالى شيئا بعد شيء ابدا بلا غاية متوهم ممكن لا حوالة فيه فقياس الممكن المتوهم على الممتنع المستحيل الذي لا يتوهم باطل عند القائلين بالقياس فكيف عند من لا يقول به فان قال قائل ان كل ما لم يزل فله آخر قلنا له هذه قضية فاسدة ودعوى مجردة وما وجب هذا قط لا بقضية عقل ولا بخبر لان كون الموجودات لها اوائل لزوم بالضرورة لان ما حد بعد فقد حصره عدد زمان وجوده وكل ما حصره عدد فلذلك العدد اول ضرورة وهو قولنا واحد ثم يتمادى العدد ابدا فيه من الزيادة بلا نهاية وتمادي الوجود بخلاف المبدأ لانه اذا انقضى وقتا جاز ان يمتد وقتين وهكذا ابدا بلا نهاية وكل ما خرج من مدد البقاء الى حد الفعل فذو نهاية بلا شك كذلك من العدد ايضا ولم نقل ان بقاء الناس في هذه الدنيا لا نهاية الا من طريق النص ولو اخبر الله تعالى بذلك لامكن وجاز ان تبقى الدنيا ابدا بلا نهاية ولكن الله تعالى قادرا على ذلك ولكن النص لا يحل خلافه كذلك لولا اخبار الله تعالى لحل اخترامها وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) والبرهان على بقاء الجنة والنار بلا نهاية قول الله تعالى * خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ * وقوله تعالى في غير موضع من القرآن * خالدين فيها ابدا * وقوله تعالى * لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى * مع صحة الاجماع بذلك وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) ورويناعن عبد الله بن عمرو بن العاص لو اقام اهل النار في النار ما شاء الله ان يبقوا لكان لهم في ذلك يوم يخرجون فيه منها

(قال ابو محمد) وهذا انما هو في اهل الاسلام الداخلين في النار بكبائرهم ثم يخرجون منها بالشفاعة ويبقى ذلك المكان خاليا لا يخلد احد بطريق الصالحين الصادق بخلاف القرآن وحاشا لهما من ذلك وبالله تعالى التوفيق تم كتاب الايمان والوعيد بحمد الله وشكره على حسن تاييده وعونه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

واجزاء مكانه كذلك فلم يكن بعض الاجزاء اولى بان يختص ببعض اجزاء المكان من بعض فلم يجب ان يكون شيء منها له طبيعيا فلا يمتنع ان يكون على غير ذلك لطبع بل في طباعه ان يزول عن ذلك الوضع والاين بالقوة وكل جسم لا ميل له في طبعه فلا يقبل الحركة عن سبب خارج فالضرورة في طباعه حركة ما اما لكله واما لاجزائه حتى يكون متحركا في الوضع بحركة الاجزاء واذا صح ان كل قابل تحريك ففيه مبدأ ميل ثم لا يخلو اما ان يكون على الاستقامة (٧١) او على الاستدارة والاجسام السموية لا تقبل الحركة المستقيمة كما سبق فهي متحركة على الاستدارة وقد بينا استناد حركاتها الى مبادئها واما الكيف فيقول اولا ان الاجسام السموية ليست موادها مشتركة بل هي مختلفة بالطبع كما ان صورها مختلفة ومادة الواحدة منها لا يصلح ان يتصور بصورة الاخرى ولو امكن ذلك كذلك لقبلت الحركة المستقيمة وهو محال فلها طبيعة خامسة مختلفة بالنوع بخلاف طبائع العناصر فان موادها مشتركة وصورها مختلفة وهي تنقسم الى حار يابس كالنار والى حار رطب كالهواء والى بارد رطب كالماء والى بارد يابس كالارض وهذه ارض فيها لا صور ويقبل الاستحالة بعضها الى بعض ويقبل النمو والذبول ويقبل الآثار من الاجسام السموية اما الكيفيات والحرارة والبرودة فاعلتان فالحار هو الذي يفرق جسما آخر بالتحليل الذي يحدثه بحيث يؤلم الحاس دفعة والبارد هو الذي يبرد جسما بالتسخين والتكثير بحيث يؤلم الحاس ببرده والرطوبة واليبوسة منفعلتان والرطب هو سهل القبول للتفريق والجمع والتشكيل بالدفع واليابس هو عسر القبول لذلك وبسائط الاجسام المركبة تختلف وتتمايز بهذه القوى الاربع ولا يوجد شيء منها عديما لواحدة من هذه وليست هذه صورا مقومة للاجسام لكنها اذا تركت طباعها ولم يمنعها مانع من خارج ظهرت منها السكون او ميلا الى حركة ولذلك قيل قوة طبيعية وقيل النار حارة بالطبع

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اله الا الله عدة للقائه

(الكلام فى الامامة والمفاضلة بين الصحابة)

قال الفقيه الامام الاوحد ابو محمد علي بن أحمد بن حزم رضى الله عنه اتفق جميع أهل السنة وجميع المرجئة وجميع الشيعة وجميع الخوارج على وجوب الامامة وان الامة واجب عليها الانقياد لامام عادل يقيم فيهم احكام الله ويسوسهم باحكام الشريعة التى اتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم حاشا النجدات من الخوارج فانهم قالوا لا يلزم الناس فرض الامامة وانما عليهم ان يتعاطوا الحق بينهم وهذه فرقة ما نرى بقى منهم احد وهم المنسوبون الى نجدة بن عمير الحنفى القائم باليمامة

(قال ابو محمد) وقول هذه الفرقة ساقط يكفى من الرد عليه وابطاله اجماع كل من ذكرنا على بطلانه والقرآن والسنة قد ورد بايجاب الامام من ذلك قول الله تعالى * أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم * مع أحاديث كثيرة صحاح فى طاعة الائمة وايجاب الامامة وأيضا فان الله عز وجل يقول * لا يكلف الله نفسا إلا وسعها * فوجب اليقين بان الله تعالى لا يكلف الناس ما ليس فى بنيتهم واحتمالهم وقد علمنا بضرورة العقل وبديهته ان قيام الناس بما أوجبه الله تعالى من الاحكام عليهم فى الاموال والجنايات والدماء والنكاح والطلاق وسائر الاحكام كلها ومنع الظالم وانصاف المظلوم وأخذ القصاص على تباعد اقطارهم وشواغلهم واختلاف آرائهم وامتناع من تحرى فى كل ذلك ممتنع غير ممكن اذ قد يريد واحد أو جماعة ان يحكم عليهم انسان ويريد آخر أو جماعة أخرى أن لا يحكم عليهم اما لانها ترى فى اجتهادها خلاف ما رأى هؤلاء واما خلافا مجردا عليهم وهذا الذى لا شك فيه ضرورة وهذا مشاهد فى البلاد التى لا رئيس لها فانه لا يقام هناك حكم حق ولا حد حتى قد ذهب الدين فى اكثرها فلا تصح اقامة الدين الا بالاسناد الى واحد أو الى اكثر من واحد فاذ لا بد من احد هذين الوجهين فان الاثنين فصاعدا بينهما ما بينهم ما ذكرنا فلا يتم امر البتة فلم يبق وجه تتم به الامور الا الاسناد الى واحد فاضل عالم حسن السياسة قوى على الانفاذ الا انه وان كان بخلاف ما ذكرنا فالظلم والاهمال معه اقل منه مع الاثنين فصاعدا واذ ذلك كذلك ففرض لازم لكل الناس ان يكفوا من الظلم ما امكنهم ان قدروا على كفه كله لزمهم ذلك

والسماء متحركة بالطبع فعرفت الاحياز الطبيعية والاشكال الطبيعية والحركات الطبيعية والكيفيات الطبيعية وعرفت ان اطلاق الطبيعية عليها باى وجه فيقول بعد ذلك ان العناصر قابلة للاستحالة والتغير وبينها مادة مشتركة والاعتبار فى ذلك بالمشاهدة فانا نرى الماء العذب انعقد حجرا جامدا والحجر يكلس فيعود رمادا وتدام الحيلة حتى تصير ماء فالمادة مشتركة بين الماء والارض ونشاهد هواء صحوا يغلظ دفعة فيستحيل اكثره أو كله ماء وبردا وثلجا وتسمع الجمد فى كوز صغر وتجد من الماء المجتمع على سطحه كالقطر ولا يمكن أن يكون ذلك بالرشح لانه ربما كان ذلك حيث لا يماسه الجمد وكان فوق مكانه ثم لا تجد مثله اذا كان حارا والكوز مملوءا ويجتمع مثل ذلك داخل الكوز حيث لا يماسه الجمد وقد يدفن القدح فى جمد محفور حفرا مهندما ويسد رأسه عليه فيجتمع فيه ماء كثير وان وضع فى الماء الحار الذي يغلى مدة واستد رأسه لم يجتمع شىء وليس ذلك الا لان الهواء الخارج أو الداخل قد استحال ماء فبين الماء والهواء مادة مشتركة وقد يستحيل الهواء نارا وهو ما نشاهد من آلات حاقنة مع تحريك شديد على صورة المنافخ فيكون ذلك الهواء بحيث يشتعل فى الخشب وغيره وليس ذلك على طريق الانجذاب لان النار لا تتحرك الا على الاستقامة الى العلوى ولا على طريق الكمون اذ من المستحيل أن يكون فى ذلك الخشب من النار الكامنة مثل ذلك القدر الذى فى الجمرة ولا يحرق والكمون أجمع لها والانتشار أضعف تأثيرا من المشتعل فتعين انه هواء اشتعل نارا فبين النار والهواء مادة مشتركة ويقول ان العناصر قابلة للكبر والصغر ولها مادة مشتركة اذ قد تحقق ان المقدار عرض فى الهيولى والكبر والصغر اعراض فى الكميات وقد نشاهد ذلك اذا اغلى الماء انتفخ وتخلخل والخمر ينتفخ فى الدن حتى يتصدع عند الغليان وكذلك القمقمة الصياحة وهى اذا كانت مسدودة

الرأس مملوءة بالماء فاوقدت النار تحتها انكسرت وتصعدت ولا سبب له الا ان الماء صار ا كثر مما كان ولا جائز ان يقال ان النار
طلبت جهة الفوق فطلبه فانه كان يكفى ان ترفع الاناء وتطيره لا ان تكسره واذا كان الاناء صلبا املس ما كان رفعه أسهل من كسره
فتعين ان السبب انبساط الماء فى جميع الجوانب ودفعه سطح الاناء الى الجوانب فيدفع الموضع الذى كان اضعف وله امثلة أخرى
تدل على ان القدر يريده ينقص و قول ان العناصر قابلة للتاثيرات السماوية اما (٧٣) الآثار المحسوسة مثل صح الدوا كب ومد
البحر واظهرها الضوء والحرارة واسطة العصر والتحريك الى فوق بتوسط الحرارة والشمس ليست بحارة ولا متحركة الى فوق وانما تاثيراتها ممدات المادة فى قبول الصورة من واهب الصور وقد يكون للقوى الفلكية تاثيرات خارجة من العنصريات والا فكيف يبرد الافيون أقوى مما يبرد الماء والجزؤ البارد فيه مغلوب بالتركيب مع الاضداد وكيف يفعل ضوء الشمس فى عيون العشى والنباتات بادنى تسخين ما لا تفعله النار بالتسخين يكون فوقه فتبين ان العناصر كيف قبلت الاستحالة والتغير والتاثير وتبين مالها بالعنصر والجوهر * المقالة الثالثة فى المركبات او الآثار العلوية * قال ابن سينا ان العناصر الاربعة عساها لا توجد كلياتها صرفة بل يكون فيها اختلاط ويشبه ان يكون النار ابسطها فى موضعها ثم الارض اما النار فلان ما يخالطها يستحيل اليها لقوتها واما الارض فلان نفوذ
قوى ما يحيط بها فى كليتها باسرها
كالقليل وعسى ان يكون باطنها القريب من المركز قريب من البساطة ثم الارض على طبقات الطبقة القريبة من المركز ثانية الطين
والثالثة بعضها مغمور وبعضها غير مغمور الشمس وهو البر والسبب فى ان الماء غير محيط بالارض ان الارض ينقلب ماء فتحصل
وهدة والماء يستحيل ارضا فتحصل ربوة والارض صلب وليس بسيال كالماء والهواء حتى ينصب بعض اجزائه الى بعض

والاصحاب متفقون على كونه منه ولو قصبة واحدة لا يجوز غير ذلك ثم اتفق من ذكرنا
ممن يرى فرض الامامة على انه لا يجوز كون امامين فى وقت واحد فى العالم ولا يجوز
الامام واحد الا محمد بن كرام السجستانى واما اصحاب السمرقندى واصحابهما فانهم اجازوا
كون امامين فى وقت واكثر فى وقت واحد واحتج هؤلاء بقول الانصار او من قال منهم
يوم السقيفة للمهاجرين منا امير ومنكم امير واحتجوا ايضا بامر على والحسن مع معاوية رضى
الله عنهم

(قال أبو محمد) وكل هذا لا حجة لهم فيه لان قول الانصار رضى الله عنهم ما ذكرنا لم
يكن صوابا بل كان خطأ اد اداهم اليه الاجتهاد وخالفهم فيه المهاجرون ولا بد اذا اختلف
القائلان على قولين متنافيين من ان يكون احدهما حقا والآخر خطأ واذ ذلك كذلك فواجب
رد ما تنازعوا فيه الى ما افترض الله عزوجل الرد اليه عند التنازع اذ يقول الله تعالى *فان
تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر* فنظرنا فى
ذلك فوجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال اذا بويع لامامين فاقتلوا الآخر منهما وقال
تعالى * ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا* وقال تعالى *ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب
ريحكم * فحرم الله عزوجل التفرق والتنازع واذا كان امامان فقد حصل التفرق المحرم فوجد
التنازع ووقعت المعصية لله تعالى وقلنا ما لا يحل لنا وامامن طريق النظر والمصلحة فلو جاز
ان يكون فى العالم امامان لجاز ان يكون فيه ثلاثة واربعة واكثر فان منع من ذلك مانع كان
متحكما بلا برهان ومدعيا بلا دليل وهذا الباطل الذى لا يعجز عنه احد وان جاز ذلك زاد
الامر حتى يكون فى العالم امام اوفى كل مدينة امام اوفى كل قرية امام او يكون كل
احد اماما وخليفة فى منزله وهذا هو الفساد المحض وهلاك الدين والدنيا فصح ان قول
الانصار رضي الله عنهم وهلة وخطأ رجعوا عنه الى الحق وعصمهم الله تعالى من التمادى عليه
واما أمر على والحسن ومعاوية فقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه انذر بخارجة تخرج
من طائفتين من امة يقتلها اولى الطائفتين بالحق فكان قاتل تلك الطائفة على رضى الله عنهم
فهو صاحب الحق بلا شك وكذلك انذر عليه السلام بان عمارا تقتله الفئة الباغية فصح ان
عليا هو صاحب الحق وكان على السابق الى الامامة فصح بعد انه صاحبها وان من نازعه
فيها فمخطىء فمعاوية رحمه الله مخطىء ماجور مرة لانه مجتهد ولا حجة فى خطأ المخطىء فبطل
قول هذه الطائفة وأيضا فان قول الانصار رضى الله عنهم منا امير ومنكم امير يخرج على انهم
انما ارادوا ان يلي وال منهم فاذا مات ولى من المهاجرين آخر وهكذا ابدا لا على ان يكون
امامان فى وقت وهذا هو الاظهر من كلامهم واما على ومعاوية رضى الله عنهما فما سلم قط
احدهما للآخر بل كل واحد منهما يزعم انه المحق وكذلك كان الحسن رضي الله عنه الى ان

اسلم الامر الي معاوية فاذ هذا كذلك فقد صح الاجماع على بطلان قول ابن كرام وابي الصباح وبطل ان يكون لهم تعلق في شيء اصلا وبالله تعالى التوفيق ثم اختلف القائلون بوجوب الامامة على قريش فذهب اهل السنة وجميع الشيعة وبعض المعتزلة وجمهور المرجئة الى ان الامامة لاتجوز الا في قريش خاصة من كان من ولد فهر بن مالك وانها لاتجوز فيمن كان ابوه من غير بني فهر بن مالك وان كانت امه من قريش ولا في حليف ولا في مولى وذهبت الخوارج كلها وجمهور المعتزلة وبعض المرجئة الى انها جائزة في كل من قام بالكتاب والسنة قرشيا كان او عربيا او ابن عبد وقال ضرار بن عمرو الغطفاني اذا اجتمع حبشي وقرشي كلاهما قائم بالكتاب والسنة فالواجب ان يقدم الحبشي لانه اسهل لخلعه اذا حاد عن الطريقة

(قال ابو محمد) وبوجوب الامامة في ولد فهر ابن مالك خاصة نقول بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان الائمة من قريش وعلى ان الامامة في قريش وهذه رواية جاءت مجيء التواتر ورواها انس ابن مالك وعبد الله ابن عمر بن الخطاب ومعاوية وروى جابر بن عبد الله وجابر بن سمرة وعبادة بن الصامت معناها ومما يدل على صحة ذلك اذعان الانصار رضي الله عنهم يوم السقيفة وهم اهل الدار والمنعة والعدد والسابقة في الاسلام رضي الله عنهم ومن المحال ان يتركوا اجتهادهم لاجتهاد غيرهم لولا قيام الحجة عليهم بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان الحق لغيرهم في ذلك فان قال قائل ان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الائمة من قريش يدخل في ذلك الحليف والمولى وابن الاخت لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم مولى القوم منهم ومن انفسهم وابن اخت القوم منهم فالجواب وبالله تعالى التوفيق ان الاجماع قد تيقن وصح على ان حكم الحليف والمولى وابن الاخت كحكم من ليس له حليف ولا مولى ولا ابن اخت فمن اجاز الامامة في غير هؤلاء جوزها في هؤلاء ومن منعها من غير قريش منعها من الحليف والمولى وابن الاخت فاذا صح البرهان بان لا يكون الا في قريش لا فيمن ليس قرشيا صح بالاجماع ان حليف قريش ومولاهم وابن اختهم كحكم من ليس قرشيا وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) وقال قوم ان اسم الامامة قد يقع على الفقيه العالم وعلى متولي الصلاة باهل مسجد ما قلنا نعم لايقع على هؤلاء الا بالاضافة لا بالاطلاق فيقال فلان امام في الدين وامام بني فلان ولا يطلق لاحدهم اسم الامامة بلا اضافة من احد من الامة الا على المتولي لامور اهل الاسلام فان قال قائل بان اسم الامارة واقع بلا خلاف على من ولي جهة من جهات المسلمين وقد سمي بالامارة كل من ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جهة من الجهات او سرية او جيشا وهؤلاء مؤمنون فما المانع من ان يوقع على كل واحد اسم أمير المؤمنين فجوابنا وبالله تعالى التوفيق ان الكذب محرم بلا خلاف وكل ما ذكرنا قائما هو امير لبعض

ويتشكل بالاستدارة واما الهواء فهو اربع طبقات طبقة تلي الارض فيها مائة من البخارات وحرارة لان الارض تقبل الضوء من الشمس فيتحمى فيتعدى الحرارة الى ما يجاورها وطبقة لا يخلو عن رطوبة بخارية ولكن أقل حرارة وطبقة هي هواء صرف صاف وطبقة دخانية لان الادخنة ترتفع الى الهواء وتقصد مركز النار فيكون كالمنتشر في السطح الاعلى من الهواء الى ان يتصعد (٧٤) فيحترق وأما النار فانها طبقة واحدة ولا ضوء لها بل هي كالهواء المشف الذي لا لون له وان رأى لون النار فهي بما يخالطها من الدخان صارت ذات لون ثم فوق النار الاجرام العالية الفلكية والعناصر بطبقاتها طوعها والكائنات الفاسدات تتولد من تاثيراتها والفلك وان لم يكن حارا ولا باردا فانه ينبعث منه في الاجرام السفلية حرارة وبرودة بقوى تفيض منه اليها ونشاهد هذا من احراق شعاعه المنعكس عن المرآى ولو كان سبب الاحراق حرارة الشمس دون شعاعه لكان كل ما هو اقرب الى العلو أسخن بل سبب الاحراق التفات شعاع الشمس المسخن لما يلتفت به فيسخن الهواء فالفلك اذا هيج باسخانه للحرارة يخرج من الاجسام المائية ودخان من الاجسام الارضية واثار شيئا بين الغبار والدخان من الاجسام المائية والارضية والبخار أقل مسافة صعود من الدخان لان الماء اذا سخن صار حارا رطبا والاجزاء الارضية اذا سخنت ولطفت كان حارة يابسة والحار الرطب اقرب الى طبيعة الهواء والحار اليابس أقرب الى طبيعة النار والبخار لايجاوز مركز الهواء بل اذا وافى منقطع تاثير الشعاع برد وكثف والدخان فانه يتعدى حيز الهواء حتى يوافي تخوم النار واذ احتبسا فيهما حدثت كائنات أخر فالدخان اذا وافى حيز النار اشتعل واذا اشتعل فربما سعى فيه الاشتعال فرأى كأنه كوكب يقذف به وربما احترق وثبت فيه الاحتراق فرأيت العلامات الهائلة الحمر والسود وربما كان غليظا ممتدا وثبت فيه الاشتعال ووقف تحت كوكب ودارت به النار بدوران الفلك

المؤمنين لا لكلهم فلو سمي أمير المؤمنين لكان مسميه بذلك كاذبا لان هذه اللفظة تقتضى عموم جميع المؤمنين وهو ليس كذلك وانما هو أمير بعض المؤمنين فصح انه ليس يجوز البتة ان يوقع اسم الامامة مطلقا ولا اسم أمير المؤمنين الا على القرشى المتولي لجميع أمور المؤمنين كلهم او الواجب له ذلك وان عصاه كثير من المومنين وخرجوا عن الواجب عليهم من طاعته والمفترض عليهم من بيعته وكانوا بذلك فئة باغية حلالا قتالهم وحربهم وكذلك اسم الخلافة باطلاق لا يجوز أيضا الا لمن هذه صفته وبالله التوفيق واختلف القائلون بان الامامة لا تجوز الا في صلبة قريش فقالت طائفة هي جائزة فى جميع ولد فهر بن مالك فقط وهذا قول اهل السنة وجمهور المرجئة وبعض المعتزلة وقالت طائفة لا تجوز الخلافة الا فى ولد العباس بن عبد المطلب وهو قول الراوندية وقالت طائفة لا تجوز الخلافة الا فى ولد على ابن ابى طالب ثم قصروها على عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب وبلغنا عن بعض بنى الحارث بن عبد المطلب انه كان يقول لا تجوز الخلافة الا فى بنى عبد المطلب خاصة ويراها فى جميع ولد عبد المطلب وهم ابو طالب وابو لهب والحارث والعباس وبلغنا عن رجل كان بالاردن يقول لا تجوز الخلافة الا فى بنى أمية بن عبد شمس وكان له في ذلك تاليف مجموع ورأينا كتابا مؤلفا لرجل من ولد عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحتج فيه بان الخلافة لا تجوز الا لولد ابي بكر وعمر رضى الله عنهما

(قال ابو محمد) فاما هذه الفرق الاربع فما وجدنا لهم شبهة يستحق ان يشتغل بها الا دعاوى كاذبة لا وجه لها وانما الكلام مع الذين يرون الامر لولد العباس اولولد على فقط لكثرة عددهم

(قال ابو محمد) احتج من ذهب الى ان الخلافة لا تجوز الا فى ولد العباس فقط على ان الخلفاء من ولده وكل من له حظ من علم من غير الخلفاء منهم لا يرضون بهذا ولا يقولون به لكن تلك الطائفة قالت كان العباس عصب رسول الله صلى الله عليه وسلم ووارثه فاذا كان ذلك كذلك فقد ورث مكانه

(قال ابو محمد) وهذا ليس شىء لان ميراث العباس رضى الله عنه لو وجب له لكان ذلك في المال خاصة واما المرتبة فما جاء قط فى الديانات انها تورث فبطل هذا التمويه جملة ولله الحمد ولو جاز ان تورث المراتب لكان من ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانا ما اذا مات وجب ان يرث تلك الولاية عاصبه ووارثه وهذا ما لا يقولونه فكيف وقد صح باجماع جميع اهل القبلة حاشا الروافض ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركناه صدقة فان اعترض معترض بقول الله عز وجل * وورث سليمان داود * وبقوله تعالى

وكأن ذنبا له وربما كان عريضا فرأى كأنه لحية كوكب وربما حميت الادخنة فى برد الهواء للتحاقب المذكور فانضغطت مشتعلة وان بقي شيء من الدخان فى تضاعيف الغيم وبرد صار ريحا وسط الغيم فتحرك عنه بشدة فحصل منه صوت يسمى الرعد وان قويت حركته وتحريكه اشتعل من حرارة الحركة والهواء والدخان فصار نارا مضيئة يسمى البرق وان كان المشتعل كثيفا ثقيلا محرقا اندفع بصادمات الغيم الى جهة الارض فيسمي صاعقة ولكنه نار لطيفة تنفذ فى الثياب والاشياء الرخوة وينصدم بالاشياء الصلبة كالذهب والحديد فتذيبه حتى يذيب الذهب فى الكيس ولا يحرق الكيس ويذيب ذهب المراكب ولا يحرق السير ولا يخلوا برق عن رعد لانهما جميعا عن الحركة ولكن البصر أحد فقد البرق ولا ينتهى الصوت الي السمع وقد يرى متقدما ويسمع متاخرا واما البخار الصاعد فمنه ما يلطف ويرتفع جدا ويتراكم ويكثر مادته فى أقصى الهواء عند منقطع الشعاع فيبرد فيكثف فيقطر فيكون المتكاثف منه سحابا والقاطر مطرا ومنه ما يقصر لثقله عن الارتفاع بل يبرد سريعا وينزل كما يوافيه برد الليلة سريعا قبل ان يتراكم سحابا وهذا هو الطل وربما جمد البخار المتراكم فى الاعالى أعنى السحاب فنزل وكان ثلجا وربما جمد البخار الغير المتراكم فى الاعالى أعنى مادة الطل فنزل وكان صقيعا وربما جمد البخار بعد ما استحال قطرات ماء وكان بردا وانما يكون جموده فى الشتاء وقد فارق السحاب وفى الربيع وهو داخل السحاب وذلك اذا سخن خارجه فبطنت البرودة الى داخله فتكاثف داخله واستحال ماء وأجمده شدة البرودة وربما تكاثف الهواء نفسه لشدة البرد فاستحال مطرا ثم ربما وقع على صقيل السحاب صور النيرات واضواؤها كما يقع فى المرائى والجدران الصقيلة فيرى ذلك على أحوال مختلفة بحسب اختلاف بعدها من النير وقربها وبعدها من الرائي وصفاتها

حا كيا عن ذ كريا عليه السلام انه قال* فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا *

(قال ابو محمد) وهذا لا حجة فيه لان الرواة حملة الاخبار وجميع التواريخ القديمة كلها وكواف بنى اسرائيل ينقلون بلا اختلاف نقلا يوجب العلم ان داود عليه السلام كان له بنون غير سليمان عليه السلام فصح انه ورث النبوة وبرهان ذلك انهم كلهم مجمعون على انه عليه السلام ولى مكان ابيه عليهما السلام وليس له الا اثنتى عشرة سنة ولداود تسعة وعشرون ابنا كبارا وصغارا وهكذا القول فى ميراث يحيي بن زكريا عليهما السلام وبرهان ذلك من نص الاية نفسها قوله عليه السلام يرثنى ويرث من آل يعقوب * وهم مثوا الوف يرث عنه النبوة فقط وايضا من المحال ان يرغب زكريا عليه السلام فى ولد يحجب عصبته عن ميراث فانما يرغب فى هذه الخطة ذو الحرص على الدنيا وحطامها وقد نزه الله عز وجل مريم عليها السلام التى كانت فى كفالته من المعجزات قال تعالى* كلما دخل عليها ذكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب * الى قوله * انك سميع الدعاء * وعلى هذا المعنى دعا فقال * هب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من ال يعقوب واجعله رب رضيا * واما من اغتر بقوله تعالى حاكيا عنه عليه السلام انه قال *وانى خفت الموالى من ورائى * قيل له بطلان هذا الظن ان الله تعالى لم يعطه ولدا يكون له عقب فيتصل الميراث لهم بل اعطاه ولدا حصورا لا يقرب النساء قال تعالى * وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين فصح ضرورة انه عليه السلام انما طلب ولدا نبيا لا ولدا يرث المال وايضا فلم يكن العباس محيطا بميراث النبى صلى الله عليه وسلم وانما كان يكون له ثلاثة اثمانه فقط واما ميراث المكانة فقد كان العباس رضى الله عنه حيا قائما اذ مات النبى صلى الله عليه وسلم فما ادعي العباس لنفسه قط فى ذلك حقا لا حينئذ ولا بعد ذلك وجاءت الشورى فما ذكر فيها ولا ابنه ذكر هو ولا غيره ترك ذكره فيها فصح انه رأى محدث فاسد لا وجه للاشتغال به والخلفاء من ولده والافاضل منهم من غير الخلفاء لا يرون لانفسهم بهذه الدعوة ترفعا عن سقوطها ووهيها وبالله تعالى التوفيق وأما القائلون بان الامامة لا تكون الا فى ولد على رضى الله عنه فانهم انقسموا قسمين فطائفة قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نص على على بن ابي طالب انه الخليفة بعده وان الصحابة بعده عليه السلام اتفقوا على ظلمه وعلى كتمان نص النبى صلى الله عليه وسلم وهؤلاء المسمون الروافض وطائفة قالت لم ينص النبى صلى الله عليه وسلم على على لكنه كان افضل الناس بعد رسول الله صلي الله عليه وسلم واحقهم بالامر وهؤلاء هم الزيدية نسبوا الى زيد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب ثم اختلف الزيدية فرقا فقالت طائفة ان الصحابة ظلموه وكفروا من خالفه

وكدورتها واستوائها ورعشها وكثرتها وقلتها فيرى هالة وقوس قزح وشموس وشهب فالهالة تحدث عن انعكاس البصر عن الرش المطيف بالنير الى النير حيث يكون الغمام المتوسط لا يخفى النير فيرى دائرة كانه منطقة محورها الخط الواصل بين الناظر وبين النير وما فى داخلها ينفذ عنه البصر الى النير ويريه غالبا على اجزاء الرش بجملها كانها غير موجودة وكان الغالب هناك هؤلاء شفاف وأما القوس فان الغمام يكون فى خلاف جهة النير فينعكس الزوايا عن الرش الى النير لا بين الناظر والنير بل الناظر أقرب الى النير منه الى المرآة فتقع الدائرة التى هى كالمنطقة أبعد من الناظر الى النير فان كانت الشمس على الافق كان الخط المار بالناظر على بسيط الافق وهو المحور فيجب أن يكون سطح الافق يقسم المنطقة بنصفين فترى القوس نصف دائرة فان ارتفعت الشمس انخفض الخط المذكور فصار الظاهر من المنطقة الموهومة أقل من نصف دائرة واما تحصيل الالوان على الجهة الشامية فانه لم يستبن لى بعد والسحب ربما تفوقت وذابت وصارت ضبابا وربما اندفعت بعد التلطف الى أسفل فصارت رياحا وربما هاجت الرياح لاندفاع فيضها من جانب الى جهة وربما هاج لانبساط الهواء بالتحلخل عند جهة واندفاعه الى أخرى واكثر ما يهيج لبرد الدخان المتصاعد المجتمع الكثير ونزوله فان مبادي الرياح فوقانية وربما عطفها مقاومة الحركة الدورية التى تتبع الهواء العالى فاعطفت رياحا والسموم ما كان منها محترقا وأما الابخرة داخل الارض فتميل الى جهة فتبرد فتستحيل ماء فيصعد بالمد فيخرج عيونا وان لم يدفعها السخونة تبرد وكثرت وغلظت فلم ينفذ فى مجارى مستحصفة فاجتمعت واندفعت بمرة فزلزلت الارض وخسفت وقد تحدث الزلزلة من تساقط اعالى وهدة فى باطن الارض فيموج بها الهواء المحتقن واذا احتبست الابخرة فى باطن الجبال والكهوف فيتولد منها الجواهر اذا وصل اليها من سخونة الشمس وتأثير الكواكب حظ وذلك بحسب

من الصحابة وهم الجارودية وقالت اخرى ان الصحابة رضى الله عنهم لم يظلموه ولكنه طربت نفسه بتسليم حقه الى ابى بكر وعمر رضى الله عنهما وانه اماما وهدى ووقف بعضهم فى عثمان رضي الله عنه وتولاه بعضهم وذكر طائفة ان هذا مذهب الفقيه الحسن ابن صالح بن حي الهمدانى

(قال ابو محمد) وهذا خطا وقد رأيت لهشام ابن الحكم الرافضى الكوفى فى كتابه المعروف بالميزان وقد ذكر الحسن ابن حى وأن مذهبه كان ان الامامة فى جميع ولد فهر ابن مالك (قال ابو محمد) وهذا الذى لا يليق بالحسن بن حي غيره فانه كان احد أئمة الدين وهشام ابن الحكم اعلم به ممن نسب اليه غير ذلك لان هشاما كان جاره بالكوفة واعرف الناس به وأدركه وشاهده والحسن بن حى رحمه الله يحتج بمعاوية رضى الله عنه وبابن الزبير رضى الله عنهما وهذا مشهور عنه فى كتبه ورواياته من روى عنه وجمهور الزيدية لا يختلفون فى ان الامامة فى جميع ولد علي بن ابى طالب من خرج منهم يدعو الى الكتاب والسنة وجب سل السيف معه وقالت الروافض الامامة فى علي وحده بالنص عليه ثم فى الحسن ثم فى الحسين وادعوا نصا آخر من النبي صلى الله عليه وسلم عليهما بعد ابيهما ثم علي ابن الحسين لقول الله عز وجل * واولو الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله * قالوا فولد الحسين احق من اخيه ثم محمد بن علي بن الحسين ثم جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين وهذا مذهب جميع متكلميهم كهشام بن الحكم وهشام الجواليقى وداود الحوارى وداود الرقى وعلى بن منصور وعلى بن هيثم وابي على السكاك تلميذ هشام بن الحكم ومحمد بن جعفر بن النعمان شيطان الطاق وابى ملك الحضرمى وغيرهم ثم افترقت الرافضة بعد موت هؤلاء المذكورين وموت جعفر بن محمد فقالت طائفة بامامة ابن اسماعيل بن جعفر وقالت طائفة بامامة ابنه محمد بن جعفر وهم قليل وقالت طائفة جعفر حي لم يمت وقال جمهور الرافضة بامامة ابنه موسي بن جعفر ثم علي ابن موسى ثم محمد بن علي بن موسى ثم علي ابن محمد بن علي بن موسى ثم الحسن بن علي ثم مات الحسن عن غير عقب فافترقوا فرقا وثبت جمهورهم على انه ولد للحسن بن علي ولد فاخفاه وقيل بل ولد له بعد موته من جارية له اسمها صقيل وهو الاشهر وقال بعضهم بل من جارية له اسمها نرجس وقال بعضهم بل من جارية له اسمها سوسن والاظهر ان اسمها صقيل لان صقيل هذه ادعت الحمل بعد الحسن بن علي سيدها فوقف ميراثه لذلك سبع سنين ونازعها فى ذلك اخوه جعفر ابن علي وتعصب لها جماعة من ارباب الدولة وتعصب لجعفر آخرون ثم انفش ذلك الحمل وبطل واخذ الميراث جعفر اخوه وكان موت الحسن هذا سنة ستين ومائتين وزادت فتنة الروافض بصقيل هذه ودعواها الى ان حبسها المعتضد بعد نيف وعشرين سنة من موت سيدها وقد عيرتها انها فى منزل الحسن بن جعفر النوبختى

اختلاف المواضع والأزمان والمواد فمن الجواهر ماهو قابل للاذابة والطرق كالذهب والفضة ويكون قبل ان يصلب زئبقا ونفطا واطرافها الحادة رطوبتها ولعصيانها الجمود التام ومنها مالا يقبل ذلك وقد يتكون من العناصر اكوان أيضا بسبب القوى الفلكية اذا امتزجت العناصر امتزاجا اكثر اعتدالا من المعادن فيحصل فى المركب قوة غاذية وقوة نامية وقوة مولدة وهذه القوى متمايزة بخواصها * المقالة الرابعة فى النفوس وقواها *

اعلم ان النفس كجنس واحد ينقسم ثلاثة أقسام أحدها النباتية وهى الكمال الاول لجسم طبيعى آلى من جهة ما يتولد ويربو ويتغذى والغذاء جسم من شأنه ان يشبه بطبيعة الجسم الذى قيل انه غذاؤه ويزيد فيه مقدار ما يتحلل أو أكثر أو أقل والثاني النفس الحيوانية وهى الكمال الاول لجسم طبيعي آلى من جهة ما يدرك الجزئيات ويتحرك بالادارة والثالث النفس الانسانية وهى الكمال الاول لجسم طبيعى آلى من جهة ما يفعل الافعال الكائنة بالاختيار الفكرى والاستنباط بالرأى من جهة ما يدرك الامور الكلية والنفس النباتية قوى ثلاث وهى الغاذية القوة التى تحيل جسما آخر الى مشاكلة الجسم الذي فيه فيلصقه به بدل ما يتحلل عنه والقوة المنمية وهى قوة تزيد فى الجسم الذى هى فيه بالجسم المشبه زيادة فى اقطاره طولا وعرضا وعمقا بقدر ليبلغ به كماله النشوء والقوة المولدة وهى التى تاخذ من الجسم الذى هى فيه جزأ وهو شبيه بالقوة فيعمل فيه باستمداد اجسام اخر تشبه به من التخليق والتمزيج ما يصير شبيها به بالفعل وللنفس النباتية ثلاث قوى وللنفس الحيوانية قوتان محركة ومدركة والمحركة على قسمين اما محركة بانها باعثة واما محركة بانها فاعلة والباعثة هى القوة النزوعية الشوقية وهى القوة التى اذا ارتسمت فى التخييل صورة مطلوبة او مهروب عنها حملت القوة التى تذكرها على التحريك ولها شعبتان شعبة تسمى شهوانية وهى قوة تبعث على تحريك يقرب

الكاتب فوجدت فيه وحملت إلى قصر المعتضد فبقيت هنالك إلى أن ماتت في القصر في أيام المقتدر فهم إلى اليوم ينتظرون ضالة منذ مائة عام وثمانين عاما وكانت طائفة قديمة قد بادت كان رئيسهم المختار بن أبي عبيد وكيسان أبا عمرة وغيرهما يذهبون إلى أن الإمام بعد الحسين محمد أخوه المعروف بابن الحنفية ومن هذه الطائفة كان السيد الحميري وكثير عزة الشاعران وكانوا يقولون أن محمدا ابن الحنفية حي بجبل رضوى ولهم من التخليط ما تضيق عنه الصحف

﴿وقال أبو محمد﴾ وعمدة هذه الطوائف كلها في الاحتجاج أحاديث موضوعة مكذوبة لا يعجز عن توليد مثلها من لا دين له ولا حياء

﴿قال أبو محمد﴾ لا معنى لاحتجاجنا عليهم برواياتنا فهم لا يصدقونا ولا معنى لاحتجاجهم علينا برواياتهم فنحن لا نصدقها وإنما يجب أن يحتج الخصوم بعضهم على بعض بما يصدقه الذي تقام عليه الحجة به سواء صدقه المحتج أو لم يصدقه لأن من صدق بشيء لزمه القول به أو بما يوجبه العلم الضروري فيصير الخصم يومئذ مكابرا منقطعا إن ثبت على ما كان عليه إلا أن بعض ما يشغبون به أحاديث صحاح نوافقهم على صحتها منها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي

﴿قال أبو محمد﴾ وهذا لا يوجب له فضلا على من سواه ولا استحقاق الإمامة بعده عليه السلام لأن هرون لم يل أمر بني إسرائيل بعد موسى عليهما السلام وإنما ولي الأمر بعد موسى عليه السلام يوشع بن نون فتى موسى وصاحبه الذي سافر معه في طلب الخضر عليهما السلام كما ولي الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحبه في الغار الذي سافر معه إلى المدينة وإذا لم يكن علي نبيا كما كان هرون نبيا ولا كان هرون خليفة بعد موت موسى على بني إسرائيل فقد صح أن كونه رضي الله عنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنزلة هارون من موسى إنما هو في القرابة فقط وأيضا فإنما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا القول إذ استخلفه على المدينة في غزوة تبوك فقال المنافقون استثقله فخلفه فلحق علي برسول الله صلى الله عليه وسلم فشكى ذلك إليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ أنت مني بمنزلة هارون من موسى يريد عليه السلام أنه استخلفه على المدينة مختارا استخلافه كما استخلف موسى عليه السلام هارون عليه السلام أيضا مختارا استخلافه ثم قد استخلف عليه السلام قبل تبوك وبعد تبوك على المدينة في أسفاره رجالا سوى علي رضي الله عنه فصح أن هذا الاستخلاف لا يوجب لعلي فضلا على غيره ولا ولاية الأمر بعده كما لم يوجب ذلك لغيره من المستخلفين

﴿قال أبو محمد﴾ * وعمدة ما احتجت به الإمامية أن قالوا لا بد من أن يكون إمام معصوم عنده جميع علم الشريعة ترجع الناس إليه في أحكام الدين ليكونوا مما تعبدوا به على يقين

قال

نه من الأشياء المتخيلة ضرورية أو نافعة طلبا للذة وشهوة تسمى غضبية وهي قوة تبعث على تحريك تدفع به الشيء المتخيل ضارا أو مفسدا طلبا للغلبة وأما القوة على أنها فاعلة فهي قوة تنبعث في الأعصاب والعضلات من شأنها أن تشنج العضلات فتجذب الأوتاد والرباطات إلى جهة المبدأ أو ترخيها أو تمددها طولا فتصير الأوتاد والرباطات إلى خلاف المبدأ وأما القدرة المدركة فتنقسم قسمين أحدهما قوة تدرك (٧٨) من خارج وهي الحواس الخمس أو الثانية فمنها البصر وهي قوة مرتبة في العصبة المجوفة تدرك صورة ما ينطبع في الرطوبة الجلدية من أشباح الأجسام ذوات اللون المتأدية في الأجسام الشافة بالفعل إلى سطوح الأجسام الصقيلة ومنها السمع وهي قوة مترتبة في العصب المتفرق في سطح الصماخ تدرك صورة ما يتأدى إليه تموج الهواء المنضغط بين قارع ومقروع مقاوم له انضغاطا بعنف يحصل منه تموج فاعل للصوت يتأدى إلى الهواء المحصور الراكد في تجويف الصماخ ويموجه بشكل نفسه وتماس أمواج تلك الحركة العصبية فيسمع ومنها الشم وهي قوة مترتبة في زائدتي مقدم الدماغ الشبيهتين بحلمتي الثدي تدرك ما يؤدي إليه من الهواء المتنشق من الرائحة المخالطة البخار الريح والمطبع فيه بالاستحالة من جرم ذي رائحة ومنها الذوق وهي قوة مترتبة في العصب المفروش على جرم اللسان تدرك الطعوم المتحللة من الأجسام المماسة له المخالطة للرطوبة العذبة التي فيه فتحيله ومنها اللمس وهي قوة مبثة في جلد البدن كله ولحمه فاشية فيه والأعصاب تدرك ما تماسه وتؤثر فيه بالمضادة ويغيره في المزاج أو الهيئة ويشبه أن تكون هذه القوة لا نوعا بل جنسا لأربع قوى منبثة معا في الجلد كله الواحدة حاكمة في التضاد الذي بين الحار والبارد والثانية حاكمة في التضاد الذي بين الخشن والأملس إلا أن اجتماعها في آلة واحدة توهم اتحادها في الذات والمحسوسات كلها تتأدى إلى آلات الحس فتنطبع

(قال ابو محمد) هذا لاشك فيه وذلك معروف ببراهينه الواضحة واعلامه المعجزة وآياته الباهرة وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم الينا تبيان دينه الذى الزمنا اياه صلى الله عليه وسلم فكان كلامه وعهوده وما بلغ من كلام الله تعالى حجة نافذة معصومة من كل آفة الى من بحضرته والى من كان فى حياته غائبا عن حضرته والى كل من ياتى بعده وته صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة من جن وانس قال عز وجل * اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء * فهذ نص ماقلنا وابطال اتباع أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما الحاجة الى فرض الامامة لتنفيذ الامام عهود الله تعالى الواردة الينا على من عند فقط لالان ياتى الناس مالا يشاؤنه فى معرفته من الدين الذى اتانا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجدنا عليا رضي الله عنه اذ دعى الى التحاكم الى القرآن اجاب واخبر ان التحاكم الى القرآن حق فان كان على اصاب فى ذلك فهو قولنا وان كان اجاب الى الباطل فهذه غير صفته رضي الله عنه ولو كان التحاكم الى القرآن لايجوز بحضرة الامام لقال على حينئذ كيف تطلبون تحكيم القرآن وانا الامام المبلغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قالوا اذ مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فلابد من امام يبلغ الدين قلنا هذا باطل ودعوى بلا برهان وقول لا دليل على صحته وانما الذى يحتاج اليه اهل الارض من رسول الله صلى الله عليه وسلم بيانه وتبليغه فقط سواء فى ذلك من كان بحضرته ومن غاب عنه ومن جاء بعده اذ ليس فى شخصه صلى الله عليه وسلم اذا لم يتكلم بيان عن شىء من الدين فالمراد منه عليه السلام كلام باق ابدا مبلغ الى كل من فى الارض وايضا فلو كان ماقالوا من الحاجة الى امام موجود ابدا لانتقض ذلك عليهم بمن كان غائبا عن حضرة الامام فى اقطار الارض اذ لا سبيل الى ان يشاهد الامام جميع أهل الارض الذين فى المشرق والمغرب من فقير وضعيف وامرأة ومريض ومشغول بمعاشه الذى يضيع ان اغفله فلابد من التبليغ عن الامام فالتبليغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اولى بالاتباع من التبليغ عمن هو دونه وهذا مالا انفكاك لهم منه (قال ابو محمد) لاسيما وجميع ائمتهم الذين يدعون بعد على والحسن والحسين رضي الله عنهم ما امروا قط فى غير منازل سكناهم وما حكموا على قرية فما فوقها بحكم فما الحاجة اليهم لاسيما مذ مائة عام وثمانين عاما فانهم يدعون اماما الا لم يخلق كعنقاء مغرب وهم اولو فحش وقحة وبهتان ودعوى كاذبة لم يعجز عن مثلها احد وايضا فان الامام المعصوم لا يعرف انه معصوم الا بمعجزة ظاهرة عليه او نص تنقله العلماء عن النبى صلى الله عليه وسلم على كل امام بعينه واسمه ونسبه والا فهى دعوى لايعجز عن مثلها احد لنفسه او لمن شاء وانه يلزم كل ذى عقل سليم ان يرغب بنفسه عن اعتقاد هذا الجهل الغث البارد السخيف الذى ترتفع عقول الصبيان عنه وما توفيقنا الا بالله عز وجل وبرهان آخر ضرورى وهو ان رسول الله

فيها فتدركها القوة الحاسة والقسم الثاني قوى يدرك صور المحسوسات ومنها مايدرك معانى المحسوسات والفرق بين القسمين هو أن الصورة هو الشىء الذى تدركه النفس الباطنة والحس الظاهر معا ولكن الحس يدركه أولا ويؤديه الى النفس مثل ادراك الشاة صورة الذئب وأما المعنى فهو الذى تدركه من المحسوس من غير أن يدركه الحس أولا مثل ادراك الشاة المعنى المضاد فى الذئب الموجب لخوفها اياه وهربها عنه ومن المدركات الباطنة مايدرك ويفعل ٧٩ ومنها مالايدرك ولا يفعل والفرق بين القسمين أن الفعل فيها هو ان تركب الصور والمعانى المدركة بعضها مع بعض ويفصل بعضها عن بعض فيكون ادراك وفعل أيضا فيما ادرك والادراك لامع الفعل هو أن تكون الصورة أو المعنى ترتسم فى القوة فقط من غير أن يكون لها فعل وتصرف فيه ومن المدركات الباطنة مايدرك أولا ومنها مايدرك ثانيا والفرق بين القسمين أن الادراك الاول هو أن يكون حصول الصورة على نحو ما من الحصول قد وقع للشىء من [illegible] الادراك الثانى [illegible] يكون حصولها من جهة شىء آخر أدى اليها من القوة الباطنة المدركة الحيوانية قوة بنطاسيا وهو الحس المشترك وهى قوة مترتبة فى التجويف الاول من مقدم الدماغ تقبل بذاتها جميع الصور المنطبعة فى حواس الخمس متأدية اليها ثم الخيال والمصورة وهى قوة مترتبة فى التجويف المقدم من الدماغ يحفظ ماقبله الحس المشترك من الحواس ويبقى فيها بعد غيبة المحسوسات والقوة التى تسمى متخيلة بالقياس الى النفس الحيوانية وتسمى مفكرة بالقياس الى النفس الانسانية فهو قوة مرتبة فى التجويف الاوسط من الدماغ عند الدودة من شأنها ان تركب بعض مافى الخيال مع بعض وتفصل بعضه عن بعض بحسب الاختيار ثم القوة الوهمية وهى قوة مرتبة فى نهاية التجويف الاوسط من الدماغ تدرك المعانى الغير المحسوسة الموجودة فى المحسوسات الجزئية كالقوة الحاكمة بأن الذئب مهروب عنه

وان الولد معطوف عليه ثم القوة الحافظة الذاكرة وهي قوة مترتبة في التجويف الأخر من الدماغ تحفظ ماتدركه القوة الوهمية من المعاني الغير المحسوسة في المحسوسات ونسبة الحافظة الى الوهمية كنسبة الخيال الى الحس المشترك الا ان ذلك في المعاني وهذا في الصور فهذه خمس قوى الحيوانية واما النفس الناطقة للانسان فتنقسم قواها ايضا الى قوة عالمة وقوة عاملة وكل واحد من (٨٠) القوتين يسمى عقلا باشتراك الاسم فالعاملة قوة هي مبدأ محرك لبدن الانسان الى الافاعيل الجزئية الخاصة بالروية على مقتضى آراء تخصها اصطلاحية ولها اعتبار بالقياس الى القوة الحيوانية النزوعية واعتبار بالقياس الى القوة المتخيلة والمتوهمة واعتبار بالقياس الى نفسها وقياسها الى النزوعية ان يحدث عنها فيها هيئات تخص الانسان يتهيء بها لسرعة فعل وانفعال مثل الخجل والحياء والضحك وقياسها الى المتخيلة والمتوهمة هو ان يستعملها في استنباط التدابير في الامور الكائنة الفاسدة واستنباط الصناعات الانسانية وقياسها الى نفسها ان فيما بينها وبين العقل النظري يتولد الاراء الذائعة المشهورة مثل ان الكذب قبيح والصدق حسن وهي هذه القوى هي التي يجب ان تتسلط على سائر قوى البدن على حسب ما توجبه احكام القوة العالمة حتى لا ينفعل عنها البتة بل تنفعل عنه فلا يحدث فيها عن البدن هيئات انقيادية مستفادة من الامور الطبيعية وهي التي تسمى اخلاقا رذيلة بل تحدث في سعه القوى الاخرى هيئات انقيادية وتكون متسلطة عليها واما القوة العالمة النظرية فهي قوة من شأنها ان تنطبع بالصور الكلية المجردة من المادة فان كانت مجردة بذاتها فذاك وان لم تكن فانها تصيرها مجردة بتجريدها اياها حتى لا يبقى فيها من علائق المادة شيء ثم لها الى هذه الصور نسب وذلك ان الشيء الذي من شأنه ان يقبل شيئا قد يكون بالقوة قابلا له وقد يكون

صلى الله عليه وسلم مات وجمهور الصحابة رضي الله عنهم حاشا من كان منهم في النواحي يعلم الناس الذين فما منهم احد اشار الى علي بكلمة يذكر فيها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نص عليه ولا ادعى ذلك علي قط لا في ذلك الوقت ولا بعده ولا ادعاه له احد في ذلك الوقت ولا بعده ومن المحال الممتنع الذي لا يمكن البتة ولا يجوز اتفاق اكثر من عشرين الف انسان متبايني الهمم والنيات والانساب اكثرهم موتور في صاحبه في الدماء من الجاهلية على طي عهد عاهده رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم وما وجدنا قط رواية عن احد بهذا النص المدعى الا رواية واحدة واهية عن مجهولين الى مجهول يكنى ابا الحمراء لا يعرف من هو في الخلق ووجدنا عليا رضي الله عنه تاخر عن البيعة ستة اشهر فما اكرهه ابو بكر على البيعة حتى بايع طائعا مراجعا غير مكره فكيف حل لعلي رضي الله عنه عند هؤلاء النوكى ان يبايع طائعا رجلا اما كافرا واما فاسقا جاحدا لنص رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعينه على امره ويجالسه في مجالسه ويواليه الى ان مات ثم يبايع بعده عمر بن الخطاب مبادرا غير متردد ساعة فما فوقها غير مكره بل طائعا وصحبه واعانه على امره وانكحه من ابنته فاطمة رضي الله عنها ثم قبل ادخاله في الشورى احد ستة رجال فكيف حل لعلي عند هؤلاء الجهال ان يشارك بنفسه في شورى ضلالة وكفر ويغر الامة هذا الغرور وهذا الامر ادى اما كامل الى تكفير علي بن ابي طالب رضي الله عنه لانه في زعمه اعان الكفار على كفرهم وايدهم في كتمان الديانة وعلى ما لا يتم الدين الا به

(قال ابو محمد) ولا يجوز ان يظن بعلي رضي الله عنه انه أمسك عن ذكر النص عليه خوف الموت وهو الاسد شجاعة قد عرض نفسه للموت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم مرات ثم يوم الجمل وصفين فما الذي جبنه بين هاتين الحالتين وما الذي الف بين صائر الناس على كتمان حق علي ومنعه ما هو احق به مذ مات رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان قتل عثمان رضي الله عنه ثم ما لذي حلى بصائرهم في عونه اذ دعا الى نفسه فقامت معه طوائف من المسلمين عظيمة وبذلوا دماءهم دونه ورأوه حينئذ صاحب الامر والاولى بالحق ممن نازعه فما الذي منعه ومنعهم من الكلام واظهار النص الذي يدعيه الكذابون اذ مات عمر رضي الله عنه وبقي الناس بلا رأس ثلاثة ايام او يوم السقيفة وظرف من هذا هؤلاء تمسك عن بيعة ابي بكر رضي الله عنه ستة اشهر فما سئلها ولا اجبر عليها ولا كلم بها وهو يتصرف بينهم في اموره لمولاه راى احق فيها واستدرك امره فبايع طائعا حطه بعد في ذمة راجعا الى الحق لم يبايع فان قال الروافض انه بعد ستة اشهر راى الرجوع الى الباطل فهذا هو الباطل حقا لا سيما علي رضي الله عنه ثم ولي علي رضي الله عنه فما غير حكما من احكام ابي بكر وعمر وعثمان ولا ابطل عهدا من عهودهم ولو كان ذلك عنده باطلا لما كان في

سعة من أن يمضي الباطل وينفذه وقد ارتفعت التقية عنه وأيضا فقد نازع الانصار رضي الله عنهم أبا بكر رضي الله عنه ودعوا الى بيعة سعد بن عبادة رضي الله عنه ودعا المهاجرون الى بيعة ابي بكر رضي الله عن جميعهم وقعد علي رضي الله عنه في بيته لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ليس معه أحد غير الزبير بن العوام ثم استبان الحق للزبير رضي الله عنه فبايع سريعا وبقي علي وحده لا يرقب عليه ولا يمنع من لقاء الناس ولا يمنع احد من لقائه فلا يخلو رجوع الانصار كلهم الى بيعة ابي بكر من ان يكون عن غلبة أو عن ظهور حقه اليهم فاوجب ذلك الانقياد لبيعته او فعلوا ذلك مطارفة لغير معنى ولا سبيل الى قسم رابع بوجه من الوجوه فان قالوا بايعوه بغلبة كذبوا لانه لم يكن هنالك قتال لا تضارب ولا سباب ولا تهديد ولا وقت طويل ينفسح للوعيد ولا سلاح ماخوذ ومحال ان يترك أربعة آلاف فارس انجاد ابطال كلهم عشيرة واحدة قد ظهر من شجاعتهم ما لا مرمى وراءه وهو انهم بقوا ثمانية اعوام متصلة محاربين لجميع العرب في اقطار بلادهم موطنين على الموت متعرضين مع ذلك للحرب مع قيصر والروم بمؤتة وغيرها ولكسرى والفرس بصري من يخاطبهم يدعوهم الى اتباعه وان يكون كاحد من بين يديه هذه صفة الانصار التي لا ينكرها الا رقيع مجاهر بالكذب فمن المحال الممتنع أن يرهبوا ابا بكر ورجلين أتيا معه فقط لا يرجع الى عشيرة كثيرة ولا الى موال ولا الى عصبة ولا مال فرجعوا اليه وهو عندهم مبطل وبايعوه بلا تردد ولا تطويل وكذلك يبطل ان يرجعوا عن قولهم وما كانوا قدروه من أن الحق حقهم وعن بيعة ابن عمهم مطارفة بلا خوف ولا ظهور الحق اليهم فمن المحال اتفاق أهواء هذا العدد العظيم على ما يرون انه باطل دون خوف يضطرهم الى ذلك ودون طمع يتعجلونه من مال او جاه بل فيما فيه ترك العز والدنيا والرياسة وتسليم كل ذلك الى رجل لا عشيرة له ولا منعة ولا حاجب ولا حرس على بابه ولا قصر يمتنع فيه ولا موالي ولا مال فاين كان علي وهو الذي لا نظير له في الشجاعة ومعه جماعة من بني هاشم وبني المطلب من قتل هذا الشيخ الذي لا دافع دونه لو كان عنده ظالما وعن منعه وزجره بل قد علم والله علي رضي الله عنه أن ابا بكر رضي الله عنه على الحق وان من خالفه على الباطل واذعن للحق بعد ان عرضت له فيه كبوة كذلك الانصار رضي الله عنهم واذ قد بطل كل هذا فلم يبق الا أن عليا والانصار رضي الله عنهم انما رجعوا الى بيعة ابي بكر رضي الله عنه لبرهان حق صح عندهم عن النبي صلى الله عليه لا لاجتهاد كاجتهادهم ولا لظن كظنونهم فاذ قد بطل أن يكون الامر في الانصار وزالت الرياسة عنهم فما الذي حملهم كلهم أولهم عن آخرهم على ان يتفقوا على جحد نص النبي صلى الله عليه وسلم على امامة علي ومن المحال ان تتفق آراؤهم كلهم على معونة من ظلمهم وغصبهم حقهم الا ان تدعي الروافض انهم كلهم اتفق لهم نسيان ذلك العهد فهذه أعجوبة من المحال غير ممكنة ثم لو أمكنت لجاز لكل أحد أن يدعي فيما شاء من المحال انه قد كان وان الناس كلهم نسوه وفي هذا ابطال الحقائق كلها وأيضا فان كان جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اتفقوا على جحد ذلك النص وكتمانه واتفقت طبائعهم كلهم على نسيانه فمن أين وقع الروافض أمره ومن بلغه اليهم وكل هذا عندهم هوس ومحال فبطل أمر النص على علي رضي الله عنه بيقين لا اشكال فيه والحمد لله رب العالمين فان قال قائل ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه كان قد قتل الاقارب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فتولد له بذلك حقد في قلوب جماعة من الصحابة فولد ذلك انحرافهم عنه قيل له هذا تمويه

بالفعل والقوة على ثلاثة أوجه قوة مطلقة هيولانية وهو الاستعداد المطلق من غير فعل ما كقوة الطفل على الكتابة وقوة ممكنة وهو استعداد مع فعل ما كقوة الطفل بعد ما تعلم بسائط الحروف وقوة تسمى ملكة وهي قوة لهذا الاستعداد اذا تم بالآلة ويكون له ان يفعل متى شاء بلا حاجة الى اكتساب فالقوة النظرية قد تكون نسبتها الى الصور نسبة الاستعداد المطلق وتسمى عقلا هيولانيا واذا حصل فيها من المعقولات الاولى التي يتوصل بها الى المعقولات الثانية التي تسمى عقلا بالفعل واذا حصلت فيها المعقولات الثانية المكتسبة وصارت مخزونة له بالفعل متى شاء طالعها فان كانت حاضرة عنده بالفعل تسمى عقلا مستفادا وان كانت مخزونة تسمى بالملكة وهاهنا ينتهي النوع الانساني ويتشبه بالمبادي الاولى للوجود كله وللناس مراتب في هذا الاستعداد فقد يكون عقلا شديد الاستعداد حتى لا يحتاج في ان يتصل بالعقل الفعال الى كثير شيء من تخريج وتعليم حتى كأنه يعرف كل شيء من نفسه لا تقليدا بل بترتيب يشتمل على حدود وسطى فيه امادفعة في زمان واحد وامادفعات في أزمنة شتى وهي القوة القدسية التي تناسب روح القدس فيفيض عليها من المعقولات وما يحتاج اليه في تكميل القوة العملية الدرجة العليا منها لتستوقوي بما يفيض عليها وعلى

صعيف كادب لانه ان ساع لكم ذلك في بني عبد شمس وبني مخزوم وبني عبد الدار وبني عامر لانه قتل من كل قبيلة من هذه القبائل رجلا أو رجالا فقتل من بني عامر بن لؤي رجلا واحدا وهو عمرو بن ود وقتل من بني مخزوم وبني عبد الدار رجالا وقتل من بني عبد شمس الوليد بن عقبة والعاص بن سهل بن العاص بلاشك وشارك في قتل عتبة بن ربيعة وقيل قتل عقبة بن ابي معيط وقيل قتله غيره وهو عاصم بن ثابت الانصاري ولامزيد فقد علم كل من له أقل علم بالاخبار انه لم يكن لهذه القبائل ولا لاحد منها يوم السقيفة حل ولاعقد ولا رأي ولا أمر اللهم الا ان ابا سفيان بن حرب بن امية كان مائلا الى علي في ذلك الوقت عصبية للقرابة لا تدينا وكان ابنه يزيد وخالد بن سعيد بن العاص والحارث بن هشام ابن المغيرة المخزومي مائلين الى الانصار تدينا والانصار قتلوا أبا جهل بن هشام أخاه وقد كان محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة شديد الميل الى علي حين قصة عثمان وبعدها حتى قتله معاوية على ذلك فعرفونا من قتل علي من بني تيم بن مرة أو من بني عدي بن كعب حتى يظن أهل القحة انهما حقدا عليه ثم اخبرونا من قتل من الانصار أو من جرح منهم أو من اذى منهم ألم يكونوا معه في تلك المشاهد كلها بعضهم متقدم وبعضهم مساوله وبعضهم متاخر عنه فاي حقد كان له في قلوب الانصار حتى يتفقوا كلهم على جحد النص عليه وعلى ابطال حقه وعلى ترك ذكر اسمه جملة وايثار سعد بن عبادة عليه ثم على ايثار ابي بكر وعمر عليه والمسارعة الى بيعته بالخلافة دونه وهو معهم وبين أظهرهم يروحون ويغدون وعشيا لايحول بينهم وبينه أحد ثم اخبرونا من قتل علي من أقارب أولاد المهاجرين من العرب من مضر وربيعة واليمن وقضاعة حتى يتفقوا(١) كلهم على كراهية ولايته ويتفقوا كلهم على جحد النص عليه ان هذه لعجائب لايمكن اتفاق مثلها في العالم أصلا ولقد كان الطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص من القتل في المشركين كالذي كان لعلي فما الذي خصه باعتقاد الاحقاد له دونهم لو كان للروافض حياء أو عقل ولقد كان لابي بكر رحمه الله ورضي عنه في مضادة قريش في الدعاء الى الاسلام ما لم يكن لعلي فما منعهم ذلك من بيعته وهو اسوأ الناس اثرا عندهم ولقد كان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في مغالبة كفار قريش واعلانه الاسلام على رغمهم ما لم يكن لعلي رضي الله عنه فليت شعري ما الذي أوجب أن ينسى آثار هؤلاء كلهم ويبقى اعلانيا من بينهم كلهم لولا قلة حياء الروافض وصفاقة وجوههم حتى بلغ الامر بهم الى ان عدوا على سعد بن ابي وقاص وابن عمر واسامة بن زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورافع بن خديج الانصاري ومحمد بن مسلمة الانصاري وزيد بن ثابت الانصاري وابي هريرة وأبي الدرداء وجماعة غير هؤلاء من المهاجرين انهم لم يبايعوا عليا اذ ولي الخلافة ثم بايعوا معاوية ويزيد ابنه من ادركه وادعوا ان تلك الاحقاد حملتهم على ذلك

(قال ابو محمد) حمق الرافضة وشدة ظلمة جهلهم وقلة حيائهم هو رهم في الدمار والبوار والعار والنار وقلة المبالاة بالفضائح وليت شعري أي حماقة وأي كلمة حسنة كانت بين علي وبين هؤلاء أو احد منهم وانما كان هؤلاء ومن جرى مجراهم لايرون بيعة في فرقة فلما اتفق المسلمون على ما اتفقوا عليه كائنا من كان دخلوا في الجماعة وهكذا فعل من ادرك من هؤلاء ابن الزبير رضي الله عنه ومروان فانهم قعدوا عنهما فلما انفرد عبد الملك بن

(١) يتفقوا كلهم بضم حرف المضارعة من أصفق يصفق كاتفق اى يجتمعوا عليه

المتخيلة من روح القدس معقول تحاكيه المتخيلة (٨٢) بامثلة محسوسة او كلمات مسموعة تامثلة فيعبر عن هذه الصورة عملك في صورة رجل وعن الكلام بوحي في صورة عبارة*
المقالة الخامسة في ان النفس الانسانية جوهر ليس بجسم ولا قائم بجسم وان ادراكها قد يكون بالات وقد يكون بذاتها لا بالالات وانها واحدة وقواها كثيرة وانها حادثة مع حدوث البدن وباقية بعد فناء البدن اما البرهان على النفس ليست بجسم هو انا نحس من ذواتنا ادراكا معقولا مجردا عن المواد وعوارضها اعني الكم والاين والوضع وما الان المدرك لذاته كذلك كالعلم بالوحدة والعلم بالوجود مطلقا واما لان العقل جرد عن العوارض كالانسان مطلقا فيجب ان ينظر في ذات هذه الصور المجردة كيف هي في تجردها اما بالقياس الى الشيء الماخوذ عنه واما بالقياس الى مجرد الاخذ ولايشك انها بالقياس الى الماخوذ عنه ليست مجردة فبقي انها مجردة عن الوضع والاين عند وجودها في العقل والجسم ذو وضع واين ومالا وضع له لايحل ماله وضع واين وهذه الطريقة اقوى الطرق فان الشيء المعقول الواحد الذات المتجرد عن المادة لايخلو اما ان يكون له نسبة الى بعض الاجزاء دون بعض فيحل في جهة حتى يكون متيامنا او متياسرا بالنسبة الى الحل او تكون نسبته الى الكل نسبة

مروان

مروان بايعه من ادركه منهم لا رضا عنه ولا عداوة لابن الزبير ولا تفضيلا لعبد الملك على ابن الزبير لكن لما ذكرنا وهكذا كان امرهم في علي ومعاوية فلاحت نوكة هؤلاء المجانين والحمد لله رب العالمين

(قال أبو محمد) وهذا زيد بن حارثة قتل يوم بدر حنظلة بن ابي سفيان وهذا الزبير بن العوام قتل يوم بدر أيضا عبيدة بن سعيد بن العاص وهذا عمر بن الخطاب قتل يومئذ العاص بن هشام بن المغيرة فهلا عاداهم اهل هؤلاء المقتولين وما الذي خص عليا اولياء من قتل دون سائر من قتلا لولا حمق الرافضة وعدم الحياء من وجوههم ثم لو كان ما ذكروه حقا فما الذي كان دعا عمر الى ادخاله في الشورى مع من ادخله فيها ولو اخرجه منها كما أخرج سعيد بن زيد أو قصد الى رجل غيره فولاه ما اعترض عليه أحد في ذلك بكلمة فصح ضرورة بكل ما ذكرنا ان القوم انزلوه منزلته غير غالين ولا مقصرين رضي الله عنهم اجمعين وانهم قدموا الاحق فالاحق والافضل فالافضل وساووه بنظرائه منهم ثم اوضح برهان واجلى بيان في بطلان اكاذيب الرافضة ان عليا رضي الله عنه لما دعي الى نفسه بعد قتل عثمان رضي الله عنه سارعت طوائف المهاجرين والانصار الى بيعته فهل ذكر احد من الناس ان احدا منهم اعتذر اليه مما سلف من بيعتهم لابي بكر وعمر وعثمان او هل تاب احد منهم من جحده للنص على امامته او قال احد منهم لقد ذكرت هذا النص الذي كنت انسيته في امر هذا الرجل ان عقولا خفي عليها هذا الظاهر اللائح لعقول مخذولة لم يرد الله ان يهديها ثم مات عمر رضي الله عنه وترك الامر شورى بين ستة من الصحابة على احدهم ولم يكن في تلك الايام الثلاثة سلطان يخاف ولا رئيس يتوقى ولا مخافة من احد ولا جند معد للتغلب أفترى لو كان لعلي رضي الله عنه حق ظاهر يختص به من نص عليه من رسول الله صلى الله عليه وسلم او من فضل بائن على من معه ينفرد به عنهم اما كان الواجب على علي ان يقول ايها الناس كم هذا الظلم لي وكم هذا الكتمان بحقي وكم هذا الجحد لنص رسول الله صلى الله عليه وسلم وكم هذا الاعراض عن فضلي البائن على هؤلاء المقرونين بي فاذ لم يفعل لا يدري لماذا اما كان في بني هاشم احد له دين يقول هذا الكلام أما العباس عمه وجميع العالمين على توقيره وتعظيمه حتى ان عمر توسل به الى الله تعالى بحضرة الناس في الاستسقاء واما احد بنيه وأما عقيل اخوه واما احد بني جعفر اخيه او غيرهم فاذ لم يكن في بني هاشم احد يتقي الله عز وجل ولا ياخذه في قول الحق مداهنة اما كان في جميع اهل الاسلام من المهاجرين والانصار وغيرهم واحد يقول يا معشر المسلمين قد زالت الرهبة وهذا علي له حق واجب بالنص وله فضل بائن ظاهر لا يمترى فيه فبايعوه فامره ومن ان اتفاق جميع الامة اولها عن آخرها من برقة الى اول خراسان ومن الجزيرة الى اقصى اليمن اذ ذاك حيث بلغتهم الحكاية عن سكوت هذا الرجل اتفاقهم على ظلمه ومنعه من حقه وليس هنالك شيء يخافونه لاحد تعجز ان الحال الممتنع وفيهم الذين بايعوه بعد ذلك اذ صار الحق حقه وقتلوا انفسهم دونه كانوا سكتوا عن اظهار ما تدعيه له الروافض الا لانه لم يكن ثم ان كان غيظهم عليه هذا الغيظ واتفاقهم على جحده حقه هذا الاتفاق كيف تورعوا عن قتله ليستريحوا منه ام كيف اكرموه وبروه وادخلوه في الشورى وقال هشام بن الحكم كيف يجوز الظن بالصحابة ان لا يكتموا النص على علي وهم قد اقتتلوا وقتل بعضهم بعضا فهل يحسن بهم الظن في هذا

واحدة أو لا يكون لها نسبة اليه ولا الى جميع الاجزاء فان ارتفعت النسبة من كل وجه ارتفع الحلول في جملة الجسم أو في جزء من اجزائه وان تحققت النسبة صار الشيء المعقول ذا وضع وقد وضع غير ذي وضع هذا خلف وبه تبين ان الصور المنطبعة في المادة لا تكون الا أشباحا لامور جزئية منقسمة ولكل جزء منها نسبة بالفعل أو بالقوة الى جزء منها وايضا فان الشيء المتكثر في اجزاء الحد له من جهة التمام وحدة هو بها لا ينقسم فتلك الوحدة بما هي وحدة كيف ترتسم في منقسم وايضا من شان القوة الناطقة ان تعقل بالفعل واحدا واحدا من المعقولات غير متناهية بالقوة ليس واحد اولى من الآخر وقد صح لنا ان الشيء الذي يقوى على امور غير متناهية بالقوة لا يجوز ان يكون محله جسما ولا قوة في جسم ومن الدليل القاطع على ان محل المعقولات ليس بجسم ان الجسم ينقسم بالقوة بالضرورة وما لا ينقسم لا يحل المنقسم والمعقول غير منقسم فلا يحل المنقسم اما ان الجسم منقسم فقد دللنا عليه واما ان المعقول المجرد لا ينقسم فقد فرغنا عنه واما ان ما لا ينقسم لا يحل منقسما فانا لو قسمنا المحل فلا يخلو اما ان يبطل يكون حكم البعض حكم الكل فيبطل فهذا كذب اولا يبطل ولا يجوز ان يبقى حالا في بعضه كما كان حالا في كله او يحل في بعض دون بعض ...

(*قال ابو محمد)* لو علم الفاسق ان هذا القول اعظم حجة عليه لم ينطق بهذا السخف لان علي بن ابي طالب رضي الله عنه اول من قاتل حين افترق الناس فكل ما لحق المقتتلين منهم من حسن الظن بهم او من سوء الظن بهم فهو لاحق لعلي في قتاله ولا فرق بينه و بين سائر الصحابة في ذلك كله وبالله تعالى التوفيق فان خصه متحكم كان كمن خص غيره منهم متحكما ولا فرق وايضا فان اقتتالهم رضي الله عنهم اوكد برهان على انهم لم يغاروا على ما رأوه باطلا بل قاتل كل فريق منهم على ما رأوه حقا ورضي بالموت دون الصبر على خلاف ما عنده وطائفة منهم قعدت اذلم تر الحق في القتال فدل على انه لو كان عندهم نص على علي او على واحد منهم لاظهروه ولاظهره كما اظهروا ما رأوا وان يبذلوا انفسهم للقتال والموت دونه فان قالوا اقد اقررتم انه لا بد من امام فبأي شيء يعرف الامام لا سيما وانتم خاصة معشر اهل الظاهر لا تاخذون الا بنص قرآن او خبر صحيح وهذا ايضا مما سألناه اصحاب القياس والرأي

(قال ابو محمد) فجوابنا وبالله تعالى التوفيق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نص على وجوب الامامة وانه لا يحل بقاء ليلة دون بيعة وافترض علينا بنص قوله الطاعة للقرشي اماما واحدا الا ينازع اذا قادنا بكتاب الله عز وجل فصح من هذه النصوص النص على صفة الامام الواجب طاعته كما صح النص على صفة الشهود في الاحكام وصفة المساكين والفقراء الواجب لهم الزكاة وصفة من يؤم في الصلاة وصفة من يجوز نكاحها من النساء وكذلك سائر الشريعة كلها ولا يحتاج الى ذكر الاسماء اذ لم يكلفنا الله عز وجل ذلك فكل قرشي بالغ عاقل بادر اثر موت الامام الذي لم يعهد الى احد فبايعه واحد فصاعدا فهو الامام الواجب طاعته ما قادنا بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي امر الكتاب باتباعها فان زاغ عن شيء منهما منع من ذلك واقيم عليه الحد والحق فان لم يؤمن اذاه الا بخلعه خلع وولي غيره منهم فان قالوا قد اختلف الناس في تأويل القرآن والسنة ومع من تأولهما تأويلا يخرجهما عن نص آخر قلنا ان التأويل الذي لم يقم عليه برهان تحريف الكلم عن مواضعه وقد جاء النص بالمنع من ذلك وليس الاختلاف حجة وانما الحجة في نص القرآن والسنن وما اقتضاه لفظهما الذي خوطبنا به واتى بما الشريعة

(قال ابو محمد) ثم نسألهم فنقول لهم ان عمدة احتجاجكم في ايجاب امامتكم التي تدعونها جميع فرقكم انما هي وجهان فقط احدهما النص عليه باسمه والثاني شدة الفاقة اليه في بيان الشريعة اذ علمها عنده لا عند غيره ولا مزيد فاخبرونا باي شيء صار محمد بن علي بن الحسين اولى بالامامة من اخوته زيد وعمر وعبد الله وعلي والحسين فان ادعوا نصا من ابيه عليه او من النبي صلى الله عليه وسلم انه الباقر لم يكن ذلك ببدع من كذبهم ولم يكونوا اولى بتلك الدعوى من الكيسانية في دعواهم النص على ابن الحنفية وان ادعوا انه كان افضل من اخوته كانت ايضا دعوى بلا برهان والفضل لا يقطع على ما عند الله عز وجل فيه بما يبدو من الانسان فقد يكون باطنه خلاف ظاهره وكذلك يسألون ايضا ما الذي جعل موسى بن جعفر اولى بالامامة من اخيه محمد او اسحاق او علي فلا يجدون الى غير الدعوى سبيلا وكذلك ايضا يسألون ما الذي خص علي بن موسى بالامامة دون اخوته وهم سبعة عشر ذكرا فلا يجدون شيئا غير الدعوى وكذلك يسألون ما الذي جعل محمد بن علي بن موسى اولى بالامامة من اخيه علي بن علي وما الذي جعل علي بن محمد اولى بالامامة من اخيه موسى بن محمد وما

واما ان ينقسم بانقسام محله وقد فرض غير منقسم ثم لو فرض انقسام الحال فيه فلا يخلو اما ان يكون اجزاؤه متشابهة كالشكل المعقول او العدد وليس كل صورة معقولة بشكل وتكون الصورة المعقولة خيالية لا عقلية صرفة واظهر من ذلك انه ليس يمكن ان يقال ان كل واحد من الجزئين هو بعينه الكل في المعنى وان كانا غير متشابهين مثل اجزاء الحد من الجنس والفصل فيلزم منه محالات منها ان كل جزء من الجسم يقبل القسمة ايضا فيجب ان يكون الاجناس والفصول غير متناهية وهذا باطل وايضا فانه ان وقع الجنس في جانب والفصل في جانب ثم لو قسمنا الجسم لكان يجب ان يقع نصف الجنس في جانب ونصف الفصل في جانب وهو محال ثم ليس احد الجزئين اولى لقبول الجنس منه لقبول الفصل وايضا ليس كل معقول يمكن أن يقسم الى معقولات ابسط فان هاهنا معقولات هي ابسط المعقولات ومبادئ التركيبات في سائر المعقولات ليس لها اجناس ولا فصول ولا انقسام في الكم ولا في المعنى فلا يتوهم فيها اجزاء متشابهة فتبين بهذه الجملة ان محل المعقولات ليس بجسم ولا قوة في جسم فهو اذا جوهر معقول علاقته مع البدن لا علاقة حلول ولا علاقة انطباع بل علاقة التدبير والتصرف وعلاقة

الذي جعل الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى احق بالامامة من اخيه جعفر بن علي فهل هاهنا شيء غير الدعوى الكاذبة التي لا حياء لصاحبها والتي لو ادعى مثلها مدع للحسن ابن الحسن او لعبد الله بن الحسن او لاخيه الحسن بن الحسن او لابن اخيه علي بن الحسن أو لمحمد بن عبد الله القائم بالمدينة او لاخيه ابراهيم او لرجل من ولد العباس او من بني أمية أو من اي قوم من الناس كان لساواهم في الحماقة ومثل هذا لا يشتغل به من له مسكة من عقل أو منحة من دين ولو قلت او رقعة من الحياء فبطل وجه النص واما وجه الحاجة اليه في بيان الشريعة فما ظهر قط من اكثر ائمتهم بيان لشيء مما اختلف فيه الناس وما بايديهم من ذلك شيء الادعاوى مفتعلة قد اختلفوا ايضا فيها كما اختلف غيرهم من الفرق سواء سواء الا انهم اسوأ حالا من غيرهم لان كل من قلد انسانا كاصحاب ابي حنيفة لابي حنيفة واصحاب مالك لمالك واصحاب الشافعي للشافعي واصحاب احمد لاحمد فان لهؤلاء المذكورين اصحابا مشاهير نقلت عنهم اقوال صاحبهم ونقلوها هم عنه ولا سبيل الى اتصال خبر عندهم ظاهر مكشوف يضطر الخصم الى ان هذا قول موسى بن جعفر ولا انه قول علي بن موسى ولا انه قول محمد بن موسى ولا انه قول علي بن محمد ولا انه قول الحسن بن علي واما من بعد الحسن بن علي فعدم بالكلية وحماقة ظاهرة واما من قبل موسى ابن جعفر فلو جمع كل ما روي في الفقه عن الحسن والحسين رضي الله عنهما لما بلغ اوراقا فاترى المصلحة التي يدعونها في امامتهم ظهرت ولا نفع الله تعالى بها قط في علم ولا عمل لا عندهم ولا عند غيرهم ولا ظهر منهم بعد الحسين رضي الله عنه من هؤلاء الذين سموا احدا ولا امر منهم احد قط بمعروف معلن وقد قرأنا صفة هؤلاء المخاذلين المنتمين الى الامامية القائلين بان الدين عند أئمتهم فما رأينا الا دعاوى باردة وآراء فاسدة كاسخف ما يكون من الاقوال ولا يخلو هؤلاء الائمة الذين يذكرون من ان يكونوا مامورين بالسكوت او مفسوحا لهم فيه فان يكونوا مامورين بالسكوت فقد ابيح للناس البقاء في الضلال وسقطت الحجة في الديانة عن جميع الناس وبطل الدين ولم يلزم فرض الاسلام وهذا كفر محض وهم لا يقولون بهذا أو يكونوا مامورين بالكلام والبيان فقد عصوا الله اذ سكتوا وبطلت امامتهم وقد لجأ بعضهم اذ سئلوا عن صحة دعواهم في الائمة الى ان ادعوا الالهام في ذلك فاذ قد صاروا الى هذا الشغب فانه لا يضيق عن احد من الناس ولا يعجز خصومهم ان يدعوا انهم الهموا بطلان دعواهم قال هشام بن الحكم لا بد ان يكون في اخوة الامام آفات يتبين بها انهم لا يستحقون الامامة

(قال ابو محمد) وهذه دعوى مردودة تردف الحماقة ولا ندري في زيد وعمرو وعبد الله والحسن وعلي بن علي بن الحسين آفات تمنع الا ان الحسن احا زيد ومحمد كان اعرج وما علمنا ان العرج عيب يمنع من الامامة انما هو نقص في الصفة لا حظ له في الدين وما يعجز خصومهم ان يدعوا في محمد بن علي وفي جعفر بن محمد وفي سائر أئمتهم تلك الآفات التي ادعاها هشام لاخوتهم ثم ان بعض أئمتهم المذكورين مات ابوه هو ابن ثلاث سنين فمسائلهم من اين علم هذا الصغير جميع علم الشريعة وقد عدم توقيف ابيه له عليها لصغره فلم يبق الا ان يدعوا له الوحي فهذه نبوة وكفر صريح وهم لا يبلغون الى ان يدعوا له النبوة او ان يدعوا له معجزة تصحح قوله فهذه دعوى باطلة ما ظهر منها شيء او يدعوا له الالهام فما يعجز احد عن هذه الدعوى

فيتصرف في البدن وله فعل خاص يستغني به عن البدن وقوة فان من شان هذا الجوهر أن يعقل ذاته ويعقل انه عقل ذاته وليس بينه وبين ذاته علاقة ولا بينه وبين آلته آلة فان ادراك الشيء لا يكون الا بحصول صورته فيه وما يقدر آلة من قلب أو دماغ لا يخلو اما أن تكون صورته فيها حاصلة للعقل حاضرة واما ان صورة غيرها بالعدد حاصلة و باطل أن يكون صورة الآلة حاضرة بعينها فانها في نفسها حاصلة أبدا فيجب أن يكون ادراك العقل لها حاصلا أبدا وليس الامر كذلك فانه تارة يعقل وتارة يعرض عن الادراك والاعراض عن الحاضر محال ويجب أن يكون الصورة غير الآلة الحاضرة واما اما أن تحل في نفس القوة من غير مشاركة الجسم فيدل ذلك على انها قائمة بنفسها [illegible] الجسم [illegible] الجسم حتى [illegible] هذه الصورة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] واحد [illegible] محال [illegible] [illegible] [illegible]

الكلي والجزئي [illegible] هذا [illegible] ثبت انه لا يجوز أن يدرك [illegible] الا بالة ولا يعقل [illegible]

دليلا على انه اولاهم بالامامة والخلافة على الامور وقال بعضهم لا ولكن كان ابينهم فضلا فقدموه لذلك وقالت طائفة بل نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على استخلاف ابي بكر بعده على امور الناس نصا جليا

(قال ابو محمد) وبهذا نقول لبراهين احدها اطباق الناس كلهم وهم الذين قال الله تعالى فيهم * للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون * فقد اصفق هؤلاء الذين شهد الله لهم بالصدق وجميع اخوانهم من الانصار رضي الله عنهم على ان سموه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى الخليفة في اللغة هو الذي يستخلفه لا الذي يخلفه دون ان يستخلفه هو لا يجوز غير هذا البتة في اللغة بلا خلاف تقول استخلف فلان فلانا يستخلفه فهو خليفته ومستخلفه فان قام مكانه دون ان يستخلفه هو لم يقل الا خلف فلان فلانا يخلفه فهو خالف ومحال أن يعنوا بذلك الاستخلاف على الصلاة لوجهين ضروريين احدهما انه لا يستحق ابو بكر هذا الاسم على الاطلاق في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حينئذ خليفته على الصلاة فصح يقينا ان خلافته المسمى هو بها هي غير خلافته على الصلاة والثاني ان كل من استخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته كعلي في غزوة تبوك وابن ام مكتوم في غزوة الخندق وعثمان ابن عفان في غزوة ذات الرقاع وسائر من استخلفه على البلاد باليمن والبحرين والطائف وغيرها لم يستحق احد منهم قط بلا خلاف من احد من الامة ان يسمى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاطلاق فصح يقينا بالضرورة التي لا محيد عنها انها للخلافة بعده على امته ومن الممتنع ان يجمعوا على ذلك وهو عليه السلام لم يستخلفه نصا ولو لم يكن ههنا الا استخلافه اياه على الصلاة ما كان ابو بكر اولى بهذه التسمية من غيره ممن ذكرنا وهذا برهان ضروري نعارض به جميع الخصوم وايضا فان الرواية قد صحت بان امرأة قالت يا رسول الله أرأيت ان رجعت ولم اجدك كأنها تريد الموت قال فأت ابا بكر وهذا نص جلي على استخلاف ابي بكر وايضا فان الخبر قد جاء من الطرق الثابتة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضي الله عنها في مرضه الذي توفي فيه عليه السلام لقد هممت ان ابعث الى ابيك واخيك فاكتب كتابا واعهد عهدا لكيلا يقول قائل انا احق او يتمنى متمن ويأبى الله والمؤمنون الا ابا بكر وروي ايضا ويأبى الله والنبيون الا ابا بكر فهذا نص جلي على استخلافه عليه الصلاة والسلام ابا بكر على ولاية الامة بعده

(قال ابو محمد) ولو اننا نستجيز التدليس والامر الذي لو ظفر به خصومنا طاروا به فرحا أو ابلسوا اسفا لاحتججنا بما روي اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر

(قال ابو محمد) ولكنه لم يصح ويعيذنا الله من الاحتجاج بما لا يصح

(قال ابو محمد) واحتج من قال لم يستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخبر المأثور عن عبد الله بن عمر عن ابيه انه قال ان استخلف فقد استخلف من هو خير مني يعني ابا بكر وان لا استخلف فلم يستخلف من هو خير مني يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما روي عن عائشة رضي الله عنها اذ سئلت من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخلفا لو استخلف فمن المحال ان يعارض الاجماع من الصحابة الذي ذكرنا والاثران الصحيحان المسندان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من لفظه بمثل هذين الاثرين الموقوفين على عمر وعائشة رضي الله عنهما

الى الاشتغال به واستعماله والاهتمام باحواله والانجذاب اليه بخصة ويصرفه عن كل الاجسام غيره بالطبع اما بواسطة واما بمفارقة البدن فان الانفس قد وجد كل واحد منها ذاتا مفردة باختلاف موادها التي كانت وباختلاف ازمنة حدوثها واختلاف هيئاتها التي هي بحسب ابدانها المختلفة لا محالة باحوالها ولانها لا تموت بموت البدن لان كل شيء يفسد بفساد شيء آخر فهو متعلق به نوعا من التعلق فاما ان يكون تعلقه به تعلق المكافىء في الوجود وكل واحد منهما جوهر قائم بنفسه فلا يؤثر المكافاة في الوجود في فساد احدهما فساد الثاني لانه امر اضافي وفساد احدهما يبطل الاضافة لا الذات واما ان يكون تعلقه به تعلق المتاخر في الوجود والبدن علة للنفس والعلل اربع فلا يجوز ان يكون علة فاعلية فان الجسم بما هو جسم لا يفعل شيئا الا بقواه والقوى الجسمانية اما اعراض أو صور مادية فمحال ان يفيد امر قائم بالمادة وجود ذات قائمة بنفسها لا في مادة ولا يجوز ان يكون علة قابلية فقد بينا ان النفس ليست منطبعة في البدن ولا يجوز ان يكون علة صورية او كمالية فان الاولى ان يكون الامر بالعكس فاذا تعلق النفس بالبدن ليس تعلقا على انه علة ذاتية لها نعم البدن والمزاج علة بالعرض للنفس فانه اذا حدث بدن يصلح ان يكون آلة للنفس ومملكة

مما لا يقوم به حجة ممالة وجه ظاهر من أن هذا الاثر خفي على عمر رضي الله عنه كما خفي عليه كثير من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كالاستئذان وغيره او انه اراد استخلافا بعد مكتوب ونحن نقر ان استخلاف ابي بكر لم يكن بكتاب مكتوب وأما الخبر في ذلك عن عائشة فكذلك نصا وقد يخرج كلامها على سؤال سائل وانما الحجة في روايتها لا في قولها وأما من ادعى انه انما قدم قياسا على تقديمه الى الصلاة فباطل بيقين لانه ليس كل من استحق الامامة في الصلاة يستحق الامامة في الخلافة اذ يستحق الامامة في الصلاة اقرأ القوم وان كان اعجميا او عربيا ولا يستحق الخلافة الا قرشي فكيف والقياس كله باطل

(قال ابو محمد) في نص القرآن دليل على صحة خلافة ابي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وعلى وجوب الطاعة لهم وهو ان الله تعالى قال مخاطبا لنبيه صلى الله عليه وسلم في الاعراب * فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا * وكان نزول سورة براءة التي فيها هذا الحكم بعد غزوة تبوك بلا شك التي تخلف فيها الثلاثة المعذورون الذين تاب الله عليهم في سورة براءة ولم يغز عليه السلام بعد غزوة تبوك الى أن مات صلى الله عليه وسلم وقال تعالى ايضا * سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل * فبين ان العرب لا يغزون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد تبوك لهذا ثم عطف سبحانه وتعالى عليهم اثر منعه اياهم من الغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلق باب التوبة فقال تعالى * قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم اولي بأس شديد تقاتلونهم او يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا اليما * فاخبر تعالى انهم سيدعوهم غير النبي صلى الله عليه وسلم الى قوم يقاتلونهم او يسلمون ووعدهم على طاعة من دعاهم الى ذلك بجزيل الاجر العظيم وتوعدهم على عصيان الداعي لهم الى ذلك العذاب الاليم

(قال ابو محمد) وما دعا اولئك الاعراب احد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قوم يقاتلونهم او يسلمون الا ابو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فان ابا بكر رضي الله عنه دعاهم الى قتال مرتدي العرب بني حنيفة واصحاب الاسود وسجاح وطليحة والروم والفرس وغيرهم ودعاهم عمر الى قتال الروم والفرس وعثمان دعاهم الى قتال الروم والفرس والترك فوجب طاعة ابي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم بنص القرآن الذي لا يحتمل تاويلا واذ قد وجبت طاعتهم فرضا فقد صحت امامتهم وخلافتهم رضي الله عنهم وليس هذا بموجب تقليدهم في غير ما أمر الله تعالى بطاعتهم فيه لان الله تعالى لم يأمر بذلك الا في دعائهم الى قتال هؤلاء القوم وفيما يجب الطاعة فيه للائمة جملة وبالله تعالى التوفيق. واما ما افتوا به باجتهادهم فما اوجبوا قط اتباعهم فيه فكيف ان يوجب ذلك غيرهم وبالله تعالى التوفيق. وايضا فان هذا اجماع الامة كلها اذ ليس احد من اهل العلم الا وقد خالف بعض فتاوى هؤلاء الائمة الثلاثة رضي الله عنهم فصح ما ذكرنا والحمد لله رب العالمين

(فصل قال ابو محمد) وجميع فرق اهل القبلة ليس منهم احد يجيز امامة امرأة ولا امامة صبي لم يبلغ الا الرافضة فانها تجيز امامة الصغير الذي لم يبلغ والحمل في بطن امه وهذا خطأ لان من لم يبلغ فهو غير مخاطب والامام مخاطب باقامة الدين وبالله تعالى التوفيق. قال الباقلاني واجب ان يكون الامام افضل الامة

لها احدثت العلل المفارقة النفس الجزوية فان احداثها بلا سبب يخصص احداث واحد دون واحد يمنع عن وقوع الكثرة فيها بالعدد ولان كل كائن بعد مالم يكن يستدعي ان يتقدمه مادة يكون فيها تهيؤ قبوله او تهيؤ نسبته اليه كما تبين ولانه لو كان يجوز ان يكون النفس الجزئية تحدث ولم تحدث لها آلة بها تستكمل وتفعل لكانت معطلة الوجود ولا شيء معطل في الطبيعة ولكن اذا حدث التهيؤ والاستعداد في الآلة حدث من العلل المفارقة شيء هو النفس وليس اذا وجب حدوث شيء من حدوث شيء وجب ان يبطل مع بطلانه واما القسم الثالث مما ذكرنا وهو ان تعلق النفس بالجسم تعلق التقدم ان كان بالزمان فيستحيل ان يتعلق وجوده به وقد تقدمه في الزمان وان كان بالذات فليس فرض عدم المتأخر يوجب عدم المتقدم على ان فساد البدن بامر يخصه من تغير المزاج والتركيب

﴿قال ابو محمد﴾ وهذا خطأ متيقن لبرهانين أحدهما انه لا يمكن ان يعرف الافضل الا بالظن في ظاهر امره وقد قال تعالى * ان الظن لا يغني من الحق شيئا * والثاني ان قريشا قد كثرت وطبقت الارض من اقصى المشرق الى اقصى المغرب ومن الجنوب الى الشمال ولا سبيل ان يعرف الافضل من قوم هذا مبلغ عددهم بوجه من الوجوه ولا يمكن ذلك اصلا ثم يكفي من بطلان هذا القول اجماع الامة على بطلانه فان جميع من ادرك من الصحابة رضي الله عنه من جميع المسلمين في ذلك العصر قد اجمعوا على صحة امامة الحسن او معاوية وقد كان في الناس افضل منهم بلا شك كسعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد وابن عمر وغيرهم فلو كان ما قاله الباقلاني حقا لكانت امامة الحسن ومعاوية باطلة وحاشا لله عز وجل من ذلك وايضا فان هذا القول الذي قاله هذا المذكور دعوى فاسدة ولا على صحتها دليل لا من قرآن ولا من سنة صحيحة ولا سقيمة ولا من قول صاحب ولا من قياس والعجب كله ان يقول انه جائز ان يكون في هذه الامة من هو افضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث بعث الى ان مات ثم لا يجيز ان يكون احد افضل من الامام

﴿قال ابو محمد﴾ وهذا القول منه في النبي صلى الله عليه وسلم كفر مجرد ولا خفاء به وفيه خلاف لاهل الاسلام وانما يجب ان يكون الامام قرشيا بالغا ذكرا مميزا بريئا من المعاصي الظاهرة حاكما بالقرآن والسنة فقط ولا يجوز خلعه ما دام يمكن منعه من الظلم فان لم يمكن الا بازالته فرض ان يقام كل ما يوصل به الى دفع الظلم لقول الله تعالى * وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان * وبالله تعالى التوفيق

﴿الكلام في وجوه الفضل والمفاضلة بين الصحابة﴾

(قال ابو محمد) اختلف المسلمون فيمن هو افضل الناس بعد الانبياء عليهم السلام فذهب بعض اهل السنة وبعض اهل المعتزلة وبعض المرجئة وجميع الشيعة الى ان افضل الامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب وقد روينا هذا القول نصا عن بعض الصحابة رضي الله عنهم وعن جماعة من التابعين والفقهاء وذهبت الخوارج كلها وبعض اهل السنة وبعض المعتزلة وبعض المرجئة الى ان افضل الصحابة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر وروينا عن ابي هريرة رضي الله عنه ان افضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم جعفر بن ابي طالب وبهذا قال عاصم النبيل وهو الضحاك بن مخلد وعيسى بن حاضر قال عيسى وبعد جعفر حمزة رضي الله عنه • وروينا عن نحو عشرين من الصحابة ان اكرم الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب والزبير بن العوام وروينا عن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وثلاث رجال لا يعد احد عليهم بفضل سعد بن معاذ واسيد بن حضير وعباد بن بشر وروينا عن ام سلمة ام المؤمنين رضي الله عنها انها ذكرت الفضل ومن هو خير فقالت ومن هو خير من ابي سلمة اول بيت هاجر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وروينا عن مسروق بن الاجدع وتميم بن حذلم وابراهيم النخعي وغيرهم ان افضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود قال تميم وهو من كبار التابعين رأيت ابا بكر وعمر فما رايت مثل عبد الله بن مسعود وروينا عن بعض من ادرك النبي صلى الله عليه وسلم ان افضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب وانه افضل من ابي بكر رضي الله عنهما وبلغني عن محمد بن

عبد الله

ليس ذلك مما يتعلق بالنفس فبطلان البدن لا يقتضي بطلان النفس ونقول ان شيئا آخر لا يفسد النفس ايضا بل هي في ذاتها لا تقبل الفساد لان كل شيء من شانه ان يفسد بامر ما ففيه قوة بان يفسد وقبل الفساد فيه فعل أن يبقى ومحال ان يكون من جهة واحدة في شيء واحد قوة ان يفسد وفعل ان يبقى فان تهيؤه للفساد شيء وفعله للبقاء شيء آخر فالاشياء المركبة يجوز ان يجتمع فيها الامران لوجهين اما البسيطة فلا يجوز ان يجتمع فيها ومن الدليل على ذلك ايضا ان كل شيء يبقى وله قوة ان يفسد فله قوة ان يبقى ايضا لان بقاءه ليس بواجب ضروري واذا لم يكن واجبا كان ممكنا والامكان هو طبيعة القوة فاذا يكون له في جوهره قوة ان يبقى وفعل ان يبقى فيكون فعل ان يبقى منه امرا يعرض للشيء الذي له قوة ان يبقى فذلك الشيء الذي له قوة على البقاء وفعل البقاء امر مشترك له فعل البقاء كالصورة

عبدالله الحاكم النيسابورى انه كان يذهب الى هذا القول قال داود بن علي الفقيه رضى الله عنه افضل الناس بعد الانبياء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وافضل الصحابة الاولون من المهاجرين ثم الاولون من الانصار ثم من بعدهم منهم ولا نقطع على انسان منهم بعينه انه افضل من آخر من طبقته ولقد رأينا من متقدمى اهل العلم ممن يذهب الى هذا القول وقال لى يوسف بن عبد الله بن عبدالبر النميرى غير مامرة ان هذا هو قوله ومعتقده (قال ابو محمد) والذى نقول به وندين الله تعالى عليه ونقطع على انه الحق عند الله عز وجل ان افضل الناس بعد الانبياء عليهم السلام نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ابو بكر ولا خلاف بين احد من المسلمين فى ان امة محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الامم لقول الله عز وجل * كنتم خير أمة اخرجت للناس * وان هذه قاضية على قوله تعالى لبنى اسرائيل * وفضلنا كم على العالمين * وانها مبينة لان مراد الله تعالى من ذلك عالم الامم حاشا هذه الامة

(قال ابو محمد) ثم نقول وبالله تعالى التوفيق ان الكلام المهمل دون تحقيق المعنى المراد بذلك الكلام فانه طمس للمعاني وصد عن ادراك الصواب وتعريج عن الحق وابعاد عن الفهم وتخليط وعمى فلنبدأ بعون الله تعالى وتاييده بتقسيم وجوه الفضل التى بها يستحق التفاضل فاذا استبان معنى الفضل وعلى ماذا تقع هذه اللفظة فبالضرورة نعلم حينئذ ان من حدثت فيه هذه الصفات أكثر فهو افضل بلا شك فنقول ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ان الفضل ينقسم الى قسمين لا ثالث لهما فضل اختصاص من الله عز وجل بلا عمل وفضل مجازاة من الله تعالى بعمل فاما فضل الاختصاص دون عمل فانه يشترك فيه جميع المخلوقين من الحيوان الناطق والحيوان غير الناطق والجمادات كفضل الملائكة فى ابتداء خلقهم على سائر الخلق وكفضل الانبياء فى ابتداء خلقهم على سائر الجن والانس وكفضل ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم على سائر الاطفال وكفضل ناقة صالح عليه السلام على سائر النوق وكفضل ذبيحة ابراهيم عليه السلام على سائر الذبائح وكفضل مكة على سائر البلاد وكفضل المدينة بعد مكة على غيرها من البلاد وكفضل المساجد على سائر البقاع وكفضل الحجر الاسود على سائر الحجارة وكفضل شهر رمضان على سائر الشهور وكفضل يوم الجمعة وعرفة وعاشوراء والعشر على سائر الايام وكفضل ليلة القدر على سائر الليالى وكفضل صلاة الفرض على النافلة وكفضل صلاة العصر وصلاة الصبح على سائر الصلوات وكفضل السجود على القعود وكفضل بعض الذكر على بعض فهذا هو فضل الاختصاص المجرد بلا عمل فاما فضل المجازاة بالعمل فلا يكون البتة الا للحي الناطق من الملائكة والانس والجن فقط وهذا هو القسم الذى تنازع الناس فيه فى هذا الباب الذى نتكلم فيه الان من أحق به فوجب ان ننظر أيضا فى اقسام هذا القسم التى بها يستحق الفضل فيه والتقدم فنحصرها ونذكرها بحول الله وقوته ثم ننظر حينئذ من هو أحق به واسعد بالسبوق فيه فيكون بلا شك افضل ممن هو أقل حظا فيها بلا شك وبالله تعالى التوفيق فنقول وبالله تعالى نستعين ان العامل يفضل العامل فى عمله بسبعة أوجه لا ثالث لها وهى المائية وهى عين العمل وذاته والكمية وهى العرض فى العمل والكيفية والكم والزمان والمكان والاضافة فالمائية هى ان تكون الفروض من أعمال احدهما موفاة كلها ويكون الاخر يضيع بعض فروضه وله نوافل او يكون كلاهما وفى جميع فروضه ويعملان نوافل زائدة الا ان نوافل احدهما أفضل من نوافل

وقوة البقاء كالمادة فيكون مركبا من مادة وصورة وقد فرضنا واحدا فردا فهو خلف فقد بان كل أمر بسيط فغير مركب فيه قوة ان يبقى وفعل ان يبقى بل ليس فيه قوة ان يعدم باعتبار ذاته والفساد لا يتطرق الا الى المركبات واذا تقرر ان البدن اذا تهيأ واستعد استحق من واهب الصور نفسا مدبرة ولا يختص هذا ببدن دون بدن بل كل بدن حكمه كذلك فاذا استحق النفس وقارنته فى الوجود فلا يجوز ان يتعلق به نفس أخرى لانه يودي الى ان يكون لبدن واحد نفسان وهو محال فالتناسخ اذا باطل *

المقالة السادسة * فى وجه خروج العقل النظرى من القوة الى الفعل وأحوال خاصة بالنفس الانسانية من الرؤيا الصادقة والكاذبة وادراكها علم الغيب ومشاهدتها صورا لا وجود لها من خارج من تلك الوجوه ومعنى النبوة والمعجزات وخصائصها التى التى تتميز بها عن المخاريق أما الاول فقد بينا ان النفس الانسانية لها قوة هيولانية

الآخر كان يكون احدهما يكثر الذكر في الصلاة والآخر يكثر الذكر في حال جلوسه وما أشبه هذا وكانسانين قاتل احدهما في المعركة والموضع المخوف وقاتل الآخر في الردة او جاهد احدهما واشتغل الآخر بصيام وصلاة تطوع او يجتهدان فيصادف احدهما ويحرمه الآخر فيفضل احدهما الآخر في هذه الوجوه بنفس عمله او بان ذات عمله افضل من ذات عمل الآخر فهذا هو التفاضل في المائية من العمل وأما الكمية وهي العرض فان يكون احدهما يقصد بعمله وجه الله تعالى لا يمزج به شيئا البتة ويكون الآخر يساويه في جميع عمله الا انه ربما مزج عمله شيئا من حب البر في الدنيا وان يستدفع بذلك الاذى عن نفسه وربما مزجه بشيء من الرياء فيفضله الاول بمحضه في عمله وأما الكيفية فان يكون احدهما يوفي عمله جميع حقوقه ورتبه لا منتقصا ولا متزيدا ويكون الآخر ربما انتقص بعض رتب ذلك العمل وسننه وان لم يبطل منه فرضا او يكون احدهما يصفي عمله من الكبائر وربما أتى الآخر ببعض الكبائر فيفضله الاخر بكيفية عمله وأما الكم فان يستويا في أداء الفرض ويكون احدهما اكثر نوافل فيفضله هذا بكثرة عدد نوافله كاثنين في رجلين اسلما وهاجرا ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استشهد احدهما وعاش الآخر بعده سنة ثم مات على فراشه فرأى بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحدهما في النوم وهو آخرهما موتا افضل من حال الشهيد فسأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام كلاما معناه فاين صلاته وصيامه بعده ففضل احدهما الآخر بالزيادة التي زادها عليه من عدد اعماله وأما الزمان فكمن عمل في صدر الاسلام او في عام المجاعة او في وقت نازلة بالمسلمين وعمل غيره بعد قوة الاسلام وفي زمن رخاء وأمن وظهور الكلمة في اول الاسلام والتمرة والصبر حينئذ ركعة في ذلك الوقت تعدل اجتهاد الازمان الطوال وجهادها وبذل الاموال الجسام بعد ذلك ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوا لي أصحابي فلو كان لاحدكم مثل احد ذهبا فانفقه ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه فكان نصف مد شعيرا وتمر في ذلك الوقت افضل من جبل احد ذهبا ينفقه نحن في سبيل الله عز وجل بعد ذلك قال الله تعالى * لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى

(قال ابو محمد) هذا في الصحابة فيما بينهم فكيف بمن بعدهم منهم رضي الله عنهم أجمعين

(قال ابو محمد) وهذا يكذب قول أبي هاشم محمد بن علي الجبائي وقول محمد بن الطيب الباقلاني فان الجبائي قال جائز ان طال عمر امرىء ان يعمل مايوازي عمل نبي من الانبياء وقال الباقلاني جائز ان يكون في الناس من هو أفضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث بعث بالنبوة الى ان مات

(قال ابو محمد) وهذا كفر مجرد وردة وخروج عن دين الاسلام بلا مرية وتكذيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم في اخباره انا لا ندرك احدا من اصحابه وفي اخباره عليه السلام عن اصحابه رضي الله عنهم انه ليس مثلهم وانه اتقاهم لله واعلمهم بما يأتي وما يذر وكذلك قالت الخوارج والشيعة فان الشيعة يفضلون أنفسهم على التقي وعلى ابي بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وعائشة وجميع الصحابة رضي الله عنهم حاشا عليا والحسن والحسين وعمار بن ياسر والخوارج يفضلون انفسهم بشر خلق الله تعالى وكلاب النار على عثمان

أي استعداد لقبول المعقولات فاعل وكل ماخرج من القوة الى الفعل لابد له من سبب يخرجه الى الفعل وذلك السبب يجب ان يكون موجودا بالفعل فانه لو كان موجودا بالقوة لاحتاج الى مخرج آخر فاما ان يتسلسل أو ينتهي الى مخرج هو موجود الفعل لا قوة فيه فلا يجوز ان يكون ذلك جسما لان الجسم مركب من مادة وصورة والمادة أمر بالقوة فهو اذا جوهر مجرد عن المادة وهو الفعال وانما سمي فعالا لان كل العقول الهيولانية منفعلة وقد سبق اثباته في الالهيات من وجه آخر وليس يختص فعله بالعقول والنفوس بل وكل صورة في العالم فانما هي من فيضه العام فيعطي كل قابل ما استعد له من الصور واعلم ان الجسم وقوة في جسم لا يوجد شيئا فان الجسم مركب من مادة وصورة والمادة طبيعتها عدمية فلو أثر الجسم لاثر بمشاركة المادة وهي عدم والعدم لا يؤثر في الوجود فالعقل الفعال

وعلى وطلحة والزبير ولقد خاب من خالف كلام الله تعالى وقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم

(قال ابو محمد) وكذلك القليل من الجهاد والصدقة فى زمان الشدائد أفضل من كثيرهما فى وقت القوة والسعة وكذلك صدقة المرء بدرهم فى زمان فقره وصحته يرجو الحياة ويخاف الفقر أفضل من الكثير يتصدق به فى عرض غناه وفيه وصيته بعد موته وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق درهم مائة ألف وهو انسان كان له درهمان تصدق باحدهما والآخر عمد الى عرض ماله تصدق منه بمائة الف وكذلك صبر المرء على اداء الفرائض فى حال خوفه ومرضه وقليل تنفله فى زمان مرضه وخوفه أفضل من عمله وكثير تنفله فى زمان صحته وامنه ففضل من ذكرنا غيرهم بزمان عملهم وكذلك من وفق لعمل الخير فى زمان آخر اجله هو أفضل ممن خلط فى زمان آخر أجله وأما المكان فكصلاة فى المسجد الحرام او مسجد المدينة فهما افضل من الف صلاة فيما عداهما وتفضل الصلاة فى المسجد الحرام على الصلاة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمائة درجة وكصيام فى بلد العدو او فى الجهاد على صيام فى غير الجهاد ففضل من عمل فى المكان الفاضل غيره ممن عمل فى غير ذلك المكان بمكان عمله وان تساوى العملان واما الاضافة فركعة من نبى أو ركعة مع نبى أو صدقة من نبى او صدقة معه او ذكر منه او ذكر معه وسائر أعمال البر منه او معه فقليل ذلك أفضل من كثير الاعمال بعده ويبين ذلك ما قد ذكرنا آنفا من قول الله عز وجل * لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل * واخباره عليه السلام ان احدنا لو انفق مثل احد ذهبا ما بلغ نصف مد من احد من الصحابة رضى الله عنهم

(قال ابو محمد) وبهذا قطعنا على ان كل عمل عملوه بانفسهم بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم لا يوازى شيئا من البر عمله ذلك الصاحب نفسه مع النبى صلى الله عليه وسلم ولا ما عمله غير ذلك الصاحب بعد النبى صلى الله عليه وسلم ولو كان غير ما نقول لجاز ان يكون انس وابو امامة الباهلى وعبد الله بن أبى اوفى وعبد الله بن بسر وعبد الله بن الحارث بن جزء وسهل بن سعد الساعدى رضى الله عنهم أفضل من أبى بكر وعمر وعثمان وابى عبيدة وزيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب ومصعب بن عمير وعبد الله بن جحش وسعد بن معاذ وعثمان بن مظعون وسائر السابقين من المهاجرين والانصار المتقدمين رضى الله عنهم اجمعين لان بعض اولئك عبدوا الله عز وجل بعد موت اولئك بعضهم بعد موت بعض تسعين عاما فما بين ذلك الى خمسين عاما وهذا مالا يقوله احد يعتد به

(قال ابو محمد) وبهذا قطعنا على ان من كان من الصحابة حين موت رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من آخر منهم فان ذلك المفضول لا يلحق درجة الفاضل له حينئذ ابدا وان طال عمر المفضول وتعجل موت الفاضل وبهذا ايضا لم نقطع على فضل احد منهم رضى الله عنهم حاشا من ورد فيه النص من النبى صلى الله عليه وسلم بعزمات منهم فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم بل نقف فى هؤلاء على ما نبينه بعد هذا ان شاء الله تعالى

(قال ابو محمد) فهذه وجوه الفضائل بالاعمال التى لا يفضل ذو عمل فاعلا فيها سواها البتة ثم نتيجة هذه الوجوه كلها وثمرتها ونتيجة فضل الاختصاص المجرد دون عمل ايضا ثالث لها البتة احدهما ايجاب الله تعالى تعظيم الفاضل فى الدنيا على المفضول وهذا الوجه يشترك فيه كل فاضل بعمل او اختصاص مجرد بلا عمل من عرض او جماد او حى ناطق او غير ناطق

هو المجرد عن المادة وعن كل قوة فهو بالفعل من كل وجه وأما الثانى من الاحوال الخاصة بالنفس النوم والرؤيا فالنوم غرور القوة الظاهرة فى أعماق البدن وانحباس الارواح من الظاهر الى الباطن ونعنى بالارواح ههنا أجساما لطيفة مركبة من بخار الاخلاط التى منبعها القلب وهى مراكب القوى النفسانية والحيوانية ولهذا اذا وقعت سدة فى مجاريها من الاعصاب المؤدية للحس بطل الحس وحصل الصرع والسكتة فاذا ركدت الحواس ورقدت بسبب من الاسباب بقيت النفس فارغة عن شغل الحواس لانها لا تزال مشغولة بالتفكر فيما يورد الحواس عليها فاذا وجدت فرصة ورفع عنها المانع واستعدت الاتصال للجواهر الروحانية الشريفة العقلية التى فيها نقش الموجودات كلها فانطبع فى النفس ما فى تلك الجواهر من صور الاشياء لاسيما ما يناسب أغراض الرأى ويكون انطباع تلك الصورة فى

وقد امرنا الله تعالى بتعظيم الكعبة والمساجد ويوم الجمعة والشهر الحرام وشهر رمضان وناقة صالح وابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الله والملائكة والنبيين على جميعهم صلوات الله وسلامه والصحابة اكثر من تعظيمنا وتوقيرنا غير ما ذكرنا ومن ذكرنا من المواضع والايام والنوق والاطفال والكلام والناس هذا مالا شك فيه وهذا خاصة كل فاضل لا يخلو منها فاضل اصلا ولا يكون البتة الا الفاضل والوجه الثاني هو ايجاب الله تعالى للفاضل درجة في الجنة أعلى من درجة المفضول اذ لا يجوز عند احد من خلق الله تعالى ان يامر باجلال المفضول اكثر من اجلال الفاضل ولا ان يكون المفضول اعلى درجة في الجنة من الفاضل ولو جاز ذلك لبطل معنى الفضل جملة ولكان لفظا لا حقيقة له ولا معنى تحته وهذا الوجه الثاني الذي هو علو الدرجة في الجنة هو خاصة لكل فاضل بعمل فقط من الملائكة والانس والجن والله تعالى التوفيق

﴿قال ابو محمد﴾ فكل مامور بتعظيمه فاضل وكل فاضل فمامور بتعظيمه وليس الاحسان والبر والتوقير والتذلل المفترض في الابوين الكافرين من التعظيم في شيء فقد يحسن المرء الى من لا يعظم ولا يبر كاحسان المرء الى جاره وغلامه واجيره ولا يكون ذلك تعظيما وقد يبر الانسان جاره والشيخ من أكرته (١) ولا يسمى ذلك تعظيما وقد يوقر الانسان من يخاف ضره ولا يسمى ذلك تعظيما وقد يتذلل الانسان للمتسلط الظالم ولا يسمى ذلك تعظيما وفرض على كل مسلم البراءة من ابويه الكافرين وعداوتهما في الله عز وجل قال الله عز وجل *لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه * وقال عز وجل *قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده * وقال عز وجل * وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لاواه حليم * فقد صح بيقين ان ما وجب للابوين الكافرين من بر واحسان وتذلل ليس هو التعظيم الواجب لمن فضله الله عز وجل لان التعظيم الواجب لمن فضله الله عز وجل هو مودته في الله ومحبته فيه وولاية له وأما البر الواجب للابوين الكافرين والتذلل لهما والاحسان اليهما فكل ذلك مرتبط بالعداوة لله تعالى وللبراءة منهما واسقاط المودة كما قال الله تعالى في نص القرآن وبالله تعالى التوفيق

*﴿قال ابو محمد﴾ * وقد يكون دخول الجنة اختصاصا مجردا دون عمل وذلك للاطفال كما ذكرنا قبل فاذ قد صح ما ذكرنا قبل يقينا بلا خلاف من احد في شيء منه فبيقين ندري انه لا تعظيم يستحقه احد من الناس في الدنيا بايجاب الله تعالى ذلك علينا بعد التعظيم الواجب علينا للانبياء عليهم السلام اوجب ولا أوكد مما افترضه الله تعالى من التعظيم الواجب علينا لنساء النبي صلى الله عليه وسلم بقول الله تعالى * النبي أولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم * فاوجب الله لهن حكم الامومة على كل مسلم هذا سوى حق اعظامهن بالصحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلهن رضي الله تعالى عنهن مع ذلك حق الصحبة له كسائر الصحابة الذي لهن من الاختصاص في الصحبة وتوكيدها الملازمة له عليه السلام ولطيف المنزلة عنده عليه السلام والقرب منه والحظوة لديه ما ليس لاحد من الصحابة رضي الله عنهم فمن اعلى

النفس كانطباع صورة في مرآة فان كانت الصور جزئية ووقعت من النفس في المصورة وحفظها الحافظة على وجهها من غير تصرف المخيلة صدقت الرؤيا ولا يحتاج الى تعبير وان وقعت في المتخيلة حاكت ما يناسبها من الصور المحسوسة وهذه تحتاج الى تعبير وتاويل ولما تكن تصرفات الخيال مضبوطة واختلفت باختلاف الاشخاص والاحوال اختلفت التعبير واذا تحركت المتخيلة منصرفة عن عالم العقل الى الى عالم الحس واختلطت تصرفاتها كانت الرؤيا أضغاث أحلام لا تعبير لها وكذلك لو غلبت على المزاج احدى الكيفيات الاربع رأى في المنام أحوالا مختلطة وأما الثالث في ادراك علم الغيب في اليقظة ان بعض النفوس يقوى قوة لا تشغله الحواس ولا يمنع القوة للنظر الى عالم العقل والحس جميعا فيطلع الى عالم الغيب فيظهر له بعض الامور كالبرق الخاطف وبقي التصور المدرك في الحافظة بعينه وكان ذلك

(١) أكرته ثلاثي من باب نصر أي وقد بين الشيخ امرأة أكرته أي أجرته للحراثة والزرع

درجة في الصحبة من جميع الصحابة ثم فضلن سائر الصحابة بحق زائد وهو حق الامومة
الواجب لهن كلهن بنص القرآن فوجدنا الحق الذي به استحق الصحابة الفضل قد شاركنهم
فيه وفضلنهم فيه ايضا ثم فضلنهم بحق زائد وهو حق الامومة ثم وجدناهن لا عمل من الصلاة
والصدقة والصيام والحج وحضور الجهاد يسبق فيه صاحب من الصحابة الا كان فيهن فقد كن
يجهدن انفسهن في ضيق عيشهن على الكد في العمل بالصدقة والعتق وقد شهدن الجهاد معه عليه
السلام وفي هذا كفاية بينة في انهن افضل من كل صاحب ثم بلا شك عند كل مسلم وشهادة
نص القرآن اذ خيرهن الله عز وجل بين الدنيا وبين الدار الآخرة والله ورسوله فاخترن
الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم والدار الآخرة فهن في الآخرة بيقين واذ هن
كذلك فهن معه صلى الله عليه وسلم بلا شك في درجة واحدة في الجنة في قصوره وعلى سرره
اذ لا يمكن البتة ان يحال بينه وبينهن في الجنة ولا ان ينحط عليه السلام الى درجة يسفل فيها
عن احد من الصحابة هذا ما لا يظنه مسلم فاذا لا شك في حصولهن في هذه المنزلة بالنص
والاجماع علمنا انهن لم يؤتين ذلك اختصاصا مجردا دون عمل بل استحقاقا منهن لذلك باختيارهن
الله ورسوله والدار الآخرة اذ امره الله عز وجل ان يخيرهن فاخترن الله عز وجل ورسوله صلى
الله عليه وسلم وهو افضل الناس ثم قد حصل لهن افضل الاعمال في جميع الوجوه السبعة
التي قدمنا انه لا يكون التفاضل الا بها في الاعمال خاصة ثم قد حصل لهن على ذلك
أوكد التعظيم في الدنيا ثم قد حصل لهن ارفع الدرجات في الآخرة فالوجهان من وجوه
الفضل الاولهن فيه اعلى الحظوظ كلها بلا شك وجارية ام ابراهيم داخلة معهن في ذلك
لانها معه عليه السلام في الجنة ومع امهات بلا شك واذ قد ثبت كل ذلك على رغم
الآبي فقد وجب ضرورة ان يشهد لهن كلهن انهن افضل من جميع الخلق كلهم بعد الملائكة
والنبيين عليهم السلام وكيف وقد نص النبي صلى الله عليه وسلم كما حدثنا احمد بن محمد بن
عبد الله الطلمنكي ثنا محمد بن احمد بن مفرج ثنا محمد بن أيوب الرقي الصموت ثنا احمد بن
عمرو بن عبد الخالق البزار ثنا احمد بن عمرو وحدثنا عمر بن سليمان التيمي ثنا حميد الطويل
عن انس بن مالك قال قيل يارسول الله من احب الناس اليك قال عائشة قال من الرجال
قال فابوها * حدثنا عبد الله بن يوسف بن نامي قال حدثنا احمد بن فتح حدثنا عبد الوهاب
ابن قيس حدثنا احمد بن محمد الاشقر حدثنا احمد بن علي القلانسي ثنا مسلم بن الحجاج ثنا
يحيى بن يحيى بن خالد بن عبد الله هو الطحان عن خالد الحذاء عن ابي عثمان النهدي قال
اخبرني عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه الى جيش ذات السلاسل
قال فاتيته فقلت اي الناس احب اليك فقال عائشة قلت من الرجال قال ابوها قلت ثم من
قال عمر فعد رجالا فهذان عدلان انس وعمرو يشهدان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر
بان عائشة احب الناس اليه ثم ابوها وقد قال عز وجل عنه عليه السلام * وما ينطق عن
الهوى ان هو الا وحي يوحى * فصح ان كلامه عليه السلام انها احب الناس اليه وحي
اوحاه الله تعالى اليه ليكون كذلك ويخبر بذلك لا عن هوى له ومن ظن ذلك فقد كذب
الله تعالى لكن لاستحقاقها لذلك الفضل في الدين والتقديم فيه على جميع الناس الموجب لان
يحبها رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر من محبته لجميع الناس ففضلها رسول الله صلى الله عليه
وسلم على ابيها وعلى عمر وعلى وعلى فاطمة تفضيلا ظاهرا بلا شك فان قال قائل ان ابراهيم ابن

وحيا صريحا وان وقع في
المتخيلة واشتغلت بطبيعة
المحاكاة كان ذلك مفتقرا
الى التاويل وأما الرابع في
مشاهدة النفس صورا
محسوسة لا وجود لها وذلك
ان النفس تدرك الامور
الغائبة ادراكا قويا فيبقى
عين ما أدركته في الحفظ
وقد يقبله قبولا ضعيفا
فيستولى عليه المتخيلة
وتحاكيه بصورة محسوسة
واستتبعت الحس المشترك
وانطبعت الصورة في الحس
المشترك سراية اليه من
الصورة المتخيلة والابصار هو
وقوع صورة في الحس
المشترك سواء وقع فيه امر
من خارج بواسطة البصر
أو وقع فيه أمر من داخل
بواسطة الخيال كان ذلك
محسوسا فمنه ما يكون من
قوة النفس وقوة آلات
الادراك ومنه ما يكون من
ضعف النفس والالات وأما
الخامس فالمعجزات
والكرامات قال
خصائص المعجزات
والكرامات ثلاث خاصية
في قوة النفس وجوهرها
ليؤثر في هيولا العالم بازالة
صورة وايجاد صورة وذلك

رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم لكونه مع ابيه عليه السلام في الجنة في درجة واحدة ملساله والله تعالى التوفيق ان ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما استحق تلك المنزلة بعمل كان منه وانما هو اختصاص مجرد وانما تقع المفاضلة بين الفاضلين اذا كان فضلهما واحدا من وجه واحد فتفاضلا فيه واما ان كان الفضل من وجهين اثنين فلا سبيل الى المفاضلة بينهما الا ان معنى قول القائل أي هذين افضل انما هو اي هذين اكثر أوصافا في الباب الذي اشتركا فيه ألا ترى انه لا يقال ايهما افضل رمضان او ناقة صالح ولا ايهما افضل الكعبة او الصلاة بل نقول ايهما افضل مكة او المدينة وايهما افضل رمضان او ذو الحجة وايهما افضل الزكاة ام الصلاة وايهما افضل ناقة صالح أو ناقة غيره من الانبياء فقد صح أن التفاضل انما يكون في وجه اشتراك فيه المسؤول عنهما فسبق احدهما فيه فاستحق ان يكون افضل وفضل ابراهيم ليس على عمل اصلا وانما هو اختصاص مجرد واكرام لابيه صلى الله عليه وسلم وأما نساؤه عليه السلام فكونهن وكون سائر أصحابه عليهم السلام في الجنة انما هو جزاء لهن ولهم على أعمالهن وأعمالهم قال الله بعد ذكر الصحابة رضي الله عنهم * جزاء بما كانوا يعملون * وقال بعد ذكر الصحابة * وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما * وقال تعالى مخاطبا لنسائه عليه السلام * ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين * وهذا نص قولنا ولله الحمد وقال تعالى * وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون * وقال تعالى * غرف من فوقها غرف مبنية * وقال تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى * فان قال قائل فكيف تقولون في قوله عليه السلام لن يدخل الجنة احد بعمله قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمة منه وفضل قلنا نعم هذا حق موافق للآيات المذكورة وهكذا نقول انه لو عمل الانسان دهره كله ما استحق على الله تعالى شيئا لانه لا يجب على الله تعالى شيء اذ هو موجب للاشياء الواجبة غيره تعالى لانه المبتدي لكل ما في العالم والخالق له فلولا ان الله تعالى رحم عباده فحكم بان طاعتهم له يعطيهم بها الجنة لما وجب ذلك عليه فصح انه لا يدخل احد الجنة بعمله مجردا دون رحمة الله تعالى لكن يدخلها برحمة الله تعالى التي جعل بها الجنة جزاء على اعمالهم التي اطاعوه بها فاتفقت الآيات مع هذا الحديث والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) فاذ لا شك في هذا كله فقد امتنع يقينا ان يجازى بالافضل من كان انقص فضلا وان يجازى بالانقص من كان اتم فضلا وصح ضرورة انه لا يجزى احد من اهل الاعمال في الجنة الا بما استحقه برحمة الله تعالى جزاء على عمله ولله تعالى ان يتفضل على من شاء بما شاء وجائز ان يقدم على ذوي الاعمال الرفيعة قال تعالى * يختص برحمته من يشاء * وقال تعالى * ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء * فلا يجوز خلاف هذه النصوص لاحد لان من خالفها كذب القرآن ولولا هذه النصوص لما ابعدنا ان يعذب الله تعالى على الطاعة وان ينعم على المعصية وان يجزي لا فضل بالانقص والانقص بالافضل لان كل شيء ملكه وحقه لا يشبه شيء سواه ولا معقب لحكمه ولا حق لاحد عليه لكن قد امنا ذلك كله بقوله تعالى لا يجزي فاضل الا بعمله وانه يفضل على من يشاء بلزوم الابرار لكل ما قاله الله تعالى فوقفوا عنده فان قال قائل انما فضل في الجنة علي بذا فكان ابراهيم ابن رسول

ان الهيولى منقادة لتأثير النفوس الشريفة المفارقة مطيعة لقواها السارية في العالم وقد تبلغ نفس انسانية في الشرف الى حد يناسب تلك النفوس فيفعل فعلها وتقوى على ما قويت هي فتزيل جبلا عن مكانه وتذيب جوهرا فيستحيل ماء ويجمد جسما سائلا فيستحيل حجرا ونسبة هذه النفس الى تلك النفوس كنسبة السراج الى الشمس وكما ان الشمس تؤثر في الاشياء تسخينا بالاضاءة كذلك السراج يؤثر بقدرة وانت تعلم ان للنفس تاثيرات جزئية في البدن فانه اذا حدث في النفس صورة الغلبة والغضب حمى المزاج واحمر الوجه واذا حدثت صورة مشتهات فيها حدثت في اوعية المني حرارة مبخرة مهيجة للريح حتى تملأ عروق آلة الوقاع فتستعد له والمؤثر هاهنا مجرد الصورة غير والخاصية الثانية ان تصير النفس صافية كثيرة شديدة الاستعداد للاتصال بالعقل حتى تفيض عليها العلوم فانا قد ذكرنا حال القوة القدسية التي

الله عليه وسلم أو مكان ابى بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم قلنا مكان ابراهيم اعلى بلاشك ولكن ذلك المكان اختصاص مجرد لابراهيم المذكور لم يستحقه بعمل ولا استحق ايضا ان يقصر به عنه ومواضيع هؤلاء المذكورين جزاء لهم على قدر فضلهم وسوابقهم وكذلك نساؤه صلى الله عليه وسلم مكانهم جزاء لهن على قدر فضلهن وسوابقهن فلا يقال ان ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل من ابي بكر او عمر ولا يقال ايضا ان أبا بكر وعمر افضل من ابراهيم والمفاضلة واقعة بين الصحابة وبين نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم لان اعمالهم وسوابقهم لها مراتب متناسبة بلاشك فان قال قائل انهن لولا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حصلن تلك الدرجة وانما تلك الدرجة له عليه السلام قلنا وبالله تعالى التوفيق نعم ولاشك ايضا في ان جميع الصحابة لولا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حصلوا ايضا على الدرج التى لهم فيها فانما هى اذا على قولكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما قلتم ولا فرق وبقى الفضل والتقدم لهن كما كان فى كل ذلك ولا فرق

(قال ابو محمد) واما فضلهن على بنات النبى صلى الله عليه وسلم فبين بنص القرآن لاشك فيه قال الله عز وجل * يا نساء النبي لستن كاحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول * فهذا بيان قاطع لا يسع احدا جهله فان عارضنا معارض بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم خير نسائها فاطمة بنت محمد قلنا له وبالله تعالى التوفيق فى هذا الحديث بيان جلى لما قلنا وهو انه عليه السلام لم يقل خير النساء فاطمة وانما قال خير نسائها فخص ولم يعم وتفضيل الله عز وجل نساء النبى صلى الله عليه وسلم على النساء عموم لا خصوص لا يجوز ان يستثنى منه احد الا من استثناه نص آخر فصح انه عليه السلام انما فضل فاطمة على نساء المؤمنين بعد نسائه صلى الله عليه وسلم فاتفقت الآية مع الحديث وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام فهذا ايضا عموم موافق الآية ووجب ان يستثنى ما خصه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله نسائها من هذا العموم فصح ان نساءه عليه السلام افضل النساء جملة حاشا اللواتي خصهن الله تعالى بنبوة كام اسحق وام موسى وام عيسى عليهم السلام وقد نص الله تعالى على هذا بقوله الصادق * يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين * ولا خلاف بين المسلمين فى ان جميع الانبياء كل نبي منهم افضل ممن ليس نبي من سائر الناس ومن خالف هذا فقد كفر وقد اخبر عليه السلام فاطمة انها سيدة نساء المؤمنين ولم يدخل نفسه صلى الله عليه وسلم فى هذه الجملة بل اخبر عمن سواه وبرهان آخر وهو قول الله تعالى مخاطبا لهن * ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين *

(قال ابو محمد) فهذا فضل ظاهر وبيان لائح فى انهن افضل من جميع الصحابة رضى الله عنهم وبهذه الآية صحة متيقنة لا يمترى فيها مسلم فابو بكر وعمر وعثمان وعلى وفاطمة وسائر الصحابة رضي الله عنهم اذا عمل الواحد منهم عملا يستحق عليه مقدارا ما من الاجر وعملت امرأة من نساء النبى صلى الله عليه وسلم مثل ذلك العمل بعينه كان لها مثل ذلك المقدار من الاجر فاذا كان لعيب الصحابي وفاطمة رضى الله عنهم بنى باكثر من مثل جمل احدهما من ذهب كان للمرأة من نسائه عليه السلام فى نصيفها اكثر من مثلى جبلى ابى مثل جبل احدهما وهذه فضيلة ليست لاحد بعد الانبياء عليهم السلام الا لهن وقد صح عن النبي صلى

تحصل لبعض النفوس حتى تستغنى فى اكثر أحواله عن التفكر والتعلم والشريف البالغ منه يكاد زيتها تضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور والخاصية الثالثة للقوة المتخيلة بان تقوى النفس وتتصل فى اليقظة بعالم الغيب كما سبق وتحاكى المتخيلة ما أدرك النفس بصورة جميلة وأصوات منظومة فيرى فى اليقظة ويسمع فتلون الصورة الحاكية للجوهر الشريف صورة عجيبة فى غاية الحسن وهو الملك الذى يراه النبي وتكون المعارف التى تتصل بالنفس من اتصالها بالجواهر الشريفة تتمثل بالكلام الحسن المنظوم الواقع فى الحس المشترك فيكون مسموعا قال والنفوس وان اتفقت فى النوع الا انها تتمايز بخواص تختلف افاعيلها

الله عليه وسلم انه يوعك كوعك رجلين من اصحابه لان له (١) على ذلك كفلين من الاجر

(قال أبو محمد) وليس بعد هذا بيان فى فضلهن على كل احد من الصحابة الا من أعمى الله قلبه من الحق ونعوذ بالله من الخذلان

(قال ابو محمد) وقد اعترض علينا بعض اصحابنا فى هذا المكان بقول الله تعالى عن أهل الكتاب اذ آمنوا * اولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا * قال فيلزم انهم أفضل منا فقلت له ان هذه الآية والخبر الذى فيه ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين فذكر مؤمن اهل الكتاب والعبد الناصح ومعتق امته ثم يتزوجها فيهما بيان الوجه الذى أجروا به مرتين وهو الايمان بالنبي صلى الله عليه وسلم و بالنبي الاول المبعوث بالكتاب الاول ونحن نؤمن بهذا كله كما آمنوا فنحن شركاء ذلك المؤمن منهم فى ذلك الايمانين وكذلك العبد الناصح يؤجر لطاعة سيده اجرا ولطاعة الله أجرا وكذلك معتق امته ثم يتزوجها يؤجر على عتقه اجرا ثم على نكاحه اذا اراد به وجه الله تعالى اجرا ثانيا فصح بالنص يقينا ان هؤلاء انما يؤتون اجرهم مرتين فى خاص من اعمالهم لا فى جميع اعمالهم وليس فى هذا ما يمنع من ان يؤجر غيرهم فى غير هذه الاعمال اكثر من اجور هؤلاء وايضا فانما يضاعف لهؤلاء على مسئلة اهل طبقتهم وليست المضاعفة لاجور نساء النبي صلى الله عليه وسلم مرتين من هذا الباب ولا صدر لان المضاعفة لهن انما هى فى كل عمل عملنه بنص القرآن اذ يقول تعالى * ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين * فكل عمل عمله صاحب من الصحابة فيه اجر لكل امرأة منهن فى مثل ذلك العمل اجران والمضاعفة لهن انما تكون على ما عمله فاضلهن من الصحابة وقد علمنا ان بين عمل الصاحب وعمل غيره اعظم مما بين احدهما وضعف مضعفه فيتم لكل واحدة منهن مثل ذلك مرتين وهذا لا يخفى على ذى حس سليم فبطلت المعارضة التى ذكرناها والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) واعترض علينا ايضا بعض الناس فى الحديث الذى فيه ان عائشة احب الناس اليه ومن الرجال ابوها بأن قال قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لاسامة بن زيد ان اباه كان احب الناس الى وان هذا احب الناس الى بعده وصح انه عليه السلام قال للانصار انكم احب الناس الى

(قال ابو محمد) واما هذا اللفظ الذى فى حديث اسامة بن زيد انه احب الناس اليه عليه السلام فقد روى من طريق حماد بن سلمة عن موسى بن عقبة عن سالم عن ابيه واما الذى فيه ذكر اسامة وزيد رضى الله عنهما فانما رواه عمر بن حمزة عن سالم بن عبد الله عن ابيه وعمر بن حمزة هذا ضعيف والصحيح من هذا الخبر هو ما رواه عبد الله بن دينار عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد لا مغمز فيه فذكر فيه انه عليه السلام قال يعنى لزيد بن حارثة وايم الله ان كان لخليقا بالامارة وان كان لمن احب الناس الى وان هذا من احب الناس الى بعده وهذا يقضى على حديث موسى بن عقبة عن سالم عن ابيه لانه مختصر من حديث عبد الله بن دينار وبهذا ينتفى التعارض بين الروايتين عن ابن عمر وعن انس وعمر والا فليس احدهما اولى من الآخر واما حديث الانصار فرووه كما ذكره هشام بن زيد عن انس ورواه عبد العزيز بن صهيب عن انس عن رسول الله صلى الله عليه

(١) الوعك الحمى وقيل المها وقد وعكته الارض وعكا ووعكا فهو موعوك والكفل بالكسر الحظ والنصيب

اختلافات عجيبة وفى الطبيعة أسرار والاتصالات العلويات بالسفليات عجائب وجل جناب الحق عن ان يكون شريعة لكل وارد وان يرد عليه الا واحد بعد واحد وبعد فما يشتمل عليه هذا الفن صحكة للغفل عبرة للمحصل فمن سمعه فاشمأز عنه فليتهم نفسه فانها لا تناسبه وكل ميسر لما خلق له تمت بحمد الله (آراء العرب فى الجاهلية) قد ذكرنا فى صدر هذا الكتاب ان العرب والهند يتقاربان على مذهب واحد وأجملنا القول فيه حيث كانت المقاربة بين الفريقين والمقارنة بين الامتين مقصورة على اعتبار خواص الاشياء والحكم احكام الماهيات والغالب عليهم الفطرة والطبع وان الروم والعجم

وسلم انه قال انتم من احب الناس الى وهو حديث واحد وزيادة العدل مقبولة فصح بزيادة من فى الحديث من طريق العدول ان الانصار وزيدا واسامة رضى الله عنهم من جملة قوم هم احب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا حق لايشك فيه لانهم من اصحابه واصحابه احب الناس اليه بلاشك وليس هكذا جوابه فى عائشة رضى الله عنها اذ سئل من احب الناس اليك فقال عائشة فقيل من الرجال قال ابوها الان هذا قطع على بيان ماسال عنه السائل من معرفة من المنفرد البائن عن الناس بمحبته عليه السلام واعترض علينا بعض الاشعرية بان قال ان الله تعالى يقول * انك لاتهدى من احببت ولكن الله يهدي من يشاء * فصح ان محبته عليه السلام لمن أحب ليس فضلا لانه قد احب عمه وهو كافر

(قال ابو محمد) فقلنا ان هذه الآية ليست على ظاهرها وانما مراد الله تعالى * انك لاتهدي من احببت * اى احببت هداه برهان ذلك قوله تعالى * ولكن الله يهدى من يشاء * اى من يشاء هداه وفرض على النبى صلى الله عليه وسلم وعلينا ان نحب الهدى لكل كافر لا ان نحب الكافر وايضا فلو صح ان معنى الآية من احببت كما ظن هذا المعترض لما كان علينا بذلك حجة لان هذه آية مكية نزلت فى ابى طالب ثم انزل الله تعالى فى المدينة لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم * وانزل الله تعالى فى المدينة * قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده * فان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احب اباطالب فقد حرم الله تعالى عليه بعد ذلك ونهاه عن محبته وافترض عليه عداوته فالضرورة يدرى كل ذى حس سليم ان العداوة والمحبة لايجتمعان الا والمودة هى المحبة فى اللغة التى بها نزل القرآن بلا خلاف من أحد من اهل اللغة فقد بطل ان يحب النبى صلى الله عليه وسلم احدا غير مؤمن وقد صحت النصوص والاجماع على ان محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن احب فضيلة وذلك كقوله عليه السلام لعلى لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فاذ لاشك ولاخلاف فى ان محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلاف ماقال اهل الجهل والكذب فقد صح يقينا ان كل من كان اتم حظا فى الفضيلة فهو افضل ممن هو اقل حظا فى تلك الفضيلة هذا شيء يعلم ضرورة واذا كانت عائشة اتم حظا فى المحبة التى هى اتم فضيلة فهى افضل ممن حظه فى ذلك اقل من حظها ولذلك لما قيل له عليه السلام من الرجال قال ابوها ثم عمر فكان ذلك موجبا الفضل أبى بكر ثم عمر على سائر الصحابة رضى الله عنهم فالحكم بالباطل لايجوز فى ان يكون يقدم أبو بكر ثم عمر فى الفضل من اجل تقدمهما فى المحبة عليهما وما يحل انصافه من حوب النار بتقديم ابى بكر ثم عمر على سائر الصحابة الا بهذا الخبر وحده

(قال ابو محمد) وقد نص النبى صلى الله عليه وسلم على ماينكح له من النساء فذكر الحسب والمال والجمال والدين ونهى صلى الله عليه وسلم عن كل ذلك بقوله فعليك بذات الدين تربت يداك فمن المحال الممتنع ان يكون يحض على نكاح النساء رغبة فى الدين فقط ثم يكون هو عليه السلام يخالف ذلك فيحب عائشة لغير الدين وكذلك قوله عليه السلام فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام لايحل لمسلم ان يظن فى ذلك شيئا غير الفضل عند الله تعالى فى الدين فوصف الرجل امرأته للرجال لايرضى به الاخسيس نذل ساقط ولا

بقارب ان على مذهب واحد حيث كانت المقاربة مقصورة على اعتبار كيفيات الاشياء والحكم باحكام الطبائع والغالب عليهما الاكتساب والجهد والآن نذكر أقاويل العرب فى الجاهلية ونعقبها بذكر أقاويل الهند وقبل ان نشرع فى مذاهبهم نريد ان نذكر حكم البيت العتيق ونصل بذلك حكم البيوت المبنية فى العالم فان منها ماهى على دين الحق قبلة للناس منها ماهى على الرأى الباطل فتنة للناس وقد ورد فى التنزيل ان * أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين وقد اختلفت الروايات فى أول من بناه فقيل ان آدم لما هبط الى الارض وقع الى سرنديب من ارض الهند وكان يتردد فى

يحل لمن له ادني مسكة من عقل ان يمر هذا بباله عن فاضل من الناس فكيف عن المقدس

صلى الله عليه وسلم

المطهر البائن فضله علي جميع الناس صلى الله عليه وسلم

(قال ابو محمد) ولولا انه بلغنا عن بعض من تصدر لنشر العلم من زماننا وهو المهلب بن ابي صفرة التميمي صاحب عبد الله بن ابراهيم الاصيلي انه اشار الى هذا المعنى القبيح وصرح به ما انطلق لنا بالايماء اليه لسان ولكن المنكر اذا ظهر وجب علي المسلمين تغييره فرضا علي حسب طاقتهم وحسبنا الله ونعم الوكيل

(قال ابو محمد) وكذلك عرض الملك لها رضي الله عنها علي رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ولادتها في سرقة من حرير يقول له هذه زوجتك فيقول عليه السلام ان يكن من عند الله يمضه فهل بعد هذا في الفضل غاية

(قال ابو محمد) واعترض علينا مكي بن ابي طالب المقرى بان قال يلزم على هذا ان تكون امرأة ابي بكر أفضل من علي لان امرأة ابي بكر مع ابي بكر في الجنة في درجة واحدة وهي اعلي من درجة علي فمنزلة امرأة أبي بكر اعلى من منزلة علي فهي افضل من علي

(قال ابو محمد) فاجبناه بان قلنا له وبالله تعالى التأييد أن هذا الاعتراض ليس بشيء لوجوه احدها ان ما بين درجة ابي بكر ودرجة علي في الفضل الموجب لعلو درجته في الجنة على درجة علي ليست من التباين بحيث هو ما بين درجة النبي صلى الله عليه وسلم وبين درجة ابي بكر في الفضل الموجب لعلو درجته عليه السلام على درجات سائر الصحابة رضي الله عنهم بل قد ايقنا أن درجة اقل رجل من اهل الفضل أقرب نسبة من اعلى درجة لاعلى رجل من الصحابة من نسبة درجة افضل الصحابة الى درجة النبي صلى الله عليه وسلم وأيضا فليس بين ابي بكر وعلي في المباينة في الفضل ما يوجب ان تكون امرأة ابي بكر التابعة له افضل من علي بل منازل المهاجرين الاولين الذين اوذوا في سبيل الله عز وجل متقاربة وان تفاضلت ثم كذلك اهل السوابق مشهدا مشهدا درجهم في الفضل متقاربة وان تفاضلت ثم كذلك اهل السابق متقاربة وان تفاضلت ثم منازل الانصار الاولين متقاربة وان تفاضلت ثم كذلك من اسلم بعد الفتح أيضا بعد الهجرة مشهدا مشهدا درجهم متقاربة في الفضل ثم كذلك من اسلم بعد الفتح ... فنقول ان امرأة ابي بكر ... يزداد الافضل فالافضل من المشركين في المشاهد جراء علي ذلك المستحقة ... لسنا ندري اي افضل ام علي لانا لا نص عندنا في ذلك والتفضيل لا يعرف الا بنص وقد قال عليه السلام خيركم القرن الذي بعثت فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم او كما قال عليه السلام ... والفضل لا يعرف الا بنص وقال عز وجل * هل تجزون الا ما كنتم تعملون * وايضا فلا شك ان المهاجرات الاوليات من نساء الصحابة رضي الله عنهن شاركن الصحابة في الفضل ففاضلة ومفضولة وفاضل ومفضول ومنهن من يفضل كثيرا من الرجال وفي الرجال من يفضل كثيرا منهن وماذكر الله تعالى منزلة من الفضل الا وقرن النساء مع الرجال فيها كقوله تعالى * ان المسلمين والمسلمات * الاية حاشا الجهاد فانه فرض على الرجال دون النساء وايضا فنكران يكون لابي بكر رضي الله عنه قصور ومنازل مقدمة على جميع الصحابة ثم يكون لمن لم تستأهل من نسائه تلك المنزلة منازل في الجنة دون منازل من هو افضل منهن من الصحابة فقد نكح الصحابة رضي الله

الارض متحيرا بين فقدان زوجته ووجدان توبته حتى وافى حواء بجبل الرحمة من عرفات وعرفها وصار الي ارض مكة ودعا وتضرع الى الله تعالى حتى ياذن له في بناء بيت يكون قبلة لصلاته ومطافا لعبادته كما كان قد عهد في السماء من البيت المعمور الذي هو مطاف الملائكة ومزار الروحانيين فانزل الله تعالى عليه مثال ذلك البيت على شكل سرادق من نور فوضعه مكان البيت وكان يتوجه اليه ويطوف به ثم لما توفي تولى وصيه شيث بناه البيت من الحجر والطين على الشكل المذكور وحذو القذة بالقذة والنعل بالنعل ثم لما جرت ذلك بطوفان نوح وامتد الزمان حتى غيض الماء وقضي الامر وانتهت النبوة الى

عنهم التابعات بعد الصاحبات وعليهن فتكون تلك المنازل زائدة فى فضل ازواجهن من الصحابة فينزلون اليهن ثم ينصرفون الى منازلهن العالية بل قد صح هذا عن النبى صلى الله عليه وسلم وانه قال كلاما معناه واكثر نصه انه عليه السلام زعيم ببيت فى ربض الجنة وفى وسط الجنة وفى أعلى الجنة لمن فعل كذا امر اوصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم فصح نص ماقلنا من ان لمن دونه عليه السلام منازل عالية واخر مسفلة عن تلك المنازل ينزلون اليها ثم يصعدون الى الاعالى وهذا بعد عن النبى صلى الله عليه وسلم لو صح عن احدهما ان جميع نسائه عليه السلام لمن حق الصحبة التى يشتركن فيها جميع الصحابة ويفضلنهم فيها بقرب الخاصة فليس فى نسائه عليه السلام ولا واحدة يفضلها بالصحبة التى هى فضيلتهم التى بها نالوا ماهم من سواهم فقط وقد كفينا الباب الوجه الثانى ان تاخر بعض الصحابة عن بعضهم فى بعض الاماكن موجود وان كان ذلك المتاخر فى بعض الاماكن متقدما فى مكان آخر فقد علمنا ان بلالا اعذب فى الله عز وجل مالم يعذب على وان عليا قاتل مالم يقاتل بلال وان عثمان انفق مالم ينفق بلال ولا على فيكون المفضول منهم فى الجملة متقدما للذى فضله فى بعض فضائله ولا سبيل ان يوجد هذا فيما بينهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم ولا يجوز ان يتقدمه احد من ولد آدم فى شىء من الفضائل اولها عن آخرها ولا الى ان يلحق لاحق فى شىء من الفضائل بنبى من بنى آدم فلا سبيل الى ان يسفل النبى صلى الله عليه وسلم الى درجة يوازيه فيها صاحب من الصحابة فكيف ان يعلو عليه الصاحب هذا أمر تقشعر منه جلود المؤمنين وقد استعظم ابو أيوب رضى الله عنه ان يسكن فى غرفة على بيت يسكنه النبى صلى الله عليه وسلم فكيف يظن بان هذا يكون فى دار الجزاء فاذا كان العالى من الصحابة فى اكثر منازله يسفل أيضا فى بعضها عن صاحب آخر قد علاه فى منازل أخر على قدر تفاضلهم فى اعمالهم كما ذكرنا آنفا فقد اخبر النبى صلى الله عليه وسلم ان الصائمين يدعون من باب الريان وان المجاهدين يدعون من باب الجهاد وان المتصدقين يدعون من باب الصدقة وان ابا بكر يرجو له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعى من جميع تلك الابواب وقد يجوز ان يفضل ابا بكر رضى الله عنه غيره من الصحابة فى بعض تلك الوجوه ممن انفرد بباب منها ولا يجوز ان يفضل احد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شىء من ابواب البر فبطل هذا الاعتراض جملة والحمد لله رب العالمين واعترض ايضا علينا مكى بن ابى طالب بان قال اذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل من موسى عليه السلام ومن كل واحد من الانبياء عليهم السلام وكان عليه السلام اعلى درجة فى الجنة من جميع الانبياء عليهم السلام وكان نساؤه عليه السلام معه فى درجته فى الجنة فدرجتهن فيها اعلى من درجة موسى عليه السلام ومن درج سائر الانبياء عليهم السلام فهن على هذا الحكم افضل من موسى وسائر الانبياء عليهم السلام

(قال ابو محمد) فاحتججنا بان هذا الاعتراض ايضا لا يلزمنا ولله الحمد لان الجنة دار ملك وطاعة وعلو ورفعة ورياسة واتباع من التابع للمتبوع كما قال عز وجل * واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا * وقال تعالى عن موسى عليه السلام * وكان عند الله وجيها * واخبر عز وجل عن جبريل صلى الله عليه وسلم * فقال ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين * فقد علمنا ان ملك الدنيا غرور وان ملك الآخرة هو الحقيقة وقد اخبر عليه السلام انه رأى الانبياء عليهم السلام مع اتباعهم فالنبى معه الواحد والاثنان والثلاثة والنفر والجماعة فاخبر عز وجل

الخليل ابراهيم وحمله هاجر الى الموضع المبارك وولادة اسماعيل هناك ونشؤة وتربيته ثمت وعود ابراهيم اليه واجتماعه به فى بناء البيت وذلك قوله تعالى * واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل * فرفعا قواعد البيت على مقتضى اشارة الوحى موعيا فيه جميع المناسبات التى بينها وبين البيت المعمور وشرعا المناسك والمشاعر منوطا فيها جميع المناسبات التى بينها وبين الشرع وتقبل الله ذلك منهما وبقى الشرف والتعظيم الى زماننا والى يوم القيامة دلالة على حسن القبول فاختلفت اراء العرب فى ذلك وأول من وضع فيه الاصنام عمرو ابن لحي لما ساد قومه بمكة واستولى على امر

ان هنالك الملك الكبير والطاعة والوجاهة والاتباع والاستمار وانما عرض الله تعالى علينا في الدنيا من الملك طرفا لنعلم به مقدار الملك الذى فى دار الجزاء كما عرض علينا من اللذات والحرير والديباج والخمر والذهب والفضة والمسك والحوارى والحلي واعلمنا ان هذا كله خالصة لنا هنالك وكما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان آخر من يدخل الجنة يركو على اعظم ملك عرفه فى الدنيا فيتمني مثل ملكه فيعطيه الله تعالى مثل الدنيا عشر مرات (قال ابو محمد) فلما صح ما ذكرنا وكانت الملائكة طبقة واحدة الا انهم يتفاضلون فيها وكانت طبقة المرسلين النبيين طبقة واحدة والنبيون غير المرسلين طبقة واحدة لانهم ايضا يتفاضلون فيها وكل الصحابة طبقة واحدة الا انهم يتفاضلون فيها فوجب بلا شك ان لا يكون اتباع الرسل من النساء والاصحاب كالمتبوعين الذين هم الرسل لان بالضرورة نعلم ان تابع الاعلى ليس لاحقا بطير متبوعه فكيف ان يكون اعلى منه كما ان التابعيات من نساء الصحابة رضى الله عنهم لا يلحقن نظراء ازواجهن من الصحابة اذ ليس هن معهم فى طبقة وانما ينظر بين اهل كل طبقة ومن هو فى طبقته ونساء النبي صلى الله عليه وسلم طبقة واحدة مع الصحابة فصح التفاضل بينهم وليس واحدة منهن ولا منهم مع الانبياء في طبقة فلم يجز ان ينظر بينهم وقد اخبر عليه السلام انه رأى ليلة الاسراء الانبياء عليهم السلام فى السموات سماء سماء وبالضرورة نعلم ان منزلة النبي الذى هو متبوع فى سماء الدنيا امره هنالك مطاع اعلى من منزلة التابع فى السماء السابعة للنبي الذى هنالك واذ قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان كل نبي ياتي مع امته فنحن مع نبينا صلى الله عليه وسلم فان كان ما الزمناه مكي لازما لنا فيلزمه مثل ذلك فينا ايضا ان نكون افضل من الانبياء وهذا غير لازم لما ذكرنا من انه لا ينظر في الفضل الا بين من كان من اهل طبقة واحدة فمن كان منهم اعلى منزلة من الآخر كان افضل منه بلا شك وليس ذلك فى الطباق المختلفة الا ترى ان كون مالك خازن النار فى مكان غير مكان خازن الجنة وغير مكان جبرائيل لا تحط درجته عن درجة من فى الجنة من الناس الذين الملائكة جملة افضل منهم لان مالكا متبوع للنار ومقدم مطاع مفضل بذلك على التابعين والخدمة فى الجنة بلا شك فبطل هذا الشغب ويجمع هذا الجواب باختصار وهو ان الرؤساء والمتبوعين في كل طبقة فى الجنة اعلى من التابعين لهم ونساء النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه كلهم اتباع له عليه السلام وجميع الانبياء متبوعون فانما ينظر بين المتبوعين ايهم افضل وينظر بين الاتباع ايهم افضل ويعلم الفضل بعلو درجة كل فاضل من دونه في الفضل ولا يجوز ان ينظر بين الاتباع والمتبوعين لان المتبوعين لا يكونون البتة احط درجة من التابعين وبالله تعالى التوفيق. فان قال قائل فكيف تقولون فى الحور العين أهي أفضل من الناس ومن الانبياء كما قلتم فى الملائكة . فجوابنا وبالله تعالى التوفيق ان الفضل لا يعرف الا ببرهان مسموع من الله تعالى في القرآن أو من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ولم نجد الله تعالى نص على فضل الحور العين كما نص على فضل الملائكة وانما نص على انهن مطهرات حسان عرب أتراب يجامعن ويشاركن أزواجهن في اللذات كلها وانهن خلقن ليلتذ بهن المؤمنون فاذ الامر هكذا فانما محل الحور العين محل من هن له فقط ان ذلك اختصاص لهن بلا عمل وتكليف فهن خلاف الملائكة فى ذلك وبالله تعالى التوفيق (قال أبو محمد) ومما يؤكد قولنا قول الله تعالى ان اصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون هم وأزواجهم فى ظلال على الارائك متكئون وهذا النص اذ قد صح فقد وجب الاقرار به

البيت ثم صار الى مدينة البلقا بالشام فرأى قوما يعبدون الاصنام فسألهم عنها فقالوا هذه أرباب اتخذناها على شكل الهياكل العلوية والاشخاص البشرية نستنصر بها فننصر ونستسقى بها فنسقى فاعجبه ذلك فطلب منهم صنما من أصنامهم فدفعوا اليه هبل فسار به الى مكة ووضعه فى الكعبة وكان معه أساف ونائلة على زوجين فدعا الناس الى تعظيمهما والتقرب اليهما والتوسل بهما الى الله تعالى وكان ذلك في أول ملك شابور ذى الاكتاف الى ان أظهر الله الاسلام وأخرجت وأبطلت وبهذا يعرف كذب من قال ان بيت الله الحرام انما هو بيت زحل لان الباني الأول على طوالع معلومة واتصالات مقبولة وسماه بيت زحل

فلو عجزنا عن تفضيل بعض أقسام هذه الاعتراضات لما الزمنا فى ذلك نقصا اذ لا يجوز الاعتراض على هذا النص وكلما صح بيقين فلا يجوز ان يعارض بيقين آخر والبرهان لا يبطله برهان وقد أوضحنا ان الجنة دار جزاء على أعمال المكلفين فاعلام درجة أعلام فضلا ونساء النبى صلى الله عليه وسلم أعلا درجة فى الجنة من جميع الصحابة فهن أفضل منهن فمن أبى هذا فليخبرنا مامعنى الفضل عنده اذ لا بد ان يكون لهذه الكلمة معنى فان قال لا معنى لها فقد كفانا مؤنته وان قال لها معنى سألناه ماهو فانه لا يجد غير ما قلناه و بالله تعالى التوفيق فكيف وقد اتينا بتأييد الله عز وجل لما عسى كل ما اعترض علينا به فى هذا الباب ولاح الوجه فى ذلك بينا والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) واستدركنا بيانا زائدة فى قول النبى صلى الله عليه وسلم فى ان فاطمة سيدة نساء المؤمنين أو نساء هذه الامة فنقول و بالله تعالى التوفيق ان الواجب مراعاة الفاظ الحديث وانما ذكر عليه السلام فى هذا الحديث السيادة ولم يذكر الفضل وذكر عليه السلام فى حديث عائشة الفضل نصا بقوله عليه السلام وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام

(قال ابو محمد) والسيادة غير الفضل ولا شك ان فاطمة رضى الله عنها سيدة نساء العالمين بولادة النبى صلى الله عليه وسلم لها فالسيادة من باب الشرف لا من باب الفضل فلا تعارض بين الحديث البتة والحمد لله رب العالمين وقد قال ابن عمر رضى الله عنهما وهو حجة فى اللغة العربية كان ابو بكر خيرا وافضل من معاوية وكان معاوية اسود من ابى بكر ففرق ابن عمر كما ترى بين السادة والفضل والخير وقد علمنا ان الفضل هو الخير نفسه لان الشىء اذا كان خيرا من شىء آخر فهو افضل منه بلا شك

(قال ابو محمد) وقد قال قائل ممن يخالفنى هذا قال الله عز وجل * وليس الذكر كالانثى * فقلنا و بالله تعالى التوفيق فانت اذا عدد نفسك افضل من مريم وعائشة وفاطمة لانك ذكر وهؤلاء اناث فان قال هذا الحق بالنوكى وكفر بان سئل عن معنى الاية قيل له الاية على ظاهرها ولا شك فى ان الذكر ليس كالانثى لانه لو كان كالانثى لكان انثى والانثى ايضا ليست كالذكر لان هذه انثى وهذا ذكر وليس هذا من الفضل فى شىء البتة وكذلك الحمرة غير الخضرة والخضرة ليست كالحمرة وليس هذا من باب الفضل فان اعترض معترض بقول الله تعالى * وللرجال عليهن درجة قيل له انما هذا فى حقوق الازواج على الزوجات ومن اراد حمل هذه الاية على ظاهرها لزمه ان يكون كل يهودى وكل مجوسى وكل فاسق من الرجال افضل من أم موسى وأم عيسى وأم اسحاق عليهم السلام ومن نساء النبى صلى الله عليه وسلم و بناته وهذا كفر ممن قاله باجماع الامة وكذلك قوله تعالى * او من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين * انما ذلك فى تقصيرهن فى الاغلب عن المحاجة لقلة دربتهن وليس فى هذا ما يحط من الفضل عن ذوات الفضل منهن فان اعترض معترض فقال الذي امرنا بطاعتهم من خلفاء الصحابة رضى الله عنهم افضل من نساء النبى صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى * اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم * فالجواب و بالله تعالى التوفيق ان هذا خطأ من جهات احداها ان نساء النبى صلى الله عليه وسلم من جملة اولى الامر ممن الذين امرنا بطاعتهم فيما نقلن الينا عن النبى صلى الله عليه وسلم كالائمة من الصحابة سواء

ولهذا المعنى اقترن الدوام به بقاء والتعظيم له لقاء لان زحل يدل على البقاء وطول العمر اكثر مما يدل عليه سائر الكواكب وهذا خطأ لان البناء الاول كان مستند الى الوحي على يدي أصحاب الوحي ثم اسلم ان البيوت تنقسم الى بيوت الاصنام وبيوت النيران وقد ذكرنا مواضع التى كان بيوت النيران ثمة فى مقالات المجوس فاما بيوت الاصنام التى كانت للعرب والهند فهى البيوت المعروفة المبنية على السبع الكواكب فمنها ما كانت فيها اصنام فحولت الى النيران ومنها مالم تحول ولقد كان بين اصحاب الاصنام و بين اصحاب النيران مخالفات كثيرة والامر دول فيما بينهم وكان كل من استولى وقهر

ولا فرق والوجه الثاني ان الخلافة ليست من قبل فضل الواحد في دينه فقط وجبت لمن
وجبت له وكذلك الامارة لان الامارة قد تجوز ان غيره أفضل منه وقد كان عمر رضي الله
عنه مأمورا بطاعة عمرو بن العاص اذ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ذات
السلاسل فبطل ان تكون الطاعة انما تجب للافضل فالافضل وقد أمر النبي صلى الله عليه
وسلم عمرو بن العاص وخالد بن الوليد كثيرا ولم يأمر أبا ذر وأبو ذر افضل خير منهما بلا
شك وأيضا فانما وجبت طاعة الخلفاء من الصحابة رضي الله عنهم في أوامرهم مذ ولوا لا
قبل ذلك ولا خلاف في ان الولاية لم تزدهم فضلا على ما كانوا عليه وانما زادهم فضلا عدلهم
في الولاية لا الولاية نفسها وعدلهم داخل في جملة أعمالهم التي يستحقون الفضل بها الا ترى
ان معاوية والحسن اذ وليا كانت طاعتهما واجبة على سعد بن ابي وقاص وسعد أفضل منهما
بون بعيد جدا وهو حي معهما مأمور بطاعتهما وكذلك القول في جابر وأنس بن مالك وابن
عمر رضي الله عنهم في وجوب طاعة عبد الملك بن مروان والذي بين جابر وأنس وابن
عمر وبين عبد الملك في الفضل كالذي بين النور والظلمة فليس في وجوب طاعة الولاة ما
يوجب لهم فضلا في الجنة فان اعترض معترض بقول الله تعالى * والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم
بايمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرىء بما كسب رهين * فبيان
اعتراضه ظاهر في آخر الآية وهو ان الحاق الذرية بالآباء لا يقتضي كونهم معهم في درجة
ولا هذا مفهوم من نص الآية بل انما فيها الحاقهم بهم فيما ساووهم فيه نص الآية ثم بين
تعالى ذلك ولم يدعنا في شك بقوله * كل امرىء بما كسب رهين * فصح ان كل واحد من
الآباء والابناء يجازى حسب ما كسب فقط وليس حكم الازواج كذلك بل ازواج النبي
صلى الله عليه وسلم معه في قصوره وعلى سرره متنعمين ومعهن جزاء لهن بما عملن من
الخير وصبرهن واختيارهن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم والدار الآخرة وهذه
منزلة لا يحلها أحد بعد النبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام فهن أفضل من كل واحد
دون الانبياء عليهم السلام فان شغب مشغب بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيت
من ناقصات عقل ودين أسلب للب الرجل الحازم من احداكن قيل له وبالله تعالى التوفيق
ان حملت هذا الحديث على ظاهره فيلزمك ان تقول انك أتم عقلا ودينا من مريم وأم
موسى وأم اسحق ومن عائشة وفاطمة فان تمادى على هذا سقط الكلام معه ولم يبعد
عن الكفر وان قال لا سقط اعتراضه واعترف بان من الرجال من هو أنقص دينا وعقلا
من كثير من النساء فان سأل عن معنى هذا الحديث قيل له قد بين رسول الله صلى الله
عليه وسلم وجه ذلك النقص وهو كون شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل وكونها
اذا حاضت لا تصلي ولا تصوم وليس هذا بموجب نقصان الفضل ولا نقصان الدين والعقل
في غير هذين الوجهين فقط اذ بالضرورة ندري ان في النساء من هي أفضل من كثير من
الرجال وأتم دينا وعقلا غير الوجوه التي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وهو عليه السلام لا
يقول الا حقا فصح يقينا انه انما عنى عليه السلام ما نص به في الحديث نفسه من الشهادة
والحيض فقط وليس ذلك مما ينقص الفضل فقد علمنا ان ابا بكر وعمر وعليا لو شهدوا في
زنا لم يحكم بشهادتهم ولو شهد به اربع نساء عدول في الظاهر حكم بشهادتهم وليس ذلك
بموجب انهن افضل من هؤلاء المذكورين وكذلك القول في شهادة النساء فليست الشهادة

غير البيت الى مشاعر
مذهبه ودينه ومنها بيت
فارس على رأس جبل
باصبهان على ثلاث فراسخ
كانت فيه اصنام الى ان
أخرجها كستاسف الملك
لما تمجس وجعلها بيت نار
ومنها البيت الذي بمولتان
من أرض الهند فيه أصنام
لم تغير ولم تبدل ومنها
بيت سدوسان من أرض
الهند ايضا وفيه أصنام
كبيرة كثيرة العجب
والهند ياتون البيتين في
أوقات من السنة حجا
وقصدا اليها ومنها النوبهار
الذي بناه منوجهر
بمدينة بلخ على اسم القمر
فلما ظهر الاسلام خربه
أهل بلخ ومنها بيت غمدان
الذي بمدينة صنعاء اليمن
بناه الضحاك على اسم
الزهرة وخربه عثمان ذو
النورين ومنها بيت
كاووسان بناه كاووس
الملك بناء عجيبا على

من باب التفاضل في ورد ولا صدر لكن نقف فيها عندما جاء به النص فقط ولا شك عند كل مسلم في ان صواحبه من نسائه وبناته عليهم السلام كخديجة وعائشة وفاطمة وأم سلمة افضل دينا ومنزلة عند الله تعالى من كل تابع اتى بعدهن ومن كل رجل ياتي في هذه الامة الى يوم القيامة فبطل الاعتراض بالحديث المذكور وصح انه على مافسرناه وبيناه والحمد لله رب العالمين وايضا فقول الله تعالى * يا نساء النبي لستن كاحد من النساء مخرج لهن عن سائر النساء في كل مااعترض به معترض مماذكرناه وشبهه

(قال ابو محمد) فان اعترض معترض بقول النبي صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا مريم بنت عمران وامرأة فرعون فان هذا الكمال انما هو الرسالة والنبوة التى انفرد بها الرجال وشاركهم بعض النساء في النبوة وقد يتفاضلون أيضا فيها فيكون بعض الانبياء اكمل بعض ويكون بعض الرسل اكمل من بعض قال الله عز وجل * تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات * فانما ذكر في هذا الخبر من بلغ غاية الكمال في طبقته ولم يتقدمه منهم احد وبالله تعالى التوفيق فان اعترض معترض بقوله عليه السلام لايفلح قوم اسندوا امرهم الى امرأة فلا حجة له في ذلك لانه ليس امتناع الولاية فيهن بموجب لهن نقص الفضل فقد علمنا ان ابن مسعود وبلالا وزيد ابن حارثة رضي الله عنهم لم يكن لهم حظ في الخلافة وليس بموجب ان يكون الحسن وابن الزبير ومعاوية أفضل منهم والخلافة جائزة لهؤلاء غير جائزة لاولئك ومنهم في الفضل مالا يجهله المسلم

(قال ابو محمد) وأما أفضل نسائه فعائشة وخديجة رضي الله عنهما لعظم فضائلهما واخباره عليه السلام ان عائشة أحب الناس اليه وان فضلها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وقد ذكر عليه السلام خديجة بنت خويلد فقال أفضل نسائها مريم بنت عمران وافضل نسائها خديجة بنت خويلد مع سابقة خديجة في الاسلام وثباتها رضي الله عنهما ولام سلمة وسودة وزينب بنت جحش وزينب بنت خزيمة وحفصة سوابق في الاسلام عظيمة واحتمال للمشقات في الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم والهجرة والغربة عن الوطن والدعاء الى الاسلام والبلاء في الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم ولكنهن بعد ذلك الفضل المبين رضوان الله عليهن أجمعين

(قال ابو محمد) وهذه مسالة نقطع فيها على انا المحقون عند الله عز وجل وان من خالفنا فيها مخطئ عند الله عز وجل بلاشك وليست مما يسع الشك فيه أصلا

(قال ابو محمد) فان قال قائل هل قال هذا أحد قبلكم قلنا له وبالله تعالى التوفيق وهل قال غير هذا أحد قبل من يخالفنا الآن وقد علمنا ضرورة ان لنساء النبي صلى الله عليه وسلم منزلة من الفضل بلاشك ولابد من البحث عنها فليقل مخالفنا في أي منزلة نضعهن أبعد جميع الصحابة كلهم فهذا مالايقوله احد ام بعد طائفة منهم فليأت بالدليل وهذا مالاسبيل له الى وجوده واذ قد بطل هذان القولان احدهما بالاجماع على انه باطل والثاني لانه دعوى لادليل عليها ولا برهان فلم يبق الاقولنا والحمد لله رب العالمين الموفق للصواب بفضله ثم نقول وبالله تعالى نستعين قد صح ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه خطب الناس حين ولي بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيها الناس اني وليتكم ولست بخيركم فقد صح

اسم الشيء بمدينة فرغانة وخربه المعتصم واعلم ان العرب اصناف شتى فمنهم معطلة العرب وهي اصناف فصنف منهم أنكروا الخالق والبعث والاعادة وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفني وهم الذين أخبر عنهم القرآن المجيد وقالوا ماهي الاحياتنا الدنيا نموت ونحيى ومايهلكنا الا الدهر اشارة الى الطبائع المحسوسة وقصر الحياة والموت على تركبها وتحللها فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر ومايهلكنا الا الدهر ومالهم بذلك من علم ان هم الا يظنون فاستدل عليهم بضروريات فكرية وآيات قرآنية نظرية في كم آية وكم سورة فقال تعالى . اولم يتفكروا مابصاحبكم من جنة ان هو الا نذير مبين اولم ينظروا في ملكوت

عنه رضى الله عنه انه اعلن بحضرة جميع الصحابة رضي الله عنهم انه ليس بخيرهم ولم ينكر هذا القول منهم أحد فدل على متابعتهم له ولا خلاف انه ليس فى احد من الحاضرين لخطبته انسان يقول فيه احد من الناس انه خير من ابى بكر الا على وابن مسعود وعمر واما جمهور الحاضرين من مخالفينا فى هذه المسالة من أهل السنة والمرجئة والمعتزلة والخوارج فانهم لا يختلفون فى ان ابابكر افضل من على وعمر وابن مسعود وخير منهم فصح انه لم يبق الا ازواج النبى صلى الله عليه وسلم فان قال قائل انما قال ابو بكر هذا تواضعا قلنا له هذا هو الباطل المتيقن لان الصديق الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الاسم لا يجوز ان يكذب وحاشاه من ذلك ولا يقول الا الحق والصدق فصح ان الصحابة متفقون فى الاغلب على تصديقه فى ذلك فاذ ذلك كذلك وسقط بالبرهان الواضح ان يكون احد من الصحابة رضى الله عنهم خيرا من ابى بكر لم يبق الا ازواج النبى صلى الله عليه وسلم ونساؤه ووضح اننا لو قلنا انه اجماع من جمهور الصحابة لم يبعد من الصدق

(قال ابو محمد) وأيضا فان يوسف ابن عبد الله النمرى حدثنا قال حدثنا خلف بن قاسم ثنا أبو العباس احمد بن ابراهيم بن على الكندى حدثنا محمد بن العباس البغدادي ثنا ابراهيم ابن محمد البصرى ثنا أبو ايوب سليمان ابن داود الشاذ كوني قال كان عمار بن ياسر والحسن ابن على يفضلان على بن ابي طالب على ابى بكر الصديق وعمر حدثنا أحمد بن محمد الجورى ثنا احمد بن الفضل الدينورى ثنا محمد بن جرير الطبرى ان على بن ابى طالب بعث عمار بن ياسر والحسن بن على الى الكوفة اذ خرجت أم المؤمنين الى البصرة فلما اتياها اجتمع اليهما الناس فى المسجد فخطبهم عمار وذكر لهم خروج عائشة أم المؤمنين الى البصرة ثم قال لهم انى اقول لكم ووالله انى لاعلم انها زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجنة كما هى زوجته فى الدنيا ولكن الله ابتلاكم بها لتطيعوها او لتطيعوه فقال له مسروق او ابو الاسود يا ابا اليقظان فنحن مع من شهدت له بالجنة دون من لم تشهد له فسكت عمار وقال له الحسن اعفن نفسك عنا فهذا عمار والحسن وكل من حضر من الصحابة رضى الله عنهم والتابعين والكوفة يومئذ مملوءة منهم يسمعون تفضيل عائشة على على وهو عند عمار والحسن افضل من ابى بكر وعمر فلا ينكرون ذلك ولا يعترضونه احوج ما كانوا الى انكاره فصح انهم متفقون على انها وازواجه عليه السلام أفضل من كل الناس بعد الانبياء عليهم السلام ومما يبين ان ابابكر رضي الله عنه لم يقل وليتكم ولست بخيركم الا محقا صادقا لا تواضعا يقول فيه الباطل وحاشاه من ذلك ما حدثناه احمد بن محمد الطلمنكى قال حدثنا احمد بن محمد بن مفرج ثنا محمد بن ايوب الصموت الرقى انا أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار ثنا عبد الملك ابن سعد ثنا عقبة بن خالد ثنا شعبة بن الحجاج ثنا الجريرى عن ابى نضرة عن ابى سعيد الخدرى قال قال ابو بكر الصديق رضى الله عنه ألست احق الناس بها اولست اول من اسلم ألست صاحب كذا

(قال ابو محمد) فهذا ابو بكر رضى الله عنه يذكر فضائل نفسه اذا كان صادقا فيها فلو كان افضلهم لصرح به وما كتمه وقد نزهه الله تعالى عن الكذب فصح قولنا نصا والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) ثم وجب القول فيمن هو افضل الصحابة بعد نساء النبى صلى الله عليه وسلم

السموات والارض. وقال: أولم ينظروا الى ما خلق الله. وقال يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم فثبت الدلالة الضرورية من الخلق على الخالق فانه قادر على الكمال ابداء واعادة وصنف منهم أقروا بالخالق وابتداء الخلق والابداع وانكروا البعث والاعادة وهم الذين اخبر عنهم القرآن وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم فاستدل عليهم بالنشاة الاولى اذا اعترفوا بالخلق الاول فقال . قل يحييها الذى انشاها اول مرة : وقال · أفعيينا بالخلق بل هم فى لبس من خلق جديد . وصنف منهم أقروا بالخالق وابتداء الخلق ونوع من الاعادة وانكروا الرسل وعبدوا

فلم نجد لمن فضل ابن مسعود او عمر او جعفر بن ابى طالب او ابا سلمة والثلاثة الاسهليين على جميع الصحابة حجة يعتمد عليها ووجدنا من يوقف لم يزد على انه لم يلح له البرهان انهم افضل ولولاح له لقال به ووجدنا المدد والمعارضة في القائلين بان عليا افضل اكثر فوجب ان آتى بما شغبوا به ليلوح الحق فى ذلك وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) وجدناهم يحتجون بان عليا كان اكثر الصحابة جهادا وطعنا في الكفار وضربا والجهاد افضل الاعمال

(قال ابو محمد) هذا خطأ لان الجهاد ينقسم اقساما ثلاثة احدها الدعاء الى الله عز وجل باللسان والثانى الجهاد عند الحرب بالرأى والتدبير والثالث الجهاد باليد فى الطعن والضرب فوجدنا الجهاد فى اللسان لا يلحق فيه احد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر وعمر أما ابو بكر فان اكابر الصحابة رضى الله عنهم اسلموا على يديه فهذا افضل عمل وليس لعلى من هذا كثير حظ وأما عمر فانه من يوم أسلم عز الاسلام وعبد الله تعالى بمكة جهرا وجاهد المشركين بمكة بيديه فضرب وضرب حتى ملوه فتركوه فعبد الله تعالى علانية وهذا اعظم الجهاد فقد انفرد هذان الرجلان بهذين الجهادين الذين لا نظير لهما ولا حظ لعلى فى هذا اصلا وبقى القسم الثانى وهو الرأى والمشورة فوجدناه خالصا لابى بكر ثم لعمر وبقى القسم الثالث وهو الطعن والضرب والمبارزة فوجدناه اقل من مراتب الجهاد ببرهان ضرورى وهو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا شك عند كل مسلم انه المخصوص بكل فضيلة فوجدنا جهاده عليه السلام انما كان فى اكثر اعماله واحواله القسمين الاولين من الدعاء الى الله عز وجل والتدبير والارادة وكان اقل عمله صلى الله عليه وسلم الطعن والضرب والمبارزة لا عن جبن بل كان عليه السلام اشجع اهل الارض قاطبة نفسا ويدا واتمهم نجدة ولكنه كان يؤثر الافضل فالافضل من الافعال فيقدمه عليه السلام ويشتغل به ووجدناه عليه السلام يوم بدر وغيره كان ابو بكر رضى الله عنه معه لا يفارقه ايثارا من رسول الله صلى الله عليه وسلم له بذلك واستظهارا برأيه فى الحرب وأنسا بمكانه ثم كان عمر ربما شوورك فى ذلك ايضا وقد انفرد بهذا المحل دون على ودون سائر الصحابة الا فى الندرة ثم نظرنا مع ذلك فى هذا القسم من الجهاد الذى هو الطعن والضرب والمبارزة فوجدنا عليا رضى الله عنه لم ينفرد بالسبوق فيه بل قد شاركه فى ذلك غيره شركة العنان كطلحة والزبير وسعد وممن قتل فى صدر الاسلام كحمزة وعبيدة بن الحارث بن المطلب ومصعب بن عمير ومن الانصار سعد ابن معاذ وسماك بن خرشة وغيرهما ووجدنا ابا بكر وعمر قد شاركاه فى ذلك بحظ حسن وان لم يلحقا بحظوظ هؤلاء وانما ذلك لشغلهما بالافضل من ملازمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وموازرته فى حين الحرب وقد بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم على البعوث اكثر مما بعث عليا وقد بعث ابا بكر الى بنى فزارة وغيرهم وبعث عمر الى بنى فلان وما نعلم لعلى بعثا الا الى بعض حصون خيبر ففتحه وقد بعث قبله ابا بكر وعمر فلم يفتحاه فحصل اربع انواع الجهاد لابى بكر وعمر وقد شاركا عليا فى اقل انواع الجهاد مع جماعة غيرهم

(قال ابو محمد) واحتج ايضا من قال بان عليا كان اكثرهم علما

(قال ابو محمد) كذب هذا القائل وانما يعرف علم الصحابى لاحد وجهين لا ثالث لهما احدهما كثرة روايته وفتاويه والثانى كثرة استعمال النبى صلى الله عليه وسلم له فمن المحال

الاصنام وزعموا انهم سفهاؤهم عند الله فى الآخرة وحجوا اليها ونحروا لها الهدايا وقربوا القرابين وتقربوا اليها بالمناسك والمشاعر وحللوا وحرموا وهم الدهماء من العرب الا شرذمة منهم نذكرهم وهم الذين اخبر عنهم التنزيل وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق الى قوله تعالى ان تتبعون الا رجلا مسحورا فاستدل عليهم بان المرسلين كانوا كذلك قال الله تعالى وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق وشبهات العرب كانت مقصورة على هاتين الشبهتين احداهما انكار البعث بعث الاجساد والثانية جحد البعث بعث الرسل وعلى الاولى قالوا * ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الاولون * الى امثالها من الايات

الباطل ان يستعمل النبي صلى الله عليه وسلم من لا علم له وهذا اكبر شهادات على العلم وسعته فنظرنا في ذلك فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم قد ولى ابا بكر الصلاة بحضرته طول علته وجميع اكابر الصحابة حضور كعلي وعمر وابن مسعود وابي وغيرهم فآثره بذلك على جميعهم وهذا خلاف استخلافه عليه السلام اذا غزا لان المستخلف في الغزوة لم يستخلف الا على النساء وذوي الاعذار فقط فوجب ضرورة ان نعلم ان ابا بكر اعلم الناس بالصلاة وشرائعها واعلم المذكورين بها وهي عمود الدين ووجدناه صلى الله عليه وسلم قد استعمله على الصدقات فوجب ضرورة ان عنده من علم الصدقات كالذي عند غيره من علماء الصحابة لا اقل وربما كان اكثر اذ قد استعمل عليه السلام ايضا عليها غيره وهو عليه السلام لا يستعمل الا عالما بما استعمله عليه والزكاة ركن من اركان الدين بعد الصلاة وبرهان ما قلنا من تمام علم ابي بكر رضي الله عنه بالصدقات ان الاخبار الواردة في الزكاة اصحها والذي يلزم العلم به ولا يجوز خلافه فهو حديث ابي بكر ثم الذي من طريق عمر واما من طريق علي فمضطرب وفيه ما قد تركه الفقهاء جملة وهو ان في خمس وعشرين بنت مخاض الا بل خمس شياه ووجدناه عليه السلام قد استعمل ابا بكر على الحج فصح ضرورة انه اعلم من جميع الصحابة بالحج وهذه دعائم الاسلام ثم وجدناه عليه السلام قد استعمله على البعوث فصح ان عنده من احكام الجهاد مثل ما عند سائر من استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على البعوث في الجهاد اذ لا يستعمل عليه السلام على العمل الا عالما به فعند ابي بكر من الجهاد من العلم به كالذي عند علي وسائر امراء البعوث لا اكثر ولا اقل واذ قد صح التقدم لابي بكر على علي وغيره في علم الصلاة والزكاة والحج وساواه في علم الجهاد فهذه عمدة العلم ثم وجدناه عليه السلام قد الزم نفسه في جلوسه ومرآته وظعنه واقامته ابا بكر فشاهد احكامه عليه السلام وفتاويه اكثر من مشاهدة علي لها فصح ضرورة انه اعلم بها وهل بقيت من العلم بقية الا وابو بكر المتقدم فيها الذي لا يلحق او المشارك الذي لا يسبق فبطلت دعواهم في العلم والحمد لله رب العالمين واما الرواية والفتيا فان ابا بكر رضي الله عنه لم يعش بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا سنتين وستة اشهر ولم يفارق المدينة الا حاجا او معتمرا ولم يحتج الناس الى ما عنده من الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لان كل من حواليه ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ذلك كله فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم مائة حديث واثنان واربعون حديثا مستندة ولم يرو عن علي الا خمس مائة وست وثمانون حديثا مسندة يصح منها نحو خمسين وقد عاش بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ازيد من ثلاثين سنة وكثر لقاء الناس اياه وحاجتهم الى ما عنده لذهاب جمهور الصحابة رضي الله عنهم وكثر سماع اهل الآفاق منه مرة بصفين وعاما بالكوفة ومرة بالبصرة والمدينة فاذا نسبنا مدة ابي بكر من حياته واضفنا تقري (١) علي البلاد بلدا بلدا وكثرة سماع الناس منه الى لزوم ابي بكر موطنه وانه لم تكثر حاجة من حواليه الى الرواية عنه ثم نسبنا عدد حديث من عدد حديث وفتاوى من فتاوى علم كل ذي حظ من العلم ان الذي كان عند ابي بكر من العلم اضعاف ما كان عند علي منه وبرهان على ذلك ان من عمر من

(١) نسبة مضاف الى علي كرم الله وجهه من تقري البلاد اي تتبعها تقريا كاستقراها تتبع الرصا ارضا وبلدا بلدا وسار فيها ينظر حالها وامرها

وعبروا عن ذلك في اشعارهم فقال بعضهم
حياة ثم موت ثم نشر
حديث خرافة يا ام عمرو
وقال بعضهم في مرثية أهل بيت المشركين
فماذا بالقليب قليب بدر
من الشيزى تكلل بالسنام
يخبرنا الرسول بان سنحيى
وكيف حياة اصداء وهام
ومن العرب من يعتقد التناسخ فيقول اذا مات الانسان اوقتل اجتمع دم الدماغ واجزاء بنيته فانتصب طيرا هامة فيرجع الى رأس القبر كل مائة سنة ولهذا غلطهم الرسول فقال لا هامة ولا عدوى ولا صفر واما على الشبهة

اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرا قليلاقل النقل عنهم ومن طال عمره منهم كثر النقل عنهم الا اليسير منا كتفا بنيابة غيره عنه فى تعليم الناس وقد عاش على بعد عمر بن الخطاب سبعة عشر عاما غير اشهر ومسند عمر خمسمائة حديث وسبعة وثلاثون حديثا يصح منها نحو خمسين كالذى عن على سواء بسواء فكل مازاد حديث علي على حديث عمر تسعة واربعين حديثا فى هذه المدة الطويلة ولم يزد عليه فى الصحيح الا حديثا أو حديثين وفتاوى عمر موازنة لفتاوى علي فى ابواب الفقه فاذا نسبنا مدة من مدة وضربنا فى البلاد من ضرب فيها واضفنا حديث الى حديث وفتاوى الى فتاوى علم كل ذى حس علما ضروريا ان الذى كان عند عمر من العلم اضعاف ما كان عند على من العلم ثم وجدنا الامر كل ما طال عمره كثرت الحاجة الى الصحابة فيما عندهم من العلم فوجدنا حديث عائشة رضى الله عنها الفى مسند ومائتى مسند وعشرة مسانيد وحديث أبى هريرة خمسة آلاف مسند وثلثمائة مسند واربع وسبعين مسندا ووجدنا مسند ابن عمر وانس قريبا من مسند عائشة لكل واحد منهما ووجدنا مسند جابر ابن عبد الله وعبد الله ابن عباس لكل واحد منهما أيد من الف وخمسمائة ووجدنا لابن مسعود ثمانماية مسند ونيف ولكل من ذكرنا حاشا اباهريرة وانس بن مالك من الفتاوى أكثر من فتاوى على او نحوها فبطل قول هذه الطائفة الوقاح الجهال فان عاندنا معاند فى هذا الباب جاهل اوقليل الحياء لاح كذبه وجهله فانا غير مستربين فى حط احد من الصحابة رضى الله عنهم عن مرتبته ولا فى رفعه فوق مرتبته لاننا لو انحرفنا عن علي رضى الله عنه ونعوذ بالله من ذلك لذهبنا فيه مذهب الخوارج فقد نزهنا الله عز وجل عن هذا الضلال فى التعصب ولو غلونا فيه لذهبنا فيه مذهب الشيعة وقد اعاذنا الله تعالى من هذا الافك فى التعصب فصار غيرنا من المنحرفين عنه او الغالين فيه هم المتهمون فيه اما له واما عليه وبعد هذا كله ليس يقدر من ينتمى الى الاسلام أن يعاند فى الاستدلال على كثرة العلم باستعمال النبى صلى الله عليه وسلم من استعمله منهم على ما استعمله عليه من امور الدين فان قالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استعمل عليا على الاخماس وعلى القضاء باليمن قلنا لهم نعم ولكن مشاهدة أبى بكر لاقضية رسول الله صلى الله عليه وسلم أقوى فى العلم واثبت مما عنده علي وهو باليمن وقد استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر على بعوث فيها الاخماس فقد ساوى علمه علم علي فى حكمها بلاشك اذ لا يستعمل عليه السلام الا عالما بما يستعمله عليه وقد صح ان أبا بكر وعمر كانا يفتيان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عليه السلام يعلم ذلك ومحال ذلك أن يبيح لهما ذلك الا وهما اعلم ممن دونهما وقد استعمل عليه السلام أيضا على القضاء باليمن مع على معاذ بن جبل وابا موسى الاشعرى فلعلي فى هذا شركاء كثير منهم ابو بكر وعمر ثم قد انفرد ابو بكر بالجمهور الاغلب من العلم على ما ذكرنا وقال هذا القائل ان عليا كان اقرأ الصحابة

(قال ابو محمد) وهذه القصة المتحرمة بالبهتان لوجوه اولها انه رد على رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه عليه السلام قال يؤم القوم اقرؤهم فان استووا فافقههم فان استووا فاقدمهم هجرة ثم وجدنا عليه السلام قد قدم ابا بكر على الصلاة مدة الايام التى مرض فيها وعلى بالحضرة يراه النبى صلى الله عليه وسلم غدوة وعشية فما رأى لعلي عليه السلام احدا احق من ابي بكر بها فصح انه كان اقرأهم وافقههم واقدمهم هجرة وقد يكون من لم يجمع حفظ

الثانية كان انكارهم البعث الرسول فى الصور البشرية اشد واصرارهم على ذلك ابلغ واخبر عنهم التنزيل * وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا أبعث الله بشرا رسولا أبشر يهدوننا * فمن كان يعترف بالملائكة كان يريد ان ياتي ملك من السماء وقالوا لولا انزل عليه ملك ومن كان لا يعترف بهم كان يقول الشفيع والوسيلة منا الى الله تعالى هم الاصنام المنصوبة اما الامر والشريعة من الله الينا فهو المنكر فيعبدون الاصنام التى هى الوسائل ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا وكان ود لكلب وهو بدومة الجندل وسواع لهذيل وكانوا يحجون اليه وينحرون له ويغوث لمذحج ولقبائل من اليمن ويعوق لهمدان ونسر لذي الكلاع

القرآن كله على ظهر قلب اقرأ ممن جمعه كله عن ظهر قلب فيكون ألفظ به واحسنهم ترتيلا هذا على أن ابا بكر وعمر وعلى لم يستكمل احد منهم حفظ سور القرآن كله ظاهرا الا انه قد وجب يقينا تقديم النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر على الصلاة وعلى حاضر ان ابا بكر اقرأ من علي وما كان النبي صلى الله عليه وسلم ليقدم الى الامامة الاقل علما بالقراءة على الاقرأ او الاقل فقها على الافقه فبطل ايضا شغبهم في هذا الباب والحمد لله رب العالمين وقال قائلهم ان عليا كان اتقاهم

(قال ابو محمد) كذب هذا الافك ولقد كان علي رضي الله عنه تقيا الا ان الفضائل يتفاضل فيها اهلها وما كان اتقاهم لله الا ابو بكر والبرهان على ذلك أنه لم يسوء قط ابو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كلمة ولا خالف ارادته عليه السلام في شيء قط ولا تاخر عن تصديقه ولا تردد عن الائتمار له يوم الحديبية اذ تردد من تردد وقد تظلم رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر اذ اراد علي نكاح ابنة أبي جهل بما قد عرف وما وجدنا قط لابي بكر توقفا عن شيء أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الا مرة واحدة عذره فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم واجاز له فعله وهي اذ اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قباء فوجده يصلي بالناس فلما رآه ابو بكر تاخر فاشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم ان أقم مكانك فحمد الله تعالى ابو بكر على ذلك ثم تاخر فصار في الصف وتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلي بالناس فلما سلم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منعك ان تثبت حين امرتك فقال ابو بكر ما كان لابن ابي قحافة ان يتقدم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

(قال ابو محمد) فهذا غاية التعظيم والطاعة والخضوع لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما انكر عليه السلام ذلك عليه واذ قد صح بالبرهان الضروري الذي ذكرنا ان ابا بكر اعلم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد وجب انه احشاهم لله عز وجل قال الله عز وجل * انما يخشى الله من عباده العلماء * والتقى هو الخشية لله عز وجل وقال قائلون علي كان ازهدهم

(قال ابو محمد) كذب هو الجاهل وبرهان ذلك ان الزاهد انما هو عزوب(١) النفس عن حب الصوت وعن المال وعن اللذات وعن الميل الى الولد والحاشية ليس الزاهد معنى يقع عليه اسم الزهد الا هذا المعنى فاما عزوب النفس عن المال فقد علم كل من له ادنى بصر بشيء من الاخبار الخالية ان ابا بكر أسلم وله مال عظيم قيل أربعين الف درهم فانفقها كلها في ذات الله تعالى وأعتق المستضعفين من العبيد المؤمنين المعذبين في ذات الله عز وجل ولم يعتق عبيدا جلدا يمنعونه(٢) لكن كل معذب ومعذبة في الله عز وجل حتى هاجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبق لابي بكر من جميع ماله الا ستة الاف درهم حملها كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبق لبنيه منها درهم ثم انفقها كلها في سبيل الله عز وجل حتى لم يبق له شيء سوى عباءة له قد خللها بعود اذا نزل افترشها واذا ركب لبسها إذ تمول غيره من الصحابة رضي الله عن جميعهم واقتنوا الرباع(٣) الواسعة والضياع العظيمة من حلها وحقها الا ان من آثر بذلك

بارض حمير واما اللات فكانت لثقيف بالطائف والعزى لقريش وجميع بني كنانة وقوم من بني سليم ومناة للاوس والخزرج وغسان وهبل أعظم أصنامها عندهم وكان على ظهر الكعبة وأساف ونائلة على الصفا والمروة وضعهما عمرو بن لحي وكان يذبح عليهما تجاه الكعبة وزعموا انهما كانا من جرهم أساف بن عمرو ونائلة بن سهل ففجرا في الكعبة فمسخا حجرين وقيل لا بل كانا صنمين جاء بهما عمرو بن لحي فوضعهما على الصفا وكان لبني ملكان من كنانة صنم يقال له سعد وهو الذي يقول فيه قائله

أتينا الى سعد ليجمع شملنا
فشتتنا سعد فلا نحن من سعد
وهل سعد الا صخرة بتنوفة

(١) عزوب النفس اى بعدها عن حب الصوت هو لغة في الصيت وهو الذكر الحسن الذي يشتهر وينتشر بين الناس

(٢) جلدا كحمر اى اقوياء جمع جلد بفتح فسكون

(٣) الرباع المنازل والدور جمع ربع والضياع جمع ضيعة وهي مال الرجل من النخل والكرم والارض

سبيل

سبيل الله عز وجل أزهد ممن أنفق وأمسك ثم ولي الخلافة فما اتخذ جارية ولا توسع في مال وعد عند موته ما انفق على نفسه وولده من مال الله عز وجل الذي لم يستوف منه الا بعض حقه وامر بصرفه الى بيت المال من صلب ماله الذي حصل له من شهامة في المغازي والمقاسم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا هو الزهد في اللذات والمال الذي لا يدانيه فيه احد من الصحابة لا علي ولا غيره الا ان يكون ابا ذر وابا عبيدة من المهاجرين الاولين فانهما جريا على هذه الطريقة التي فارقا عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوسع من سواهم من الصحابة رضي الله عنهم في المباح الذي احله الله عز وجل لهم الا من آثر سبيل الله على نفسه أفضل ولولا ان ابا ذر لم يكن له سابقة غيره لما تقدمه الا من كان مثله فهذا هو الزهد في المال واللذات ولقد تلا ابا بكر عمر رضي الله عنهما في هذا الزهد فكان فوق علي في ذلك يعني في اعراضه عن المال واللذات واما علي رضي الله عنه فتوسع في هذا الباب من حله ومات عن اربع زوجات وتسع عشرة ام ولد سوى الخدم والعبيد وتوفي عن اربعة وعشرين ولدا من ذكور واناث وترك لهم من العقار والضياع ما كانوا به من اغنياء قومهم ومياسيرهم هذا امر مشهور لا يقدر على انكاره من له اقل علم بالاخبار والآثار ومن جملة عقاره التي تصدق بها صعة كانت تغل الف وسق تمرا سوى زرعها فاين هذا من هذا واما حب الولد والميل اليهم والى الحاشية فالامر في هذا ابين من ان يخفى على احد له اقل علم بالاخبار فقد كان لابي بكر رضي الله عنه من القرابة والولد مثل طلحة بن عبيد الله من المهاجرين الاولين والسابقين من ذوي الفضائل العظيمة في كل باب من ابواب الفضل في الاسلام ومثل ابنه عبد الرحمن بن ابي بكر وله مع النبي صلى الله عليه وسلم صحبة قديمة وهجرة سابقة وفضل ظاهر فما استعمل ابو بكر رضي الله عنه منهم احدا على شيء من الجهات وهي بلاد اليمن كلها على سعتها وكثرة اعمالها وعمان وحضرموت والبحرين واليمامة والطائف ومكة وخيبر وسائر اعمال الحجاز ولو استعملهم لكانوا لذلك اهلا ولكن خشي المحاباة وتوقع ان يميل اليهم شيء من الهوى ثم جرى عمر على مجراه في ذلك فلم يستعمل من بني عدي بن كعب احدا على سعة البلاد وكثرتها وقد فتح الشام ومصر وجميع مملكة الفرس الى خراسان الا النعمان بن عدي وحده على ميسان ثم أسرع الى عزله وفيهم من الهجرة ما ليس في شيء من افخاذ قريش لان بني عدي لم يبق احد منهم بمكة الا هاجر وكان فيهم مثل سعيد بن زيد احد المهاجرين الاولين ذوي السوابق وابي الجهم ابن حذيفة وخارجة بن حذافة ومعمر بن عبد الله وابنه عبد الله بن عمر ثم لم يستخلف ابو بكر ابنه عبد الرحمن وهو صاحب من الصحابة ولا استعمل عمر ابنه عبد الله على الخلافة وهو من فضلاء الصحابة وخيارهم وقد رضي به الناس وكان لذلك اهلا ولو استخلفه لما اختلف عليه احد فما فعل ووجدنا عليا رضي الله عنه اذ ولي قد استعمل اقاربه عبد الله بن عباس على البصرة وعبد الله بن عباس على اليمن وخثعم ومعبدا ابني العباس على مكة والمدينة وجعدة بن هبيرة وهو ابن اخته ام هانئ بنت ابي طالب على خراسان ومحمد بن ابي بكر وهو ابن امرأة وأخو ولده على مصر ورضي ببيعة الناس للحسن ابنه بالخلافة ولسنا ننكر استحقاق الحسن للخلافة ولا استحقاق عبد الله بن العباس للخلافة فكيف امارة البصرة لكنا نقول ان من زهد في الخلافة لولد مثل عبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن ابي بكر والناس متفقون عليه وفي تامير مثل طلحة بن عبد الله وسعيد بن زيد فلا شك في انه أتم زهدا وأعزب (١) عن جميع

(١) واعزب أي ابعد نفسا

من الارض لا يدعو لغي ولا رشد وكانت العرب اذا الت وهلت قالت لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملكه ومن العرب من كان يميل الى اليهودية ومنهم من كان يميل الى النصرانية ومنهم من يصبوا الى الصابئة ويعتقد في الانواء اعتقاد المنجمين في السيارات حتى لا يتحرك ولا يسكن ولا يسافر ولا يقيم الا بنوء من الانواء ويقول مطرنا بنوء كذا ومنهم من يصبوا الى الملائكة فعبدهم بل كانوا يعبدون الجن ويعتقدون فيهم انهم بنات الله المحصلة من العرب اعلم ان العرب في الجاهلية كانت على ثلاثة انواع من العلوم * احدها علم الانساب والتواريخ والاديان

معاني الدنيا نعساهم من أخذ منها ما أبيح له أخذه فصح بالبرهان الضروري ان ابا بكر أزهد من جميع الصحابة ثم عمر بن الخطاب بعده وقال هذا القائل وكان علي أكثرهم صدقة

(قال ابو محمد) وهذه مجاهرة بالباطل لانه لم يحفظ لعلي مشاركة ظاهرة بالمال واما امر ابي بكر رضي الله عنه في انفاق ماله في سبيل الله عز وجل فاشهر من أن تخفي على اليهود والنصارى فكيف على المسلمين ثم لعثمان بن عفان رضي الله عنه في هذا المعنى من تجهيز جيش العسرة ماليس لغيره فصح ان ابا بكر اعظم صدقة واكثر مشاركة وغناء (٢) في الاسلام بماله من علي رضي الله عنه وقالوا علي هو السابق الى الاسلام ولم يعبد قط وثنا

(قال ابو محمد) اما السابقة فلم يقل قط احد يعتد به ان عليا مات وله اكثر من ثلاث وستين سنة ومات بلاشك سنة اربعين من الهجرة فصح انه كان حين هاجر النبي صلى الله عليه وسلم ابن ثلاث وعشرين سنة وكانت مدة النبي صلى الله عليه وسلم بمكة في النبوة ثلاث عشرة سنة فبعث عليه السلام ولعلي عشرة اعوام فاسلام ابن عشرة اعوام ودعاؤه اليه انما هو كتدريب المرء ولده الصغير على الدين لا ان عنده غناء ولا ان عليه اثما ان ابي فان اخذ الامر على قول من قال ان عليا مات وله ثمان وخمسون سنة فانه كان اذ بعث النبي صلى الله عليه وسلم ابن خمسة أعوام وكان اسلام ابي بكر ابن ثمان وثلاثين سنة وهو الاسلام المامور به من عند الله عز وجل وأما من لم يبلغ الحلم فغير مكلف ولا مخاطب فسابقة ابي بكر وعمر بلا شك أسبق من سابقة علي . وأما عمر فانه كان اسلامه تاخر بعد البعث بستة أعوام فان غناءه كان أكثر من غناء أكثر من اسلم قبله ولم يبلغ علي حد التكليف الا بعد أعوام من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وبعد أن اسلم كثير من الصحابة رجال ونساء بعد أن عذبوا في الله تعالى ولقوا فيه الالاقي (٣) وأما كونه لم يعبد وثنا فنحن وكل مولود في الاسلام لم يعبد قط وثنا وعمار والمقداد وسلمان وابوذر وحمزة وجعفر رضي الله عنهم قد عبدوا الاوثان أفترانا أفضل منهم من أجل ذلك معاذ الله من هذا فانه لا يقوله مسلم فبطل ان يكون هذا يوجب لعلي فضلا زائدا والا لكانت عائشة سابقة لعلي رضي الله عنهما في هذا الفصل لانها كانت اذ هاجر النبي صلى الله عليه وسلم بنت ثماني سنين واشهر ولم تولد الا بعد اسلام ابيها بسنين وعلي ولد وأبوه عابد وثن قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بسنين وعبد الله بن عمر ايضا أسلم ابوه وله أربع سنين لم يعبد قط وثنا فهو شريك لعلي في هذه الفضيلة . وقال بعضهم علي كان اسوسهم

(قال ابو محمد) وهذا باطل لاخفاء به على مؤمن ولا كافر فقد دري القريب والبعيد والعالم والجاهل والمؤمن والكافر من سائر الاسلام اذ كفر من كفر من اهل الارض بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم واذعن الجميع للتقية وقبول ما دعت اليه العرب حاشا ابا بكر فهل ثبت أحد ثبات ابي بكر على كلب العدو وشدة الخوف حتى دخلوا في الاسلام افواجا كما خرجوا منه أفواجا وأعطوا الزكاة طائعين وكارهين ولم تهله جموعهم ولا تضافرهم ولا قلة اهل الاسلام حتى انار الله الاسلام واظهره ثم هل ناطح كسرى وقيصر على أسرة

(٢) الغناء بالفتح النفع

(٣) الالاقي بتشديد الياء هي الشدائد جمع القية بضم فسكون فتشديد الياء

قلة

ويعدونه نوعا شريفا خصوصا معرفة انساب اجداد النبي عليه الصلاة والسلام والاطلاع على ذلك النور الوارد من صلب ابراهيم الى اسماعيل وتواصله في ذريته الى ان ظهر بعض الظهور في اسارير عبدالمطلب سيد الوادي سني المجد وسجد له الفيل الاعظم وعليه قصة اصحاب الفيل وببركة ذلك النور دفع الله تعالى شر ابرهة وارسل عليهم طيرا أبابيل وببركة ذلك النور رأى تلك الرؤيا في تعريف موضع زمزم ووجدان الغزالة والسيوف التي دفنها جرهم وببركة ذلك النور ألهم عبدالمطلب النذر الذي نذر في ذبح العاشر من أولاده وبه افتخر النبي عليه الصلاة والسلام حين قال أنا ابن الذبيحين أراد الذبيح الاول

ملكها حتى أخضع حدود فارس والروم وصرع جنودهم ونكس راياتهم وظهر الاسلام في اقطار الارض وذل الكفر واهله وشبع جائع المسلمين وعز ذليلهم واستغنى فقيرهم وصاروا اخوة لا اختلاف بينهم وقرؤا القرآن وتفقهوا في الدين الا ابو بكر ثم ثنى عمر ثم ثلث عثمان ثم قدر أي الناس خلاف ذلك كله وافتراق كلمة المؤمنين وضرب المسلمين بعضهم وجوه بعض بالسيوف وشكت بعضهم قلوب بعض بالرماح وقتل بعضهم من بعض عشرات الالوف وشغلهم بذلك عن ان يفتح من بلاد الكفر قرية اويذعر لهم سرب او يجاهد منهم أحد حتى ارتجع أهل الكفر كثيرا مما صار بايدى المسلمين من بلادهم فلم يجتمع المسلمون الى يوم القيامة فاين سياسة من سياسة

(قال ابو محمد) فاذ قد بطل كل ما ادعاه هؤلاء الجهال ولم يحصلوا الا على دعاوى ظاهرة الكذب لا دليل على صحة شيء منها وصح بالبرهان كما أوردنا ان ابا بكر هو الذي فاز بالقدح المعلى والسبق المبرز والحظ الاسنى في العلم والقرآن والجهاد والزهد والتقوى والخشية والصدقة والعتق والمشاركة والطاعة والسياسة فهذه وجوه الفضل كلها فهو بلا شك أفضل من جميع الصحابة كلهم بعد نساء النبي صلى الله عليه وسلم

﴿ قال ابو محمد ﴾ ولم يحتج عليهم بالاحاديث لانهم لا يصدقون أحاديثنا ولا نصدق احاديثهم انما اقتصرنا على البراهين الضرورية بنقل الكواف وان كانت الامامة تستحق بالتقدم في الفضل فابو بكر أحق الناس بها بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم يقينا فكيف والنص على خلافته صحيح واذ قد صحت أمامة ابي بكر رضي الله عنه فطاعته فرض في استخلافه عمر رضي الله عنه فوجبت أمامة عمر فرضا بما ذكرنا وبالاجماع أهل الاسلام عليهما دون خلاف من أحد قطعا ثم أجمعت الامة كلها أيضا بلا خلاف من احد منهم على صحة أمامة عثمان والديانة بها وأما خلافة علي فحق لا بنص ولا باجماع لكن ببرهان سنذكره ان شاء الله في الكلام في حروبه

(قال ابو محمد) ومن فضائل ابا بكر المشهورة قوله عز وجل ﴿ اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ﴾ فهذه فضيلة منقولة بنقل الكافة لا خلاف بين أحد في انه ابو بكر فاوجب الله تعالى له فضيلة المشاركة في اخراجه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه خصه باسم الصحبة له وبانه ثانيه في الغار واعظم من ذلك كله ان الله معهما وهذا مالا يلحقه فيه أحد

(قال ابو محمد) فاعترض في هذا بعض أهل القحة فقال قد قال الله عز وجل ﴿ اذ قال لصاحبه وهو يحاوره انا أكثر منك مالا ﴾ قال وقد حزن ابو بكر فنهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فلو كان حزنه رضا لله عز وجل لما نهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذه مجاهرة بالباطل أما قوله تعالى في الآية لصاحبه وهو يحاوره وقد أخبر الله تعالى بان أحدهما مؤمن والآخر كافر وبأنهما اختلفا فانما اسماه صاحبه في المحاورة والمجالسة فقط كما قال تعالى يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون فلم يجعله صاحبه في الدين لكن في الدار والمحبس فليس هكذا قوله تعالى اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا بل جعله صاحبه في الدين والنصرة وفي الاخراج وفي الغار وفي نصرة الله تعالى لهما اجابة الكفار لهما في كونه تعالى معهما فهذه الصحبة غاية الفضل وتلك الاخرى غاية النقص بنص القرآن وأما حزن ابي

اسماعيل وهو اول من انحدر اليه النور فاختفى والذبيح الثاني عبد الله ابن عبد المطلب وهو آخر من انحدر اليه النور وطهر كل الطهور وببركة ذلك النور كان عبد المطلب يامر اولاده بترك الظلم والبغي ويحثهم على مكارم الاخلاق وينهاهم عن دنيات الامور وببركة ذلك النور قد سلم اليه النظر في حكومات العرب والحكم في خصومات المتخاصمين فكان يوضع له وسادة عند الملتزم فيستند الى الكعبة وينظر في حكومات القوم وببركة ذلك النور قال لابرهة ان لهذا البيت ربا يذب عنه ويحفظه وفيه قال وقد صعد جبل ابي قبيس

لاهم ان المرء ي
نع حله فامنع حلالك

بكر رضي الله عنه فانه قبل ان ينهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم كان غاية الرضا لله لانه كان اشفاقا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك كان الله معه وهو تعالى لا يكون مع العصاة بل عليهم وما حزن ابو بكر قط بعد ان نهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن ولو كان لهؤلاء الارذال حياء او علم لم ياتوا بمثل هذا اذ لو كان حزن ابي بكر عيبا عليه لكان ذلك على محمد وموسى رسول الله صلى الله عليه وسلم عيبا لان الله عز وجل قال لموسى عليه السلام * سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون * ثم قال تعالى عن السحرة انهم قالوا لموسى اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى قال بل القوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى فاوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك انت الاعلى * فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكليمه قد كان اخبره الله عز وجل بان فرعون وملاه لا يصلون اليه وان موسى ومن اتبعه هو الغالب ثم اوجس في نفسه خيفة بعد ذلك اذ رآى امر السحرة حتى اوحى الله عز وجل اليه لا تخف فهذا امر اشد من امر ابي بكر واذا لزم ما يقول هؤلاء الفساق ابا بكر وحاشا لله ان يلزمه من ان حزنه لو كان رضا لما نهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لزم اشد منه لموسى عليه السلام وان ايجاسه الخيفة في نفسه لو كان رضا لله تعالى ما نهاه الله تعالى عنه ومعاذ الله من هذا بل ايجاس موسى الخيفة في نفسه لم يكن الا نسيان الوعد المتقدم وحزن ابي بكر رضي الله عنه رضا لله تعالى قبل ان ينهى عنه ولم يكن تقدم اليه نهي عن الحزن واما محمد صلى الله عليه وسلم فان الله عز وجل * قال ومن كفر فلا يحزنك كفره وقال تعالى * ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق * وقال تعالى * ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا * وقال تعالى ولا تذهب نفسك عليهم حسرات * وقال تعالى * فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا * ووجدناه عز وجل قد قال * ولقد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون * وقاله أيضا في الانعام فهذا الله تعالى اخبرنا انه يعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزنه الذي يقولون ونهاه الله عز وجل عن ذلك نصا فيلزمهم في حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي نهاه الله تعالى عنه كالذي أرادوا في حزن ابي بكر سواء بسواء ونعم ان حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم مما كانوا يقولون من الكفر كان طاعة لله تعالى قبل ان ينهاه الله عز وجل وما حزن عليه السلام بعد ان نهاه ربه تعالى عن الحزن كما كان حزن ابي بكر طاعة لله عز وجل قبل ان ينهاه الله عز وجل عن الحزن وما حزن ابو بكر قط بعد ان نهاه عليه السلام عن الحزن فكيف وقد يمكن ان يكون ابو بكر لم يحزن يومئذ لكن نهاه عليه السلام عن ان يكون منه حزن كما قال تعالى لنبيه عليه السلام * ولا تطع منهم آثما او كفورا * فنهاه عن ان يطيعهم ولم تكن منه طاعة لهم وهذا انما يعترض به اهل الجهل والسخافة ونعوذ بالله من الضلال

(قال ابو محمد) واعترض علينا بعض الجهال بتوجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب خلف ابي بكر رضي الله عنهما في الحجة التي حجها ابو بكر واخذ براءة من ابي بكر وتولي علي تبليغها الى اهل الموسم وقراءتها عليهم

(قال ابو محمد) وهذا من اعظم فضائل ابي بكر لانه كان اميرا على علي بن ابي طالب وغيره من اهل الموسم لا يدفعون الا بدفعه ولا يقفون الا بوقوفه ولا يصلون الا بصلاته

لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا محالك ان كنت تاركهم وكعبتنا فامر ما بدا لك

ببركة ذلك النور كان يقول في وصاياه ان لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم الله منه وتصيبه عقوبة الى أن هلك رجل ظلوم حتف أنفه لم تصبه عقوبة فقيل لعبد المطلب في ذلك ففكر فقال والله ان وراء هذه الدار دارا يجزى فيها المحسن باحسانه والمسيء يعاقب باساءته ومما يدل على اثباته المبدأ والمعاد انه كان يضرب بالقداح على ابنه عبد الله ويقول

يارب أنت الملك المحمود
وأنت ربي المبدئ والمعيد
من عندك الطارف والتليد

و ينصتون

وينصتون اذا خطب وعلي في الجملة كذلك وسورة براءة وقع فيها فضل ابي بكر رضي الله عنه وذكره في امر الغار وخروجه مع النبي صلى الله عليه وسلم وكون الله تعالى معهما فقرآة علي لها أبلغ في اعلان فضل ابي بكر على علي وعلي سواه وحجة لابي بكر قاطعة والله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) الآن نرجع الروافض الى انكار القرآن والنقص منه والزيادة فيه فهذا امر يظهر فيه قحتهم وجهلهم وسخفهم الى كل عالم وجاهل فانه لا يمترى كافر ولا مؤمن في ان هذا الذي بين اللوحين من الكتاب هو الذي اتى به محمد صلى الله عليه وسلم واخبرنا بانه اوحاه الله تعالى اليه فمن تعرض هذا فقد اقر بين عدوه

(قال ابو محمد) ومايعترض امامة ابي بكر الا زار (١) على رسول الله صلى الله عليه وسلم رادلامره في تقديمه أبا بكر الى الصلاة باهل الاسلام مريد لازالته عن مقام اقامه فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم

(قال ابو محمد) ولسنا من كذبهم في تاويلهم* ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا* وان المراد بذلك على رضي الله عنه بل هذا لا يصح بل الآية على عمومها وظاهرها لكل من فعل ذلك

(قال ابو محمد) فصح بما ذكرنا فضل ابي بكر على جميع الصحابة رضي الله عنهم بعد نساء النبي صلى الله عليه وسلم بالبراهين المذكورة واما الاحاديث في ذلك فكثيرة كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في ابي بكر دعوا لي صاحبي فان الناس قالوا كذبت وقال ابو بكر صدقت وقوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن اخي وصاحبي وهذا الذي لا يصح غيره واما اخوة علي فلا تصح الا مع سهل بن حنيف ومنها امره صلى الله عليه وسلم سد كل باب وخوخة في المسجد حاشا خوخة ابي بكر وهذا هو الذي لا يصح غيره ومنها غضبه صلى الله عليه وسلم على من خارج ابا بكر وعلى من اشار عليه بغير ابي بكر للصلاة ومنها قوله صلى الله عليه وسلم ان امن الناس علي في ماله ابو بكر وعمدتنا في تفضيل ابي بكر ثم عمر على جميع الصحابة بعد نساء النبي صلى الله عليه وسلم هو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اسئل من احب الناس اليك يارسول الله قال عائشة قيل فمن الرجال قال ابوها قيل ثم من يارسول قال عمر

(قال ابو محمد) فقطعنا بهذا ثم وقفنا ولو زادنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيانا لزدنا لكنا لا نقول في شيء من الدين الا بما جاء به النص

(قال ابو محمد) واختلف الناس فيمن افضل أعثمان ام علي رضي الله عنهما

(قال أبو محمد) والذي يقع في نفوسنا دون ان نقطع به ولا نخطئ من خالفنا في ذلك فهو ان عثمان افضل من علي والله اعلم لان فضائلهما تتقاوم في الاكثر فكان عثمان أقرأ وكان علي أكثر فتيا ورواية ولعلي ايضا حظ قوي في القراءة ولعثمان ايضا حظ قوي في الفتيا والرواية ولعلي مقامات عظيمة في الجهاد بنفسه ولعثمان مثل ذلك بماله ثم انفرد عثمان بان رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع ليساره المقدسة عن يمين عثمان في بيعة الرضوان وله هجرتان وسابقة قديمة وصهر بكرم محمود ولم يحضر بدرا فالحقه الله عز وجل فيهم باجره التام وسهمه والحقه

ومما يدل على معرفته بمجال الرسالة وشرف النبوة ان أهل مكة لما اصابهم ذلك الجدب العظيم وامسك السحاب عنهم سنتين أمر أبا طالب ابنه ان يحضر المصطفى عليه الصلاة والسلام وهو رضيع في قماط فوضعه على يديه واستقبل الكعبة ورماه الى السماء وقال يارب بحق هذا الغلام ورماه ثانيا وثالثا وكان يقول بحق هذا الغلام اسقنا غيثا مغيثا دائما هاطلا فلم يلبث ساعة ان طبق السحاب وجه السماء وامطر حتى خافوا على المسجد وانشد ابو طالب ذلك الشعر اللامي الذي منه

وابيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للارامل
يطيف به الهلال من اهل هاشم
فهم عنده في نعمة وفواضل

(١) أسم فاعل من الزراية وهي العيب

من حضرها فهو معدود فيهم ثم كانت له فتوحات فى الاسلام عظيمة لم تكن لعلى وسيرة فى الاسلام هادية ولم يتسبب بسفك دم مسلم وجاءت فيه آثار صحاح وان الملائكة تستحى منه وانه ومن اتبعه على الحق والذى صح من فضائل على فهو قول النبي صلي الله عليه وسلم انت منى بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبى بعدى وقوله عليه السلام لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله وهذه صفة واجبة لكل مؤمن وفاضل وعهده عليه السلام ان عليا لا يحبه الا مؤمن ولا يبغضه الا منافق وقد صح مثل هذه فى الانصار رضي الله عنهم انه لا يبغضهم من يؤمن بالله واليوم الاخر واما من كنت مولاه فعلى مولاه فلا يصح من طريق الثقات اصلا واما سائر الاحاديث التى تتعلق بها الرافضة فموضوعة يعرف ذلك من له ادنى علم بالاخبار ونقلتها

(قال ابو محمد) ونقول بفضل المهاجرين الاولين بعد عمر بن الخطاب قطعا الا اننا لا نقطع بفضل احد منهم على صاحبه كعثمان ابن عفان وعثمان ابن مظعون وعلي وجعفر وحمزة وطلحة والزبير ومصعب بن عمير وعبد الرحمن ابن عوف وعبد الله ابن مسعود وسعد وزيد ابن حارثة وابى عبيدة وبلال وسعيد ابن زيد وعمار ابن ياسر وابى سلمة وعبد الله ابن جحش وغيرهم من نظرائهم ثم بعد هؤلاء اهل العقبة ثم اهل بدر ثم اهل المشاهد كلها مشهدا مشهدا فاهل كل مشهد افضل من اهل المشهد الذى بعده حتى بلغ الامر الى الحديبية فكل من تقدم ذكره من المهاجرين والانصار رضى الله عنهم الى تمام بيعة الرضوان فاننا نقطع على غيب قلوبهم وانهم كلهم مؤمنون صالحون ماتوا على الايمان والهدى والبر كلهم من اهل الجنة لا يلج احد منهم النار البتة لقول الله تعالى * والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم * وكقوله عز وجل * لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فانزل السكينة عليهم *

(قال ابو محمد) فمن اخبرنا الله عز وجل انه علم ما فى قلوبهم رضى الله عنهم وانزل السكينة عليهم فلا يحل لاحد التوقف فى امرهم ولا الشك فيهم البتة ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار احد بايع تحت الشجرة الا صاحب الجمل الاحمر ولاخباره عليه السلام انه لا يدخل النار احد شهد بدرا ثم نقطع على ان كل من صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بنية صادقة ولو ساعة فانه من اهل الجنة لا يدخل النار لتعذيب الا انهم لا يلحقون بمن اسلم قبل الفتح وذلك لقول الله عز وجل * لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل أولئك اعظم درجة من الذين انفقوا وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى * وقال تعالى * وعد الله لا يخلف الله وعده * وقال تعالى * ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون * فصح بالضرورة ان كل من انفق قبل الفتح وقاتل فهو مقطوع على غيبه لتفضيل الله تعالى اياهم والله تعالى لا يفضل الا مؤمنا فاضلا واما من انفق بعد الفتح وقاتل فقد كان فيهم منافقون لم يعلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف نحن قال الله تعالى * وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم

(قال ابو محمد) فلهذا لم نقطع على كل امرئ منهم بعينه لكن نقول كل من لم يكن منهم

كذبتم وبيت الله يبرى محمدا
ولما نطاعن دونه ونناضل
ولا نسلمه حتى نصرع حوله
ونذهل عن ابنائنا والحلائل

وقال العباس بن عبد المطلب فى النبي عليه الصلاة والسلام قصيدة منها

من قبلها طبت فى الظلال وفى
مستودع حين يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر
انت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد
ألجم نسرا وأهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم
اذا مضى عالم بدا طبق
حتى احتوى بيتك المهيمن فى
خندف عليا تحتها النطق
وأنت لما ظهرت أشرقت الا
رض وضاءت بنورك الافق

من المنافقين فهو من أهل الجنة يقيناً لانه قد وعده الله تعالى الحسنى كلهم واخبر انه لا يخلف وعده وان من سبقت له الحسنى فهو مبعد من النار لا يسمع حسيسها ولا يحزنه الفزع الاكبر وهو فيما اشتهى خالد وهذا نص قولنا والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) لقد خاب وخسر من رد قول ربه عز وجل انه رضى عن المبايعين تحت الشجرة وعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم وقد علم كل احد له ادني علم ان ابا بكر وعمر وعثمان وعليا وطلحة والزبير وعمار والمغيرة بن شعبة رضى الله عنهم من اهل هذه الصفة والخوارج والروافض قد انتظمت الطائفتان الملعونتان البريئة منهم خلافا لله عز وجل وعنادا له ونعوذ بالله من الخذلان

(قال ابو محمد) فهذا قولنا في الصحابة رضى الله عنهم فاما التابعون ومن بعدهم فلا نقطع على غيبهم واحدا واحدا الا من بان منه احتمال المشقة في الصبر للدين ورفض الدنيا لغير غرض استعجله الا انا لا ندري على ماذا مات الا انا نبلغ الغاية في تعظيمهم وتوقيرهم والدعاء بالمغفرة والرحمة والرضوان لهم لكن نتولاهم جملة قطعا ونتولى كل انسان منهم بظاهره ولا نقطع على احد منهم بجنة ولا نار لكن نرجو لهم ونخاف عليهم اذ لا نص في انسان منهم بعينه ولا يحل الاخبار عن الله عز وجل الا بنص من عنده لكن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيركم القرن الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ومعنى هذا الحديث انما هو كل قرن من هذه القرون التي ذكر عليه السلام اكثر فضلا بالجملة من القرن الذي بعده لا يجوز غير هذا البتة وبرهان ذلك انه قد كان في عصر التابعين من هو افسق الفاسقين كمسلم بن عقبة المري وحبيش بن دلجة القيني والحجاج بن يوسف الثقفي وقتلة عثمان وقتلة ابن الزبير وقتلة الحسين رضي الله عنهم ولعن قتلتهم ومن بعثهم فمن خالف قولنا في هذا الخبر لزمه ان يقول ان هؤلاء الفساق الاحداث افضل من كل فاضل في القرن الثالث ومن بعده كسفيان الثوري والفضيل بن عياض ومسعر بن كدام وشعبة ومنصور بن المعتمر ومالك والاوزاعي والليث وسفيان بن عيينة ووكيع وابن المبارك والشافعي واحمد بن حنبل واسحاق ابن راهوية وداود بن علي رضى الله عنهم وهذا ما لا يقوله احد وما يبعد ان يكون في زماننا او فيمن يأتي بعدنا من هو افضل رجل من التابعين عند الله عز وجل اذ لم يأت في المنع من ذلك نص ولا دليل اصلا والحديث المأثور في اويس القرني لا يصح لان مداره على اسيد بن جابر وليس بالقوي وقد ذكر شعبة انه سأل عمرو بن مرة وهو كوفي قرني مرادي من اشرف مراد واعلمهم بهم عن اويس القرني فلم يعرفه في قومه واما الصحابة رضي الله عنهم فبخلاف هذا ولا سبيل الى ان يلحق اقلهم درجة احد من اهل الارض وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) وذهب بعض الروافض الى ان ذوي قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلا بالقرابة فقط واحتج بقوله تعالى * ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض * وبقوله عز وجل * قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى * وبقوله تعالى * وابعث فيهم رسولا منهم *

(قال ابو محمد) وهذا كله لا حجة فيه اما اخباره تعالى انه اصطفى آل ابراهيم وآل عمران على العالمين فانه لا يخلو من احد وجهين لا ثالث لهما اما ان يعني كل مؤمن فقد قال ذلك بعض العلماء او يعني مؤمني اهل بيت ابراهيم وعمران لا يجوز غير هذا لان آزر والد ابراهيم

فنحن في ذلك الضياء وفي ال
نور وسبل الرشاد نخترق
وأما النوع الثاني من العلوم
فهو الرؤيا وكان أبو بكر
ممن يعبر الرؤيا في الجاهلية
ويصيب فيرجعون اليه
ويستخبرون عنه والثالث علم
الانواء وذلك مما يتولاه الكهنة
والقافة منهم وعن هذا
قال عليه الصلاة والسلام من
قال مطرنا بنوء كذا فقد كفر
بما أنزل الله على محمد ومن
العرب من كان يؤمن بالله
واليوم الآخر وينتظر النبوة
وكانت لهم سنن وشرائع
قد ذكرناها لانها نوع تحصيل
فمن كان يعرف النور
الظاهر والنسب الطاهر
و يعتقد الدين الحنيفي وينتظر
المقدم النبوي زيد بن عمرو
ابن نفيل كان يسند

عليه السلام كان كافرا عدوا لله لم يصطفه الله تعالى الا لدخول النار فان اراد الوجه الذى ذكرنا لم نمانعه ولا تنازعه في ان موسي وهارون من آل عمران وآل اسماعيل واسحاق ويوسف و يعقوب من آل ابراهيم مصطفون علي العالمين * فاى حجة لهم فى بنى هاشم * فان ذكروا الدعاء المامور به وهو اللهم صل علي محمد وعلي آل محمد و بارك على محمد وعلى آل محمد فالقول فى هذا كما قلنا ولا فرق وهذا دعاء لكل مؤمن وقد قال تعالى * خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم صل علي آل ابى اوفى فهذا هو الدعاء لهم بالصلاة علي كل مؤمن ومؤمنة بلا خلاف وكذلك الدعاء فى التشهد المفترض فى كل صلاة من قول المصطفى السلام علينا وعلي عباد الله الصالحين فهذا السلام علي كل مؤمن ومؤمنة فاستوى بنو هاشم وغيرهم فى اطلاق الدعاء بالصلاة عليهم و بالسلام عليهم ولا فرق وقال تعالى * وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون فوجبت صلوات الله تعالى على كل مؤمن صابر فاستوى كله بنو هاشم وقريش والعرب والعجم ومن كان جميعهم بهذه الصفة وايضا فيلزم من احتج بقوله تعالى * ان الله اصطفي آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين * أن يقول ان من اسلم من الهارونيين من اليهود افضل من بنى هاشم واشرف واولى بالتقديم لانه من آل عمران ومن آل ابراهيم وفيهم ورد النص

(قال ابو محمد) فصح يقينا ان الله عز وجل انما اراد بذلك الانبياء عليهم السلام فقط وبين هذا بيانا جليا قول الله عز وجل حاكيا عن ابراهيم عليه السلام انه قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين * من ذرية ابراهيم عليه السلام الظالمين من ذرية غيره وقال عز وجل ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا فخص الله تعالى بولاية ابراهيم عليه السلام من اتبع ابراهيم كائنا من كان فدخل فى هذا كل مؤمن ومؤمنة ولا فصل واما قول الله عز وجل * قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة فى القربى * فهذا حق على ظاهره وانما اراد عليه السلام من قريش ان يودوه لقرابته منهم ولا يختلف احد من الامة فى انه عليه السلام لم يرد قط من المسلمين ان يودوا ابا لهب وهو عمه ولا شك فى انه عليه السلام اراد من المسلمين مودة بلال وعمار وصهيب وسلمان وسالم مولى ابى حذيفة واما قوله عز وجل عن ابراهيم عليه السلام * وابعث فيهم رسولا منهم * فقد قال عز وجل * وان من امة الا خلا فيها نذير * وقال تعالى * وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فاستوت الامم كلها فى هذه الدعوة بان يبعث فيهم رسولا منهم ممن هم قومه فان احتج محتج بالحديث الثابت الذى فيه ان الله اصطفي كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم فمعناه ظاهر وهو انه تعالي اختار كونه عليه الصلاة والسلام من بني هاشم وكون بنى هاشم من قريش وكون قريش من كنانة وكون كنانة من بنى اسماعيل كما اصطفى ان يكون موسى من بنى لاوى وان يكون بنو لاوى من بنى اسحاق عليه السلام وكل نبي من عشيرته التى هو منها ولا يجوز غير هذا البتة ونسال من اراد حمل هذا الحديث علي غير هذا المعنى ايدخل احد من بنى هاشم او من قريش او من كنانة او من اسماعيل النار ام لا فان انكروا هذا

طهره الى الكعبة ويقول ايها الناس هلموا الى فانه لم يبق علي دين ابراهيم احد غيرى وسمع أمية بن أبي الصلت يوما ينشد
كل دين يوم القيامة عند الله الا دين الحنيفة زور
فقال له صدقت وقال زيد ايضا فلن تكون لنفسى منك واقية
يوم الحساب اذا ما يجمع البشر ومن كان يعتقد التوحيد ويؤمن بيوم الحساب قس بن ساعدة الايادى قال فى مواعظه كلا ورب الكعبة ليعودن ما باد ولان ذهب ليعودن يوما وقال ايضا
كلا بل هو الله اله واحد
ليس بمولود ولا والد
أعادى وابدى
واليه المآب غدا

خطو

كفروا وخالفوا الاجماع والقرآن والسنن وقد قال عليه السلام ابي وابوك في النار وان ابا طالب في النار وجاء القرآن ان ابا لهب في النار وسائر كفار قريش في النار كذلك قال الله تعالى * تبت يدا أبي لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب * فاذا اقر بانه قد يدخل النار منهم من يستحق ان يدخلها صحت المساواة بينهم وبين سائر الناس

(قال ابو محمد) ويكذب هذا الظن الفاسد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يا فاطمة بنت محمد لا اغني عنك من الله شيئا يا صفية عمة رسول الله لا اغني عنك من الله شيئا يا عباس بن عبد المطلب لا اغني عنك من الله شيئا يا بني عبد المطلب لا أغني عنكم من الله شيئا وابين من هذا كله قول الله تعالى * يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم * وقوله تعالى * لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيامة يفصل بينكم * وقوله تعالى * واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا * وقال تعالى وذكر عادا وثمودا وقوم نوح وقوم لوط ثم قال * أكفاركم خير من أولئكم ام لكم براءة في الزبر * فصح ضرورة انه لا ينتفع احد بقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من سواه من الانبياء الرسل عليهم السلام ولو ان النبي ابنه او ابوه وامه سية وقد نص الله تعالى في ابن نوح ووالد ابراهيم وعم محمد عليه رسل الله الصلاة والسلام ما فيه الكفاية وقد نص الله تعالى على ان من انفق من قبل الفتح وقاتل اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا فصح ضرورة ان بلالا وصهيبا والمقداد وعمارا واسامة وسلمان افضل من العباس وبنيه عبد الله والفضل وقثم ومعبد وعبيد الله وعقيل بن ابي طالب والحسن والحسين رضي الله عن جميعهم بشهادة الله تعالى فاذ هذا لا شك فيه فلا جزاء في الآخرة الا على عمل ولا ينتفع عند الله تعالى بالارحام ولا بالولادات وليست الدنيا دار جزاء فلا فرق بين هاشمي وقرشي وعربي وعجمي وحبشي وابن زنجية والكرم والفوز لمن اتقى الله عز وجل حدثنا محمد بن سعيد بن نبات انا احمد بن عبد الله البصير حدثنا قاسم ابن اصبغ حدثنا عبد السلام بن الخشني حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عبد الرحمن مهدي حدثنا سفيان الثوري عن ابي اسحاق السبيعي عن حسان بن فايد العبسي قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه كرم الرجل دينه وحسبه خلقه وان كان فارسيا او نبطيا

الكلام في حرب علي ومن حاربه من الصحابة رضي الله عنهم

(قال ابو محمد) اختلف الناس في تلك الحرب على ثلاث فرق فقال جميع الشيعة وبعض المرجئة وجمهور المعتزلة وبعض أهل السنة ان عليا كان المصيب في حربه وكل من خالفه على خطا وقال واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد وابو الهذيل وطوائف من المعتزلة ان عليا مصيب في قتاله معاوية واهل النهر ووقفوا في قتاله مع اهل الجمل وقالوا احدى الطائفتين مخطئة ولا نعرف ايهما هي وقالت الخوارج على المصيب في قتاله اهل الجمل واهل صفين وهو مخطىء في قتاله اهل النهر وذهب سعد بن ابي وقاص وعبد الله بن عمر وجمهور الصحابة الى الوقوف في علي واهل الجمل واهل صفين وبه يقول جمهور اهل السنة وابو بكر بن كيسان وذهب جماعة من الصحابة وخيار التابعين وطوائف ممن بعدهم الى تصويب محاربي علي من اصحاب الجمل واصحاب صفين وهم الحاضرون لقتاله في اليومين المذكورين وقد اشار الى هذا ايضا ابو بكر بن كيسان

وأنشا في معنى الاعادة
يا باكي الموت والاموات في جدث
عليهم من بقايا بزهم خرق
دعهم فان لهم يوما يصاح بهم
كأنه من نوماته الصعق
حتى يجيئوا بحال غير حالهم
خلق مضى ثم هذا بعد ذا خلقوا
منهم عراة وموتى في ثيابهم
منها الحديد ومنها الازرق الخلق ومنهم عامر بن الظرب العدواني كان من حكماء العرب وخطبائهم وله وصية طويلة يقول في آخرها اني ما رأيت شيئا قط خلق نفسه ولا رأيت موضوعا الا مصنوعا ولا جائيا الا ذاهبا ولو كان يميت الناس الداء لاحياهم الدواء ثم قال اني أرى أمورا شتى وحتى قيل له وما حتى قال حتى يرجع الميت

(قال ابو محمد) اما الخوارج فقد اوضحنا بطلان حجة أسلافهم فيما سلف من كتابنا هذا حاشا احتجاجهم بانكار تحكيم على الحكمين فسنتكلم فى ذلك ان شاء الله تعالى كما تكلمنا فى سائر أحكامهم والحمد لله رب العالمين واما من وقف فلا حجة له اكثر من انه لم يتبين له الحق ومن لم يتبين له الحق فلا سبيل الى مناظرته باكثر من ان نبين له وجه الحق حتى يراه وذكروا ايضا احاديث فى ترك القتال فى الاختلاف سنذكر احكامها ان شاء الله تعالى فلم يبق الا الطائفة المصوبة لعلى فى جميع حروبه والطائفة المصوبة لمن حاربه من اهل الجمل واهل صفين

(قال ابو محمد) احتج من ذهب الى تصويب محاربي على يوم الجمل ويوم صفين بان قال ان عثمان رضي الله عنه قتل مظلوما فالطلب باخذ القود من قاتليه فرض قال عز وجل. ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا. وقال تعالى. وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان. قالوا ومن آوى الظالمين فهو اما مشارك لهم واما ضعيف عن اخذ الحق منهم قالوا وكلا الامرين حجة فى اسقاط امامته على من فعل ذلك ووجوب حربه قالوا وما انكروا على عثمان الاقل من هذا من جواز انفاذ اشياء بغير علمه فقد يمكن مثلها سرا ولا يعلمها احد الا بعد ظهورها قالوا وحتى لو ان كل ما انكر على عثمان يصح ما حل بذلك قتله بلا خلاف من احد من اهل الاسلام لانهم انما انكروا عليه استئثارا بشىء يسير من فضلات الاموال لم يجب لاحد بعينه فمنعها وتولية اقاربه فلما شكوا اليه عزلهم واقام الحد على من استحقه وانه صرف الحكم بن ابى العاص الى المدينة ونفى رسول الله صلى الله عليه وسلم للحكم لم يكن حدا واجبا ولا شريعة على التابيد وانما كان عقوبة على ذنب استحق به النفى والتوبة مبسوطة فاذا تاب سقطت عنه تلك العقوبة بلا خلاف من احد من اهل الاسلام وصارت الارض كلها مباحة وانه ضرب عمارا خمسة اسواط ونفى اباذر الى الربذة وهذا كله لا يبيح الدم قالوا وايواء على المحدثين اعظم الاحداث من سفك الدم الحرام فى حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم لاسيما دم الامام وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظم والمنع من انفاذ الحق عليهم أشد من كل ما ذكرنا بلاشك قالوا وامتناع معاوية من بيعة على كامتناع على من بيعة ابى بكر فما حاربه ابو بكر ولا اكرهه وابو بكر اقدر على على من على على معاوية ومعاوية فى تاخيره عن بيعة على اعذر وافسح مقالا من على فى تاخيره عن بيعة ابى بكر لان عليا لم يمتنع من بيعة ابى بكر احد من المسلمين غيره بعد ان بايعه الانصار والزبير واما بيعة على فان جمهور الصحابة تاخروا عنها اما عليه واما لا له ولا عليه وما تابعه فيهم الا الاقل سوى ازيد من مائة الف مسلم بالشام والعراق ومصر والحجاز كلهم امتنع من بيعته فهل معاوية الا كواحد من هؤلاء فى ذلك وايضا فان بيعة على لم تكن على عهد من النبى صلى الله عليه وسلم كما كانت بيعة ابى بكر ولا عن اجماع من الامة كما كانت بيعة عثمان ولا عن عهد من خليفة واجب الطاعة كما كانت بيعة عمر ولا بسوق بائن(١) والفضل على غيره لا يختلف فيه أحد ولا عن شورى فالقاعدون عنها بلاشك ومعاوية من جملتهم اعذر من على فى قعوده عن بيعة ابى بكر ستة اشهر حتى رأى البصيرة وراجع الحق عليه فى ذلك قالوا وان تم خفى على على نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابى بكر قلنا لكم لم يخف عليه بلاشك تقديم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر الى الصلاة وامره عليا بان يصلى وراءه فى جماعة المسلمين فتاخر عن بيعة

---

(١) بسوق بائن اى تفوق ظاهر

حيا ويعود اللاشى شيئا ولذلك خلقت السموات والارض فتولوا عنه ذاهبين وقال ويل أمها نصيحة لو كان من يقبلها وكان قد حرم الخمر على نفسه فيمن حرمه وقال فيه شعرا

ان اشرب الخمر اشربها للذتها
وان أدعها فانى ماقت قالى
لولا اللذاذة والقيان لم أرها
أو لا رأتنى الا من مدى العالى
سالت الفتى ما ليس فى يده
ذهابة بعقول القوم والمال
مورث القوم اضغانا بلا احن
ومزريا بالفتى ذى النجدة الحالى
قسمت بالله أسقيها وأشربها
حتى تمزق ترب الارض اوصالى

وممن كان قد حرم الخمر فى الجاهلية قيس بن عاصم التميمى

ابى بكر سعى منه فى حطه عن مكان جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم حقاً لابى بكر وسعى منه فى فسخ نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على تقديمه الى الصلاة وهذا اشد من رد انسان نفاه رسول الله صلي الله عليه وسلم لذنب ثم تاب منه وايضاً فان علياً قد تاب واعترف بالخطاء لانه اذا بايع ابا بكر بعد ستة اشهر تاخر فيها عن بيعته لايخلو ضرورة من احد وجهين اما ان يكون مصيباً في تاخره فقد اخطا اذ بايع او يكون مصيباً فى بيعته فقد اخطا اذ تاخر عنها قالوا والممتنعون من بيعة على لم يعترفوا قط بالخطا على انفسهم فى تاخرهم عن بيعته قالوا فان كان فعلهم خطا فهو أخف من الخطا فى تاخر على عن بيعة ابى بكر وان كان فعلهم صوابا فقد برئوا من الخطا جملة قالوا والبون بين طلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص وعلى خفى جدا فقد كانوا فى الشورى معه لا يبدو له فضل تفوق عليهم ولا علي واحد منهم وأما البون بين علي وابي بكر فابين واظهر فهم من امتناعهم عن بيعته اعذر لخفاء التفاضل قالوا وهلا فعل على فى قتلة عثمان كما فعل بقتلة عبد الله ابن خباب بن الارت فان القصتين استويا فى التحريم فالمصيبة في قتل عثمان فى الاسلام وعند الله عز وجل وعلي المسلمين اعظم جرما واوسع خرقا واشنع اثما واهول فتقاً من المصيبة فى قتل عبد الله بن خباب قالوا وفعله فى طلب دم عبد الله بن خباب يقطع حجة من تاول على علي انه يمكن ان يكون لا يرى قتل الجماعة بالواحد

(قال ابو محمد) هذا كل ما يمكن ان تحتج به هذه الطائفة قد تقصيناه ونحن ان شاء الله تعالى متكلمون على ما ذهبت اليه كل طائفة من هذه الطوائف حتى يلوح الحق في ذلك بعون الله تعالى وتاييده

(قال ابو محمد) نبدأ بعون الله عز وجل بانكار الخوارج التحكيم

(قال ابو محمد) قالوا حكم على الرجال فى دين الله تعالى والله عز وجل قد حرم ذلك بقوله * ان الحكم الا لله * وبقوله تعالى * وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله *

(قال ابو محمد) ما حكم علي رضي الله عنه قط رجلا في دين الله وحاشاه من ذلك وانما حكم كلام الله عز وجل كما افترض الله تعالى عليه وانما اتفق القوم كلهم اذ رفعت المصاحف على الرماح وتداعوا الى ما فيها على الحكم بما انزل الله عز وجل فى القرآن وهذا وهو الحق الذى لا يحل لاحد غيره لان الله تعالى يقول * فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر * فانما حكم علي رضي الله عنه ابا موسى وعمرو رضى الله عنهما ليكون كل واحد منهما مدلياً بحجة من قدمه وليكونا متخاصمين عن الطائفتين ثم حاكمين لمن اوجب القرآن الحكم له اذ من المحال الممتنع الذى لا يمكن الذى لا يفهم لغط العسكرين او ان يتكلم جميع اهل العسكر بحجتهم فصح يقيناً انه لا صواب على فى تحكيم الحكمين والرجوع الى ما اوجبه القرآن وهذا الذى لا يجوز غيره ولكن اسلاف الخوارج كانوا اعراباً قرؤا القرآن قبل ان يتفقهوا فى السنن الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن فيهم احد من الفقهاء لا من اصحاب ابن مسعود ولا اصحاب عمر ولا اصحاب على ولا اصحاب عائشة ولا اصحاب ابى موسى ولا اصحاب معاذ بن جبل ولا اصحاب ابى الدرداء ولا اصحاب سلمان ولا اصحاب زيد وابن عباس وابن عمر ولهذا تجدهم يكفر بعضهم بعضاً عند اقل نازلة تنزل بهم من دقائق الفتيا وصغارها فظهر ضعف القوم وقوة جهلهم وانهم انكروا

وصفوان بن أمية بن محرب الكنانى وعفيف بن معدى كرب الكندى وقالوا فيها وقال الاسلوم اليالى

وقد حرم الزنا والخمر شعرا

سالمت قومى بعد طول مضاضة
والسلم أبقى فى الامور واعرف

وتركت شرب الراح وهى أميرة
والمومسات وترك ذلك أشرف

وعففت عنه يا أميم تكرماً
وكذاك يفعل ذو الحجى المتعفف

وممن كان يؤمن بالخالق تعالى وبخلق آدم عبد الطابخة بن ثعلب ابن وبرة من قضاعة قال فيه

أدعوك يا ربي بما أنت اهله
دعاء غريق قد تشبث بالعصم

لانك أهل الحمد والخير كله
وذا الطول لم تعجل بسخط ولم تلم

وأنت الذى لم يحيه الدهر ثانياً
ولم ير عبد منك فى صالح وجم

ما قام البرهان الذى أوردنا بانه حق ولو لم يكن من جهلهم لاقرب عهدهم بخبر الانصار يوم السقيفة واذعانهم رضى الله عنهم مع جميع المهاجرين لوجوب الامر فى قريش دون الانصار وغيرهم وان عهدهم بذلك قريب منذ خمسة وعشرين عاما أو اشهر وجمهورهم ادرك ذلك بسنة وثبت عند جميعهم كثبات أمر النبي صلى الله عليه وسلم ولا فرق لان الذين نقلوا اليهم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقلوا اليهم القرآن والشرائع هم نقلوا كل ذلك باعيانهم لا زيادة فيهم ولا نقص نقلوا اليهم خبر السقيفة ورجوع الانصار الى ان الامر لا يكون الا فى قريش وهم يقرون ويقرؤن قوله تعالى * لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اؤلئك اعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى * وقوله تعالى * محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا * الآية وقوله تعالى * لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فانزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا * ثم اعماهم الشيطان واضلهم الله تعالى على علم * فخلوا بيعة مثل على واعرضوا عن مثل سعيد بن زيد وسعد وابن عمر وغيرهم ممن انفق من قبل الفتح وقاتل واعرضوا عن سائر الصحابة الذين انفقوا بعد الفتح وقاتلوا ووعدهم الله الحسنى وتركوا من يقرون بان الله تعالى عز وجل علم ما فى قلوبهم فانزل السكينة عليهم ورضي عنهم وبايعوا الله وتركوا جميع الصحابة وهم الاشداء على الكفار الرحماء بينهم الركع السجد المبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من اثر السجود المثنى عليهم فى التوراة والانجيل من عند الله عز وجل الذين غاظ الله بهم الكفار المقطوع على ان باطنهم فى الخير كظاهرهم لان الله عز وجل شهد بذلك فلم يبايعوا احدا منهم وبايعوا شبث بن ربعى مؤذن سجاح ايام ادعت النبوة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم حتى تداركه الله عز وجل فنزع عنهم وتبين لهم ضلالتهم فلم يقع اختيارهم الا على عبد الله بن وهب الراسبي اعرابي بوال على عقبيه لا سابقة له ولا صحبة ولا فقه ولا شهد الله له بخير قط فمن اضل ممن هذه سيرته واختياره ولكن حق لمن كان احد ائمته ذو الخويصرة الذى بلغ ضعف عقله وقلة دينه الى تجويره رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حكمه والاستدراك عليه ورأى نفسه اورع من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا وهو يقر انه رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه وبه اهتدى وبه عرف الدين ولولاه لكان حمارا او اضل ونعوذ بالله من الخذلان واما الطائفة المنسوبة للقاعدين فان من لم يلح له الحق منهم فانما يكلم حتى يبين له الحق فيلزمه المصير اليه فنقول وبالله تعالى التوفيق انه قد صح ووجب فرض الامامة بما ذكرنا قبل فى ايجاب الامامة واذ هي فرض فلا يجوز تضييع الفرض واذ ذلك كذلك فالمبادرة الى تقديم امام عند موت الامام فرض واجب وقد ذكرنا وجوب الائتمام بالامام فاذ هذا كله كما ذكرنا فاذ مات عثمان رضى الله عنه وهو الامام ففرض اقامة امام يأتم به الناس لئلا يبقوا بلا امام فاذ بادر على فبايعه واحد من المسلمين فصاعدا فهو امام قائم ففرض طاعته لا سيما لم يتقدم بيعته بيعة ولم ينازعه الامامة احد فهذا اوضح وواجب فى وجوب امامته وصحة بيعته ولزوم امرته للمؤمنين فهو الامام بحقه وما ظهر منه قط الى ان مات رضي الله عنه شيء يوجب نقض بيعته وما ظهر منه قط الا العدل والجد والبر والتقوى كما لو سبقت بيعة طلحة او الزبير او سعد او سعيد او من يستحق الامامة لكانت ايضا بيعة حق لازمة لعلي ولغيره ولا فرق فعلى مصيب فى الدعاء الى نفسه والى

وأنت القديم الاول الماجد الذى
تبدات خلق الناس فى اكثم العدم
فانت الذى أحلاتنى غيب ظلمة
الى ظلمة من صلب آدم فى ظلم

ومن هؤلاء زهير بن أبي سلمى كان يمر بالعضاة وقد اورقت بعد يبس فيقول لولا ان تسبنى العرب لآمنت بمن احياك بعد يبس سيحيي العظام وهي رميم ثم آمن بعد ذلك وقال فى قصيدته التى اولها امن أم أوفى

يؤخر فيوضع كتاب فيدخر
ليوم الحساب او يعجل فينتقم

ومنهم علاف بن شهاب التميمي كان يؤمن بالله ويوم الحساب وفيه قال

لقد شهدت الخصم يوم رفاعة
فاخذت منه خطة المقتال

الدخول تحت أمامته وهذا برهان لا محيد عنه واما ام المؤمنين والزبير وطلحة رضي الله عنهم ومن كان معهم فما أبطلوا قط امامة علي ولا طعنوا فيها ولا ذكروا فيه جرحة تحطه عن الامامة ولا أحدثوا امامة اخرى ولا احدثوا بيعة لغيره هذا مالا يقدر ان يدعيه أحد بوجه من الوجوه بل يقطع كل ذي علم على ان كل ذلك لم يكن فاذ لا شك في كل هذا فقد صح صحة ضرورية لا اشكال فيها انهم لم يمضوا الى البصرة لحرب علي ولا خلافا عليه ولا نقضا لبيعته ولو أرادوا ذلك لاحدثوا بيعة غير بيعته هذا مالا يشك فيه أحد ولا ينكره أحد فصح انهم انما نهضوا الى البصرة لسد الفتق الحادث في الاسلام من قتل امير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ظلما وبرهان ذلك انهم اجتمعوا ولم يقتتلوا ولا تحاربوا فلما كان الليل عرف قتلة عثمان ان الاراغة والتدبير عليهم فبيتوا عسكر طلحة والزبير وبذلوا السيف فيهم فدفع القوم عن انفسهم في دعوى حتى خالطوا عسكر علي فدفع اهله عن انفسهم وكل طائفة تظن ولا شك ان الاخرى بدأ بها القتال واختلط الامر اختلاطا لم يقدر أحد على اكثر من الدفاع عن نفسه والفسقة من قتلة عثمان لا يفترون من شن الحرب واضرامه فكلتا الطائفتين مصيبة في غرضها ومقصدها مدافعة عن نفسها ورجع الزبير وترك الحرب بحالها واتى طلحة سهم غائر وهو قائم لا يدري حقيقة ذلك الاختلاط فصادف جرحا في ساقه كان أصابه يوم احد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف ومات من وقته رضي الله عنه وقتل الزبير رضي الله عنه بوادي السباع على اقل من يوم من البصرة فهكذا كان الامر وكذلك كان قتل عثمان رضي الله عنه انما حاصره المصريون ومن لف لفهم يديرونه على اسلام مروان اليهم وهو رضي الله عنه يابى من ذلك ويعلم انه ان اسلمه قتل دون تثبت فهو على ذلك وجماعات من الصحابة فيهم الحسن والحسين ابنا علي وعبد الله بن الزبير ومحمد بن طلحة وابو هريرة وعبد الله بن عمر وغيرهم في نحو سبعماية من الصحابة وغيرهم معه في الدار يحمونه وينفلتون الى القتال فيردعهم تثبتا الى ان تسوروا عليه من خوخة في دار ابن حزم الانصاري جاره غيلة فقتلوه ولا خبر من ذلك عند احد لعن الله من قتله والراضين بقتله فما رضي احد منهم قط بقتله ولا علموا انه يراد قتله لانهم لم يات منه شيء يبيح الدم الحرام واما قول من قال انه رضي الله عنه اقام مطروحا على مزبلة ثلاثة ايام فكذب بحت وافك موضوع وتوليد من لا حياء في وجهه بل قتل عشية ودفن من ليلته رضي الله عنه شهد دفنه طائفة من الصحابة وهم جبير بن مطعم وابو الجهم بن حذيفة وعبد الله بن الزبير ومكرم بن نيار وجماعة غيرهم هذا مما لا يتمادى فيه احد ممن له علم بالاخبار ولقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم برمي اجساد قتلى الكفار من قريش يوم بدر في القليب والقى التراب عليهم وهم شر خلق الله تعالى وامر عليه السلام ان يحفر اخاديد لقتلى يهود قريظة وهم شر من وارته الارض فمواراة المؤمن والكافر فرض على المسلمين فكيف يجوز لذي حياء في وجهه ان ينسب الى علي وهو الامام ومن بالمدينة من الصحابة انهم تركوا رجلا ميتا ملقى بين اظهرهم على مزبلة لا يوارونه ولا نبالي مؤمنا كان او كافرا ولكن الله يابى الا ان يفضح الكذابين بالسنتهم ولو فعل هذا علي لكانت جرحة لانه لا يخلوا ان يكون عثمان كافرا او فاسقا أو مؤمنا فان كان كافرا او فاسقا عنده فقد كان فرضا على علي ان يفسخ احكامه في المسلمين فاذ لم يفعل فقد صح انه كان مؤمنا عنده فكيف يجوز ان ينسب ذو حياء الى علي انه ترك مؤمنا مطروحا ميتا على مزبلة لايام دون مواراته

وعلمت أن الله جاز عبيده
يوم الحساب باحسن الاعمال
كان بعض العرب اذا حضره الموت يقول لولده ادفنوا معي راحلتي أحشر عليها فان لم تفعلوا حشرت على رجلي قال جريبة بن الاشيم الاسدي في الجاهلية وحضره الموت يوصي ابنه سعدا

ياسعد اما اهلكن فانني
أوصيك ان أخا الوصاة الاقرب
لا تتركن أباك يعثر راجلا
في الحشر يصرع لليدين وينكب
وأحمل اباك على بعير صالح
وتقي الخطيئة انه هو أقرب
ولعلي مما تركت مطية
في القبر أركبها اذا قيل اركبوا

وقال عمرو بن زيد ابن المتمني يوصي

ام كيف يجوز ان يظن به انه انفذ احكام كافر أو فاسق على اهل الاسلام ما احد أسوأ ثناء على علي من هؤلاء الكذبة الفجرة

﴿قال ابو محمد﴾ ومن البرهان على صحة ماقلناه ان من الجهل الفاضح ان يظن ظان ان عليا رضي الله عنه بلغ من التناقض في احكامه واتباع الهوى في دينه والجهل ان يترك سعد بن أبي وقاص وعبدالله بن عمر واسامة بن زيد وزيد بن ثابت وحسان بن ثابت ورافع بن خديج ومحمد بن مسلمة وكعب بن مالك وسائر الصحابة الذين لم يبايعوه فلا يجبرهم على بيعته وهم معه في المدينة وغيرها وهم والخوارج وهم يصيحون في نواحي المسجد باعلى أصواتهم بحضرته وهو على المنبر في مسجد الكوفة لا حكم الا الله لا حكم الا الله فيقول لهم رضي الله عنه لكم علينا ثلاث لا نمنعكم المساجد ولا نمنعكم حقكم من الفيء ولا نبدؤكم بقتال ولم يبدأهم بحرب حتى قتلوا عبدالله بن خباب ثم لم يقاتلهم بعد ذلك حتى دعاهم الى ان يسلموا اليه قتلة عبد الله بن خباب فلما قالوا كلنا قتله قاتلهم حينئذ ثم يظن به مع هذا كله انه يقاتل اهل الجمل لامتناعهم من بيعته هذا افك ظاهر وجنون محقق وكذب بحت بلا شك

﴿قال ابو محمد﴾ واما امر معاوية رضي الله عنه فبخلاف ذلك ولم يقاتله علي رضي الله عنه لامتناعه من بيعته لانه كان يسعه في ذلك ما وسع ابن عمر وغيره لكن قاتله لامتناعه من انفاذ اوامره في جميع ارض الشام وهو الامام الواجبة طاعته فعلي المصيب في هذا ولم ينكر معاوية قط فضل علي واستحقاقه الخلافة لكن اجتهاده اداه الى ان رأى تقديم اخذ القود من قتلة عثمان رضي الله عنه على البيعة ورأى نفسه أحق بطلب دم عثمان والكلام فيه عن ولد عثمان وولد الحكم بن ابي العاص لسنه ولقوته على الطلب بذلك كما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن سهل اخا عبد الله بن سهل المقتول بخيبر بالسكوت وهو اخو المقتول وقال له كبر كبر وروي الكبر الكبر فسكت عبد الرحمن وتكلم محيصة وحويصة ابنا مسعود وهما ابنا عم المقتول لانهما كانا أسن من اخيه فلم يطلب معاوية من ذلك الا ما كان له من الحق ان يطلبه واصاب في ذلك الاثر الذي ذكرنا وانما اخطأ في تقديمه ذلك على البيعة فقط فله اجر الاجتهاد في ذلك ولا اثم عليه فيما حرم من الاصابة كسائر المخطئين في اجتهادهم الذين اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لهم اجرا واحدا وللمصيب اجرين ولا عجب اعجب ممن يجيز الاجتهاد في الدماء وفي الفروج والانساب والاموال والشرائع التي يدان الله بها من تحريم وتحليل وايجاب ويعذر المخطئين في ذلك ويرى ذلك مباحا لليث والبتي وابي حنيفة والثوري ومالك والشافعي واحمد وداود واسحاق وابي ثور وغيرهم كزفر وابي يوسف ومحمد بن الحسن والحسن بن زياد وابن القاسم واشهب وابن الماجشون والمزني وغيرهم فواحد من هؤلاء يبيح دم هذا الانسان وآخر منهم يحرمه كمن حارب ولم يقتل او عمل عمل قوم لوط وغير هذا كثير وواحد منهم يبيح هذا الفرج وآخر منهم يحرمه كبكر انكحها أبوها وهي بالغة عاقلة بغير اذنها ولا رضاها وغير هذا كثير وكذلك في الشرائع والاوامر والانساب وهكذا فعلت المعتزلة بشيوخهم كواصل وعمرو وسائر شيوخهم وفقهائهم وهكذا فعلت الخوارج بفقهائهم ومفتيهم ثم يضيقون ذلك على من له الصحبة والفضل والعلم والتقدم والاجتهاد كمعاوية وعمرو ومن معهما من الصحابة رضي الله عنهم وانما اجتهدوا في مسائل دماء كالتي اجتهد فيها المفتون وفي المفتين من يرى قتل الساحر وفيهم من لا يراه وفيهم من يرى

ابنه عند موته شعرا
ابني زودني اذا فارقتني
في القبر راحلة برحل فاتر
للبعث أركبها اذا قيل اظعنوا
مستوثقين معا لحشر الحاشر
من لا يوافيه على عثراته
فالخلق بين مدفع أو عاثر
وكانوا يربطون الناقة معكوسة الرأس الى مؤخرها مما يلي ظهرها أو مما يلي كلكلها وبطنها ويأخذون ولية فيشدون وسطها ويقلدونها عنق الناقة ويتركونها كذلك حتى تموت عند القبر ويسمون الناقة بلية وقال بعضهم يشبه رجالا في بلية كالبلايا في أعناقها الولايا قال محمد ابن السائب الكلبي كانت العرب في جاهليتها تحرم أشياء نزل القرآن بتحريمها كانوا لا ينكحون الامهات

قتل الحر بالعبد وفيهم من لا يراه وفيهم من يرى قتل المؤمن بالكافر وفيهم من لا يراه فاى فرق بين هذه الاجتهادات واجتهاد معاوية وعمرو وغيرهما لولا الجهل والعمى والتخليط بغير علم وقد علمنا ان من لزمه حق واجب وامتنع من أدائه وقاتل دونه فانه يجب على الامام ان يقاتله وان كان منا وليس ذلك بمؤثر فى عدالته وفضله ولا بموجب له فسقا بل هو ماجور لاجتهاده ونيته فى طلب الخير فبهذا قطعنا على صواب على رضى الله عنه وصحة امامته وانه صاحب الحق وان له اجرين اجر الاجتهاد واجر الاصابة وقطعنا ان معاوية رضى الله عنه ومن معه مخطئون مجتهدون ماجورون اجرا واحدا وايضا فى الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اخبر عن مارقة تمرق بين طائفتين من امته يقتلها اولى الطائفتين بالحق فمرقت تلك المارقة وهم الخوارج من اصحاب على واصحاب معاوية فقتلهم على واصحابه فصح انهم اولى الطائفتين بالحق وايضا الخبر الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تقتل عمارا الفئة الباغية

(قال ابو محمد) المجتهد المخطئ اذا قاتل على ما يرى انه الحق قاصدا الى الله تعالى بنيته غير عالم بانه مخطئ فهو فئة باغية وان كان ماجورا ولا حد عليه اذا ترك القتال ولا قود واما اذا قاتل وهو يدرى انه مخطئ فهذا محارب تلزمه المحاربة والقود وهذا يفسق ويخرج لا المجتهد المخطئ وبيان ذلك قول الله تعالى * وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفئ الى أمر الله الى قوله انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم * فهذا نص قولنا دون نكاف تاويل ولا زوال عن موجب ظاهر الآية وقد سماهم الله عز وجل مؤمنين باغين بعضهم اخوة بعض فى حين تقاتلهم واهل العدل المبغى عليهم والمامورين بالاصلاح بينهم ولم يصفهم عز وجل بفسق من اجل ذلك التقاتل ولا بنقص ايمان وانما هم مخطئون فقط ولا يريد احد منهم قتل آخر وعمار رضى الله عنه قتله ابو الغادية يسار بن سبع السلمى شهد بيعة الرضوان فهو من شهداء الله له بانه علم ما فى قلبه وانزل السكينة عليه ورضى عنه فابو الغادية رضى الله عنه متأول مجتهد مخطئ فيه باغ عليه ماجور اجرا واحدا وليس هذا كقتلة عثمان رضى الله عنه لانهم لا مجال للاجتهاد فى قتله لانه لم يقتل احدا ولا حارب ولا قاتل ولا دافع ولا زنى بعد احصان ولا ارتد فيسوغ المحاربة تاويل بل هم فساق محاربون سافكون دما حراما عمدا بلا تاويل على سبيل الظلم والعدوان فهم فساق ملعونون

(قال ابو محمد) فاذ قد بطل هذا الامر وصح ان عليا هو صاحب الحق فالاحاديث التى فيها التزام البيوت وترك القتال انما هو بلا شك فيمن لم يلح له يقين الحق اين هو وهكذا نقول فاذا تبين الحق فقتال الفئة الباغية فرض بنص القرآن وكذلك ان كانتا معا باغيتين فقتالهما واجب لان كلام الله عز وجل لا يعارض كلام نبيه صلى الله عليه وسلم لانه كله من عند الله عز وجل قال الله عز وجل * وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى * وقال عز وجل * ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا * فصح يقينا ان كل ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو وحى من عند الله عز وجل اذ هو كذلك فليس شئ مما عند الله تعالى مختلفا والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) فلم يبق الا الكلام على الوجوه التى اعترض بها من رأى قتال على رضى الله عنه

ولا الدات ولا الخالات ولا العمات وكان أقبح مايصنعون ان يجمع الرجل بين الاختين أو يخلف على امرأة أبيه وكانوا يسمون من فعل ذلك الضيزن قال أوس بن حجر التميمي يعير قوما من بني قيس بن ثعلبة تناوبوا على امرأة أبيهم ثلاثة إحدا بعد واحد

بنكحها فكيرة وابشوا حول قبتها
مكاككم لابيه ضيزن سلف

وكان أول من جمع بين الاختين من قريش أبو احيحة سعيد بن العاص جمع بين هند وصفية ابنتى المغيرة ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم قال وكان الرجل من العرب اذا مات عن المرأة أو طلقها قام أكبر بنيه فان كان له فيها حاجة طرح ثوبه عليها وان لم يكن له حاجة

(قال ابو محمد) فنقول و بالله تعالى التوفيق اما قولهم ان أخذ القود واجب من قتلة عثمان رضي الله عنه المحاربين لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم الساعين في الارض بالفساد والهاتكين حرمة الاسلام والحرم والامامة والهجرة والخلافة والصحبة والسابقة فنعم وما خالفهم قط علي في ذلك ولا في البراءة منهم ولكنهم كانوا عددا ضخما جما لا طاقة له عليهم فقد سقط عن علي رضي الله عنه ما لا يستطيع عليه كما سقط عنه وعن كل مسلم ما عجز عنه من قيام بالصلاة والصوم والحج ولا فرق قال الله تعالى * لا يكلف الله نفسا الا وسعها * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أمرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم ولو ان معاوية بايع عليا لقوي به على اخذ الحق من قتلة عثمان فصح ان الاختلاف هو الذي اضعف يد علي عن انفاذ الحق عليهم ولولا ذلك لانفذ الحق عليهم كما انفذه على قتلة عبد الله بن خباب اذ قدر على مطالبة قتلته واما تعني معاوية في امتناعه من بيعة علي فتاخر علي عن بيعة ابي بكر فليس في الخطأ اسوة وعلى استقال ورجع وبايع بعد يسير فلو فعل معاوية مثل ذلك لاصاب ولبايع حينئذ بلا شك كل من امتنع من الصحابة من البيعة من اجل الفرقة واما تقارب ما بين علي وطلحة والزبير وسعد فنعم ولكن من سبقت بيعته وهو من أهل الاستحقاق والخلافة فهو الامام الواجبة طاعته فيما امر به من طاعة الله عز وجل سواء كان هنالك من هو مثله او افضل كما سبقت بيعة عثمان فوجبت طاعته وامامته على غيره ولو بويع هنالك حينئذ وقت الشورى علي او طلحة او الزبير او عبد الرحمن او سعد لكان الامام وللزمت عثمان طاعته ولا فرق فصح ان عليا هو صاحب الحق والامام المفترضة طاعته ومعاوية مخطئ ماجور مجتهد وقد يخفى الصواب على الصاحب العالم فيما هو ابين واوضح من هذا الامر من احكام الدين فربما رجع اذا استبان له وربما لم يستبن له حتى يموت عليه وما توفيقنا الا بالله عز وجل وهو المسئول العصمة والهداية لا اله الا هو

(قال ابو محمد) طلب علي حقه فقاتل عليه وقد كان تركه ليجمع كلمة المسلمين كما فعل الحسن ابنه رضي الله عنهما فكان له بذلك فضل عظيم قد تقدم به انذار رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال ان ابني هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين طائفتين عظيمتين من امتي فغبطه رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ومن ترك حقه رغبة في حقن دماء المسلمين فقد أتى من الفضل بما لا وراء ولا لوم عليه بل هو مصيب في ذلك و بالله تعالى التوفيق

(الكلام في امامة المفضول)

*(قال ابو محمد) ذهبت طوائف من الخوارج وطوائف من المعتزلة وطوائف من المرجئة منهم محمد بن الطيب الباقلاني ومن اتبعه وجميع الرافضة من الشيعة الى انه لا يجوز امامة من يوجد في الناس افضل منه وذهبت طائفة من الخوارج وطائفة من المعتزلة وطائفة من المرجئة وجميع الزيدية من الشيعة وجميع اهل السنة الى ان الامامة جائزة لمن غيره افضل منه

(قال ابو محمد) واما الرافضة فقالوا ان الامام واحد معروف بعينه في العالم على ما ذكرنا من اقوالهم الذي قد تقدم افسادنا لها والحمد لله رب العالمين وما نعلم لمن قال ان الامامة لا تجوز الا لافضل من يوجد حجة اصلا لا من قرآن ولا من سنة ولا من اجماع ولا من صحة عقل ولا من قياس ولا قول صاحب وما كان هكذا فهو احق قول بالاطراح وقد قال ابو بكر رضي الله عنه يوم السقيفة قد رضيت لكم احد هذين الرجلين يعني اباعبيدة وعمر وابو

تزوجها بعض اخوته بمهر جديد قال كانوا يخطبون المرأة الى ابيها والى اخيه أو عمها أو بعض بني عمها وكان يخطب الكفوء الى الكفوء فان كان احدهما اشرف من الآخر في النسب رغب له في المال وان كان هجينا خطب الى هجين فزوجه هجينة مثله ويقول الخاطب اذا اتاهم انعموا صباحا ثم يقول نحن اكفاؤكم ونظراؤكم فان زوجتمونا فقد اصبنا رغبة واصبتمونا وكنا لصهركم حامدين وان رددتمونا لعلة نعرفها رجعنا عاذرين فان كان قريب القرابة من قومه قال لها ابوها أو اخوها اذا حملت اليه ايسرت أذكرت ولا آنثت جعل الله منك عددا وعزا وخلدا احسني خلقك واكرمي زوجك وليكن

بكر افضل منهما بلا شك فما قال احد من المسلمين انه قال من ذلك بما لا يحل في الدين ودعت الانصار الى بيعة سعد بن عبادة وفي المسلمين عدد كثير كلهم افضل منه بلا شك فصح بما ذكرنا اجماع جميع الصحابة رضي الله عنهم على جواز امامة المفضول ثم عهد عمر رضي الله عنه الى ستة رجال ولا بد ان لبعضهم على بعض فضلا وقد اجمع اهل الاسلام حينئذ على انه ان بويع احدهم فهو الامام الواجبة طاعته وفي هذا اطباق منهم على جواز امامة المفضول ثم مات علي رضي الله عنه فبويع الحسن ثم سلم الامر الى معاوية وفي بقايا الصحابة من هو افضل منهما بلا خلاف ممن انفق قبل الفتح وقاتل فكلهم اولهم عن آخرهم بايع معاوية ورأى امامته وهذا اجماع متيقن بعد اجماع على جواز امامة من غيره افضل بيقين لا شك فيه الى ان حدث من لا وزن له عند الله تعالى فخرقوا الاجماع بآرائهم الفاسدة بلا دليل ونعوذ بالله من الخذلان

(قال ابو محمد) والعجب كله كيف يجتمع قول الباقلاني انه لا تجوز الامامة لمن غيره من الناس افضل منه وهو قد جوز النبوة والرسالة لمن غيره من الناس افضل منه فانه صرح فيما ذكره عنه صاحبه ابو جعفر السمناني الاعمى قاضي الموصل بانه جائز ان يكون في الامة من هو افضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم من حين بعث الى ان مات

﴿قال ابو محمد﴾ ما في خذلان الله عز وجل احق من هاتين القضيتين لا سيما اذا اقترنتا والحمد لله على الاسلام فان قال قائل كيف تحتجون هنا بقول الانصار رضي الله عنهم في دعائهم الى سعد بن عبادة وهو عندكم خطأ وخلاف للنص من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف تحتجون في هذا أيضا بقول ابي بكر رضيت لكم احد هذين وخلافة ابي بكر عندكم نص من رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن اين له ان يترك ما نص عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا وبالله تعالى التوفيق ان فعل الانصار رضي الله عنهم انتظم حكمين احدهما تقديم من ليس قرشيا وهذا خطأ وقد خالفهم فيه المهاجرون فسقطت هذه القضية والثاني جواز تقديم من غيره افضل منه وهذا صواب وافقهم عليه ابو بكر وغيره فصار اجماعا فقامت به الحجة وليس خطأ من اخطأ في قول وخالفه فيه من اصاب الحق بموجب ان لا يحتج بصوابه الذي وافقه فيه اهل الحق وهذا ما لا خلاف فيه وبالله تعالى التوفيق واما امر ابي بكر فان الحق كان له بالنص وللمرء ان يترك حقه اذا رأى في تركه اصلاح ذات بين المسلمين ولا فرق بين عطية اعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين منزلة صيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم لانسان فكان له ان يتجافى عنها لغيره اذ لم يمنعه من ذلك نص ولا اجماع وبالله تعالى التوفيق

﴿قال ابو محمد﴾ وبرهان صحة قول من قال ان الامامة جائزة لمن غيره افضل منه وبطلان قول من خالف ذلك انه لا سبيل الى ان يعرف الافضل الا بنص او اجماع او معجزة تظهر فالمعجزة ممتنعة ههنا بلا خلاف وكذلك الاجماع وكذلك النص وبرهان آخر وهو ان الذي كلفوا به من معرفة الافضل ممتنع محال لان قريشا متفرقون في البلاد من اقصى السند الى اقصى الاندلس الى اقصى اليمن وصحارى البربر الى اقصى ارمينية واذربيجان وخراسان فما بين ذلك من البلاد فمعرفة اسمائهم ممتنع فكيف معرفة احوالهم فكيف معرفة افضلهم وبرهان آخر وهو انا بالحس والمشاهدة ندري انه لا يدري احد فضل انسان على غيره ممن

طيبك الماء واذا زوجت في غربة قال لها الأيسرت ولا أذكرت فانك تدنين العداء او تلدين الاعداء احسني خلقك وتحببي الى احمائك فان لهم عينا ناظرة عليك وأذنا سامعة وليكن طيبك الماء وكانوا يطلقون ثلاثا على التفرقة قال عبد الله بن عباس أول من طلق ثلاثا اسماعيل بن ابراهيم بثلاث كرات وكانت العرب تفعل ذلك فيطلقها واحدة وهو أحق الناس بها حتى اذا استوفى الثلاث انقطع السبيل عنها ومنه قول الاعشى حين تزوج امرأة فرغب عنه فاتاه قومها فهددوه بالضرب أو يطلقها شعرا

يا جارتي بيني فانك طالقة
كذاك أمور الناس غاد وطارقة

بعد الصحابة رضي الله عنهم الا بالظن والحكم بالظن لا يحل قال الله تعالى ذاما لقوم * ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين * وقال تعالى * ما لهم به من علم ان هم الا يخرصون وقال تعالى * قتل الخراصون * وقال تعالى * ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ام للانسان ما تمنى * وقال تعالى ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث وأيضا فانا وجدنا الناس يتفاضلون في الفضائل فيكون الواحد ازهد ويكون الواحد اورع ويكون الآخر اسوس ويكون الرابع أشجع ويكون الخامس اعلم وقد يكونون متقاربين في التفاضل لا يبين التفاوت بينهم فبطل معرفة الافضل وصح ان هذا القول فاسد وتكليف ما لا يطاق والزام ما لا يستطاع وهذا باطل لا يحل والحمد لله رب العالمين ثم وجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قلد النواحي وصرف تنفيذ جميع الاحكام التي تنفذها الائمة الى قوم كان غيرهم بلا شك افضل منهم فاستعمل على اعمال اليمن معاذ بن جبل وابا موسى وخالد بن الوليد وعلى عمان عمرو بن العاص وعلى نجران ابا سفيان وعلى مكة عتاب بن اسيد وعلى الطائف عثمان بن ابي العاص وعلى البحرين العلاء بن الحضرمي ولا خلاف في ان ابا بكر وعمر وعثمان وعليا وطلحة والزبير وعمار بن ياسر وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وابا عبيدة وابن مسعود وبلالا وابا ذر افضل ممن ذكرنا فصح يقينا ان الصفات التي يستحق بها الامامة والخلافة ليس منها التقدم في الفضل وايضا فان الفضائل كثيرة جدا منها الورع والزهد والعلم والشجاعة والسخاء والحلم والعفة والصبر والصرامة وغير ذلك ولا يوجد احد يبين في جميعها بل يكون بائنا في بعضها ومتأخرا في بعضها فاي ابواب الفضل من لا يجيز امامة المفضول فان اقتصر على بعضها كان مدعيا بلا دليل وان عم جميعها كلف من لا سبيل الى وجوده ابدا في احد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا شك في ذلك فقد صح [illegible] في امامة المفضول وبطل قول من قال غير ذلك وبالله تعالى التوفيق

قال ابو محمد رحمه الله وذكر الباقلاني في شروط الامامة احد عشر شرطا وهذا ايضا دعوى بلا برهان وما كان هكذا فهو باطل فوجب ان نطلب شروط الامامة التي لا تجوز الامامة لغير من هن فيه فوجدناها ان يكون صليبة من قريش لاخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الامامة فيهم وان يكون بالغا مميزا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلاثة فذكر الصبي حتى يحتلم والمجنون حتى يفيق وان يكون رجلا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفلح قوم اسندوا امرهم الى امرأة وان يكون مسلما لان الله تعالى يقول * ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا * [illegible] ولانه تعالى امر باصغار اهل الكتاب واخذهم باداء الجزية وقتل من لم يكن من اهل الكتاب حتى يسلموا وان يكون متقدما لامره عالما بما يلزمه من فرائض الدين متقيا لله تعالى بالجملة غير معلن بالفساد في الارض لقول الله تعالى * وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان * لان من قدم من لا يتقي الله عز وجل ولا في شيء من الاشياء او معلنا بالفساد في الارض غير مأمون او من لا ينفذ امرا او من لا يدري شيئا من دينه فقد اعان على الاثم والعدوان ولم يعن على البر والتقوى وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد وقال عليه السلام يا ابا ذر انك ضعيف لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم وقال تعالى * فان

كان

قالوا ثانية قال
و[illegible] فان ابين خير من الصفا
وان لا ترى فوق رأسك
بارقة قالوا ثالثة قال
و[illegible] حصان الفرح
غير فميمة
و[illegible] قد [illegible]
فينا وواقية
قال وكان أهل الجاهلية في
النكاح [illegible]
[illegible] وامرأة يكون لها
خليل [illegible] ولدت
قالت هو لفلان فيتزوجها
بعد ذلك وامرأة ذات راية
[illegible]
[illegible]
[illegible]
وشاة [illegible] القسمة قال
[illegible] الميت
[illegible] يحرمون
[illegible]
[illegible]
[illegible]

كان الذى عليه الحق سفيها او ضعيفا) الآية فصح ان السفيه والضعيف ومن لا يقدر على شيء فلا بد له من ولى ومن لا بد له من ولى فلا يجوز ان يكون وليا للمسلمين فصح ان ولاية من لم يستكمل هذه الشروط الثمانية باطل لا يجوز ولا ينعقد اصلا ثم يستحب ان يكون عالما بما يخصه من امور الدين من العبادات والسياسة والاحكام مؤديا للفرائض كلها لا يخل بشيء منها مجتنبا لجميع الكبائر سرا وجهرا مستترا بالصغائر ان كانت منه فهذه اربع صفات يكره ان يلي الامة من لم ينتظمها فان ولى فولايته صحيحة ونكرهها وطاعته فيما اطاع الله فيه واجبة ومنعه مما لم يطع الله فيه واجب والغاية المأمولة فيه ان يكون رفيقا بالناس في غير ضعف شديدا في انكار المنكر من غير عنف ولا تجاوز للواجب مستيقظا غير غافل شجاع النفس غير مانع للمال في حقه ولا مبذر له في غير حقه ويجمع هذا كله ان يكون الامام قائما باحكام القرآن وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا يجمع كل فضيلة

(قال ابو محمد) ولا يضر الامام ان يكون في خلقه عيب كالاعمى والاصم والاجدع والاجذم والاحدب والذى لا يدان له ولا رجلان ومن بلغ الهرم ما دام يعقل ولو انه ابن مائة عام ومن يعرض له الصرع ثم يفيق ومن بويع اثر بلوغه الحلم وهو مستوف لشروط الامامة فكل هؤلاء امامتهم جائزة اذ لم يمنع منها نص قرآن ولا سنة ولا اجماع ولا نظر ولا دليل اصلا بل قال تعالى * كونوا قوامين بالقسط * فمن قام بالقسط فقد ادى ما امر به ولا خلاف بين احد من اهل الاسلام في انه لا يجوز التوارث فيها ولا في انها لا تجوز لمن لم يبلغ حاشا الروافض فانهم اجازوا كلا الامرين ولا خلاف بين احد في انها لا تجوز لامرأة وبالله تعالى نتأيد

الكلام في عقد الامامة بماذا تصح

(قال ابو محمد) ذهب قوم الى ان الامامة لا تصح الا باجماع فضلاء الامة في اقطار البلاد وذهب آخرون الى ان الامامة انما تصح بعقد اهل حضرة الامام والموضع الذى فيه قرار الائمة وذهب ابو على محمد بن عبد الوهاب الجبائي الى ان الامامة تصح بعقد خمسة رجال ولم يختلفوا في ان عقد الامامة تصح بعهد من الامام الميت اذا قصد فيه حسن الاختيار للامة عند موته ولم يقصد بذلك هوى وقد ذكرنا فساد قول الروافض وقول الكيسانية ومن ادعى امامة رجل بعينه وانها ان كل ذلك دعاوى لا برهان عليها ولسان اذا لم يتق الله ولا استحيا من الناس اذ لا دليل على شيء منها

(قال ابو محمد) اما من قال ان الامامة لا تصح الا بعقد فضلاء الامة في اقطار البلاد فباطل لانه تكليف ما لا يطاق وما ليس في الوسع وما هو اعظم الحرج والله تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها وقال تعالى * وما جعل عليكم في الدين من حرج *

(قال ابو محمد) ولا حرج ولا تعجيز اكثر من تعرف اجماع من في المولتان والمنصورة الى بلاد مهرة الى عدن الى اقاصى المصامدة الى طنجة الى الاشبونة الى جزائر البحر الى سواحل الشام الى ارمينية وجبل الفتح الى اسفيجاب وفرغانة واسروسنة الى اقاصى خراسان الى الجرجان الى كابل الى المولتان فما بين ذلك من المدن والقرى ولا بد من ضياع امور المسلمين قبل ان يجمع جزء من مائة جزء من فضلاء اهل هذه البلاد فبطل هذا القول الفاسد مع انه لو كان ممكنا لما لزم لانه دعوى بلا برهان وانما قال الله تعالى * ... *

ويمسحون الحجر ويسعون بين الصفا والمروة قال ابو طالب

وأشواط بين المروتين الى الصفا
وما فيهما من صورة وتخايل

وكانوا يلبون الا ان بعضهم كان يشرك في تلبيته في قوله الا شريك هو لك تملكه وما ملك ويقفون المواقف كلها قال العدوى

وأقسم بالبيت الذى حجت له
قريش وموقف ذى الحجيج على الال

وكانوا يهدون الهدايا ويرمون الجمار ويحرمون الاشهر الحرم فلا يغيرون ولا يقاتلون فيها الا طيء وخثعم وبعض بني الحارث بن كعب فانهم كانوا لا يحجون ولا يعتمرون ولا يحرمون الاشهر الحرم ولا البلد الحرام واذا اصيبت قريش الحرب

والتقوى وكونوا قوامين بالقسط* فهذان الامران متوجهان احدهما الى كل انسان في ذاته ولا يسقط عنه وجوب القيام بالقسط انتظار غيره في ذلك واما التعاون على البر والتقوى فمتوجه الى كل اثنين فصاعدا لان التعاون فعل من فاعلين وليس فعل واحد ولا يسقط عن الاثنين فرض تعاونهما على البر والتقوى انتظار ثالث اذ لو كان ذلك لما لزم احدا قيام بقسط ولا تعاون على بر وتقوى اذ لا سبيل الى اجتماع اهل الارض على ذلك ابدا لتباعد اقطارهم والتخلف من يتخلف عن ذلك لعذر او على وجه المعصية ولو كان هذا لكان امر الله تعالى بالقيام بالقسط وبالتعاون على البر والتقوى باطلا فارغا وهذا خروج عن الاسلام فسقط القول المذكور وبالله تعالى التوفيق واما قول من قال أن عقد الامامة لا يصح الا بعقد اهل حضرة الامام واهل الموضع الذي فيه قرار الائمة فان اهل الشام كانوا قد ادعوا ذلك لانفسهم حتى حملهم ذلك على بيعة مروان وابنه عبد الملك واستحلوا بذلك دماء اهل الاسلام (قال ابو محمد) وهو قول فاسد لا حجة لاهله وكل قول في الدين عرى عن ذلك من القرآن او من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم او من اجماع الامة المتيقن فهو باطل بيقين قال الله تعالى * قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين * فصح أن من لا برهان له على صحة قوله فليس صادقا فيه فسقط هذا القول ايضا واما قول الجبائي فانه لما فيه فعل عمر رضي الله عنه في الشورى اذ قلدها ستة رجال وامرهم ان يختاروا واحدا منهم فصار الاختيار منهم بخمسة فقط

(قال ابو محمد) وهذا ليس بشيء لوجوه اولها ان عمر لم يقل أن تقليد الاختيار اقل من خمسة لا يجوز بل قد جاء عنه انه قال ان مال ثلاثة منهم الى واحد وثلاثة الى واحد فاتبعوا الثلاثة الذين فيهم عبد الرحمن ابن عوف فقد اجاز عقد ثلاثة ووجه ثان وهو ان فعل عمر رضي الله عنه لا يلزم الامة حتى يوافق نص قرآن او سنة وعمر كسائر الصحابة رضي الله عنهم لا يجوز ان يخص بوجوب اتباعه دون غيره من الصحابة رضي الله عنهم وثالثها او ان اولئك الخمسة رضي الله عنهم قد تبرؤا من الاختيار وجعلوه الى واحد منهم يختار لهم وللمسلمين من يراه اهلا للامامة وهو عبد الرحمن بن عوف وما انكر ذلك احد من الصحابة الحاضرين ولا الغائبين اذ بلغهم ذلك فقد صح اجماعهم على ان الامامة تنعقد بواحد فان قال قائل انما جاز ذلك لان خمسة من فضلاء المسلمين قلدوه قيل له ان كان هذا عندك اعتراضا فالتزم مثله سواء بسواء ممن قال لك انما صح عقد اولئك الخمسة لان الامام الميت قلدهم ذلك ولولا ذلك لم يجز عقدهم وبرهان ذلك انما تم عقدهم الاختيار منهم لا من غيرهم فلو اختاروا من غيرهم لما لزم الانقياد لهم فلا يجوز عقد خمسة او اكثر الا اذا قلدهم الامام فلك او ممن قال لك انما صح عقد اولئك الخمسة لاجماع فضلاء اهل ذلك العصر على الرضا بمن اختاروه ولو لم يجمعوا على الرضا لما جاز عقدهم وهذا ما لا مخلص منه اصلا فبطل هذا القول بيقين لا اشكال فيه والحمد لله رب العالمين فاذ قد بطلت هذه الاقوال كلها فالواجب النظر في ذلك على ما اوجبه الله تعالى في القرآن والسنة واجماع المسلمين كما افترض علينا عز وجل اذ يقول * واطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر * فوجدنا عقد الامامة يصح بوجوه اولها وافضلها واصحها ان يعهد الامام الميت الى انسان يختاره اماما بعد موته

التي كانت بينها وبين غيرها عام الفجار وكانوا يكرهون الظلم في الحرم وقالت امرأة منهم تنهى ابنها من الظلم

ابني لا تظلم بمكـ
ـة لا الصغير ولا الكبير
ابني من يظلم بمكـ
ـة يلق أطراف الشرور

وكان منهم من ينسئ الشهور وكانوا يكبسون في كل عامين شهرا وفي كل ثلاثة أعوام شهرا وكانوا اذا حجوا في شهر من هذه السنة لم يحطوا ان يحلوا يوم التروية ويوم عرفة ويوم النحر كهيئة ذلك في شهر ذي الحجة حتى يكون يوم النحر يوم العاشر من ذلك الشهر ويقيمون في ملا يقفون في يوم عرفة ولا في أيام منى وفيهم أنزلت * انما النسيء زيادة في الكفر *

وسواء فعل ذلك في صحته او في مرضه وعند موته اذ لا نص ولا اجماع على المنع من احد هذه الوجوه كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بابي بكر وكما فعل ابو بكر بعمر وكما فعل سليمان بن عبد الملك بعمر بن عبد العزيز وهذا هو الوجه الذي نختاره ونكره غيره لما في هذا الوجه من اتصال الامامة وانتظام امر الاسلام واهله ورفع ما يتخوف من الاختلاف والشغب مما يتوقع في غيره من بقاء الامة فوضى ومن انتشار الامر وارتفاع النفوس وحدوث الاطماع ﴿قال ابو محمد﴾ انما انكر من انكر من الصحابة رضي الله عنهم ومن التابعين بيعة يزيد بن معاوية والوليد وسليمان لانهم كانوا غير مرضيين لا لان الامام عهد اليهم في حياته والوجه الثاني ان مات الامام ولم يعهد الى احد ان يبادر رجل مستحق للامامة فيدعو الى نفسه ولا منازع له ففرض اتباعه والانقياد لبيعته والتزام امامته وطاعته كما فعل علي اذ قتل عثمان رضي الله عنهما او كما فعل ابن الزبير رضي الله عنهما وقد فعل ذلك خالد بن الوليد اذ قتل الامراء زيد بن حارثة وجعفر بن ابي طالب وعبد الله بن رواحة فاخذ خالد الراية عن غير امره وصوب ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ بلغه فعله وساعد خالدا جميع المسلمين رضي الله عنهم او ان يقوم كذلك عند ظهور منكر يراه فتلزم معاونته على البر والتقوى ولا يجوز التاخر عنه لان ذلك معاونة على الاثم والعدوان وقد قال عز وجل * وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان * كما فعل يزيد بن الوليد ومحمد بن هارون المهدي رحمهم الله والوجه الثالث ان يصير الامام عند وفاته اختيار خليفة المسلمين الى رجل ثقة او الى اكثر من واحد كما فعل عمر رضي الله عنه عند موته وليس عندنا في هذا الوجه الا التسليم لما اجمع عليه المسلمون حينئذ ولا يجوز التردد في الاختيار اكثر من ثلاث ليال للثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله من بات ليلة ليس في عنقه بيعة ولان المسلمين لم يجتمعوا على ذلك اكثر من ذلك والزيادة على ذلك باطل لا يحل على ان المسلمين يومئذ من حين موت عمر رضي الله عنه قد اعتقدوا بيعة لازمة في اعناقهم لازمة لاحد اولئك الستة بلا شك فهم وان لم يعرفوه بعينه فهو بلا شك واحد من اولئك الستة فباحد هذه الوجوه تصح الامامة ولا تصح بغير هذه الوجوه الستة

﴿قال ابو محمد﴾ فان مات الامام ولم يعهد الى انسان بعينه فوثب رجل يصلح للامامة فبايعه واحد فاكثر ثم قام آخر ينازعه ولو بطرفة عين بعده فالحق حق الاول وسواء كان الثاني افضل منه او مثله او دونه لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فوا ببيعة الاول فالاول من جاء ينازعه فاضربوا عنقه كائنا من كان فلو قام اثنان فصاعدا معا في وقت واحد ييئس من معرفة ايهما سبقت بيعته نظر انضلهما واسوسهما فالحق له ووجب نزع الآخر لقول الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان * ومن البر تقديم الاسوس وليس هذا بيعة منعقدة يجب الوفاء بها ومحاربة من نازع صاحبها اذا استويا في الفضل قدم الاسوس نعم وان كان اقل فضلا اذا كان مؤديا للفرائض والسنن مجتنبا للكبائر مستترا بالصغائر لان الغرض من الامامة حسن السياسة والقوة على القيام بالامور فان استويا في الفضل والسياسة اقرع بينهما او نظر في غير ذلك والله عز وجل لا يضيق على عباده هذا الضيق ولا يوقعهم على هذا الحرج لقوله تعالى * وما جعل عليكم في الدين من حرج * وهذا اعظم الحرج وبالله تعالى التوفيق

وكانوا اذا ذبحوا للاصنام لطخوها بدم الهدايا يلتمسون بذلك الزيادة في اموالهم وكان قصي ابن كلاب ينهى عن عبادة غير الله من الاصنام وهو القائل

أربا واحدا أم ألف رب
أدين اذا تقسمت الامور
تركت اللات والعزى جميعا
كذلك يفعل الرجل البصير

وقيل هي لزيد بن عمرو بن نفيل وقيل للملتمس بن أمية الكناني يحذف العرب بفناء الكعبة أطيعوني ترشدوا قالوا وما ذاك قال انكم قد تفردتم بآلهة شتى واني لاعلم ما الله راض به وان الله رب هذه الآلهة وانه ليحب ان يعبد وحده قال فتفرقت عنه العرب حين قال ذلك وتجنبت عنه طائفة وزعمت انه على دين بني تميم قال

الامر بالمعروف والنهى عن المنكر

(قال ابو محمد) اتفقت الامة كلها على وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر بلا خلاف من احد منهم لقول الله تعالى * ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر * ثم اختلفوا فى كيفيته فذهب بعض اهل السنة من القدماء من الصحابة رضي الله عنهم فمن بعدهم وهو قول احمد بن حنبل وغيره وهو قول سعد بن ابى وقاص واسامة ابن زيد وابن عمر ومحمد بن مسلمة وغيرهم الى ان الغرض من ذلك انما هو بالقلب فقط ولا بد او باللسان ان قدر على ذلك ولا يكون باليد ولا بسل السيوف ووضع السلاح اصلا وهو قول ابي بكر ابن كيسان الاصم وبه قالت الروافض كلهم ولو قتلوا كلهم الا انها لم تر ذلك الا ما لم يخرج الناطق فاذا خرج وجب سل السيوف حينئذ معه والا فلا واقتدى أهل السنة فى هذا بعثمان رضى الله عنه وممن ذكرنا من الصحابة رضى الله عنهم وبمن رأى القعود منهم الا ان جميع القائلين بهذه المقالة من اهل السنة انما رأوا ذلك ما لم يكن عدلا فان كان عدلا وقام عليه فاسق وجب عندهم بلا خلاف سل السيوف مع الامام العدل وقد روينا عن ابن عمر انه قال لا ادرى من هي الفئة الباغية ولو علمنا ما سبقتنى انت ولا غيرك الى قتالها

(قال ابو محمد) وهذا الذى لا يظن باولئك الصحابة رضى الله عنهم غيره وذهبت طوائف من اهل السنة وجميع المعتزلة وجميع الخوارج والزيدية الى ان سل السيوف فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب اذا لم يمكن دفع المنكر الا بذلك قالوا فاذا كان اهل الحق فى عصابة يمكنهم الدفع ولا ييأسون من الظفر ففرض عليهم ذلك وان كانوا فى عدد لا يرجون لقلتهم وضعفهم بظفر كانوا فى سعة من ترك التغيير باليد وهذا قول على بن ابى طالب رضى الله عنه وكل من معه من الصحابة وقول ام المؤمنين عائشة رضى الله عنها وطلحة والزبير وكل من كان معهم من الصحابة وقول معاوية وعمرو والنعمان بن بشير وغيرهم ممن معهم من الصحابة رضى الله عنهم اجمعين وهو قول عبد الله بن الزبير ومحمد والحسن بن على وبقية الصحابة من المهاجرين والانصار القائمين يوم الحرة رضى الله عن جميعهم اجمعين وقول كل من اقام على الفاسق الحجاج ومن والاه من الصحابة رضي الله عن جميعهم كانس بن مالك وكل من كان ممن ذكرنا من افاضل التابعين كعبد الرحمن ابن ابى ليلى وسعيد بن جبير وابن البحترى الطائى وعطاء السلمى الازدى والحسن البصرى ومالك بن دينار ومسلم بن بشار وابى الحوراء والشعبى وعبد الله بن غالب وعقبة بن عبد الغافر وعقبة بن صهبان وماهان والمطرف بن المغيرة ابن شعبة وابى المعد وحنظلة بن عبد الله وابى سح الهنائى وطلق بن حبيب والمطرف بن عبد الله ابن الشخير والنضر بن انس وعطاء بن السائب وابراهيم بن يزيد التيمى وابى الحوساء وجبلة بن زحر وغيرهم ثم من بعد هؤلاء من تابعى التابعين ومن بعدهم كعبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر وكعبد الله بن عمر ومحمد بن عجلان ومن خرج مع محمد بن عبد الله بن الحسن وهاشم بن بشر ومطر الوراق ومن خرج مع ابراهيم بن عبد الله وهو الذى تدل عليه اقوال الفقهاء كابى حنيفة والحسن بن حى وشريك ومالك والشافعى وداود واصحابهم فان كل من ذكرنا من قديم وحديث اما ناطق بذلك فى فتواه واما فاعل لذلك بسل سيفه فى انكار ما رأوه منكرا

(قال ابو محمد) احتجت الطائفة المذكورة اولا باحاديث فيها انقاتلهم يا رسول الله قال لا ما صلوا وفى بعضها الا ان تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان وفى بعضها وجوب

وكانوا يغتسلون من الجنابة ويغسلون موتاهم قال الافوه الازدى

ألا عللانى واعلما اننى غرر
فما قلت يتحيى الشقاق ولا الحذر
وما فات يحدى ثوابى اذا بدت
مفاصل أوصالى وقد شخص البصر
وجاؤا بماء بارد يغسلوننى
فيالك من غسل سيتبعه غبر

قال وكانوا يكفنون موتاهم ويصلون عليهم وكانت صلاتهم اذا مات الرجل وحمل على سريره يقوم وليه فيذكر محاسنه كلها ويثنى عليه ثم يدفن ثم يقول عليك رحمة الله وقال رجل من كان فى الجاهلية لابن ابن له شعرا

أعمرو ان هلكت وكنت حيا
فانى مكثر لك فى صلاتى
واحمل نصف مالى لابن سام
حياتى ان حييت وفى مماتى

الضرب

الضرب وان ضرب ظهراحدنا واخذ ماله وفي بعضها فان خشيت ان يبهرك شعاع السيف فاطرح ثوبك على وجهك وقل اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وفي بعضها كن عبدالله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وبقوله تعالى * واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر * الاية

﴿ قال ابو محمد ﴾ كل هذا لاحجة لهم فيه لما قد تقصيناه غاية التقصي خبرا خبرا باسانيدها ومعانيها في كتابنا الموسوم بالاتصال الى فهم معرفة الخصال ونذكر منه ان شاء الله هاهنا جملا كافية وبالله تعالى نتأيد اما امره صلى الله عليه وسلم بالصبر على اخذ المال وضرب الظهر فانما ذلك بلا شك اذا تولى الامام ذلك بحق وهذا مالا شك فيه انه فرض علينا الصبر له وان امتنع من ذلك بل من ضرب رقبته ان وجب عليه فهو فاسق عاص لله تعالى واما ان كان ذلك بباطل فمعاذ الله ان يامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصبر على ذلك برهان هذا قول الله عز وجل * وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان * وقد علمنا ان كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخالف كلام ربه تعالى قال الله عز وجل * وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى * وقال تعالى * ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا * فصح ان كل ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو وحي من عند الله عز وجل لا اختلاف فيه ولا تعارض ولا تناقض * فاذا كان هذا كذلك فبيقين لاشك فيه يدري كل مسلم ان اخذ مال مسلم او ذمي بغير حق وضرب ظهره بغير حق اثم وعدوان وحرام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان دماءكم واموالكم واعراضكم حرام عليكم فاذ لاشك في هذا ولا اختلاف من احد من المسلمين فالمسلم ماله للاخذ ظلما وظهره للضرب ظلما وهو يقدر على الامتناع من ذلك باي وجه امكنه معاون لظالمه على الاثم والعدوان وهذا حرام بنص القرآن * واما سائر الاحاديث التي ذكرنا وقصة ابني آدم فلا حجة في شيء منها اما قصة ابني آدم فتلك شريعة اخرى غير شريعتنا قال الله عز وجل * لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا * واما الاحاديث فقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ان استطاع فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان ليس وراء ذلك من الايمان شيء وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا طاعة في معصية انما الطاعة في الطاعة وعلى احدكم السمع والطاعة ما لم يؤمر بمعصية فان امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة وانه عليه السلام قال من قتل دون ماله فهو شهيد والمقتول دون دينه شهيد والمقتول دون مظلمة شهيد وقال عليه السلام لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليعمكم الله بعذاب من عنده فكان ظاهر هذه الاخبار معارضا للاخر فصح ان احدى هاتين الجملتين ناسخة للاخرى لا يمكن غير ذلك فوجب النظر في ايهما هو الناسخ [illegible] الاصل ولما كانت الحال عليه في اول الاسلام [illegible] وورد شريعة [illegible] ناسخ [illegible] الاحاديث ورفع حكمها [illegible] الحال الحرم [illegible] الناسخ [illegible] الناسخ [illegible] هذه الاخبار [illegible] كانت هي الناسخة [illegible] الله [illegible]

(١) رقما اي تم من قوله [illegible]

قال وكانوا يداومون على طهارات الفطرة التي ابتلى بها ابراهيم وهي الكلمات العشر فاتمهن خمس في الرأس وخمس في الجسد فاما اللواتي في الرأس فالمضمضة والاستنشاق وقص الشارب والفرق والسواك واما اللواتي في الجسد فالاستحاء وتقليم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة والختان فلما جاء الاسلام قررها سنة من السنن وكانوا يقطعون يد السارق اليمين اذا سرق وكانت ملوك اليمن وملوك الحيرة يصلبون الرجل اذا قطع الطريق وكانوا يوفون بالعهود ويكرمون الجار والضيف قال حاتم الطائي
اللهم ربي ورب اللهم
فاقسمت لا أرسو ولا اتعذر
لقد كان فيما اكثر الناس اسوة

لايحل ولو كان هذا لما اخلا الله عز وجل هذا الحكم عن دليل و برهان يبين رجوع المنسوخ ناسخا لقوله تعالى في القرآن تبيانا لكل شيء و برهان آخر وهو ان الله عز وجل قال * وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء * لم يختلف مسلمان في ان هذه الآية التي فيها فرض قتال الفئة الباغية محكمة غير منسوخة وصح انها الحاكمة في تلك الاحاديث فما كان موافقا لهذه الآية فهو الناسخ الثابت وما كان مخالفا لها فهو المنسوخ المرفوع وقد ادعى قوم ان هذه الآية وهذه الاحاديث في اللصوص دون السلطان

(قال ابو محمد) وهذا باطل متيقن لانه قول بلا برهان وما يعجز مدع ان يدعي في تلك الاحاديث انها في قوم دون قوم وفي زمان دون زمان والدعوى دون برهان لا تصح وتخصيص النصوص بالدعوى لا يجوز لانه قول على الله تعالى بلا علم وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سائلا سأله عن من طلب ماله بغير حق فقال عليه السلام لا تعطه قال فان قاتلني قال قاتله قال فان قتلته قال الى النار قال فان قتلني قال فانت في الجنة او كلاما هذا معناه وصح عنه عليه السلام انه قال المسلم اخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه وقد صح انه عليه السلام قال في الزكاة من سألها على وجهها فليعطها ومن سألها على غير وجهها فلا يعطها وهذا خبر ثابت رويناه من طريق الثقات عن انس بن مالك عن ابي بكر الصديق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا يبطل تأويل من تأول أحاديث القتال عن المال على اللصوص لان اللصوص لا يطلبون الزكاة وانما يطلبها السلطان فاقتصر عليه السلام بها اداءها على غير ما امر به عليه السلام ولو اجتمع اهل الحق ما قاواهم اهل الباطل وبالله المعونة والتوفيق

(قال ابو محمد) وما اعترضوا به من فعل عثمان واعلام قطانه يقتلوا انما كانوا يحاصرون فقط فهم لا يرون هذا اليوم الامام العدل لا يرون القتال معه ودونه ومن صافه فلا حجة لهم في امر عثمان رضي الله عنه وقال بعضهم ان في القيام ابادة الحريم وسفك الدماء واخذ الاموال وهتك الاستار وانتشار الامر فقال لهم الآخرون كلا لانه لا يحل لمن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ان يهتك حريما ولا ان ياخذ مالا بغير حق ولا ان يتعرض لمن لا يقاتله وان فعل شيئا من هذا فهو الذي فعل ما ينبغي ان يغير عليه واما قتله اهل المنكر قلوا او كثروا فهذا فرض عليه وانما قتل اهل المنكر الناس واخذهم اموالهم وهتكهم حريمهم فانما كله من المنكر الذي يلزم الناس تغييره وايضا فلو كان خوف ما ذكروا مانعا من تغيير المنكر ومن الامر بالمعروف لكان هذا بعينه مانعا من جهاد اهل الحرب وهذا لا يقوله مسلم وان ادى ذلك الى سبي النصارى نساء المسلمين واولادهم واخذ اموالهم وسفك دمائهم وهتك حريمهم ولا خلاف بين المسلمين في ان الجهاد واجب مع وجود هذا كله ولا فرق بين الامرين وكل ذلك جهاد ودعاء الى القرآن والسنة

(قال ابو محمد) يقال لهم ما تقولون في سلطان جعل اليهود اصحاب امره والنصارى جنده والزم المسلمين الجزية وحمل السيف على اطفال المسلمين واباح المسلمات للزنا وحمل السيف على كل من وجد من المسلمين وملك نساءهم واطفالهم واعلن العبث بهم وهو في كل ذلك مقر بالاسلام معلن به لا يدع الصلاة فان قالوا لا يجوز القيام عليه قيل لهم انه لا يدع مسلما الا قتله جملة وهذا ان ترك اوجب ضرورة الا يبقى الا هو وحده واهل الكفر معه فان اجازوا الصبر

كان لم يسق جحش ابعير ولا حمر
وكانوا اناسا وقتين بر بهم سكل مكان فيهم عابد بكر

اراء الهند

قد ذكرنا أن الهند امة كبيرة وملة عظيمة وآراؤهم مختلفة فمنهم البراهمة وهم المنكرون للنبوات أصلا ومنهم من يميل الى الدهر ومنهم من يميل الى الثنوية ويقول بملة ابراهيم عليه السلام واكثرهم على مذهب الصابئة ومناهجها فمن قائل بالروحانيات ومن قائل بالهياكل ومن قائل بالاصنام الا انهم مختلفون في شكل المسالك التي ابتدعوها وكيفية أشكال وضعوها ومنهم حكماء على طريقة اليونانيين علما وعملا فمن كانت طريقته على مناهج الدهرية والثنوية والصابئة فقد أغنانا حكاية مذاهبهم قبل عن حكاية مذهبه ومن انفرد منهم بمقالة

على هذا خالفوا الاسلام جملة وانسلخوا منه وان قالوا انه يقام عليه ويقاتل وهو قولهم قلنا لهم فان قتل تسعة أعشار المسلمين او جميعهم الا الواحد منهم وسبى من نسائهم كذلك واخذ من اموالهم كذلك فان منعوا من القيام عليه تناقضوا وان اوجبوا سألناهم عن أقل من ذلك ولا نزال نحطهم الى أن نقف بهم على قتل مسلم واحداً او على امرأة واحدة او على اخذ مال او على انتهاك بشرة بظلم فان فرقوا بين شيء من ذلك تناقضوا وتحكموا بلا دليل وهذا مالا يجوز وان أوجبوا انكار كل ذلك رجعوا الى الحق ونسألهم عمن قصد سلطانه الجائر الفاجر زوجته وابنته وابنه ليفسق بهم أو ليفسق به بنفسه أهو في سعة من اسلام نفسه وامرأته وولده وابنته للفاحشة ام فرض عليه ان يدفع من اراد ذلك منهم فان قالوا فرض عليه اسلام نفسه واهله اتوا بعظيمة لا يقولها مسلم وان قالوا بل فرض عليه ان يمتنع من ذلك ويقاتل رجعوا الى الحق ولزم ذلك كل مسلم في كل مسلم وفي المال كذلك

(قال ابو محمد) والواجب ان وقع شيء من الجور وان قل ان يكلم الامام في ذلك ويمنع منه فان امتنع وراجع الحق واذعن للقود من البشرة او من الاعضاء ولاقامة حد الزنا والقذف والخمر عليه فلا سبيل الى خلعه وهو امام كما كان لا يحل خلعه فان امتنع من انفاذ شيء من هذه الواجبات عليه ولم يراجع وجب خلعه واقامة غيره ممن يقوم بالحق لقوله تعالى *وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان* ولا يجوز تضييع شيء من واجبات الشرائع وبالله تعالى التوفيق

(الكلام في الصلاة خلف الفاسق)

(والجهاد معه واجب ودفع الزكاة اليه وتنفيذ احكامه من الاقضية والحدود وغير ذلك)

(قال ابو محمد) ذهبت طائفة الى انه لا يجوز الصلاة الا خلف الفاضل وهو قول الخوارج والزيدية والروافض وجمهور المعتزلة وبعض اهل السنة وقال آخرون الا الجمعة والعيدين وهو قول بعض اهل السنة وذهبت طائفة الصحابة كلهم دون خلاف من احد منهم وجميع فقهاء التابعين كلهم دون خلاف من احد منهم واكثر من بعدهم وجمهور اصحاب الحديث وهو قول احمد والشافعي وابي حنيفة وداود وغيرهم الى جواز الصلاة خلف الفاسق الجمعة وغيرها وبهذا نقول وخلاف هذا القول بدعة محدثة فما تأخر قط احد من الصحابة الذين ادركوا المختار بن عبيد والحجاج وعبيد الله بن زياد وحبيش بن دلجة وغيرهم عن الصلاة خلفهم وهؤلاء افسق الفساق واما المختار فكان متهماً في دينه مظنوناً به الكفر

(قال ابو محمد) احتج من قول بمنع الصلاة خلفهم بقول الله تعالى * انما يتقبل الله من المتقين *

(قال ابو محمد) فيقال لهم كل فاسق اذا ادى صلاته رجاء الله تعالى فهو في ذلك من المتقين فصلاته متقبلة ولو لم يكن من المتقين الا من لا ذنب له ما استحق احد هذا الاسم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل * ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة * ولا يجوز القطع على الفاسق بانه لم يرد بصلاته وجه الله تعالى ومن قطع بهذا فقد قفا ما لا علم له به وقال ما لا يعلم وهذا حرام وقال تعالى * ولا تقف ما ليس لك به علم * وقال عز وجل * وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم * وقال بعضهم ان صلاة المأموم مرتبطة بصلاة الامام

(قال ابو محمد) وهذا غاية الفساد لانه قول بلا دليل بل البرهان يبطله لقوله تعالى ولا

ورأى فيهم خمس فرق البراهمة واصحاب الروحانيات واصحاب الهياكل وعبدة الاصنام والحكماء ونحن نذكر مقالات هؤلاء كما وجدنا في كتبهم المشهورة البراهمة من الناس من يظن انهم سموا براهمة لانتسابهم الى ابراهيم عليه السلام وذلك خطأ فان هؤلاء القوم هم المخصوصون بنفي النبوات أصلا ورأساً فكيف يقولون بابراهيم والقوم الذين اعتقدوا نبوة ابراهيم من اهل الهند فهم الثنوية منهم القائلون بالنور والظلام على مذهب أصحاب الاثنين وقد ذكرنا مذاهبهم الا ان هؤلاء البراهمة انتسبوا الى رجل منهم يقال له براهم قد مهد لهم نفي النبوات أصلا وقرر استحالة ذلك في العقول بوجوه منها ان قال ان الذي يأتي

تكسب كل نفس الا عليها * وقوله تعالى * ولا تزر وازرة وزر اخرى * ودعوى الارتباط فهذا قول بلا برهان لا من قرآن ولا من سنة ولا من اجماع ولا من معقول وقد اجمعوا على ان طهارة الامام لا تنوب عن طهارة المأموم ولا قيامه عن قيامه ولا قعوده عن قعوده ولا سجوده عن سجوده ولا ركوعه عن ركوعه ولا نيته عن نيته فما معنى هذا الارتباط الذي تدعونه اذا وايضا فان القطع على سريرة الذي ظاهره الفضل لا يجوز وانما هو ظن فاستوى الامر في ذلك في الفاضل والفاسق وصح انه لا يصلي احد عن احد وان كان احد يصلي عن نفسه وقال تعالى * اجيبوا داعي الله * فوجب بذلك ضرورة ان كل داع دعا الى خير من صلاة او حج او جهاد او تعاون على بر وتقوى ففرض اجابته وعمل ذلك الخير معه لقول الله تعالى * تعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان * وان كل داع دعا الى شر فلا يجوز اجابته بل فرض دفاعه ومنعه وبالله تعالى التأييد

(قال ابو محمد) وايضا فان الفرق في منزلة نقص عمن هو افضل منه والذي لا شك فيه ان النسبة بين آخر واحد من المسلمين وبين افضل الصحابة رضي الله عنهم اقرب من النسبة بين افضل الصحابة رضي الله عنهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يرى احد من تقدم ذنب ونقيصة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما تفاضل الناس في كثرة الذنوب وقلتها وفي اجتناب الكبائر [illegible] واما الصغائر فما يخلو منها احد بعد الانبياء عليهم السلام وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف ابي بكر وعبد الرحمن بن عوف وهذا اصح ان امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يؤم القوم اقرؤهم لكتاب الله فان استووا فافقههم ندب لا فرض فليس لفاضل بعد هذا ان يمتنع من الصلاة خلف من هو دونه في [illegible] من [illegible]

(قال ابو محمد) واما دفع الزكاة الى الامام وان كان الامام القرشي فاسقا او فاسقا لم [illegible] فاصل فهي جائزة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ادفعوا صدقاتكم [illegible] لا يكون مصدقا كل من [illegible] اكثر من قيام [illegible] انه مصدق ارسال الامام الواجبة طاعته واما من [illegible] لا حق فيه فهاهنا يجزي دفعها اليه لانه دفعها الى غير من امر بدفعها اليه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد وهكذا القول في الاحكام كاقامة الحدود وغيرها ان اقامها الامام الواجبة طاعته [illegible] فان وافقت القرآن والسنة نفذت والا فهي مردودة لما ذكرنا وان اقامها غير الامام او واليه فهي كلها مردودة [illegible] حينئذ [illegible] لامر الله تعالى لنا ان نكون قوامين بالقسط [illegible] اذا كان الامام [illegible] لا امام [illegible] مظلمة تردوا [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] واجب مع كل امام وكل [illegible] تعاون على البر والتقوى [illegible] على كل احد [illegible] تعالى * فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد *

به الرسول لم يخل من أحد أمرين اما ان يكون معقولا واما ان لا يكون معقولا فان كان معقولا فقد كفانا العقل التام بادراكه والوصول اليه واي حاجة لنا الى الرسول وان لم يكن معقولا فلا يكون مقبولا اذ قبول ما ليس بمعقول خروج عن حد الانسانية ودخول في حد البهيمية ومنها ان قال قد دل العقل على ان الله تعالى حكيم والحكيم لا يتعبد الخلق الا بما يدل عليه عقولهم وقد دلت الدلائل العقلية على ان للعالم صانعا عالما قادرا حكيما وانه منعم على عباده نعما توجب الشكر فنظرنا في آيات خلقه بعقولنا وشكرناه بآلائه علينا واذا عرفناه وشكرناه استوجبنا ثوابه واذا انكرناه وكفرنا به استوجبنا عقابه

الآية فهذا عموم لكل مسلم بنص الآية في كل مكان وكل زمان وبالله تعالى التوفيق تم
كتاب الامامة والمفاضلة بحمد الله تعالى وشكره

﴿ ذكر العظائم المخرجة الى الكفر ﴾
(والمحال من أقوال أهل البدع المعتزلة والخوارج والمرجئة والشيعة)

(قال ابو محمد) قد كتبنا في ديواننا هذا من فضائح الملل المخالفة لدين الاسلام الذي في كتبهم من اليهود والنصارى والمجوس ما لا خفاء به لمن قرأها ولا يمتري أحد وقف عليها انهم في ضلال وباطل وكذب ان شاء الله تعالى على هذه الفرق الآن من فواحش أقوالهم لا يخفى على أحد قرأه انهم في ضلال وباطل ليكون ذلك زاجرا لمن أراد الله توفيقه عن مضامتهم واما التمادي فيهم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وليعلم من قرأ كتابنا هذا ان لا تستحل [illegible] قوله اليه اذ قد لا يلزم ما يتجه قوله يتناقض [illegible] كانوا قال او معتقدا او محتشما الا يقوله [illegible] بعض النفس [illegible] اهل الجهل [illegible] من مخالفتهم كقول طوائف من اهل البدع والمعتزلة ان وصف الله تعالى بذلك [illegible] المحال ولا على الظلم ولا على الكذب ولا على غير ما لم يكن [illegible] القضية المذكورة [illegible] معتقدهم صراحا [illegible] على [illegible] نفي المحال ولا [illegible] الى الله تعالى بهتك استارهم [illegible] لله [illegible]

﴿ ذكر شنع الشيعة ﴾

(قال ابو محمد) اهل الشنع من هذه الفرق [illegible] الامامية من الرافضة الغالية فاما الجارودية فان طائفة منهم قالت ان محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب [illegible] على ابي جعفر المنصور [illegible] الحسن رحمه الله [illegible] يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا [illegible] يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين [illegible] ايام المستعين [illegible] محمد بن عبد الله بن طاهر [illegible] الحسين [illegible] ابي [illegible] ملئت جورا [illegible] محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب [illegible] ايام المعتصم [illegible] عدلا كما ملئت جورا [illegible] لزيدية [illegible] محمد بن علي بن ابي طالب [illegible] اسد وعن يساره نمر [illegible] لا يموت حتى [illegible] الا

فما بالنا نتبع بشرا مثلنا فانه ان كان يأمرنا بما ذكرناه من المعرفة والشكر فقد استغنينا عنه بعقولنا وان كان يأمرنا بما يخالف ذلك كان قوله دليلا ظاهرا على كذبه ومنها ان قالوا قد دل العقل على ان للعالم صانعا حكيما والحكيم لا يتعبد الخلق بما يقبح في عقولهم وقد وردت أصحاب الشرائع بمستقبحات من حيث العقل من التوجه الى بيت مخصوص في العبادة والطواف حوله والسعي ورمي الجمار والاحرام والتلبية وتقبيل الحجر الاصم وكذلك ذبح الحيوان وتحريم ما يمكن ان يكون غذاء للانسان وتحليل ما ينقص من بنيته وغير ذلك كل هذه الامور مخالفة لقضايا العقول ومنها ان قالوا ان اكبر الكبائر في الرسالة اتباع رجل

الارض عدلا كما ملئت جورا وقال بعض الروافض الامامية وهي الفرقة التي تدعى الممطورة ان موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن ابي طالب حي لم يمت ولا يموت حتى يملا الارض عدلا كما ملئت جورا وقالت طائفة منهم وهم الناووسية اصحاب ناوس المصري مثل ذلك في ابيه جعفر بن محمد وقالت طائفة منهم مثل ذلك في اخيه اسماعيل بن جعفر وقالت السبائية اصحاب عبد الله بن سبا الحميري اليهودي مثل ذلك في علي بن ابي طالب رضي الله عنه وزادوا انه في السحاب فليت شعري في اي سحابة هو من السحاب والسحاب كثير في اقطار الهواء مسخر بين السماء والارض كما قال الله تعالى وقال عبد الله ابن سبا اذ بلغه قتل علي رضي الله عنه لو اتيتمونا بدماغه سبعين مرة ما صدقنا موته ولا يموت حتى يملا الارض عدلا كما ملئت جورا وقال بعض الكيسانية بان ابا مسلم السراج حي لم يمت وسيظهر ولا بد وقال بعض الكيسانية بانه عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب حي بجبال اصبهان الى اليوم ولا بد له من ان يظهر وعبد الله هذا هو القائم بفارس ايام مروان بن محمد وقتله ابو مسلم بعد ان سجنه دهرا وكان عبد الله هذا ردي الدين معطلا مستصحبا للدهرية

(قال ابو محمد) فصار هؤلاء في سبيل اليهود القائلين بان ملكيصدق بن عابر بن ارفخشد بن سام بن نوح والعبد الذي وجهه ابراهيم عليه السلام ليخطب ربقا بنت بتوال بن ناحور بن تارح على اسحاق ابنه عليه السلام والياس عليه السلام وفنحاس بن العازار بن هارون عليه السلام احياء الى اليوم وسلك هذا السبيل بعض نوكى الصوفية فزعموا ان الخضر والياس عليهما السلام حيان الى اليوم وادعى بعضهم انه يلقى الياس في الفلوات والخضر في المروج والرياض وانه متى ذكر حضر على ذاكره

(قال ابو محمد) فان ذكر في شرق الارض وغربها وشمالها وجنوبها وفي الف موضع في دقيقة واحدة كيف يصنع ولقد لقينا من يذهب الى هذا خلقا وكان منهم المعروف بابن شق الليل المحدث بطلبيرة وهو مع ذلك من اهل العناية وسعة الرواية ومنهم محمد بن عبد الله الكاتب واخبرني انه جالس الخضر وكلمه مرارا وغيره كثير هذا مع سماعهم قول الله تعالى *ولكن رسول الله وخاتم النبيين* وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبي بعدي فكيف يستجيز مسلم ان يثبت بعده عليه السلام نبيا في الارض حاشا ما استثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الآثار المسندة الثابتة في نزول عيسى بن مريم عليه السلام في آخر الزمان وكفار برغواطة الى اليوم ينتظرون صالح بن طريف الذي شرع لهم دينهم وقالت القطعية من الامامية الرافضة كلهم وهم جمهور الشيعة ومنهم المتكلمون والنظارون والعدد العظيم بان محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن علي بن الحسين بن علي ابن ابي طالب حي لم يمت ولا يموت حتى يخرج فيملا الارض عدلا كما ملئت جورا وهو عندهم المهدي المنتظر ويقول طائفة منهم ان مولد هذا الذي لم يخلق قط في سنة ستين ومائتين سنة موت ابيه وقالت طائفة منهم بل بعد موت ابيه بمدة وقالت طائفة منهم بل في حياة ابيه ورووا ذلك عن حكيمة بنت محمد بن علي بن موسى وانها شهدت ولادته وسمعته يتكلم حين سقط من بطن امه يقرأ القرآن وان امه نرجس وانها كانت هي القابلة وقال جمهورهم بل امه صقيل وقالت طائفة منهم بل امه سوسن وكل هذا هوس ولم يعقب الحسن المذكور لا ذكرا

ولا

هو مثلك في الصورة والنفس والعقل يأكل مما تأكل ويشرب مما تشرب حتى تكون بالنسبة اليه كجماد يتصرف فيك رفعا ووضعا او كحيوان يصرفك اماما وخلفا او كعبد يتقدم اليك باوامره فاي تمييز له عليك واية فضيلة اوجبت استخدامك وما دليله على صدق دعواه فان اغتررتم بمجرد قوله فلا تمييز لقول على قول وان انحسرتم بحجته ومعجزته فعندنا من خصائص الجواهر والاجسام ما لا يحصى كثرة ومن المخبرين عن مغيبات الامور من لا يساوي خبره قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده * فاذا اعترفتم بان للعالم صانعا وخالقا حكيما فاعترفوا بانه آمر ناه حاكم

ولا أنثى فهذا اول نوك الشيعة ومفتاح عظيماتهم واخفها وان كانت مهلكة ثم قالوا كلهم اذ
سئلوا عن الحجة فيما يقولون حجتنا الالهام وان من خالفنا ليس لرشدة فكان هذا طريفا جدا
ليت شعري ماالفرق بينهم وبين عيار مثلهم يدعي في ابطال قولهم الالهام وان الشيعة ليسوا
لرشدة اوانهم نوكة اوانهم حملة ذوو شعبة من جنون في رؤسهم وماقولهم فيمن كان منهم
ثم صار في غيرهم او من كان في غيرهم فصار فيهم اتراه ينتقل من ولادة الغية الى ولادة الرشدة
ومن ولادة الرشدة الى ولادة الغية فان قالوا احكمه لما يموت عليه قيل لهم فلعلكم اولاد غية
اذ لا يؤمن رجوع الواحد منكم الى خلاف ماهو عليه اليوم والقوم بالجملة ذوو اديان
فاسدة وعقول مدخولة وعديمو حياء ونعوذ بالله من الضلال وذكر عمرو ابن خولة الحاحظ وهو
وان كان احد المجان ومن غلب عليه الهزل واحد الضلال المضلين فانا ما رأينا له في كتبه تعمد
كذبة يوردها مثبتا لها وان كان كثيرا لايراد كذب غيره قال اخبرني ابو اسحاق ابراهيم
النظام وبشر بن خالد انهما قالا لمحمد بن جعفر الرافضي المعروف بشيطان الطاق ويحك اما استحييت
من الله ان تقول في كتابك في الامامة ان الله تعالى لم يقل قط في القرآن * ثاني اثنين اذ هما في الغار
اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا * قالا فضحك والله شيطان الطاق ضحكا طويلا حتى
كانا نحن الذين أذنبنا قالا النظام وكنا نكلم علي ابن ميثم الصابوني وكل من شيوخ الرافضة
ومتكلميهم فنسأله أرأي أم سماع عن الائمة فينكران يقوله برأي فتخبره بقوله فيها قبل
ذلك قال فوالله مارايته خجل من ذلك ولا استحيا لفعله هذا قط ومن قول الامامية كلها
قديماً وحديثاً أن القرآن مبدل زيد فيه ماليس منه ونقص منه كثير وبدل منه كثير حاشا
علي ابن الحسن ابن موسى بن محمد بن ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن
ابن علي بن ابي طالب وكان أمامياً يظاهر بالاعتزال مع ذلك فانه كان ينكر هذا القول ويكفر
من قاله وكذلك صاحباه ابو يعلى ميلاد الطوسي وابو القاسم الرازي

(قال ابو محمد) القول بان بين اللوحين تبديلا كفر صحيح وتكذيب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وقالت طائفة من الكيسانية بتناسخ الارواح وبهذا يقول السيد الحميري الشاعر
لعنه الله ويبلغ الامر بمن يذهب الى هذا الى ان ياخذ احدهم البغل او الحمار فيعذبه ويضربه
ويعطشه ويجيعه على ان روح ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فيه فاعجبوا لهذا الحمق الذي لا نظير
له وما الذي خص هذا البغل الشقي او الحمار المسكين بنقله الروح اليه سائر البغال والحمير
وكذلك يفعلون بالمعز على ان روح ام المؤمنين رضي الله عنها فيها وجمهور متكلميهم كهشام
ابن الحكم الكوفي وتلميذه ابي علي الصكاك وغيرهما يقول ان علم الله تعالى محدث وانه لم
يكن يعلم شيئا حتى احدث لنفسه علما وهذا كفر صحيح وقد قال هشام هذا في حين مناظرته
لابي الهذيل العلاف ان ربه سبعة اشبار بشبر نفسه وهذا كفر صحيح وكان داود الجواربي
من كبار متكلميهم يزعم ان ربه لحم ودم على صورة الانسان ولا يختلفون في ان الشمس
ردت على علي بن ابي طالب مرتين أفيكون في صفاقة الوجه وصلابة الخد وعدم الحياء
والجراءة على الكذب اكثر من هذا على قرب العهد وكثرة الخلق وطائفة منهم تقول ان الله
تعالى يريد الشيء ويعزم عليه ثم يبدو له فلا يفعله وهذا مشهور للكيسانية ومن الامامية
من يجيز نكاح تسع نسوة ومنهم من يحرم الكرنب لانه انما نبت على دم الحسين ولم يكن قبل
ذلك وهذا في قلة الحياء قريب مما قبله وكما يزعم كثير منهم أن عليا لم يكن له سمي قبله

على خلقه وله في جميع
ما ياتي ونذر ونعلم ونفكر
حكم وأمر وليس كل
عقل انساني على استعداد
ما ينقل عنه أمره ولا كل
نفس بشري بمثابة من ينقل
عنه حكمه بل اوجبت
سنته ترتيباً في العقول
والنفوس واقتضت قسمته
أن يرفع * بعضهم فوق
بعض درجات ليتخذ بعضهم
بعضاً سخريا ورحمة ربك
خير مما يجمعون * فرحمة
الله الكبرى هي النبوة
والرسالة وذلك خير مما
يجمعون هؤلاء المختالة ثم
ان البراهمة تفرقوا أصنافا
فمنهم أصحاب البددة ومنهم
أصحاب الفكرة ومنهم أصحاب
التناسخ أصحاب البددة
ومعنى البد عندهم شخص
في هذا العالم لم يولد ولا ينكح
ولا يطعم ولا يشرب ولا يهرم
ولا يموت واول بد ظهر في

وهذا جهل عظيم لا مكان في العرب كثير يسلمون هذا الاسم كعلي بن بكر بن وائل اليه يرجع كل بكري في العالم في نسبه وفي الازد علي وفي بجيله علي وغيرهما كل ذلك في الجاهلية مشهور واقرب من ذلك عامر بن الطفيل يكنى ابا علي، مجاهراتهم اكثر مما ذكرنا ومنهم طائفة تقول بفناء الجنة والنار وفي الكيسانية من يقول ان الدنيا لا تفنى ابدا ومنهم طائفة تسمي البجلية نسبوا الى الحسن بن علي بن ورصند البجلي كان من اهل نفطة من عمل قفصة وقسطيلية من كور افريقية ثم نهض هذا الكافر الى السوس في اقاصي بلاد المصامدة فاضلهم واضل امير السوس احمد بن ادريس بن يحيي بن ادريس ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب فهم هنالك كثير سكان في ربض مدينة السوس معلنون بكفرهم وصلاتهم خلاف صلاة المسلمين لا ياكلون شيئا من الثمار زبل اصله ويقولون ان الامامة في ولد الحسن دون ولد الحسين ومنهم اصحاب ابي كامل ومن قولهم ان جميع الصحابة رضي الله عنهم كفروا بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم اذ جحدوا امامة علي وان عليا كفر اذ اسلم الامر الى ابي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم قال جمهورهم ان عليا ومن اتبعه رجعوا الى الاسلام اذ دعى الى نفسه بعد قتل عثمان واذ كشف [illegible] وسل [illegible] اياهم كانوا قبل ذلك مرتدين عن الاسلام كفارا [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم اذ لم [illegible] الاشكال

﴿قال ابو محمد﴾ وكل هذا كفر صريح [illegible] مذاهب الامامية وهي المتوسطة في الغلو من فرق الشيعة، واما الغالية من الشيعة فهم قسمان قسم اوجبت النبوة بعد النبي صلى الله عليه وسلم لغيره والقسم الثاني اوجبوا الالهية لغير الله عز وجل فلحقوا بالنصارى واليهود وكفروا اشنع الكفر فالطائفة التي اوجبت النبوة بعد النبي صلى الله عليه وسلم فرق فمنهم الغرابية وقولهم ان محمدا [illegible] كان اشبه [illegible] الغراب بالغراب وان الله عز وجل [illegible] الوحي [illegible]
ذلك [illegible] امهم [illegible]

﴿قال ابو محمد﴾ [illegible] رقاشة [illegible] لو [illegible] محمد صلى الله عليه وسلم [illegible] ابي طالب [illegible] عشرة سنة [illegible] عليه السلام ثم محمد عليه السلام [illegible] الطول [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] شعر الحمد [illegible] التصر [illegible] كسر ثم [illegible] الحق [illegible] الروح القدس [illegible] وجل [illegible] الحسين [illegible] ابي طالب [illegible] جعفر بن محمد [illegible] موسى بن جعفر [illegible]

العالم اسمه شاكين وتفسيره السيد الشريف ومن وقت ظهوره الى وقت الهجرة خمسة آلاف سنة قالوا ودون مرتبة الد مرتبة الرد يسعية ومعناه الانسان الطالب سبيل الحق وانما يصل الى تلك المرتبة بالصبر والعطية وبالرغبة فيما يجب ان يرغب فيه وبالامتناع والتخلي عن الدنيا والعروض عن شهواتها ولذاتها و[illegible] عن محارمها والرحمة على جميع الخلق والاجتناب عن الذنوب العشرة [illegible] كل ذي روح واستحلال اموال الناس والزنا والكذب [illegible] والشتم وشماتة [illegible] والسفه [illegible] الآخرة [illegible] عشر [illegible] الخوف [illegible] العفو عن المسيء ودفع الغضب بالحلم * الثالثة

موسى ومحمد بن علي والحسن بن محمد والمنتظر ابن الحسن انبياء كلهم وفرقة قالت بنبوة محمد بن اسماعيل بن جعفر فقط وهم طائفة من القرامطة وفرقة قالت بنبوة علي وبنيه الثلاثة الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية فقط وهم طائفة من الكيسانية وقد حام المختار حول ان يدعى النبوة لنفسه وسجع اسجاعا وانذر بالغيوب عن الله واتبعه على ذلك طوائف من الشيعة الملعونة وقال بامامة محمد بن الحنفية وفرقة قالت بنبوة المغيرة بن سعيد مولى بجيلة بالكوفة وهو الذي احرقه خالد بن عبد الله القسري بالنار وكان لعنه الله يقول ان معبوده صورة رجل على رأسه تاج وان أعضاءه على عدد حروف الهجا الالف الساقين ونحو ذلك مما لا ينطق لسان ذي شيعة من دين به تعالى الله عما يقول الكافرون علوا كبيرا وكان لعنه الله يقول ان معبوده لما اراد ان يخلق الخلق تكلم باسمه الاكبر فوقع على تاجه ثم كتب باصبعه أعمال العباد من المعاصي والطاعات فلما رأى المعاصي ارفض عرقا فاجتمع من عرقه بحران احدهما ملح مظلم والثاني نير عذب ثم اطلع في البحر فرأى ظله فذهب ليأخذه فطار فاخذه فقلع عيني ذلك الظل ومحقه وخلق من عينيه الشمس وشمسا اخرى وخلق الكفار من البحر المالح وخلق المؤمنين من البحر العذب في تخاليط لهم كثيرة وكان مما يقول ان الانبياء لم يختلفوا قط في شيء من الشرائع وقد قيل ان جابر بن يزيد الجعفي الذي يروي عن الشعبي كان خليفة المغيرة بن سعيد اذ حرقه خالد بن عبد الله القسري فلما مات جابر حلف بكر الاعور الهجري فلما ... وفوضوا أمرهم الى عبد الله بن المغيرة ... المذكور وكان ... ضخم الكوفة وآخر ما ... المغيرة بن سعيد القول بامامة محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين وتحريم ماء الفرات وكل ماء نهر او عين او بئر وقعت فيه نجاسة فبرئت منه عند ذلك القائلون بالامامة في ولد الحسين وفرقة قالت بنبوة بيان بن سمعان التميمي صلبه واحرقه خالد بن عبد الله القسري مع المغيرة بن سعيد ... واحد وحين المغيرة بن سعيد عن ... الحطب ... ايديهما ... فهوا ... بيان بن سمعان الى الحزمة ... من غير اكراه ولم يظهر منه جزع قال خالد لاصحابهما في كل شيء انتم مجانين هذا كان ... وكان بيان لعنه الله يقول ان الله تعالى يفنى كله حاشا وجهه ... ان تلك ... هذا قول الله تعالى * كل من عليها فان ويبقى وجه ربك * ولو كان له ادني عقل او فهم لعلم ان الله تعالى انما اخبر بالفناء عما على الارض فقط بنص قوله الصادق * كل من عليها فان * ولم يصف عز وجل الفناء غير ما على الارض ... وجه الله الى هو الله وليس هو شيئا غيره وحاشا الله من ان يوصف بالتبعيض والتجزي هذه صفة المخلوقين المحدودين لا صفة من لا يحد ولا له مثل وكان لعنه الله يقول انه المعنى بقول الله تعالى * هذا بيان للناس * وكان يذهب الى ان الامام هو هاشم عبد الله بن محمد ابن الحنفية ثم من بعده سائر ولد علي كلهم وفرقة منهم قالت بنبوة ابي منصور المستنير العجلي وهو الملقب بالكسف وكان يقول انه المراد بقول الله عز وجل * وان يروا كسفا من السماء ساقطا * وقتله يوسف بن عمر بالكوفة وكان لعنه الله يقول انه عرج به الى السماء وان الله تعالى مسح رأسه بيده وقال له اي بني اذهب فبلغ عني ... لا ... وكان لعنه الله يقول بان اول من خلق الله تعالى عيسى بن مريم ثم علي بن ابي طالب وكان يقول بتواتر الرسل واباح المحرمات من الزنا والخمر والميتة والخنزير والدم وقال انما هي اسماء رجال وجمهور

التعفف عن الشهوات الدنيوية * الرابعة الفكرة في التخلص الى ذلك العالم الدائم الوجود من هذا العالم الفاني * الخامسة رياضة العقل بالعلم والادب وكثرة النظر الى عواقب الامور * السادسة القوة على تصريف النفس في طلب العلياء * السابعة لين القلب وطيب الكلام مع كل واحد * الثامنة حسن المعاشرة مع الاخوان بايثار اختيارهم على اختيار نفسه * التاسعة الاعراض عن الخلق بالكلية والتوجه الى الحق بالكلية * العاشر بذل الروح شوقا الى الحق ووصولا الى جناب الحق وزعموا ان العدة اتوهم على عدد دهر الكيل وأعطوهم العلوم وظهروا لهم في أجناس وأشخاص شتى ولم يكونوا يظهرون الا في

الرافضة اليوم على هذا واسقط الصلاة والزكاة والصيام والحج واصحابه كلهم خناقون رضاخون وكذلك اصحاب المغيرة بن سعيد ومعنام فى ذلك انهم لا يستحلون حمل السلاح حتى يخرج الذى ينتظرونه فهم يقتلون الناس بالخنق وبالحجارة والخشبية بالخشب فقط وذكر هشام بن الحكم الرافضى فى كتابه المعروف بالميزان وهو اعلم الناس بهم لانه جارهم بالكوفة وجارهم فى المذهب ان الكسفية خاصة يقتلون من كان منهم ومن خالفهم ويقولون نعجل المؤمن الى الجنة والكافر الى النار وكانوا بعد موت ابى منصور يؤدون الخمس مما ياخذون ممن خنقوه الى الحسن بن ابي المنصور واصحابه فرقتان فرقة قالت ان الامام بعد محمد بن على بن الحسن صارت الى محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسين وفرقة قالت بل الى ابى المنصور الكسف ولا تعود فى ولد على ابدا وقالت فرقة بنبوة بزيغ الحائك بالكوفة وان وقع هذه الدعوة لهم في حائك لظريفة وفرقة قالت بنبوة معمر بائع الحنطة بالكوفة وقالت فرقة بنبوة عمير التبان بالكوفة وكان لعنه الله يقول لاصحابه لو شئت ان اعيد هذا التبن تبرا لعملت وقدم الى خالد بن عبدالله القسرى بالكوفة فتجلد وسب خالدا فامر خالد بضرب عنقه فقتل الى لعنة الله وهذه الفرق الخمس كلها من فرق الخطابية وقالت فرقة من اولئك شيعة بنى العباس بنبوة عمار الملقب بخداش فظفر به اسد بن عبدالله اخو خالد بن عبدالله القسرى فقتله الى لعنة الله والقسم الثانى من فرق الغالية الذين يقولون بالالهية لغير الله عز وجل فاولهم قوم من اصحاب عبد الله بن سبا الحميرى لعنه الله اتوا الى علي بن ابي طالب فقالوا مشافهة انك هو فقال لهم ومن هو قالوا انت الله فاستعظم الامر وامر بنار فاججت واحرقهم بالنار فجعلوا يقولون وهم يرمون فى النار الان صح عندنا انه الله لانه لا يعذب بالنار الا الله وفى ذلك يقول رضى الله عنه

لما رأيت الامر أمرا منكرا * اججت نارا ودعوت قنبرا

يريد قنبرا مولاه وهو الذى تولى طرحهم فى النار نعوذ بالله من ان نفتتن بمخلوق او يفتتن بنا مخلوق فيما جل اودق فان محنة ابي الحسن رضي الله عنه من بين اصحابه رضي الله عنهم كمحنة عيسى صلى الله عليه وسلم بين اصحابه من الرسل عليهم السلام وهذه الفرقة باقية الى اليوم فاشية عظيمة العدد يسمون العليانية منهم كان اسحاق بن محمد النخعى الاحمر الكوفى وكان من متكلميهم وله فى ذلك كتاب سماه الصراط نقض عليه البهنكى والفياض لما ذكرنا ويقولون ان محمدا رسول علي وقالت طائفة من الشيعة يعرفون بالمحمدية ان محمدا عليه السلام هو الله تعالى الله عن كفرهم ومن هؤلاء كان البهنكى والفياض بن علي وله فى هذا المعنى كتاب سماه القسطاس وابوه الكاتب المشهور الذى كتب لاسحاق بن كنداج ايام ولايته ثم لامير المؤمنين المعتضد وفيه يقول البحترى القصيدة المشهورة التى اولها

شط من ساكن الغوير مزاره * وطوته البلاد والله جاره

والفياض هذا لعنه الله قتله القاسم بن عبد الله بن سليمان بن وهب لكونه من جملة من سعى به ايام المعتضد والقصة مشهورة وفرقة قالت بالاهية آدم عليه السلام والنبيين بعده نبيا نبيا الي محمد عليه السلام ثم بالاهية علي ثم بالاهية الحسن ثم الحسين ثم محمد بن على ثم جعفر بن محمد ووقفوا هاهنا واعلنت الخطابية بذلك نهارا بالكوفة فى ولاية عيسى بن موسى بن محمد ابن علي بن عبد الله بن العباس فخرجوا صدر النهار في جموع عظيمة فى أزر وأردية محرمين

بيوت الملوك لشرف جواهرهم قالوا ولم يكن بينهم اختلاف فيما ذكر عنهم من أزلية العالم وقولهم فى الجزاء على ماذكرنا وانما اختص ظهور البدد بارض الهند لكثرة ما فيها من خصائص التربة والاقاليم ومن فيها من أهل الرياضة والاجتهاد وليس يشبه البد على ماوصفوه ان صدقوا فى ذلك الا بالخضر الذى يثبته أهل الاسلام أصحاب الفكرة والوهم وهم العلماء منهم بالفلك والنجوم وأحكامها المنسوبة اليهم وللهند طريقة تخالف طريقة منجمي الروم وذلك انهم يحكمون اكثر الاحكام باتصالات الثوابت دون السيارات وينشئون الاحكام عن خصائص الكواكب دون طبائعها ويعدون زحل السعد الاكبر لرفعة

يبادرون

ينادون باعلى اصواتهم لبيك جعفر لبيك جعفر قال ابن عياش وغيره كانى انظر اليهم يومئذ فخرج اليهم عيسى بن موسى فقاتلوه فقتلهم واصطلمهم ثم زادت فرقة على ما ذكرنا فقالت بالاهية محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد وهم القرامطة وفيهم من قال بالاهية ابى سعيد الحسن بن بهرام الجبائى وابنائه بعده ومنهم من قال بالاهية ابى القاسم النجار القائم باليمن فى بلاد همدان المسمى بالمنصور وقالت طائفة منهم بالاهية عبيد الله ثم الولاة من ولده الى يومنا هذا وقالت طائفة بالاهية ابى الخطاب محمد بن ابى زينب مولى بنى اسد بالكوفة وكثر عددهم بها حتى تجاوزوا الالوف وقالوا هو اله وجعفر بن محمد اله الا ان ابا الخطاب اكبر منه وكانوا يقولون جميع اولاد الحسن ابناء الله واحباؤه وكانوا يقولون انهم لا يموتون ولكنهم يرفعون الى السماء واشبه على الناس بهذا الشيخ الذى ترون ثم قالت طائفة منهم بالاهية معمر بائع الحنطة بالكوفة وعبدوه وكان من اصحاب ابى الخطاب لعنهم الله اجمعين وقالت طائفة بالاهية الحسن بن منصور حلاج القطن المصلوب ببغداد بسعى الوزير ابن حامد بن العباس رحمه الله ايام المقتدر وقالت طائفة بالاهية محمد بن على ابن الشلمغان الكاتب المقتول ببغداد ايام الراضى وكان امر اصحابه ان يفسق الارفع قدراً منهم به ليولج فيه النور وكل هذه الفرق ترى الاشتراك فى النساء وقالت طائفة منهم بالاهية شباس المقيم فى وقتنا هذا حيا بالبصرة وقالت طائفة منهم بالاهية ابى مسلم السراج ثم قالت طائفة من هؤلاء بالاهية المقنع الاعور القصار القائم بثار ابى مسلم واسم هذا القصار هاشم وقتل لعنه الله ايام المنصور واعلنوا بذلك فخرج المنصور فقتلهم واهامهم الى لعنة الله وقالت الراوندية بالاهية ابى جعفر المنصور وقالت طائفة منهم بالاهية عبد الله بن الحرب الكندى الكوفى وعبده وكان يقول بتناسخ الارواح وفرض عليهم تسعة عشر صلاة فى اليوم والليلة فى كل صلاة خمسة عشر ركعة الى ان ناظره رجل من متكلمى الصفرية واوضح له براهين الدين فاسلم وصح اسلامه وتبرأ من كل ما كان عليه واعلم اصحابه بذلك واظهر التوبة فتبرأ منه جميع اصحابه الذين كانوا يعبدونه ويقولون بالاهيته ولعنوه وفارقوه ورجعوا كلهم الى القول بامامة عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ابن ابى طالب وبقى عبد الله بن الحرب على الاسلام وعلى مذهب الصفرية الى ان مات وطائفته الى اليوم تعرف بالحربية وهى من السبائية القائلين بالاهية على وطائفة تدعي النصرية غلبوا فى وقتنا هذا على جند الاردن بالشام وعلى مدينة طبرية خاصة ومن قولهم لعن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعن الحسن والحسين ابنى على رضى الله عنهم وسبهم باقذع السب وقذفهم بكل بلية والقطع بانها وابنيها رضى الله عنهم ولعن مبغضيهم شياطين تصوروا فى صورة الانسان وقولهم فى عبد الرحمن بن ملجم المرادى قاتل على رضى الله عنه على على لعنة الله ورضى الله عن ابن ملجم فيقول هؤلاء ان عبد الرحمن بن ملجم المرادى افضل اهل الارض واكرمهم فى الآخرة لانه خلص روح اللاهوت مما كان يتشبث فيه من ظلمة الجسد وكدره فاعجبوا لهذا الجنون واسالوا الله العافية من بلاء الدنيا والاخرة فهي بيده لا بيد احد سواه جعل الله حظنا منها الاوفى واعلموا ان كل من كفر هذه الكفرات الفاحشة ممن ينتمى الى الاسلام فانما عنصرهم الشيعة والصوفية فان من الصوفية من يقول ان من عرف الله تعالى سقطت عنه الشرائع وزاد بعضهم واتصل بالله تعالى و بلغنا ان بنيسابور اليوم فى عصرنا

مكانه وعظم جرمه وهو الذى يعطى العطايا الكلية من السعادة والجزئية من النحوسة وكذلك سائر الكواكب لما طبائع وخواص فالروم يحكمون من الخواص وكذلك طبهم فانهم يعتبرون خواص الادوية دون طبائعها والروم يخالفهم فى ذلك وهؤلاء اصحاب الفكرة يعظمون امر الفكر ويقولون هو المتوسط بين المحسوس والمعقول والصور من المحسوسات ترد عليه والحقائق من المعقولات ترد عليه ايضا فهو مورد العالمين من العالمين فيجتهدون كل الجهد حتى يصرفوا الوهم والفكر عن المحسوسات بالرياضة البليغة والاجتهادات المجهدة حتى اذا تجرد الفكر عن

هذا رجلا يكنى ابا سعيد ابا الخير هكذا معا من الصوفية مرة يلبس الصوف ومرة يلبس الحرير المحرم على الرجال ومرة يصلي في اليوم الف ركعة ومرة لا يصلي لا فريضة ولا نافلة وهذا كفر محض ونعوذ بالله من الضلال

﴿ ذكر شنع الخوارج ﴾

ذكر بعض من جمع مقالات المنتمين الى الاسلام ان فرقة من الاباضية يقال لهم اصحاب يزيد بن ابي انيسة وهو غير المحدث المشهور كان يقول ان في هذه الامة شاهدين عليها هو احدهما والآخر لا يدري من هو ولا متى هو ولا يدري لعله قد كان قبله وان من كان من اليهود والنصارى يقول لا اله الا الله محمد رسول الله الى العرب لا الينا كما تقول العيسوية من اليهود قال فانهم مؤمنون اولياء الله تعالى وان ماتوا على هذا العقد وعلى التزام شرائع اليهود والنصارى وان دين الاسلام سينسخ بنبي من العجم يأتي بدين الصابئين وبقرآن آخر ينزل عليه جملة واحدة

﴿قال ابو محمد﴾ الا ان جميع الاباضية يكفرون من قال بشيء من هذه المقالات ويبرؤن منه ويستحلون دمه وماله وقالت طائفة من اصحاب الحرث الاباضي ان من زنا او سرق او قذف فانه يقام عليه الحد ثم يستتاب مما فعل فان تاب ترك وان ابى التوبة قتل على الردة

﴿قال ابو محمد﴾ وشاهدنا الاباضية عندنا بالاندلس يحرمون طعام اهل الكتاب ويحرمون اكل قضيب التيس والثور والكبش ويوجبون القضاء على من نام نهارا في رمضان فاحتلم ويتيممون وهم على الآبار التي يشربون منها الا قليلا منهم وقال ابو اسماعيل البطيحي واصحابه وهم من الخوارج ان لا صلاة واجبة الا ركعة واحدة بالغداة وركعة اخرى بالعشي فقط ويرون الحج في جميع شهور السنة ويحرمون اكل السمك حتى يذبح ولا يرون اخذ الجزية من المجوس ويكفرون من خالفهم في الفطرة والاضحى ويقولون ان اهل النار في النار في لذة ونعيم واهل الجنة كذلك

﴿قال ابو محمد﴾ واصحاب ابي اسماعيل هذا من الازارقة الا انه غلا عن سائر الازارقة وزاد عليهم وقالت سائر الازارقة وهم اصحاب نافع بن الازرق بالطال رجم الزاني وهو محصن وقطعوا يد السارق من المنكب واوجبوا على الحائض الصلاة والصيام في حيضها وقال بعضهم لا ولكن تقضي الصلاة اذا طهرت كما تقضي الصيام واباحوا دم الاطفال ممن لم يكن في عسكرهم وقتل النساء ايضا ممن ليس في عسكرهم وبرئت الازارقة ممن قعد عن الخروج لضعف او غيره وكفروا من خالف هذا القول بعد موت اول من قال به منهم ولم يكفروا من خالفه فيه في حياته وقالوا باستعراض كل من لقوه من غير اهل عسكرهم ويقتلونه اذا قال انا مسلم [illegible] الى اليهود او الى النصارى او الى المجوس [illegible] شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرزق [illegible] السلام انهم يقتلون اهل الاسلام [illegible] الاوثان [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]

﴿قال ابو محمد﴾ [illegible] الازارقة [illegible] من الازارقة واخرهم عبيدة بن هلال اليشكري [illegible] الى ان [illegible] سوار بن الاشعر [illegible] الازارقة ايام هشام بن عبد الملك

رأي

هذا العالم تحلى له ذلك العالم فربما يخبر عن مغيبات الاحوال وربما يقوى على حبس الامطار وربما يوقع الوهم على رجل حي فيقتله في الحال ولا يستبعد ذلك فان للوهم اثرا عجيبا في تصريف الاجسام والتصرف في النفوس أليس الاحتلام في النوم تصرف الوهم في الجسم أليس اصابة العين تصرف الوهم في الشخص أليس الرجل يمشي على جدار مرتفع فيسقط في الحال ولا يأخذ من عرض المسافة في خطواته سوى ما يأخذه على الارض المستوية والوهم اذا تجرد عمل اعمالا عجيبة ولهذا كانت الهند تغمض عينها اياما لئلا يشتغل الفكر والوهم بالمحسوسات ومع التجرد اذا اقترن بوهم آخر

برأي الصفرية لان أمره لم يطل اسرائر خروجه وقتل وقالت النجدات وهم اصحاب نجدة بن عويمر الحنفي ليس على الناس ان يتخذوا اماما انما عليهم ان يتعاطوا الحق بينهم وقالوا من ضعف عن الهجرة الى عسكرهم فهو منافق واستحلوا دم القعدة واموالهم وقالوا من كذب كذبة صغيرة او عمل عملا صغيرا فاصر على ذلك فهو كافر مشرك وكذلك ايضا في الكبائر وان من عمل من الكبائر غير مصر عليها فهو مسلم وقال جائز ان يعذب الله المؤمنين بذنوبهم لكن في غير النار واما النار فلا وقالوا اصحاب الكبائر منهم ليسوا كفارا واصحاب الكبائر من غيرهم كفار وقد بادت النجدات وقالت طائفة من الصفرية بوجوب قتل كل من أمكن قتله من مؤمن عندهم او كافر وكانوا يؤلون الحق بالباطل وقد بادت هذه الطائفة وقالت الميمونية وهم فرقة من العجاردة والعجاردة فرقة من الصفرية باجازة نكاح بنات البنات وبنات البنين وبنات بني الاخوة والاخوات وذكر ذلك عنهم الحسين بن علي الكرابيسي وهو احد الائمة في الدين والحديث ولم يبق اليوم من فرق الخوارج الا الاباضية والصفرية فقط وقالت طائفة من اصحاب البيهسية وهم اصحاب ابي بيهس وهم من فرق الصفرية ان كان صاحب كبيرة فيها حد فانه لا يكفر حتى يرفع الى الامام فاذا اقام عليه الحد فحينئذ يكفر وقالت الرشيدية وهم من فرق الثعالبة والثعالبة من فرق الصفرية ان الواجب في الزكاة نصف العشر مما سقي بالانهار والعيون وقالت العونية وهم طائفة من البيهسية التي ذكرنا آنفا ان الامام اذا قضى قضية جور وهو بخراسان او بغيرها حيث كان من البلاد ففي ذلك الحين نفسه يكفر هو وجميع رعيته حيث كانوا من شرق الارض وغربها ولو بالاندلس واليمن فما بين ذلك من البلاد وقالوا ايضا لو وقعت قطرة خمر في جب ماء بفلاة من الارض فان كل من خطر على ذلك الجب فشرب منه وهو لا يدري ما وقع فيه كافر بالله تعالى قالوا الا ان الله تعالى يوفق المؤمن لاجتنابه وقالت الفضيلية من الصفرية من قال لا اله الا الله محمد رسول الله بلسانه ولم يعتقد ذلك بقلبه بل اعتقد الكفر او الدهرية او اليهودية او النصرانية فهو مسلم عند الله مؤمن ولا يضره اذا قال الحق بلسانه ما اعتقد بقلبه وقالت طائفة من الصفرية ان النبي صلى الله عليه وسلم اذا بعث ففي حين بعثه في ذلك الوقت من ذلك اليوم لزم جميع اهل المشرق والمغرب الايمان به وان لم يعرفوا جميع ما جاء به من الشرائع فمن مات منهم قبل ان يبلغه شيء من ذلك مات كافرا وقالت العجاردة اصحاب عبد الكريم بن عجرد من الصفرية ان من بلغ الحلم من اولادهم وبناتهم فهم برآء منه ومن دينه حتى يقر بالاسلام فيتولوه حينئذ

(قال ابو محمد) فعلى هذا ان قتله قاتل قبل ان يلفظ بالاسلام فلا قود ولا دية وان مات لم يرث ولم يورث وقالت طائفة من العجاردة لا تولي الاطفال قبل البلوغ ولا نبرأ منهم لكن نقف فيهم حتى يلفظوا بالاسلام بعد البلوغ

(قال ابو محمد) والعجاردة هم الغالبون على خوارج خراسان كما ان الغالبين من الاباضية هم الغالبون على خوارج الاندلس وقالت المكرمية وهم اصحاب ابي مكرم وهم من الثعالبة اصحاب ثعلبة وهو من الصفرية والى قول الثعالبة رجع عبد الله بن اباض فتبرىء منه اصحابه فهم لا يعرفونه اليوم ولقد سألنا من هو مقدم في علمهم ومذهبهم عنهم فما عرفه احد منهم وكان من قول المكرمية هؤلاء ان من اتى كبيرة فقد جهل الله تعالى فهو كافر ليس من اجل الكبيرة كفر لكن لانه جهل الله عز وجل فهو كافر بجهله بالله تعالى وقالت طائفة من الخوارج

اشتركا في العمل خصوصا اذا كانا متفقين غاية الاتفاق ولهذا كانت عادتهم اذا دهمهم أمر ان يجتمع أربعون رجلا من المهذبين المخلصين المتفقين على رأي واحد في الاصابة فيتجلى لهم المهم الذي يهمهم حمله ويندفع عنهم البلاء الملم الذي يكادهم ثقله المكر نتيجة يعني المصفدين بالحديد وسنتهم حلق الرؤس واللحى وتعرية الاجساد ماخلا العورة وتصفيد البدن من أوساطهم الى صدورهم لئلا تنشق بطونهم من كثرة العلم وشدة الوهم وغلبة الفكر ولعلهم رأوا في الحديد خاصية تناسب الاوهام والا فالحديد كيف يمنع انشقاق البطن وكثرة العلم كيف يوجب ذلك (أصحاب التناسخ) قد ذكرنا مذاهب التناسخية

ماكان من المعاصي فيه حد كالزنا والسرقة والقذف فليس فاعله كافرا ولا مؤمنا ولا منافقا واما ماكان من المعاصي لاحد فيه فهو كفر وفاعله كافر وقالت الحفصية وهم اصحاب حفص بن ابي المقدام من الاباضية من عرف الله تعالى وكفر بالنبي صلى الله عليه وسلم فهو كافر وليس بمشرك وان جهل الله تعالى او جحده فهو حينئذ مشرك وقال بعض اصحاب الحرث الاباضي المنافقون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انما كانوا موحدين لله تعالى اصحاب كبائر ومن حماقاتهم قول بكر بن اخت عبد الواحد بن زيد فانه كان يقول كل ذنب صغير او كبير ولو كان اخذ حبة خردل بغير حق او كذبة خفيفة على سبيل المزاح فهي شرك بالله وفاعلها كافر مشرك مخلد في النار الا ان يكون من اهل بدر فهو كافر مشرك من اهل الجنة وهذا حكم طلحة والزبير رضي الله عنهما عنده ومن حماقاتهم قول عبد الله بن عيسى تلميذ بكر بن اخت عبد الواحد بن زيد المذكور فانه كان يقول ان المجانين والبهايم والاطفال مالم يبلغوا الحلم فانهم لا يالمون البتة لشيء مما ينزل بهم من العلل وحجته في ذلك ان الله تعالى لا يظلم احدا

(قال ابو محمد) لعمري لقد طرد أصل المعتزلة وان من خالفه في هذه المثلوث في الحماقة متكسع في التناقض

(ذكر شنع المعتزلة)

(قال ابو محمد) قالت المعتزلة باسرها حاشا ضرار بن عبد الله الغطفاني الكوفي ومن وافقه كحفص الفرد وكلثوم واصحابه ان جميع افعال العباد من حركاتهم وسكونهم في أقوالهم وأفعالهم واعمالهم وعقودهم لم يخلقها الله عز وجل ثم اختلفوا فقالت طائفة خلقها فاعلوها دون الله تعالى وقالت طائفة هي افعال موجودة لا خالق لها أصلا وقالت طائفة هي افعال الطبيعة وهذا قول أهل الدهر بلا تكلف وقالت المعتزلة كلها حاشا ضرار بن عمرو المذكور وحاشا أبا سهل بشر بن المعتمر البغدادي النخاس بالرقيق ان الله عز وجل لا يقدر البتة على لطف يلطف به الكافر حتى يؤمن ايمانا يستحق به الجنة والله عز وجل ليس في قوته احسن مما فعل بنا وان هذا الذي فعل هو منتهى طاقته وآخر قدرته التي لا يمكنه ولا يقدر على اكثر

(قال ابو محمد) هذا تعجيز مجرد للباري تعالى ووصف له بالنقص وكلهم لا نحاشي أحدا يقول انه لا يقدر على المحال ولا على ان يجعل الجسم ساكنا متحركا معا في حال واحدة ولا على ان يجعل انسانا واحدا في مكانين معا

(قال ابو محمد) وهذا تعجيز مجرد لله تعالى وايجاب النهاية والانقضاء لقدرته تعالى الله عن ذلك وقال ابو الهذيل بن مكحول العلاف مولى عبد القيس بصري احد رؤساء المعتزلة ومتقدميهم ان لما يقدر الله تعالى عليه آخرا ولقدرته نهاية لو خرج الى الفعل لم يقدر الله تعالى بعد ذلك على شيء اصلا ولا على خلق ذرة فما فوقها ولا احياء بعوضة ميتة ولا على تحريك ورقة فما فوقها ولا على ان يفعل شيئا اصلا

(قال ابو محمد) وهذه حالة من الضعف والمهانة والعجز قد ارتفعت البق والبراغيث والدود مدة حياتها عنها وعن ان توصف بها وهذا كفر مجرد لا خفاء به وزعم ابو الهذيل ايضا ان اهل الجنة واهل النار تفنى حركاتهم حتى يصيروا جمادا لا يقدرون على تحريك شيء من اعضائهم ولا على البراح من مواضعهم وهم في تلك الحال متلذذون ومتالمون الا انهم

ومامن ملة من الملل الا وللتناسخ فيها قدم راسخ وانما تختلف طرقهم في تقرير ذلك فاما تناسخية الهند فاشد اعتقادا في ذلك لما عاينوا من طير يظهر في وقت معلوم فيقع على شجرة وهو أبدا كذلك فيبيض ويفرخ ثم اذا تم نوعه بفراخه حك بمنقاره ومخالبه فبرق منه نار تلتهب فيحترق الطير ويسيل دمه منه دهن فيجتمع في أصل الشجرة في مغارة ثم اذا حال الحول وحان وقت ظهوره انخلق من هذا الدهن مثله طير فيطير ويقع على الشجرة وهو أبدا كذلك قالوا فاذا مثل الدنيا وأهلها في الادوار والاكوار الا كذلك قالوا واذا كانت حركات

لا ياكلون

لا يأكلون ولا يشربون ولا يطئون بعد هذا أبدا وكان يزعم أيضا لما يعلمه عز وجل آخر ونهاية وكلا لا يعلم الله شيئا سواه وادعى قوم من المعتزلة انه تاب عن هذه الطوام الثلاث

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا لا يصح وانما ادعوا ذلك حياء من هذه الكفرات الصلع لامامهم امام الضلالة وذكر عن ابي الهذيل ايضا انه قال ان الله عز وجل ليس خلافا لخلقه والعجب انه مع هذا الاقدام العظيم ينكر التشبيه وهذا عين التشبيه لانه ليس الا خلاف او مثل او ضد فاذا بطل ان يكون خلافا وضدا فهو مثل ولا بد تعالى الله عن هذا علوا كبيرا وكان ابو الهذيل يقول ان الله لم يزل عليما وكان ينكر ان يقال ان الله لم يزل سميعا بصيرا

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا خلاف القرآن لان الله عز وجل قال * وكان الله سميعا بصيرا * كما قال * وكان الله عليما حكيما * وكلهم قال ان الله تعالى لم يزل يعلم ان من مات كافرا انه لا يؤمن ابدا وانه تعالى حكم وقال ان ابا لهب وامرأته سيصليان النار كافرين ثم قطعوا كلهم بان ابا لهب وامرأته كانا قادرين على الايمان على ان لا تمسهما النار وانهما كان ممكنا لهما تكذيب الله عز وجل وانهما كانا قادرين على ابطال علم الله عز وجل وعلى ان يجعلاه كاذبا في قوله هذا نص قولهم بلا تاويل قال وكان ابراهيم بن سيار النظام ابو اسحاق البصري مولى بني بحير بن الحارث بن عباد الضبعي اكبر شيوخ المعتزلة ومقدمة علمائهم يقول ان الله تعالى لا يقدر على ظلم احد اصلا ولا على شيء من الشر وان الناس يقدرون على كل ذلك وانه تعالى لو كان قادرا على ذلك لكنا لا نأمن ان يفعله او انه قد فعله فكان الناس عنده اتم قدرة من الله تعالى وكان يصرح بان الله تعالى لا يقدر على اخراج أحد من جهنم ولا اخراج احد من اهل الجنة عنها ولا على طرح طفل من جهنم وان الناس وكل واحد من الجن والملائكة يقدرون على ذلك فكان الله عز وجل عنده اعجز من كل ضعيف من خلقه وكان كل احد من الخلق اتم قدرة من الله تعالى وهذا الكفر المجرد الذي نعوذ بالله منه ومن العجب اتفاق النظام والعلاف شيخي المعتزلة على انه ليس يقدر الله تعالى من الخير على اصلح مما عمل واتفقا على ان قدرته على الخير متناهية ثم قال النظام انه تعالى لا يقدر على الشر جملة فجعله عديم قدرة على الشر عاجزا عنه وقال العلاف بل هو قادر على الشر جملة فجعل ربه متناهي القدرة على الخير وغير متناهي القدرة على الشر فهل سمع باخبث صفة من الصفة التي وصف بها العلاف ربه وهل في الموصوفين اخبث طبيعة من الموصوف الذي ادعى العلاف انه ربه ونعوذ بالله مما ابتلاهم به واما ابو المعتمر معمر بن عمرو العطار البصري مولى بني سليم احد شيوخهم وائمتهم فكان يقول بان في العالم اشياء موجودة لا نهاية لها ولا يحصيها البارى تعالى ولا احدا ايضا غيره ولا لها عنده مقدار ولا عدد وذلك انه كان يقول ان الاشياء تختلف بمعان فيها وان تلك المعاني تختلف بمعان اخر فيها وتلك المعاني تختلف بمعان اخر فيها وهكذا بلا نهاية ايضا تكذيب واضح لله تعالى في قوله * وكل شيء عنده بمقدار * وفي قوله تعالى * واحصى كل شيء عددا . وتوافقه الدهرية في قولهم بوجود اشياء لا نهاية لها وعلى هذا طلبته المعتزلة بالبصرة عند السلطان حتى فر الى بغداد ومات بها مختفيا عند ابراهيم بن السندي بن شاهك وكان معمر ايضا يزعم ان الله عز وجل لم يخلق شيئا من الالوان ولا طولا ولا عرضا ولا طعما ولا رائحة ولا خشونة ولا املاسا ولا حسنا ولا قبيحا ولا صوتا ولا قوة ولا ضعفا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ولا مرضا ولا صحة ولا عافية ولا سقما ولا عمى ولا بكما ولا بصرا

الافلاك دورية ولا محالة يصل رأس البرجار الى ما بدا ودار دورة ثانية على الخط الاول أعاد لا محالة ما أعاد الدور الاول اذ لم يكن اختلاف بين الدورين حتى يتصور اختلاف بين الامرين فان المؤثرات عادت كما بدأت والنجوم والافلاك دارت على المركز الاول وما اختلفت أبعادها واتصالاتها ومناظراتها ومناسباتها بوجه فيجب ان لا يختلف المتأثرات الباديات منها بوجه وهذا هو تناسخ الادوار والاكوار ولهم اختلاف في الدورة الكبرى كم هي من السنين واكثرهم على ثلاثين الف سنة وبعضهم على ثلاثمائة الف سنة وستين الف سنة وانما

ولا سمعا ولا فصاحة ولا فسادا للثمار ولا صلاحها وان كل ذلك فعل الاجسام التي وجدت فيها هذه الاعراض بطباعها فاعلموا ان هذا الفاسق قد اخرج نصف العالم عن خلق الله تعالى لانه ليس للعالم شيء الا الجواهر الحاملة والاعراض المحمولة فقط فالنصف الواحد عنده غير مخلوق لعنه الله من مكذب لله تعالى في نص قوله تعالى * خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا * وقد عورض معمر بهذه الاية فقال انما اراد انه خلق الاماتة والاحياء وذكر عنه انه كان ينكر ان يكون الله عز وجل عالما بنفسه وذلك لان العالم انما يعلم غيره ولا يعلم نفسه وكان يزعم ان النفس ليست جسما ولا عرضا ولا هي في مكان اصلا ولا تماس شيئا ولا تباينه ولا تتحرك ولا تسكن

(قال ابو محمد) وهذا قول اهل الالحاد محضا بلا تأويل يعني القائلين منهم بقدم النفس وانها الحاملة للانسان نعوذ بالله من الضلال وكان يقول ان الله تعالى لا يعلم نفسه ولا يجهلها لان العالم غير المعلوم ومحال ان يقدر على الموجودات او ان يعلمها وان يجهلها وقال ابو العباس عبد الله بن محمد الانباري المعروف بالناشي واقمه شرسير في كتابه في المقالات ان الله تعالى عن كفره لا يقدر على ان يسوى بنان الانسان بعد ان سبق في علمه انه لا يسويها (قال ابو محمد) وهذا تكذيب محض لله تعالى في قوله * ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه بلى قادرين على ان نسوى بنانه * ورأيت للجاحظ في كتابه البرهان لو ان سائلا سأله وقال ايقدر الله على ان يخلق قبل الدنيا دنيا أخرى فجوابه نعم بمعنى انه يخلق تلك الدنيا حين خلق هذه فتكون مثل هذه

(قال ابو محمد) هذا تعجيز منه للبارى تعالى كما قدمنا اذ لم يجعل له تعالى قدرة على خلق دنيا قبل هذه الا على الوجه الذي ذكره واما على غيره فلا فان قيل كيف تجيبون قلنا نجوابنا نعم على الاطلاق فان قيل لنا كيف يصح هذا السؤال ومن قولكم انه لا يجوز ان يقال ان قبل العالم شيئا لان قبل يقتضي الزمان ولا زمان قبل العالم قلنا معنى قولنا نعم اى انه تعالى لم يزل قادرا على ان يخلق عالما قبل هذا لكان له زمان قبل زمان هذا العالم وهكذا ابدا وبالله تعالى التوفيق واما ضرار بن عمرو فانه كان يقول ان ممكنا ان يكون جميع من في الارض ممن يظهر الاسلام كفارا كلهم في باطن امرهم لان كل ذلك جائز على كل واحد منهم في ذاته ومن حماقات ضرار انه كان يقول ان الاجسام انما هي اعراض مجتمعة وان النار ليس فيها حر ولا في الثلج برد ولا في العسل حلاوة ولا في الصبر مرارة ولا في العنب عصير ولا في الزيتون زيت ولا في العروق دم وان كان ذلك انما يخلقه الله عز وجل عند القطع والدرق والعصر والمس فقط واما ابو عثمان عمرو بن الجاحظ البصري الكناني صليبة وقيل بل مولى وهو تلميذ النظام واحد شيوخ المعتزلة فانه كان يقول ان الله تعالى لا يقدر على افناء الاجسام البتة الا ان يرتقها ويفرق اجزائها فقط واما اعدامها فلا يقدر على ذلك اصلا وأما ابو معمر وثمامة بن اشرس النميري صليبة بصري احد شيوخ المعتزلة وعلمائهم فذكر عنه انه كان يقول ان العالم فعل الله عز وجل بطباعه تعالى الله عن هذا الكفر الشنيع علوا كبيرا وكان يزعم ان المقلدين من اليهود والنصارى والمجوس وعباد الاوثان لا يدخلون النار يوم القيامة لكن يصيرون ترابا وان كل من مات من اهل الاسلام والايمان المحض والاجتهاد في العبادة مصرا على كبيرة من الكبائر كشرب الخمر ونحوها وان كان لم يواقع ذلك الامرة

يعتبرون في تلك الادوار سير الثوابت لا السيارات وعند الهند أكثرهم ان الافلاك مركب من الماء والنار والريح وان الكواكب فيه نارية هوائية فلم يعدم الموجودات العلوية الا العنصر الارضي فقط
(أصحاب الروحانيات) ومن اهل الهند جماعة اثبتوا متوسطات روحانية يأتونهم بالرسالة من عند الله عز وجل في صورة البشري من غير كتاب فيامرهم باشياء وينهاهم عن أشياء ويسن لهم الشرائع ويبين لهم الحدود وانما يعرفون صدقه بتنزهه عن حطام الدنيا واستغنائه عن الاكل والشرب والنعال وغيرها (الباسوية) زعموا ان رسولهم

في الدهر فانه مخلد بين أطباق النيران ابدا مع فرعون وأبي لهب وأبي جهل

﴿قال أبو محمد﴾ فأي كفر أعجب من قول من يقول أن كثيراً من الكفار لا يدخلون النار وان كثيرا من المسلمين لا يدخلون الجنة وكان ثمامة يقول ان ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجميع اولاد المسلمين الذين يموتون قبل الحلم وجميع مجانين الاسلام لا يدخلون الجنة ابدا لكن يصيرون ترابا واما هشام بن عمرو الفوطي احد شيوخ المعتزلة فكان يقول اذا خلق الله تعالى شيئا فانه لا يقدر على ان يخلق مثل ذلك الشيء ابدا لكن يقدر على ان يخلق غيره والغيران عنده لا يكونان مثلين وكان لا يجيز لاحد أن يقول حسبنا الله ونعم الوكيل ولا ان الله يعذب الكفار بالنار ولا انه يحيي الارض بالمطر ويرى هذا القول والقول بان الله تعالى يضل من يشاء ويهدي من يشاء ضلالا والحادا

(قال ابو محمد) وهذا رد على الله جهارا وكان يقول لا يحل القول بشيء من هذا الا عند قراءة القرآن فقط وكان يقول قولوا حسبنا الله ونعم المتوكل عليه وكان يقول قولوا ان الله يعذب الكفار في النار ويحيي الارض عند نزول المطر وكان لا يجيز القول بان الله ألف بين قلوب المؤمنين ولا ان القرآن عمى على الكافرين وكان يقول ان من هو الآن مؤمن عابد الا ان في علم الله انه يموت كافرا فانه الآن عند الله كافر وان من كان الآن كافرا مجوسيا او نصرانيا او دهريا او زنديقا الا ان في علم الله عز وجل انه يموت مؤمنا فانه الآن عند الله مؤمن واما عباد بن سليمان تلميذ هشام الفوطي المذكور فكان يزعم ان الله تعالى لا يقدر على غير ما فعل من الصلاح ولا يجيز ان يقال ان الله خلق المؤمنين ولا انه خلق الكافرين ولكن يقال خلق الناس وذلك زعم [illegible] والله تعالى انما خلق عنده الانسان فقط ولم يخلق الايمان ولا الكفر وكان يقول ان الله لا يقدر على ان يخلق غير ما خلق وان الله تعالى لم يخلق المجاعة ولا القحط وكلهم يزعم ان الله تعالى لم يأمر الكفار قط بان يؤمنوا في حال كفرهم ولا نهى المؤمنين قط عن الكفر في حال ايمانهم لانه لا يقدر احد قط على الجمع بين الفعلين المتضادين

([illegible] ابو محمد) وهم مقرون ان الله تعالى لم يزل يعلم ان من يؤمن بعد كفره فانه لا يزال في كفره الى ان يؤمن وان من يكفر بعد ايمانه فانه لا يزال في ايمانه حتى يكفر وان من لا يؤمن من الكفار ابدا فانه لا يزال في كفره الى ان يموت وان من لا يكفر من المؤمنين فانه لا يزال في ايمانه الى ان يموت وليس احد من الناس يخرج عن احد هذه الوجوه الاربعة ضرورة فاذا كان عندهم لم يؤمر قط كافر بالايمان في حال كفره ولا نهي مؤمن عن الكفر في حال ايمانه فمن لم يزل مؤمنا الى ان مات لم ينهه الله عز وجل عن الكفر قط وان من لم يزل كافرا الى ان مات فان الله لم يأمره قط بالايمان وان الله تعالى لم يأمر قط بالايمان من آمن بعد كفره الا حين آمن ولا نهى قط عن الكفر من كفر بعد ايمانه الا حين كفر وهذا تكذيب مجرد لله تعالى في امره الكفار كلهم بالايمان ونهيه المؤمنين عن الكفر وكان بشر بن المعتمر ايضا يقول ان الله تعالى لم يخلق قط لونا ولا طعما ولا رائحة ولا مجسة ولا شدة ولا ضعفا ولا عمى ولا بصرا ولا سمعا ولا صمما ولا جبنا ولا شجاعة ولا كشفا ولا عجزا ولا صحة ولا مرضا وان الناس يفعلون كل ذلك فقط واما جعفر القصي

ملك روحاني نزل من السماء على صورة بشر فامرهم بتعظيم النار وان يتقربوا اليها بالعطر والطيب والادهان والذبائح ونهاهم عن القتل والذبح الا ما كان للنار وسن لهم ان يتوشحوا بخيط يعقدونه من مناكبهم الايامن الى تحت شمائلهم ونهاهم أيضا عن الكذب وشرب الخمر وان لا يأكلوا من أطعمة غير ملتهم ولا من ذبائحهم وأباح لهم الزنا لئلا ينقطع النسل وأمرهم ان يتخذوا على مثاله صنما يتقربون اليه ويعبدونه ويطوفون حوله كل يوم ثلاث مرات بالمعازف والتبخير والغنا والرقص وأمرهم بتعظيم البقر والسجود لها حيث رأوها ويفزعوا في التوبة الى

بايع القصب والاشج وهما من رؤسائهم فكانا يقولان ان القرآن ليس هو في المصاحف انما في المصاحف شيء آخر وهو حكاية القرآن

(قال ابو محمد) وهذا كفر مجرد وخلاف جميع اهل الاسلام قديما وحديثا وكان علي الاسواري البصري أحد شيوخ المعتزلة يقول ان الله عز وجل لا يقدر علي غير ما فعل وان من علم الله تعالى انه يموت ابن ثمانين سنة فان الله لا يقدر علي ان يميته قبل ذلك ولا ان يبقيه طرفة عين بعد ذلك وان من علم الله تعالى من مرضه يوم الخميس مع الزوال مثلا فان الله تعالى لا يقدر علي ان يبريه قبل ذلك لا بما قرب ولا بما بعد ولا علي ان يزيد في مرضه طرفة عين فما فوقها وان الناس يقدرون كل حين علي اماتة من علم الله ان لا يموت الا وقت كذا وان الله لا يقدر علي ذلك وهذا كفر ما سمع قط بافظع منه واما ابو غفار أحد شيوخ المعتزلة فكان يزعم ان شحم الخنزير ودماغه حلال

(قال أبو محمد) وهذا كفر صريح لا خفاء به وكان يزعم ان تفخيذ الرجال الذكور حلال وقد ذكر هذا عن ثمامة أيضا وكل هذا كفر محض واما أحمد ابن خابط والفضل الحربي البصريان وكانا تلميذين لابراهيم النظام فكانا يزعمان ان للعالم خالقين احدهما قديم وهو الله تعالى والآخر حادث وهو كلمة الله عز وجل المسيح عيسى بن مريم التي بها خلق العالم وكانا لعنهما الله يطعنان على النبي صلى الله عليه وسلم بالتزويج وان ابا ذر كان ازهد منه وكان أحمد بن حابط يزعم ان الذي يجيء به يوم القيامة مع الملائكة صفا صفا في ظلل من الغمام انما هو المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وان الذي خلق آدم على صورته انما هو المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وان المسيح هو الذي يحاسب الناس يوم القيامة وكان احمد بن خابط لعنه الله يقول ان في كل نوع من انواع الطير والسمك وسائر حيوان البر حتى البق والبراغيث والقمل والقرود والكلاب والفيران والتيوس والحمير والدود والوزغ والجعلان انبياء لله تعالى رسالة الى انواعهم مما ذكرنا من سائر الانواع وكان لعنه الله يقول بالتناسخ والكرور وان الله تعالى ابتدأ جميع الخلق فخلقهم كلهم جملة واحدة بصفة واحدة ثم امرهم ونهاهم فمن عصى منهم نسخ روحه في جسد بهيمة فالقتال يبتلى بالذبح كالغنم والابل والبقر والدجاج وغير ذلك من البراغيث وكل ما يقتل في الاغلب وان من كان منهم في فسقه وقاله للناس عفيفا كوفي بالقوة على السفاد كالتيس والعصفور والكبش وغير ذلك ومن كان زانيا او زانية كوفيا بالمنع من الجماع كالبغال والبغلات ومن كان جبارا كوفي بالمهانة كالدود والقمل ولا يزالون كذلك حتى يقتص منهم ثم يردون فمن عصى منهم كرر ايضا كذلك هكذا ابدا حتى يطيع طاعة لا معصية معها فينتقل الى الجنة من وقته او يعصي معصية لا طاعة معها فينتقل الى جهنم من وقته وانما حمله علي القول بكل هذا لزومه اصل المعتزلة في العدل وطرده اياه ومشيه معه واعلموا ان كل من لم يقل من المعتزلة بهذا القول فانه متناقض تارك لاصلهم في العدل وكان لعنه الله يقول ان للثواب دارين احداهما لا اكل فيها ولا شرب وهي ارفع قدرا من الثانية والثانية فيها اكل وشرب وهي انقص قدرا

(قال ابو محمد) هذا كله كفر محض وكان لهذا الكافر احمد بن خابط تلميذ علي مذهبه يقال له أحمد بن سابوس كان يقول بقول معلمه في التناسخ ثم ادعى النبوة وقال انه المراد بقول الله عز وجل ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد وكان محمد بن عبد الله بن مرة

التمسيح بها وامرهم ان لا يجوروا نهر الكنك (الباهودية) زعموا ان رسولهم ملك روحاني على صورة بشر واسمه باهودية اتاهم وهو راكب على ثور على رأسه اكليل مكلل بعظام الموتى من عظام الرءوس ومتقلد من ذلك بقلادة باحدى يديه قحف انسان وبالاخرى مزراق ذو ثلاث شعب يامرهم بعبادة الخالق عز وجل وبعبادته معه وان يتخذوا علي مثاله صنما يعبدونه وان يعادوا اشياء وان تكون الاشياء كلها في الرتبة واحدة لانها جميعا صنع الخالق وان يتخذوا من عظام الناس قلائد يتقلدونها واكاليل يضعونها علي رؤسهم وان يمسحوا

ابن

بن نجيح الاندلسي يوافق المعتزلة في القدر وكان يقول ان علم الله وقدرته صفتان محدثتان مخلوقتان وان لله تعالى علمين احدهما احدثه جملة وهو علم الكتاب وهو علم الغيب كعلمه انه سيكون كفار ومؤمنون والقيامة والجزا ونحو ذلك والثاني علم الجزئيات وهو علم الشهادة وهو ككفر زيد وايمان عمرو ونحو ذلك فانه لا يعلم الله تعالى من ذلك شيئا حتى يكون وذكر قول الله تعالى * عالم الغيب والشهادة *

(قال ابو محمد) وهذا ليس كما ظن بل على ظاهره انه يعلم ما تفعلون وان اخفيتم ويعلم ما غاب عنكم مما كان او يكون او هو كائن

قال ابو محمد واما حمله على هذا القول طرده لاصول المعتزلة حقا فان من قال منهم ان الله تعالى لم يزل يعلم ان فلانا لا يؤمن ابدا وان فلانا لا يكفر ابدا ثم جعل الناس قادرين على تكذيب كلام ربهم وعلى ابطال ما لم يزل وهذا تناقض فاحش لاخفاء به ونعوذ بالله من الخذلان وكان من اصحابه جماعة يكفرون من قال انه عز وجل لم يزل يعلم كل ما يكون قبل ان يكون وكان من اصحاب مذهبه رجل يقال له اسماعيل ابن عبد الله الرعيني متاخر الوقت وكان من المجتهدين في العبادة المنقطعين في الزهد وادركته الا اني لم القه ثم احدث اقوالا سمعة فبرىء منه سائر المرية وكمروه الا من اتبعه منهم فمنها احدث قوله ان الاجساد لا تبعث ابدا وانما تبعث الارواح صح هذا عندنا عنه وذكر عنه أنه كان يقول انه حين موت الانسان وفراق روحه لجسده تلقى روحه الحساب ويصير اما الى الجنة او الى النار وانه كان لا يقر بالبعث الا على هذا الوجه وانه كان يقول ان العالم لا يفنى ابدا بل هكذا يكون الامر بلا نهاية وحدثني الفقيه ابو احمد المعار في الطليطلي صاحبنا احسن الله ذكره قال اخبرني يحيى بن احمد الطبيب وهو ابن ابنة اسماعيل الرعيني المذكور قال ان جدي كان يقول ان العرش هو المدبر للعالم وان الله تعالى اجل من ان يوصف بفعل شيء اصلا وكان ينسب هذا القول الى محمد بن عبد الله بن مسرة ويحتج بالفاظ في كتبه ليس فيها لعمري دليل على هذا القول وكان يقول لسائر المرية انكم لن تفهموا عن الشيخ فبرئت منه المرية ايضا على هذا القول وكان احمد الطبيب صهره ممن برىء منه وثبتت ابنته على هذه الاقوال متبعة لابيها مخالفة لزوجها وابنها وكانت متكلمة ناسكة مجتهدة ووافقت اباها رون بن اسماعيل الرعيني على هذا القول فانكره وبرىء من قائله وكذب ابن اخيه فيما ذكر عن ابيه وكان مخالفوه من المرية وكثير من موافقيه ينسبون اليه القول باكتساب النبوة وان من بلغ الغاية من الصلاح وطهارة النفس ادرك النبوة وانها ليست اختصاصا اصلا وقد رأينا منهم من ينسب هذا القول الى ابن مرة ويستدل على ذلك بالفاظ كثيرة في كتبه هي لعمري لتشير الى ذلك ورأينا سائرهم ينكر هذا فالله اعلم ورأيت امامن اصحاب اسماعيل الرعيني المذكور من يصفه بفهم منطق الطير وبانه كان ينذر باشياء قبل ان تكون فتكون وأما الذى لاشك فيه فانه كان عند فرقته اماما واجبة طاعته يؤدون اليه زكاة اموالهم وكان يذهب الى ان الحرام قد عم الارض وانه لا فرق بين ما يكتسبه المرء من صناعة او تجارة او ميراث أو بين ما يكتسبه من الرفاق وان الذى يحل للمسلم من كل ذلك قوته كيف ما اخذه هذا امر صحيح عندنا عنه يقينا واخبرنا عنه بعض من عرف باطن امورهم انه كان يرى الدار دار كفر مباحة دماؤهم واموالهم الا اصحابه فقط وصح عندنا عنه كان يقول بنكاح المتعة وهذا لا يقدح في ايمانه ولا في عدالته لو قاله مجتهدا

اجسادهم ورؤسهم بالرماد وحرم عليهم الذبائح وجمع الاموال وامرهم برفض الدنيا ولا معاش لهم فيها الا من الصدقة الكابلية زعموا ان رسولهم ملك روحاني يقال له شب اتاهم في صورة بشر متمسح بالرماد على رأسه قلنسوة من لبود أحمر طولها ثلاثة اشبار محيط عليه صفائح من قحف الناس متقلد قلادة من اعظم مايكون متمنطق من ذلك بمنطقه متسور منها بسوار متخيل منها بخلخال وهو عريان فامرهم أن يتزينوا بزينته وان يتزيوا بزيه وسن لهم شرائع وحدودا (المهادونية) قالوا ان مهادون كان ملكا عظيما اتانا في صورة انسان عظيم وكان له اخوان قتلاه

ولم تقم عليه الحجة بنسخة لو سلم من الكفرات الصلع التي ذكرنا وا ذكرنا عنه ما جرى لما من ذكره ولغرابة هذا القول اليوم وقلة القائلين به من الناس ورأيت لابي هاشم عبد السلام بن محمد عبد الوهاب الجبائي كبير المعتزلة وابن كبيرهم القطع بان لله تعالى أحوالا مختصة به وهذه عظيمة جدا اذ جعله حاملا للاعراض تعالى الله عن هذا الافك ورأيت له القطع في كتبه كثيرا يردد القول بانه يجب على الله ان يزيح علل العباد في كل ما أمرهم به ولا يزال يقول في كتبه ان امر كذا لم يزل واجبا على الله

(قال ابو محمد) وهذا كلام تقشعر منه ذوائب المؤمن ليت شعري من الموجب ذلك على الله تعالى والحاكم عليه بذلك والملزم له ما ذكر هذا النذل لزومه للباري تعالى ووجوبه عليه ويا لله لمن قال ان الفعل أوجب ذلك على الله تعالى أو ذكر شيئا دونه تعالى لعصر حن بان الله تعالى متعبد للذي اوجب عليه ما اوجب محكوم عليه بذلك وانه للكفر الصراح ولئن قال انه تعالى هو الذي أوجب ذلك على نفسه بالايجاب فقد فاعل لا شك فان كان الله لم يزل موجبا ذلك على نفسه فلم يزل فاعلا فالافعال قديمة ولا بد لم تزل وهذه دهرية محضة وان كان تعالى أوجب ذلك على نفسه بعد ان لم يكن موجبا له فقد بطل اطلاقه بهذا القول في ان له العابد لانه قد كان تعالى غير واجب عليه ما ذكر ورأينا في المقالة سؤالا سائل عنه أبا هاشم المذكور يقول فيه ما قال كل من بعثه النبي صلى الله عليه وسلم داعيا الى الاسلام الى اليمن والبحرين وعمان والملوك وسائر البلاد وكل من يدعو الى مثل ذلك الى يوم البعث لا يسمى رسول الله كما سمي محمد عليه السلام اذ أمره بالذي عن الله عز وجل بالدعاء الى الاسلام والامر واحد والعمل سواء

(قال ابو محمد) فاعجبوا لتلاعب ابليس بهذه الفرقة الملعونة وسلوا الله العافية من ان يكلكم الى أنفسكم فحق لمن دينه ان الله لا يقدر على ان يهديه ولا على ان يضله ان يتمكن الشيطان منه هذا التمكن ان هذا السؤال لم يصح الاعتزال الاصل فهم لم التزموه فلذو به جميعهم نار جهنم ذلك قولهم ان التسمية موكولة الينا لا الى الله عز وجل ورأيت لهذا الكافر ابي هاشم كلاما رد فيه على من يقول انه ليس لاحد ان يسمي الله عز وجل الا بما سمى به نفسه فقال هذا المقال لو كان هذا ولم يجز لاحد ان يسمي الله تعالى عز وجل الا بما سمى به نفسه لكان غير جائز لله أن يسمي به نفسه باسم حتى يسميه به غيره

(قال ابو محمد) فهل يأتي الممرور بأقبح من هذا الاستدلال وهل في التسمية اكثر من هذا ولقي من يضلل الله فلا هادي له ونعوذ بالله من ان يكلنا الى انفسنا طرفة عين فنهلك وكان ابو هاشم ايضا يقول انه لو طال عمر المسلم المحسن جاز ان يعمل من الحسنات والخير اكثر مما عمل النبي صلى الله عليه وسلم

(قال ابو محمد) لا والله ولا كرامة ولو عمر أحدنا الدهر كله في طاعات متصلة ما وازن عمل امرئ صحب النبي صلى الله عليه وسلم من غير المنافقين والكفار الجاهرين ساعة واحدة فما فوقها مع قوله صلى الله عليه وسلم انه لو كان لاحدنا مثل احد ذهبا فانفقه ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه فمتى يطمع ذو عقل ان يدرك احدا من الصحابة مع هذا القول الا مع ادراكه قطعا وكان ابو هاشم المذكور يقول انه لا يقبل توبة احد من ذنب عمله اي ذنب كان حتى يتوب من جميع الذنوب

قال

وعملا من جلدته الارض ومن عظامه الجبال ومن دمه البحار وقيل هذا رمز والا فجال صورة البشر لا تبلغ الى هذه الدرجة وصورة بهادون راكب على دابة كثير الشعر قد أسبله على وجهه وقد قسم الشعر على جوانب رأسه قسمة مستوية وأسبلها كذلك على نواحي الرأس قفا ووجها وامرهم ان يعملوا كذلك وسن لهم ان لا يشربوا الخمر واذا رأوا امرأة هربوا منها وان يحجوا الى جبل يدعى جورعن وعليه بيت عظيم فيه صورة بهادون وبذلك البيت سدنة لا يكون المفتاح الا بايديهم ولا يدخلون الا باذنهم فاذا فتحوا الباب سدوا افواههم

(قال ابو محمد) وحقا اقول لقد طرد اصل المعتزلة الذى اتفقوا عليه من اخراج المرء عن الاسلام جملة بذنب واحد عمله يصر عليه وايجابهم الخلود فى النار عليه بذلك الذنب وحده فلو كان هذا لكان ابو هاشم صادقا اذلا منفعة له عندهم فى تركه كل ذنب وهو بذنب واحد يصر عليه خارج عن الايمان مخلد بين اطباق النيران وما ينكر هذا عليه من المعتزلة الا جاهل باصولهم او عامد للتناقض وكان يقول ان تارك الصلاة وتارك الزكاة عامدا لكل ذلك لم يفعل شيئا ولا اذنب ولا عصى وانه مخلد بين اطباق النيران ابدا على غير فعل فعله ولا على شيء ارتكبه

(قال ابو محمد) فهل فى التجوير لله على اصولهم وهل فى مخالفة الاسلام جهارا اكثر من هذا القول السخيف وكان الذى حمله على قوله هذا قوله ان ترك الفعل ليس فعلا وجميع المعتزلة الا هشام بن عمرو الفوطى يزعمون ان المعدومات اشياء على الحقيقة وانها لم تزل وانها لا نهاية لها

(قال ابو محمد) وهذه دهرية بلا مطل واشياء لا نهاية لها لم تزل غير مخلوقة وكان عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط من اكابر المعتزلة ببغداد ممن يقول ان الاجسام المعدومة لم تزل اجساما بلا نهاية انها الا فى عدد ولا فى زمان غير مخلوقة وقال ابو محمد عبد الله الاسكافى احد رؤساء المعتزلة ان الله تعالى لم يخلق الطنابير ولا المزامير ولا المعازف

(قال ابو محمد) كان من تمام هذا الكفر ان يقول ان الله لم يخلق الخمر ولا الخنازير ولا مردة الشياطين وقالت المعتزلة باسرها حاشا بشر بن المعتمر وضرار ابن عمرو وانه لا يحل لاحد تمنى الشهادة ولا ان يريدها ولا ان يرضاها لانها تغليب كافر على مسلم وانما يجب على المسلم ان يحب الصبر على الم الجراح فقط اذا اصابته

(قال ابو محمد) وهذا خلاف دين الاسلام والقرآن والسنن والاجماع المتيقن وقالوا كلهم حاشا ضرارا وبشرا ان الله لم يمت رسولا ولا نبيا ولا صاحب نبى ولا امهات المؤمنين وهو يدري انهم لو عاشوا فعلوا خيرا لكن امات كل من امات منهم اذ علم انه لو ابقاه طرفة عين لكفروا او فسق ولا بد هذا قولهم فى ابى بكر وعمر وعلى وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة وخديجة ومن توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وموسى وعيسى وابراهيم عليهم السلام فاعجبوا لهذه الضلالات الوحشية وكان الجبد وهو من شيوخهم يقول اذا كان الجماع يتولد منه الولد فانا صانع ولدى ومدبره وفاعله لا فاعل له غيرى وانما يقال ان الله خلقه مجازا لا حقيقة فاحذا ابو على محمد بن عبد الوهاب الجبائى الطرف الثانى من الكفر فقال ان تعالى خلق الحبل والموت وكل من فعل شيئا فهو منسوب اليه فان الله تعالى هو محبل النساء وهو احبل مريم بنت عمران

(قال ابو محمد) يلزم ولا بد اذا كان اولادنا خلقا لله عز وجل ان يضيفهم اليه فيقول هم ابناء الله والمسيح ابن الله ولا بد وقال ابو عمر واحمد بن موسى بن احدير صاحب السكة وهو من شيوخ المعتزلة فى بعض رسائله التى جرت بينه وبين القاضى منذر بن سعيد رحمه الله ان الله عاقل واطلق عليه هذا الاسم وقال بعض شيوخ المعتزلة ان المعدادا عصى الله عز وجل طبع على قلبه فيصير غير مامور ولا منهى واما حماقاتهم فان ابا الهذيل العلاف قال

حتى لا تصل انفاسهم الى الصنم ويذبحون له الذبائح ويقربون له القرابين ويهدون له الهدايا واذا انصرفوا من حجهم لم يدخلوا العمران فى طريقهم ولم ينظروا الى محرم ولم يصلوا الى احد بسوء وضرر من قول وفعل (عبدة الكواكب) ولم ينقل للهند مذهب فى عبادة الكواكب الا فرقتان توجهتا الى النيرين الشمس والقمر ومذهبهم فى ذلك مذهب الصابئة فى توجههم الى الهياكل السماوية دون قصر الربوبية والالهية عليها عبدة الشمس زعموا ان الشمس ملك من الملائكة ولها نفس وعقل ومنها نور الكواكب وضياء العالم وتكون الموجودات

من سرق خمسة دراهم او قيمتها فهو فاسق منسلخ من الاسلام مخلد أبدا في النيران الا ان يتوب وقال بشر بن المعتمر ان من سرق عشرة دراهم غير حبة فلا اثم عليه ولا وعيد فان سرق عشرة دراهم خرج عن الاسلام ووجب عليه الخلود الا ان يتوب وقال النظام ان سرق مائتي درهم غير حبة فلا اثم عليه ولا وعيد وان سرق مائتي درهم خرج عن الاسلام ولزمه الخلود الا ان يتوب وقال أبو بكر احمد بن علي بن اخشيد بن الاخشيد وهو أحد رؤسائهم الثلاثة الذين انتهت رياستهم اليوم وافترقت المعتزلة على مذاهبهم والثاني منهم أبو هاشم الجبائي والثالث عبدالله بن محمد بن محمود البلخي المعروف بالكعبي وكان والد احمد بن علي المذكور احد قواد الفراغنة وولي الثغور للمعتضد وللمكتفي فكان من قول احمد المذكور ان من ارتكب كل ذنب في الدنيا وهكذا ابدا متى عاد لذلك الذنب أو لغيره من القتل فما دونه الا انه ندم أثر فعله لفقد صحت توبته وسقط عنه ذلك الذنب ابدا وهكذا ابدا متى عاد لذلك الذنب أو لغيره

(قال أبو محمد) هذا قول لم يبلغه جماهير المرجئة ونحو مع ذلك يدعي القول بانفاذ الوعد والوعيد وما في اديم الارض مسلم لا يندم على ذنبه وقال عبد الرحمن تلميذ ابي الهذيل ان الجنة لا تقوم في الاخبار الا بنقل خمسة يكون فيهم ولي لله لا أعرفه بعينه وعن كل واحد من أولئك الخمسة خمسة مثلهم وهكذا أبدا وقال صالح تلميذ النظام ان من رأى رؤيا انه بالهند او انه قتل او انه اي شيء رأى فانه حق يقين كما رأى كما لو كان ذلك في اليقظة وقال عباد بن سليمان الحواس سمع وقال النظام الالوان جسم وقد يكون جسمان في مكان واحد وكان النظام يقول لا نعرف الاجسام بالاخبار اصلا لكن كل من رأى جسما سواء كان المرئي انسانا او غير انسان فان الناظر اليه انقطع منه قطعة اختلطت بجسم الرائي ثم كل من أخبره ذلك الرائي عن ذلك الجسم فان المخبر ايضا اخذ من تلك القطعة قطعة وهكذا ابدا

(قال ابو محمد) وهذه قصة لولا انا وجدناها من طريق تلامذته المعظمين له ذكروها في كتبهم عنه ما عرفناها على ذي مسكة من عقل فالزمه خصومه على هذا ان قطعا من جبريل وميكائيل ومن النبي صلى الله عليه وسلم ومن موسى وعيسى وابراهيم عليهم السلام في نار جهنم وان قطعا من فرعون وابليس وابي لهب وابي جهل في الجنة وكان يزعم انه لا سكون في شيء من العالم اصلا وان كل سكون يعلم فتوسط الحصر فهو حركة اعتماد بلا شك وكان معمر يزعم انه لا حركة في شيء من العالم وان كل ما يسميه الناس حركة فهو سكون وكان عباد بن سليمان يقول ان الامة اذا اجتمعت وصلحت ولم تتظالم احتاجت حينئذ الى امام يسوسها ويدبرها وان عصت وفجرت وظلمت استغنت عن الامام وكان ابو الهذيل يقول ان الانسان لا يفعل شيئا في حال استطاعته وانما يفعل بالاستطاعة بعد ذهابها فلزمه خصومه ان الانسان انما يفعل اذا لم يكن مستطيعا واما اذا كان مستطيعا فلا وان الميت يفعل كل فعل في العالم

(قال ابو محمد) وحماقاتهم اكثر من ذلك ونعوذ بالله من الخذلان

شنع المرجئة

(قال ابو محمد) غلاة المرجئة طائفتان احداهما الطائفة القائلة بان الايمان قول باللسان وان

السفلية وهي ملك الملك يستحق التعظيم والسجود والتبخير والدعاء وهؤلاء يسمون الدينكيتية أي عباد الشمس ومن سنتهم ان اتخذوا الها صنما بيده جوهر على لون النار وله بيت خاص بنوه باسمه ووقفوا عليه ضياعا وقرايا وله سدنة وقوام فيأتون البيت ويصلون ثلاث كرات ويأتيه اصحاب العلل والامراض فيصومون له ويصلون ويدعون ويستشفعون به (عبدة القمر) زعموا أن القمر ملك من الملائكة يستحق التعظيم والعبادة واليه تدبير هذا العالم السفلي والامور الجزئية فيه ومنه نضج الاشياء المتكونة واتصالها الى كمالها وزيادته

اعتقد الكفر بقلبه فهو مؤمن عند الله عز وجل ولي له عز وجل من اهل الجنة وهذا قول محمد
ابن كرام السجستاني واصحابه وهو بخراسان وبيت المقدس والثانية الطائفة القائلة ان الايمان
عقد بالقلب وان اعلن الكفر بلسانه بلا تقية وعبد الاوثان اولزم اليهودية او النصرانية في
دار الاسلام وعبد الصليب واعلن التثليث في دار الاسلام ومات على ذلك فهو مؤمن كامل
الايمان عند الله عز وجل ولي لله عز وجل من اهل الجنة وهذا قول ابي محرز جهم بن
صفوان السمرقندي مولى بني راسب كاتب الحارث بن سريج التميمي ايام قيامه على نصر بن
سيار بخراسان وقول ابي الحسن علي بن اسماعيل بن ابي البشر الاشعري البصري واصحابهما
فاما الجهمية فبخراسان واما الاشعرية فكانوا ببغداد والبصرة ثم قامت لهم سوق بصقلية
والقيروان وبالاندلس ثم رق امرهم والحمد لله رب العالمين ومن فضائح الجهمية وشنعهم
قولهم بان علم الله محدث مخلوق وانه تعالى لم يكن يعلم شيئا حتى احدث لنفسه علما علم
به وكذلك قولهم في القدرة وقال ايضا ان الجنة والنار يفنيان ويفنى كل من فيهما وهذا خلاف
القرآن والثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلاف اجماع اهل الاسلام المتيقن وقال
بعض الكرامية المنافقون مؤمنون من اهل الجنة وقد اطلق ذلك بالمرية محمد بن عيسى
الصوفي الالبيري وكانت الفاظه تدل على انه يذهب مذهبهم في التجسيم وغيره وكان ناسكا
متقللا من الدنيا واعطا معها مهذارا قليل الصواب كثير الخطأ رأيته مرة وسمعته يقول
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يلزمه زكاة مال لانه اختار ان يكون نبيا عبدا والعبد
لا زكاة عليه ولذلك لم يورث ولا ورث فاسكت عن معارضته لان العامة كانت تحضره فخشيت
لغطهم وتشنيعهم بالباطل ولم يكن معي احد الا يحيى بن عبد الكثير بن وافد كنت اتيت
انا وهو معي متنكرين لنسمع كلامه وبلغني عنه شنع منها القول بحلول الله فيما شاء من
خلقه اخبرني عنه بهذا ابو احمد الفقيه المعافري عن ابي علي المقرى وكان على مذهب محمد بن
عيسى المذكور غير هذا ايضا ونعوذ بالله من الضلال وقالت طائفة الكرامية المنافقون
مؤمنون مشركون من اهل النار وقالت طائفة منهم ايضا من آمن بالله وكفر بالنبي صلى الله
عليه وسلم فهو مؤمن كافر معا ليس مؤمنا على الاطلاق ولا كافرا على الاطلاق وقال مقاتل
ابن سليمان وكان من كبار المرجئة لا تضر مع الايمان سيئة جلت اوقلت اصلا ولا ينفع مع
الشرك حسنة اصلا وكان مقاتل هذا مع جهم بخراسان في وقت واحد وكان يخالفه في التجسيم
كان جهم يقول ليس الله تعالى شيئا ولا هو ايضا لا شيء لانه تعالى خالق كل شيء ولا شيء
الا مخلوق وكان مقاتل يقول ان الله جسم ولحم ودم على صورة الانسان وقالت الكرامية
الانبياء يجوز منهم كبائر المعاصي كلها حاشا الكذب في البلاغ فقط فانهم معصومون منه
وذكر لي سليمان بن خلف الباجي وهو من رؤس الاشعرية ان فيهم من يقول ايضا ان الكذب
في البلاغ ايضا جائز من الانبياء والرسل عليهم السلام

(قال ابو محمد) كل هذا كفر محض وذكر عنهم محمد بن الحسن بن فورك الاشعري
انهم يقولون ان الله تعالى يعني كان يفعل شيئا وانه لا يقدر على افناء خلقه كله حتى يبقى
وحده كما كان قبل ان يخلق وقالوا ايضا ان كلام الله تعالى اصوات وحروف هجاء مجتمعة
كلها ابدا لم تزل ولا تزال وقالوا ايضا لا يقدر الله على غير ما فعل وقالوا ايضا انه متحرك

ونقصانه وهؤلاء يسمون الحندريكينية اي عباد القمر ومن سنتهم ان تتخذوا صنما على صورة جوهر وبيد الصنم جوهر ومن دينهم ان يسجدوا له ويعبدوه وان يصوموا النصف من كل شهر ولا يفطروا حتى يطلع القمر ثم ياتون صنمه بالطعام والشراب واللبن ثم يرغبون وينظرون الى القمر ويسالونه عن حوائجهم فاذا استهل الشهر علوا السطوح واوقدوا الدخن ودعوا عند رؤيته ورغبوا اليه ثم نزلوا عن السطوح الى الطعام والشراب والفرح والسرور ولم ينظروا اليه الا على وجوه حسنة وفي نصف الشهر اذا فرغوا من الافطار اخذوا في الرقص واللعب

ابيض اللون وذكر عنهم انهم يقولون انه تعالى لا يقدر على اعادة الاجسام بعد بلائها لكن
يقدر على ان يخلق مثلها ومن حماقاتهم انهم يجيزون كون امامين واكثر في وقت واحد واما
الاشعرية فقالوا ان شتم من اظهر الاسلام لله تعالى ولرسوله بافحش ما يكون من الشتم واعلان
التكذيب بهما باللسان بلا تقية ولا حكاية والاقرار بانه يدين بذلك ليس شيء من ذلك كفرا
ثم خشوا مبادرة جميع اهل الاسلام لهم فقالوا لكنه دليل على ان في قلبه كفرا فقلنا لهم
وتقطعون بصحة ما دل عليه هذا الدليل فقالوا لا وقالت الاشعرية ان ابليس قد كفر ثم اعلن
بعصيان الله تعالى في السجود لآدم عليه السلام فان ابليس من حينئذ لم يعرف ان الله تعالى
حقا ولا انه خلقه من نار ولا انه خلق آدم من تراب وطين ولا عرف ان الله امره بالسجود
لآدم بعدها قط ولا عرف بعد هذا قط ان الله كرم آدم ومن قولهم ما جمعهم ان ابليس لم
يسأل الله قط ان ينظره الى يوم البعث فقلنا لهم ويلكم ان هذا تكذيب لله عز وجل ولرسوله
صلى الله عليه وسلم ورد للقرآن قالوا لنا ان ابليس انما قال كل ذلك هازئا مستهزئا بلا معرفة
ولا اعتقاد كان هذا اشنع كفروا برده بعد كفر العالية من الرافضة وقالوا ان ابليس
لم يكفر بمعصيته الله في ترك السجود لآدم ولا بقوله عن آدم انا خير منه وانما كفر بجحد
الله تعالى كان في قلبه

﴿ قال ابو محمد ﴾ هذا خلاف للقرآن وتكهن لا يعرف صحته الا من حدثه به ابليس عن نفسه
على ان الشيخ غير ثقة فيما يحدث به وقالت الاشعرية ايضا ان فرعون لم يعرف قط ان موسى
انما جاءه بتلك الآيات من عند الله حقا وان اليهود والنصارى الذين كانوا في عهد النبي صلى
الله عليه وسلم لم يعرفوا قط ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا ولا عرفوا انه مكتوب
في التوراة والانجيل وان من عرف ذلك منهم وكتمه وتمادى على اعلان الكفر ومحاربة النبي
صلى الله عليه وسلم بخيبر ومن بني قريظة وغيرهم فانهم كانوا مؤمنين عند الله عز وجل اولياء
لله من اهل الجنة فقلنا لهم ويلكم هذا تكذيب لله عز وجل اذ يقول ﴿يجدونه مكتوبا عندهم
في التوراة والانجيل﴾ و﴿يعرفونه كما يعرفون ابناءهم﴾ و﴿فانهم لا يكذبونك﴾ فقالوا المعنى انهم
وجدوا خطا مكتوبا عندهم لم يفهموا معناه ولا دروا ما هو وانهم عرفوا صورته فقط ودروا
ان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب كما يعرف الانسان جاره فقط وكان هذا كفرا مجردا او
تحريفا لكلام الله تعالى عن مواضعه ومكابرة سمجة وحماقة ودفعا للضرورة وقد تقصينا الرد
على اهل هذه المقالة الملعونة في كتاب لنا رسمه كتاب اليقين في النقض على الملحدين المحتجين
عن ابليس اللعين وسائر الكافرين تقصينا فيه كلام رجل من كبارهم من اهل القيروان
اسمه عطاف بن دوناس في كتاب الله في نصر هذه المقالة وكان لشيخهم الاشعري في اعجاز
القرآن قولان احدهما كما يقول المسلمون انه معجز النظم والآخر انه هو المعجز الذي لم يفارق
الله عز وجل قط والذي لم يزل غير مخلوق ولا نزل الينا ولا سمعناه قط ولا سمعه جبريل
ولا محمد عليهما السلام قط وان الذي يقرأ في المصاحف ويسمعه فليس معجزا بل مقدور على
مثله وهذا كفر صحيح وخلاف لله تعالى ولجميع اهل الاسلام وقال كبيرهم وهو محمد بن
الطيب الباقلاني ان لله تعالى خمسة عشر صفة كلها قديمة لم تزل مع الله تعالى وكلها غير الله
وخلاف الله تعالى وكل واحدة منهن غير الاخرى منهن وخلاف لسائرها وان الله تعالى غيرهن
وخلافهن

والمعازف بين يدي الصنم
والقمر (عبدة الاصنام) اعلم
ان الاصناف التي ذكرنا
مذاهبهم يرجعون آخر
الامر الى عبادة الاصنام
اذا كان لا يستمر لهم طريقة
الا بشخص حاضر ينظرون
اليه ويعكفون عليه ومن
هذا اتخذت اصحاب
الروحانيات والكواكب
اصناما زعموا انها على صورتها
وبالجملة وضع الاصنام
حيثما قدر انما هو على معبود
عليه الحيا غائب حتى
يكون الصنم المعمول على
صورته وشكله وهيئته
نائبا منابه وقائما مقامه
والا فنعلم قطعا ان عاقلا
مالا ينحت بيده خشبا
صورة ثم يعتقد انه الهه
وخالقه وخالق الكل
اذ كان وجوده

(قال ابو محمد) هذا والله اعظم من قول النصارى وادخل في الكفر والشرك لان النصارى لم يجعلوا مع الله تعالى الا اثنين هو ثالثهما وهؤلاء جعلوا معه تعالى خمسة عشر هو السادس عشر لهم وقد صرح الاشعري في كتابه المعروف بالمجالس بان مع الله تعالى اشياء سواه لم تزل كما لم يزل

(قال ابو محمد) وهذا ابطال التوحيد علانية وانما حملهم على هذا الضلال ظنهم ان اثبات علم الله تعالى وقدرته وعزته وكلامه لا يثبت الا بهذه الطريقة الملعونة ومعاذ الله من هذا بل كل ذلك حق لم يزل غير مخلوق ليس شيء من ذلك غير الله تعالى ولا يقال في شيء من ذلك هو الله تعالى لان هذه تسمية له عز وجل وتسميته لا تجوز الا بنص وقد تقصينا الكلام في هذا في صدر ديواننا هذا والحمد لله رب العالمين وانما جعلنا ها هنا شنع اهل البدع تنفيرا عنهم وايحاشا للاغمار من المسلمين من الانس بهم ومن حسن الظن بكلامهم الفاسد ولقد قلت لبعضهم اذا قلتم ان مع الله تعالى خمسة عشر صفة كلها غيره وكلها لم تزل فما الذي انكرتم على النصارى اذ قالوا ان الله ثالث ثلاثة فقال لي انما انكرنا عليهم اذ جعلوا معه شيئين فقط ولم يجعلوا معه اكثر ولقد قال لي بعضهم اسم الله تعالى هو قولنا الله عبارة تقع على ذات الباري وجميع صفاته لا على ذاته دون صفاته فقلت له اتعبد الله ام لا فقال لي نعم فقلت له فانما تعبد اذا باقرارك الخالق وغيره معه فيكفيك فهذه نفرة فقال معاذ الله من هذا ما نعبد الا الخالق وحده فقلت له فانما تعبد اذا باقرارك بعض ما يسمى به الله مرة اخرى فقال معاذ الله من هذا وانا واقف في هذه المسئلة وقال شيخ لهم قديم وهو عبد الله بن سعيد بن كلاب البصري ان صفات الله تعالى ليست باقية ولا فانية ولا قديمة ولا حديثة لكنها لم تزل غير مخلوقة هذا مع تصريحه بان الله قديم باق ومن حماقات الاشعرية قولهم ان للناس احوالا ومعاني لا معدومة ولا موجودة ولا معلومة ولا مجهولة ولا مخلوقة ولا غير مخلوقة ولا ازلية ولا محدثة ولا حق ولا باطل وهي علم العالم بان له علما ووجود الواحد لوجوده كما يجد هذا امر سمعناه منهم نصا ورأيناه في كتبهم فهل في الرعونة اكثر من هذا وهل يمكن الموسوس المبرسم ان يأتي باكثر من هذا ولقد حاورني سليمان بن خلف الباجي كبيرهم هذه المسألة في مجلس حافل فقلت له هذا كما تقول العامة عندنا عنقاء مغرب وكلام ملولية ومن هوسهم قولهم ان الحق غير الحقيقة ولا ندري في اي لغة وجدوا هذا ام في اي شرع وارد ام في اي طبيعة ظهر لهم فقالوا ان الكفر حقيقة وليس بحق فقلنا كلا بل وجوده عن حقيقة ومعناه باطل لا حق ولا حقيقة وقالوا كلهم ان الله عامل لصفة تقوم بذاته هذا نص قول ابي جعفر السمناني المكفوف قاضي الموصل وهو اكبر اصحاب الباقلاني ومقدم الاشعرية في وقتنا هذا وقال هذا السمناني ايضا ان من سمى الله تعالى جسما من اجل انه حامل لصفاته في ذاته فقد اصاب المعنى واخطأ في التسمية فقط وقال هذا السمناني ان الله تعالى مشارك للعالم في الوجود وفي قيامه بنفسه كقيام الجواهر والاجسام وفي انه ذو صفات قائمة به موجودة بذاته كما ثبت ذلك فيما هو موصوف به من الصفات في حق اجسام العالم وجواهر هذا نص كلام السمناني حرفا حرفا

(قال ابو محمد) ما علمنا احدا من غلاة المشبهة اقدم على ان يطلق ما اطلق هذا المبتدع

مسبوقا بوجود صانعه وشكله محدث بصنعة ناحته لكن القوم لما عكفوا على التوجه اليها وربطوا حوائجهم بها من غير اذن وحجة وبرهان وسلطان من الله تعالى كان عكوفهم ذلك عبادة وطلبهم الحوائج منها اثبات الهية لها وعن هذا كانوا يقولون * ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى * فلو كانوا مقتصرين على صورها في اعتقاد الربوبية والالهية لما تعدوا عنها الى رب الارباب (الها كالية) لهم صنم يدعى بها كال له اربع أيد كثير شعر الرأس سبطها وباحدى يديه ثعبان عظيم فاغرفاه وباخرى عصا وبالثالثة رأس انسان وبالرابعة كانه يدفعها وفي اذنيه حيتان كالقرطين وعلى جسده ثعبانان عظيمان قد التفا عليه وعلى

الجاهل الملحد المشهور من ان الله تعالى مشارك للعالم حاشا الله من هذا وقال السمناني عن شيوخه من الاشعرية ان معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته انما هو على صفة الرحمن من الحياة والعلم والاقتدار واجتماع صفات الكمال فيه واسجد له ملائكته كما اسجدهم لنفسه وجعل له الامر والنهي على ذريته كما كان لله تعالى كل ذلك

﴿قال ابو محمد﴾ هذا نص كلامه حرفا حرفا وهذا كفر صريح وشرك بواح اذ صرح بان آدم على صفة الرحمن من اجتماع صفات الكمال فيهما فالله تعالى وآدم عنده مثلان مشتبهان في اجتماع صفات الكمال فيهما ثم لم يقنع بهذه السوءة حتى صرح بان سجود الملائكة لآدم كسجودهم لله عز وجل وحاشا لله من هذا لان سجود الملائكة لله تعالى سجود عبادة وديانة لخالقهم وسجودهم لآدم سجود سلام وتحية وتشريف منهم لآدم واكرام له بذلك كسجود يعقوب لابنه يوسف عليهما السلام فقط ثم زاد اللعين كفرا على كفر بنصه أن الله تعالى جعل له الامر والنهي على ذريته كما كان لله تعالى ذلك وهذا اشراك لاخفاء به كشرك النصارى في المسيح ولا فرق ونسال الله تعالى العافية وقال هذا السمناني أن مذهب شيوخه انهم لا يقولون أن الامر بالشيء دال على كونه مرادا للآمر قديما كان أو محدثا ولا يدل النهي على كونه مكروها عنده هذا نص كلامه وهذا خلاف الاسلام والاجماع والمعقول وتصريح بان الله تعالى اذ أمر بالصلاة والزكاة والحج والصيام والجهاد وشهادة الاسلام فليس في ذلك دليل على انه يريد شيئا من ذلك واذ نهى عن الكفر والزنا والبغي والسرقة وقتل النفس ظلما فليس ذلك دليلا على انه يكره شيئا من ذلك وما في الاقوال اشنع من هذا القول وقال السمناني انه لا يصح القول بان علم الله تعالى مخالف للعلوم كلها ولا ان قدرته مخالفة للقدر كلها لانها كلها داخلة تحت قولنا ووصفنا للقدر والعلوم هذا نص كلامه وهذا بيان بان دينهم ان علم الله تعالى وقدرته من نوع علمنا وقدرتنا واذا الامر كذلك عنده فعلمنا وقدرتنا عرضان فيما مخلوقان فوجب ضرورة ان علم الله تعالى وقدرته عرضان في الله مخلوقان اذ من الممتنع وقوع ما لم يزل مع المحدث المخلوق تحت حد واحد ونوع واحد ونص هذا السمناني ومحمد بن الحسن بن فورك في صدر كلامه في كتاب الاصول ان الحدود لا تختلف في قديم ولا محدث قالوا ذلك في كلامهم في علم الله تعالى في تحديدهم لمعنى العلم بصفة يقع تحتها علم الله تعالى وعلوم الناس وهذا نص منهم على ان الله تعالى محدود واقع معنا تحت الحدود وهو علمه وقدرته وهو شر من قول جهم شيخهم في الحقيقة وابين من قول كل مشبه في الارض ونص هذا السمناني على ان العالم والقادر والمريد من الله تعالى ومن خلقه انما كان محتاجا الى هذه الصفات لكونه موصوفا بها لا لجوازها عليه هذا نص كلامه وهذا تصريح منهم بلا تكلف ولا تأويل بان الله تعالى عن كفر هذا الارعن محتاج الى الصفات وهذا كفر ما يدري احد احدا قبله ونص هذا السمناني ايضا على ان الله تعالى لما كان حيا عالما كان موصوفا بالحياة والعلم والقدرة والارادة حتى لا يختلف الحال في ذلك في الشاهد والغائب هذا نص كلامه وهذا تصريح منه على ان الله تعالى حكم لم يجد الحكم في خلقه بل هو هم فيها سواء ونص هذا السمناني على انه اذا كانت الصفات الواجبة لله تعالى في كونه عالما قادرا لا ينفي وجوبها له عن ماهو مصحح لها من الحياة فيه كما لا يوجب عنده

رأسه اكاليل من عظام القحف وعليه من ذلك قلادة يزعمون انه عفريت يستحق العبادة لعظيم قدره واستحقاقه لها لما فيه من الخصال المحمودة المحبوبة والمذمومة من الاعطاء والمنع والاحسان والاساءة وانه مفزع لهم في حاجاتهم وله بيوت عظام بارض الهند ياتون اليها أهل ملته في كل يوم ثلاث مرات يسجدون له ويطوفون به ولهم موضع يقال له اختر فيه صنم عظيم على صورة هذا الصنم ياتونه من كل موضع ويسجدون له هناك ويطلبون حاجات الدنيا حتى ان الرجل يقول له فيما يسال زوجني فلانة واعطني كذا ومنهم من ياتيه ويقيم عنده الايام لا يذوق شيئا يتضرع اليه ويساله الحاجة حتى ربما يتفق

عما يوجب كونه عالما قادرا عن القدرة والعلم

﴿ قال ابو محمد ﴾ هذا نص جلي على ان الله تعالى غير غني عن شيء هو غيره لان الصفات عندهم هي غيره تعالى والله تعالى عندهم غير غني عنها تعالى الله واذا لم يكن غنيا عنها فهو فقير اليها هكذا قالت اليهود ان الله فقير تعالى الله عن هذا بل هو الغني جملة عما سواه وكل من دونه فقير اليه تعالى وقال السمناني ان قال قائل لم انكرتم ان يكون الله مريدا لنفسه حسب ما قاله النجار والجاحظ قيل له انكرنا ذلك لما قدمنا ذكره من ان الواحد من الخلق مريد بارادة ولا يخلو ان يكون حقيقة المريد من له الارادة أو كونه مريد اوجود الارادة له وأي الامرين كان وجبت مساواة الغائب الشاهد في هذا الباب

(قال ابو محمد) وهذا نص جلي على مساواة الله تعالى لخلقه عند هذا الجاهل وهذا أعظم في الكفر من قول كل مجسم لان جميع المجسمين لم يقدم احد منهم قط على القول بان الله تعالى مساو لخلقه قبل هذه الفرقة الملعونة ثم العجب قطعهم بان الله عز وجل غايب غير شاهد وحاشا الله عن هذا بل هو معنا وهو اقرب الينا من حبل الوريد كما قال عز وجل انه حاضر في العقول غير غائب وقال الباقلاني ما وجد في الله تعالى من التسميات فانه يجوز اطلاقها عليه وان لم يسم بذلك نفسه ما لم يرد شرع يمنع من ذلك

(قال ابو محمد) هذا نص منه على ان هاهنا معاني توجد في الله تعالى مع الالحاد في اسمائه باجازة تسميته بما لم يسم به عز وجل نفسه تعالى الله عن هذا علوا كبيرا وقالوا كلهم ان الله تعالى ليس له الا كلام واحد وليس له كلمات كثيرة

﴿ قال ابو محمد ﴾ هذا كفر مجرد لخلافه القرآن وتكذيب لله عز وجل في قوله * قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا * واذ يقول تعالى * ولو أن ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله * مع ان قولهم ليس لله تعالى الا كلام واحد قول احمق لا يعقل ولا يقوم به برهان شرعي ولا تشكل في هاجس ولا يوجبه عقل انما هو هذيان محض ويقال لهم لا يخلو القرآن عندهم من انه كلام الله تعالى أو ليس هو كلام الله تعالى فان قالوا ليس هو كلام الله تعالى كفروا من قرب وكفى الله تعالى مؤنتهم وان قالوا هو كلام الله تعالى فالقرآن مائة سورة واربعة عشر سورة فيها ستة آلاف اية ونيف كل سورة منها عند اهل الاسلام غير الاخرى وكل آية غير الاخرى فكيف يقول هؤلاء النوكى انه ليس لله تعالى الا كلام واحد اما هذا من الكفر البارد والقحة السمجة نعوذ بالله من الضلال وقالوا كلهم ان القرآن لم ينزل به قط جبريل على قلب محمد عليه الصلاة والسلام وانما نزل عليه شيء آخر هو العبارة عن كلام الله وان القرآن ليس عندنا البتة الا على هذا المجاز وان نرى في المصاحف ونسمع من القراء ونقرأ في الصلاة ونحفظ في الصدور ليس هو القرآن البتة ولا شيء منه كلام الله البتة بل شيء آخر وان كلام الله تعالى لا يفارق ذات الله عز وجل

(قال ابو محمد) وهذا من اعظم الكفر لان الله تعالى قال * بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ * وقال تعالى نزل به الروح الامين على قلبك * وقال تعالى * فاجره حتى يسمع كلام الله . وقال تعالى بل آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وقال رسول الله

(البركسهبكية) من سنتهم ان يتخذوا لانفسهم صنما يعبدونه ويقربون له الهدايا وموضع تعبدهم له ان ينظروا الى باسق الشجر وملتفه مثل الشجر الذي يكون في الجبال فيلتمسون منها أحسنها وأطولها فيجعلون ذلك الموضع موضع تعبدهم ثم ياخذون ذلك الصنم فياتون شجرة عظيمة من تلك الشجرة فيثقبون فيها موضعا يركزونه فيها فيكون سجودهم وطوافهم نحو تلك الشجرة

(الدهكينية) من سنتهم أن ياخذوا صنما على صورة امرأة وفوق رأسه تاج وله أيدي كثيرة ولهم عيد في يوم من السنة عند استواء الليل والنهار والشمس والقمر ودخول الشمس في الميزان فيتخذون في ذلك اليوم عريشا

صلى الله عليه وسلم انى احب ان أسمعه من غيري يعني القرآن وقال عليه السلام الذي يقرأ القرآن
مع السفرة الكرام البررة ونهيه صلى الله عليه وسلم ان يسافر بالقرآن الى ارض العدو الى
اجماع عامة المسلمين وخاصتهم وجاهلهم وعالمهم على القول حفظ فلان القرآن وقرأ فلان
القرآن وكتب فلان القرآن في المصحف وسمعنا القرآن من فلان وكلام الله تعالى ما في
المصحف من أول ام القرآن الى آخر قل اعوذ برب الناس وقال السمناني ايضا ان الباقلاني
وشيوخه قالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم انما اطلق القول بان ما نزل الله هو القرآن وهو
كلام الله تعالى انما هو على معنى انه عبارة عن كلام الله تعالى وانه يفهم منه امره ونهيه فقط
قال ابو محمد رضي الله عنه يقال لهم اخبرونا عن قولكم ان الكتاب هو المصحف والقراءة المسموعة
في المحاريب كل ذلك عبارة عن القرآن فماذا تقولون بذلك وهل هذا منكم الا تمويه ضعيف وهل
كل ما في المصحف الا عبارة عن معانيه التي اراده الله تعالى في شرع دينه من الصلاة والصيام
والايمان وغير ذلك واخبار الامم السالفة وصفة الجنة والنار والبعث وغير ذلك مما لا يختلف
من اهل الاسلام احد في ان المعبر عنه بذلك الكلام ليس هو كلام الله اصلا لان ذات
الجحودات النار وحركات المصلي وعمل الحاج وعمل الصائم واجسام عاد واشخاص ثمود
ليس شيء من ذلك كلام الله تعالى ولا قرآن فثبت انه ليس هو القرآن ولا هو كلام الله
الا العبارة المسموعة فقط والكلام المقروء والخط المكتوب في المصحف بلا شك اذ لم يبق
غير ذلك ان الكفر وتكذيب الله تعالى وتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم في ان
القرآن انزل عليه وانما سمع كلام الله وفهم الصحابة ان الذي هو كلام الله والقرآن عند
جميع اهل الاسلام ليس هو قرآنا ولا هو كلام الله ثم وهمتموهم باستخفافكم ان حركات
المتحير الجحودات النار هي كلام الله تعالى وهي القرآن فهل في الضلال والسخرية
بضعفة المسلمين والهزء بآيات الله تعالى اكثر من هذا ولقد اخبرني علي بن حمزة المراوي
الصقلي الصوفي انه رأى بعض الاشعرية يبطح المصحف برجله قال فما كبرت ذلك وقلت له
ويحك هكذا تصنع بالمصحف وفيه كلام الله تعالى فقال لي ويلك والله ما فيه الا السخام
والسواد وأما كلام الله فلا او نحو هذا من القول الذي هذا معناه وكتب الي ابو المرجى بن
زروار المصري ان بعض ثقات اهل مصر اخبره من طلاب السنن ان رجلا من الاشعرية
قال له مشافهة على من يقول ان الله قال قل هو الله احد الله الصمد الف لعنة
(قال ابو محمد) رضي الله عنه بل على من يقول ان الله عز وجل لم يقلها الف الف لعنة تترى وعلى من
ينكر انا نسمع كلام الله ونقرأ كلام الله ونحفظ كلام الله ونكتب كلام الله الف الف لعنة
تترى من الله عز وجل فان قول هذه الفرقة في هذه المسألة نهاية الكفر بالله عز وجل ومخالفة
للقرآن والنبي صلى الله عليه وسلم ومخالفة جميع اهل الاسلام قبل حدوث هذه الطائفة الملعونة
(قال ابو محمد) وقالت الاشعرية كلها ان الله عز وجل لم يزل قائلا لكل ما خلق او يخلق
في المستأنف كن الا ان الاشياء لم تكن الا حين كونها وهذا تكذيب منهم مكشوف لله
عز وجل اذ يقول انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فبين الله تعالى انه لا
يقول للشيء كن الا اذا اراد تكوينه وانه اذا قال له كن كان الشيء في الوقت بلا مهلة لان
هذا هو مقتضى الفاء في لغة العرب التي بها نزل القرآن فجمعوا الى تكذيب الله عز وجل في

عظيما بين يدي ذلك الصنم
ويقربون اليه القرابين من
الغنم وغيرها ولا يذبحونها
ولكن يضربون اعناقها
بين يديه بالسيوف
ويقتلون من اصابوا من
الناس قربانا بالعيلة حتى
ينقضي عيدهم وهم مستيئون
عند عامة أهل الهند بسبب
العيلة (الجلهكية) أي عباد
الماء يزعمون أن الماء ملك
ومعه ملائكة وانه اصل كل
شيء وبه ولادة كل شيء
ونمو ونشوء وبقاء وطهارة
وعمارة وما من عمل في
الدنيا الا ويحتاج الى الماء
فاذا أراد الرجل عبادته
تجرد وستر عورته ثم
دخل الماء حتى وصل الى
حلقه فيقيم ساعة أو
ساعتين أو اكثر وأخذ
ما امكنه من الرياحين
فيقطعها صغارا ويلقي فيه
بعضه بعد بعض وهو
يسبح ويقرأ فاذا اراد

خبرية جميعا ايجاب ازلية العالم لان الله تعالى اذا كان لم يزل قائلا لما يكون كن فان التكوين لم يزل وهذه دهرية محضة ثم قال السمناني بعد اسطر لانه لو وجب وجود ما وجد في الوقت الذي وجد فيه لاجل قول الله تعالى كن لوجب ان يوجد لاجل قول غيره له كن لان صفة الاقتضاء لا تختلف في ذلك بين القديم والمحدث

(قال ابو محمد) هذا نص كلام هذا الفاسق الملحد حرفا حرفا وهذا كفر محض وحماقة لاخفاء بها اما الكفر فابطاله ان وجود الاشياء في الاوقات التي وجدت فيها انما وجدت لاجل قول الله تعالى لها كن وايجابه ان الاشياء لم توجد في احيان وجودها لقول الله تعالى لها كن وهذا تكذيب لله تعالى صرف وخروج عن اجماع اهل الاسلام وكل من يصلي الى القبلة قبلهم ومن الكفر الصريح ايضا في هذا الكلام الملعون قوله ان صفة الاقتضاء في ذلك لا تختلف بين القديم والمحدث فسوى بين الله تعالى وخلقه واما الحماقة فقوله لو وجدت الاشياء من اجل قول الله تعالى لها كن لوجب ان يوجد لاجل قول غيره لها كن فيا للمسلمين هل سمع في الحمق والرعونة وقلة الحياء اكثر من قول من سوى بين قول الله عز وجل كن للشيء اذا اراد تكوينه وبين قول غيره من الناس كن وهذا اخبث من قول الدهرية ونعوذ بالله من الضلال فلولا الخذلان ما انطلق بهذا النوك لسان من لا يقذف بالحجارة في الشوارع وما شبهت بهذا الكلام الا كلام الدلال ابي هاشم الجبائي لو لم يجز لنا ان نسمي الله تعالى باسم حتى يأذن لنا في ذلك لوجب ان لا يجوز لله ان يسمي نفسه حتى يأذن له غيره في ذلك

(قال ابو محمد) وهذه اقوال لو قالها صبيان يسيل مخاطهم لايس من فلاحهم وتالله لقد لعب الشيطان بهم كما شاء فانا لله وانا اليه راجعون وقالت الاشعرية كلها ان الله لا يقدر على ظلم احد البتة ولا يقدر على الكذب ولا على قول ان المسيح ابن الله حتى يقول قبل ذلك وقالت النصارى وانه لا يقدر على ان يقول عزير ابن الله حتى يقول قبل ذلك وقالت اليهود وانه لا يقدر على ان يتخذ ولدا وانه لا يقدر البتة على اظهار معجزة على يدي كذاب يدعي النبوة فان ادعى الالهية كان الله تعالى قادرا على اظهار المعجزات على يديه وانه تعالى لا يقدر على شيء من المحال ولا على احالة الامور عن حقائقها ولا على قلب الاجناس عن ماهيتها وانه تعالى لا يقدر البتة على ان يقسم الجزء الذي لا يتجزأ ولا على ان يدعو احدا الى غير التوحيد هذا نص كلامهم وحقيقة معتقدهم فجعلوه تعالى عاجزا متناهي القوة محدود القدرة يقدر مرة ولا يقدر اخرى ويقدر على شيء ولا يقدر على آخر وهذه صفة النقص وهم مع هذا يقولون ان الساحر يقدر على قلب الاعيان وعلى ان يمسخ انسانا فيجعله حمارا على الحقيقة وعلى المشي في الهواء وعلى الماء فكان الساحر عندهم أقوى من الله تعالى

(قال ابو محمد) وخشوا مبادرة اهل الاسلام لهم بالاصطلام فحسنوا عن ان يصرحوا بان الله تعالى لا يقدر فقالوا لا يوصف الله بالقدرة على شيء مما ذكرنا

(قال ابو محمد) ولا راحة لهم في هذا لانا نقول لهم ولم لا يصفه بالقدرة على ذلك الا انه لا يقدر على شيء من ذلك وانه قدرة على كل ذلك ام لانه لا يقدر على كل ذلك ولا له قدرة على شيء من ذلك ولا بد من احدهما ضرورة العقل وانقطعت حيلتهم الضعيفة ولا بد لهم من القطع بانه لا يقدر وبانه لا قدرة له على ذلك واذ قد صرحوا بهذا بالضرورة

توفي قلانوس ترأس برهمن على الهند كلهم فرغب الناس في تلطيف الابدان وتهذيب الانفس وكان يقول اي امرئ هذب نفسه واسرع في الخروج من هذا العالم الدنس وطهر بدنه من اوساخه ظهر له كل شيء وعاين كل غائب وقدر على كل متعذر وكان محبورا مسرورا ملتذا لا يشقى ولا يمل ولا يكل ولا يمسه نصب ولا لغوب فلما نهج لهم الطريق واحتج عليهم بالحجج المقنعة اجتهدوا اجتهادا شديدا وكان يقول أيضا

فاول العقل ومسموع اللغة كلاهما يوجبان أن من لا يقدر على شيء فهو عاجز عنه وان من لا قدرة له على شيء فصفة العجز والضعف لاحقة به فلا بد لهم ضرورة من اطلاق اسم العجز على الله تعالى ووصفه بانه عاجز وهذا حقيقة مذهبهم يقينا الا انهم يخافون البوار ان اظهروه وقال هذا الباقلانى لا فرق بين النبي والسحر الكذاب المتنبي فيما ياتيان به الا التحدى فقط وقول النبي لمن بحضرته هات من يعمل كعملى وهذا ابطال للنبوة مجرد وقال الباقلاني وابن فورك واشياعهما من اهل الضلالة والجهالة ليس لله تعالى اسماء البتة وانما له تعالى اسم واحد فقط ليس له اسم غيره وان قول الله تعالى * ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى اسمائه * انما اراد ان يقول لله التسميات الحسنى فذروا الذين يلحدون فى تسمياته فقال لله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى اسمائه قالوا وكذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسماء مائة غير واحدا انما اراد ان يقول تسعا وتسعين تسميه فقال تسعة وتسعين اسما

﴿قال ابو محمد﴾ ما فى البرهان على قلة الحياء وفساد الدين واستسهال الكذب اكثر من هذا وليت شعرى من اخبرهم عن الله تعالى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الافك ثم ليت شعري اذ زعموا ان الله تعالى اراد ان يقول التسميات الحسنى فقال الاسماء الحسنى لاى شيء فعل ذلك الكلفة أم عجلة أم تعمد لاضلال عباده ولا سبيل والله الى رابع فاعجبوا لعظيم ما حل بهؤلاء القوم من الدمار والتبار والكذب على الله عز وجل جهارا وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا رهبة ونعوذ بالله من الضلال مع ان هذا قول ما سبقهم اليه أحد وقالوا كلهم ان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ليس هو رسول الله اليوم لكنه كان رسول الله

(قال ابو محمد) فكذبوا القرآن فى قول الله عز وجل * محمد رسول الله * وكذبوا الاذان وكذبوا الاقامة التى افترضها الله تعالى خمس مرات كل يوم وليلة على كل جماعة من المسلمين وكذبوا دعوة جميع المسلمين التى اتفقوا على دعاء الكفار اليها وعلى انه لا نجاة من النار الا بها واكذبوا جميع اعصار المسلمين من الصحابة فمن بعدهم فى اطباق جميعهم برهم وفاجرهم على الاعلان بلا اله الا الله محمد رسول الله ووجب على قولهم هذا الملعون انه يكذب المؤذنون والمقيمون ودعاة الاسلام فى قولهم محمد رسول الله وان الواجب ان تقولوا محمد كان رسول الله وعلى هذه المسألة قتل الامير محمود بن سبكتكين مولى امير المؤمنين وصاحب خراسان رحمه الله ابن فورك شيخ الاشعرية فاحسن الله جزاء محمود على ذلك ولعن ابن فورك واشياعه واتباعه

(قال ابو محمد) انما حملهم على هذا الكفر الفاحش قول لهم آخر فى نهاية الضلال والانسلاخ من الاسلام وهى قولهم ان الارواح اعراض تفنى ولا تبقى وقتين وان روح كل واحد منا الان هو غير روحه الذى كان له قبل ذلك بطرفة عين وان كل واحد منا يبدل اريد من الف الف روح فى كل ساعة زمانية وان النفس انما هو هذا الهواء الخارج بالتنفس حارا بعد دخوله باردا وان الانسان اذا مات فنى روحه وبطل وانه ليس لمحمد ولا لاحد من الانبياء عند الله تعالى روح ثابتة تنعم ولا نفس قائمة تكرم وهذا خروج عن اجماع الاسلام فما قال

ان ترك لذات هذا العالم هو الذى يلحقكم بذلك العالم حتى تتصلوا به وتنخرطوا فى سلكه وتخلدوا فى لذاته ونعيمه فدرس أهل الهند هذا القول ورسخ فى عقولهم ثم توفى عنهم برهمن وقد تجسم القول فى عقولهم لشدة الحرص واللحاق بذلك العالم افترقوا فرقتين فرقة قالت ان التناسل فى هذا العالم هو الخطا الذى لا خطا أبين منه اذ هو نتيجة اللذة الجسمانية وثمرة النطفة الشهوانية فهو حرام وما يؤدى اليه

بهذا أحد ممن ينتمي الى الاسلام قبل أبي الهذيل العلاف ثم تلاه هؤلاء وهذا خلاف مجرد للقرآن وتكذيب لله عز وجل اذ يقول * أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون * واذ يقول عز وجل * ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون * وقال عز وجل * ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون * وبقوله تعالى * الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى * وخلاف للسنن الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المنقولة نقل التواتر من رؤيته صلى الله عليه وسلم الانبياء عليهم السلام ليلة أسري به في السماء وماجرى له مع موسى عليه السلام في عدد الصلوات المفروضات وأن أرواح الشهداء نسمة تعلق في ثمار الجنة وما يلقى الروح عند خروجه من الفتنة والمسألة وأخباره عليه السلام أنه رأى عن يمين آدم اسودة نسم بنيه من أهل الجنة وعن يساره أسودة نسم بنيه من أهل النار وسائر السنن المأثورة

﴿ قال ابو محمد ﴾ ثم خجلوا من هذه العظيمة وتبرأ منهم إبليس الذي ورطهم فيها فشلو فقالوا في كتبهم فان لم يكن هذا فان الروح تنتقل عند خروجها من الجسم الى جسم آخر هكذا نص الباقلاني في أحد كتبه وأظنه الرسالة المعروفة بالحرة هذا مذهب التناسخ بلا كلفة وقال السمناني في كتابه أن الباقلاني وأصحابه قالوا ان كل ما جاء في الخبر من نقل أرواح الشهداء الى حواصل طير خضر وأن روح الميت ترد اليه في قبره وماجرى مجرى ذلك من وصف الروح بالقرب والبعد والحركة والانتقال والسكون والعذاب فكل ذلك محمول على أقل جزء من أجزاء الميت والشهيد أو الكافر واعادة الحياة في ذلك الجزء

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا طريق من الهوس جدا وتطايب بالدين ولقد أخبرني ثقة من أصحابي انه سمع بعض مقدميهم يقول ان الروح انما تبقى في عجب الذنب لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم ياكله التراب الا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب

(قال ابو محمد) وهذا التاويل أقرب الى الهزل منه الى أقوال أهل الاسلام ونعوذ بالله من الخذلان فانما هذه ستائر دون مذهبهم الخبيث الذي ذكرنا آنفا وقالوا كلهم ان النظر في دلائل الاسلام فرض وأنه لا يكون مسلما حتى ينظر فيها وان من شرط الناظر فيها أن يكون ولا بد شاكا في الله عز وجل وفي صحة النبوة ولا يصح النظر في دلائل النبوة ودلائل التوحيد لمن يعتقد صحتها

(قال ابو محمد) والله ما سمع سامع قط بادخل في الكفر من قول من أوجب الشك في الله تعالى وفي صحة النبوة فرضا على كل متعلم لا نجاة له الا به ولا دين لاحد دونه وان اعتقاد صحة التوحيد لله تعالى وصحة النبوة باطل لا يحل فحصل من كلامهم ان من لم يشك في الله تعالى ولا في صحة النبوة فهو كافر ومن شك فيهما فهو محسن مؤد ما وجب عليه وهذه فضيحة وحماقة اللهم انا نبرأ اليك من هذا القول ومن كل قائل به ثم لم يحدوا في امد الاستدلال حدا فليت شعري على هذا القول الملعون هو ومعتقده والداعي اليه كيف يكون حال من قبل وصيتهم هذه التي هي وصية الشيطان الرجيم فتدين بالشك في الله تعالى وفي النبوة وامتد به أمد الاستدلال أياما وأشهرا وساعات مات فيها أين مستقره ومصيره الى النار والله خالدا

من الطعام اللذيذ والشراب الصافي وكل ما يهيج الشهوة واللذة الحيوانية البطنة الشهوانية فهو حرام وما يؤدي اليه من الطعام اللذيذ والشراب الصافي وكل ما يهيج الشهوة واللذة الحيوانية وينشط النفوس البهيمية فحرام أيضا فاكتفوا بالقليل من الغذاء قدر ما يثبت به أبدانهم ومنهم من كان لا يرى ذلك القليل أيضا ليكون لحاقه بالعالم

مخلدا أبد ويقين ندرى أن قائل هذه الاقوال مطالب للاسلام كائدله مرصدلاهله داعية الى الكفر ونعوذ بالله من الضلال وقالوا كلهم أن اطعام رسول الله صلى الله عليه وسلم المئين والعشرات من صاع شعير مرة بعد مرة وسقيه الالف والالوف من ماء يسير ينبع من بين أصابعه وحنين الجذع ومجىء الشجرة وتكلم الذراع وشكوى البعير ومجىء الذئب ليس شىء من ذلك دلالة على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في نبوته لانه عليه السلام لم يتحد الناس بذلك ولا يكون عندهم آية الا ماتحدى به الكفار فقط وهذا تكذيب منهم للنبى صلى الله عليه وسلم فى قوله اذ فعل ذلك أشهد أنى رسول الله وهذا أيضا قول افتروه خالفوا فيه جميع أهل الاسلام وقالوا كلهم ليس لشيء من الاشياء نصف ولا ثلث ولا ربع ولا سدس ولا ثمن ولا عشر ولا بعض وانه لايجوز أن يقال الفرد عشر العشرة ولا انه بعض الخمسة وحجتهم فى ذلك أنه لو جاز أن يقال ذلك لكان عشرا لنفسه وبعض نفسه

(قال ابو محمد) وهذا جهل شديد لانه انما هو بعض من جملة يكون سائرها غيره وعشر جملة يكون سائرها غيره ونسوا انفسهم فقالوا بالجزء لايتجزء ونسوا الزام انفسهم ان يكون جزءا لنفسه وهذا تكذيب لله عز وجل اذ يقول فى القرآن فلها النصف فلامه الثلث فلامه السدس ولكم الربع ولهن الثمن بعضهم اولياء بعض وهذا عن النبى صلى الله عليه وسلم كثير مع مخالفتهم فى ذلك جميع اهل الارض مؤمنهم وكافرهم ومخالفة كل لغة والمعقول والطبائع وقالوا كلهم من قال ان النار تحرق او تلفح او ان الارض تهتز او تنبت شيئا او ان الخمر يسكر أو أن الخبز يشبع أو أن الماء يروى أو أن الله تعالى ينبت الزرع والشجر بالماء فقد ألحد وافترى وقال الباقلانى من آخر السفر الرابع من كتابه المعروف بالانتصار فى القرآن نحن ننكر فعل النار للتسخين والاحراق وننكر فعل الثلج للتبريد وفعل الطعام والشراب للشبع والرى والخمر للاسكار كل هذا عندنا باطل محال ننكره أشد الانكار وكذلك فعل الحجر لجذب شىء أو رده أو حبسه أو إطلاقه من حديد أو غيره هذا نص كلامه

(قال ابو محمد) وهذا تكذيب منهم لله عز وجل اذ يقول * تلفح وجوههم النار * ولقوله تعالى * وأنزلنا من السماء ماء مباركا فانبتنا به جنات وحب الحصيد * وقوله تعالى * انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وانفسهم * الآية وقوله تعالى * فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج * وقد صككت بهذا وجه بعض مقدميهم فى المناظرة فبهت وبلد وهو أيضا تكذيب لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول كل مسكر حرام وكل شراب أسكر حرام مع مخالفتهم لكل لغة ولكل ذى حس من مسلم وكافر ومكابرة العيان وابطال المشاهدة ثم اطرف شىء احتجاجهم فى هذه الطامة بان الله عز وجل هو الذى خلق ذلك كله فقلنا لهم اليس فعل كل حى مختار واختياره خلقا لله عز وجل فلا بد من قولهم نعم فيقال لهم فمن اين نسبتم الفعل الى الاحياء وهى خلق الله تعالى ومنعتم من نسبته الى الجمادات لانه خلق الله تعالى ولا فرق ولكنهم قوم لا يعقلون

(قال ابو محمد) وسمعت بعض متقدميهم يقول ان من كان على معاصى جمة من زنا وسرقة وترك صلاة وتضييع زكاة وغير ذلك ثم تاب عن بعضها دون بعض فان توبته تلك لاتقبل وقد نص السمنانى على أن هذا قول الباقلانى وهو قول أبي هاشم الجبائى ثم قال السمنانى

الاعلى اسرع ومنهم من اذا رأى عمره قد تدنس القى نفسه فى النار تزكية لنفسه وتطهيرا لبدنه وتخليصا لروحه ومنهم من يجمع ملاذ الدنيا من الطعام والشراب والكسوة ويمثلها نصب عينيه لكي يراها البصر وتتحرك نفسه البهيمية اليها فتشتاقها ويشتهيها فيمنع نفسه عنها بقوة النفس المنطقية حتى يذبل البدن وتضعف النفس وتفارق لضعف الرباط الذى كان يربطها به واما الفريق الاخر فانهم كانوا يرون التناسل والطعام والشراب وسائر اللذات بقدر الذى هو طريق الحق

هذا قول حارق للاجماع جملة وخلاف لدين الامة هذا نص قول السمنانى فى شيخه وشهدوا على أنفسهم وأقبل بعضهم على بعض يتلاومون

﴿قال ابو محمد﴾ هذا القول مخالف للقرآن والسنن لان الله تعالى يقول * فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره * وقال تعالى * ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا * الآية وقال تعالى * انى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى * وبالضرورة يدرى كل ذى مسكة من عقل ان التوبة من الزنا خير كثير فهذا الجاهل يقول انه لا يراه صاحبه وانه عمل ضائع عند الله عز وجل من مسلم مؤمن ومعاذ الله من هذا وسر هذا القول الملعون وحقيقته التى لا بد لقائله منه انه لا معنى لمن اصر على الزنا او شرب الخمر فى ان يصلى ولا ان يزكى فقد صار يامر بترك الصلاة الخمس والزكاة وصوم رمضان والحج فعلى هذا القول وقائله لعائن الله تترى ما دار الليل والنهار ونص السمنانى عن الباقلانى شيخه انه كان يقول ان الله تعالى لا يغفر الصغائر باجتناب الكبائر

﴿قال ابو محمد﴾ وانا سمعت بعض مقدميهم ينكر ان يكون فى الذنوب صغائر وناظرته بقول الله تعالى * ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم * وقلت بالضرورة يدرى كل ذى فهم انه لا كبائر الا بالاضافة الى ما هو اصغر منها وهى السيئات المغفورة باجتناب الكبائر بنص كلام الله تعالى فقولك هذا خلاف للقرآن مجرد فخلط ولجا الى الجرد وهذا منهم تكذيب لله عز وجل ورد لحكمه بلا كلفة ومن شنعهم المزوجة بالهوس وصفاقة الوجه قولهم انه لا حر فى النار ولا فى الثلج برد ولا فى العسل حلاوة ولا فى الصبر مرارة وانما خلق الله تعالى ذلك عند اللمس والذوق وهذا احمق عتيق قادهم اليه انكارهم الطبائع وقد ناظرناهم على ذلك هذا مع قول شيخهم الباقلانى ان للقشور الشمس رائحة وللزجاج والحصا طعما ورائحة وزادوا حتى بلغوا الى ان قالوا ان للفلك طعما ورائحة فليت شعرى متى ذاقوه او شموه او من اخبرهم بهذا وهذا لا يعرفه الا الله ثم الملائكة الذين هنالك ولكن من ذاق طعم الزجاج وشم رائحته غير منكر ان يدعى مشاهدة الفلك ولمسه وشمه وذوقه ومن شنعهم قولهم ان من كان الآن على دين الاسلام مخلصا بقلبه ولسانه مجتهدا فى العبادة الا ان الله عز وجل يعلم انه لا يموت الا كافرا فهو الآن عند الله كافر وان من كان الآن كافرا يسجد للنار وللصليب او يهوديا او زنديقا مصرحين بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان فى علم الله تعالى انه لا يموت الا مسلما فانه الآن عند الله مسلم

(قال ابو محمد) ما قال هذا مسلم قط قبل هشام الفوطى وهذه مكابرة للعيان وتكذيب لله عز وجل مجرد كانهم ما سمعوا قط قول الله تعالى * ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا * فسماهم مؤمنين ثم اخبر تعالى انهم كفروا وقوله تعالى * ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر * فجعل الاسلام دينا لما كان عليه اذ كان عليه وان ارتد بعد ومات كافرا وقوله تعالى مخاطبا للمسلمين من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم * ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا * ويلزمهم ان الذى يسلم ابوه ولا يسلم هو لانه كان الفاسق مات ابوه فلم يرثه لكفره ثم اسلم ان يفسخوا حكمهم ويورثوه من ابيه لانه عندهم كان اذ مات ابوه مؤمنا عند الله تعالى ويلزمهم

حلالا وقليل منهم من يتعدى عن الطريق ويطلب الزيادة وكان قوم من الفريقين سلكوا مذهب فيثاغورس من الحكم والعلم فتقطعوا حتى صاروا يظهرون على ما فى أنفس أصحابهم من الخير والشر ويخبرون بذلك فيزيدهم بذلك حرصا على رياضة الفكر وقهر النفس الامارة بالسوء واللحوق بما لحق به أصحابهم ومذهبهم فى البارى تعالى انه نور محض الا انه لابس جسدا ما يستتر لئلا يراه الا من استاهل رؤيته

ان من كان صبيا ثم عاش حتى شاخ انه لم يكن عند الله قط الا شيخا ولو جمع ما يدخل عليهم لقام منه سفر ضخم وقالوا كلهم انه ليس على ظهر الارض يهودي ولا نصراني يقر بقلبه ان الله حق

(قال ابو محمد) هذا تكذيب للقرآن على ما بينا قبل ومكابرة للعيان لانا لا نحصى كم دخل في الاسلام منهم وصلح ايمانه وصار عدلا وكلهم لا يختلف في انه كان قبل اسلامه مقرا بالله عز وجل عالما به كما هو بعد اسلامه لم يزد في توحيده شيء فكابروا العيان وكذبوا القرآن بحمق وقلة حياء لا نظير له وقال الباقلاني في كتابه المعروف بالانتصار في القرآن معنى قول الله تعالى * لا يرضى لعباده الكفر * وقوله تعالى * لا يحب الفساد * انما معناه لا يحب الفساد لاهل الصلاح ولا يرضى لعباده المؤمنين ان يكفروا ولم يرد انه لا يرضاه لاحد من خلقه ولا يحبه لاحد منهم ثم قال وان كان قد احب ذلك ورضيه لاهل الكفر والفساد

(قال ابو محمد) وهذا تكذيب لله تعالى مجرد ثم ايضا اخبر بان الكفار فعلوا من الكفر امرا رضيه الله تعالى منهم واحبه منهم فكيف يدخل هذا في عقل مسلم مع قوله تعالى * اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم * واعجبوا لظلمة جهله اذ لم يفرق بين ارادة الكفر والمشيئة والخلق له وبين الرضا والمحبة وقال ايضا فيه ان اقل من سورة من القرآن ليس بمعجز اصلا بل هو مقدور على مثله وقال ايضا في السفر الخامس من الديوان المذكور ان قيل كيف تقولون اكان يجوز من الله ان يؤلف القرآن تاليفا آخر غير هذا يعجز الخلق عن مقابلته قلنا نعم هو تعالى قادر على ذلك وعلى ما لا غاية له من هذا الباب وعلى اقدار كثيرة واعداد لا يحصيها غيره الا ان كان تاليف الكلام ونظم الالفاظ لا بد ان يبلغ الى غاية وحد لا يحتمل الكلام اكثر منه ولا اوسع ولا يبقى وراء تلك الاعداد نص والاوزان شيء تتناوله القدرة قال ولنا في هذه المسألة نظر في تاليف الكلام ونظم الاجسام وتصوير الاشخاص هل يجب ان يكون نهاية لا يحتمل المؤلف والمنظوم فوقها ولا ما هو اكثر منها ام لا

(قال ابو محمد) هذا صرح بالشك في قدرة الله تعالى الها نهاية كما يقول ابو الهذيل اخوه في الضلال والكفر ام لا نهاية لها كما يقول اهل الاسلام ونعوذ بالله من الضلال

(قال ابو محمد) ولقد اخبرني بعض من كان يداخلهم وكان له فيهم سبب قوي وكان من اهل الفهم والذكاء وكان يزري في باطن امره عليهم انهم يقولون ان الله تعالى مذ خلق الارض فانه خلق جسما عظيما يمسكها عن ان تهوي هابطة فلما خلق ذلك الجسم افناه في الوقت بلا زمان وخلق آخر مثله يمسكها ايضا فلما خلقه افناه اثر خلقه بلا زمان ايضا وخلق آخر وهكذا ابدا ابدا بلا نهاية قال لي وحجتهم في هذا الوسواس والكذب على الله تعالى فيه مما لم يقله احد قبلهم مما يكذبه الحس والمشاهدة انه لا بد للارض من جسم يمسكها والا هوت ولو كان ذلك الممسك يبقى وقتين او مقدار طرفة عين لسقط هو ايضا معها فهو اذا خلق ثم افني اثر خلقه ولم يقع لان الجسم عندهم في ابتداء خلقه لا ساكن ولا متحرك

(قال ابو محمد) وهذا احتجاج للحمق بالحمق وما عقل احد قط جسما لا ساكنا ولا متحركا الجسم في ابتداء خلق الله تعالى له في مكان محيط به في جهاته ولا شك ساكن في مكانه ثم تحرك وكانهم لم يسمعوا لقول الله تعالى * ان الله يمسك السموات والارض ان

واستحقها كالذي يلبس في هذا العالم جلد حيوان فاذا خلعه نظر اليه من وقع بصره عليه واذا لم يلبسه لم يقدر احد من النظر اليه ويزعمون انهم كالسبايا في هذا العالم فان من حارب النفس الشهوية حتى منعها عن ملاذها فهو الناجي من دنيات العالم السفلي ومن لم يمنعها بقي اسيرا في يدها والذي يريد تحارب هذا اجمع فانما يقدر على محاربتها بنفي التحيز والعجب وتسكين الشهوة والحرص والعد

نزولا * فاخبر تعالى انه يمسكها كما شاء دون تكلف مالم يخبر الله تعالى به ولا جعل في العقول دليلا عليه ولو ان قائل هذا الحمق وقف على الحق وطالع شيئا من براهين الهيئة لخجل مما اتى به من الهوس ومن شنعهم قول هذا الباقلاني في كتابه المعروف بالانتصار في القرآن ان تقسيم آيات القرآن وترتيب مواضع سوره شيء فعله الناس وليس هو من عند الله ولا من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ قال ابو محمد ﴾ فقد كذب هذا الجاهل وافك اترا ماسمع قول الله تعالى * ما ننسخ من آية أو ننسها نات بخير منها او مثلها * وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في آية الكرسي وآية الكلالة والخبر انه عليه السلام كان يامر اذا نزلت الآية ان تجعل في سورة كذا وموضع كذا ولو ان الناس رتبوا سوره لما تعدوا احدوجوه ثلاثة اما ان يرتبوها على الاول فالاول نزولا او الاطول فما دونه او الاقصر فما فوقه فاذ ليس ذلك كذلك فقد صح انه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا يعارض عن الله عز وجل لايجوز غير ذلك اصلا ومن شنعهم قول الباقلاني في كتابه في مذاهب القرامطة قرب اخر الكتاب في باب ترجمته ذكر جمل مقالات الدهرية والفلاسفة والثنوية قال الباقلاني فاما ما يستحيل بقاؤه من اجناس الحوادث وهي الاعراض فانما يجب عدمها في الثاني من حال حدوثها من غير معدم ولا شيء يفنيها هذا نص كلامه وقال متصلا بهذا الفصل واما نحن فنقول انها تفنى الجواهر بقطع الاكوان عنها من حيث لا يصح لها وجود لا في مكان ولا فيما يقدر تقدير المكان واذا لم يلحق فيها شيء من الاكوان عدم مادون يحلق فيها منها اوجب عدمها هذا نص كلامه وهذا قول بافناء الجواهر والاعراض وهو فناء واعدام لافاعل لهما وان الله تعالى لم يفن الفاني ونعوذ بالله من الضلال والالحاد المحض وقالوا باجمعهم ليس لله تعالى على الكفار نعمة دينية اصلا وقال الاشعري شيخهم ولا له على الكفار نعمة دنيوية اصلا وهذا تكذيب منه ومن اتباعه الضلال لله عز وجل اذ يقول * بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار واذ يقول عز وجل يابني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين . وانما خاطب تعالى بهذا كفارا جحدوا نعمة الله تعالى تمكينا لهم واما الدنيوية فكثير قال تعالى * قتل الانسان ما اكفره من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره * الى قوله * فلينظر الانسان الى طعامه * الآية ومثله من القرآن كثير وقال الباقلاني في كتابه المعروف بالانتصار في القرآن في باب مترجم بباب الدلالة على ان القرآن معجز للنبي صلى الله عليه وسلم وذكروا سؤال الملحدين عن الدليل على صحة ما ادعاه المسلمون من ان القرآن معجز وقال الباقلاني يقال لهم ما معنى وصف القرآن وغيره من ايات الرسول صلى الله عليه وسلم بانه معجز فانما معناه انه مما لا يقدر العباد عليه وان يكونوا عاجزين على الحقيقة وانما وصف القرآن وغيره من ايات الرسل عليهم الصلاة والسلام كعصى موسى وخروج الناقة من الصخرة وابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى بانه معجز وان لم يتعلق به عجز عاجز عنه على وجه التسمية بما يعجز عنه العاجز من الامور التي صح عجزهم عنها وقدرتهم عليها لانهم لم يقدروا على معارضات ايات الرسل غير عن عدم قدرتهم على ذلك فالعجز عنه تشبيها له بالمعجوز عنه قال الباقلاني ومما يدل على ان العرب لا

عما يدل عليها ويوصل اليها ولما وصل الاسكندر الى تلك الديار وأراد محاربتهم صعب عليه افتتاح مدينة أحد الفريقين وهم الذين كانوا يرون استعمال اللذات في هذا العالم بقدر القصد الذي لا يحرج الى فساد البدن فجهد حتى افتتحها وقتل منهم جماعة من اهل الحكمة فكانوا يرون جثث قتلاهم مطروحة كانها جثث السمك الصافية النقية التي في الماء الصافي فلما رأوا ذلك ندموا على فعلهم وأمسكوا

يجوز ان تعجز عن مثل القرآن لانه قد صح وثبت ان العجز لا يكون عجزا الا عن موجود فلو كانوا على هذا الاصل عاجزين عن مثل القران وعصى موسى واحياء الموتى وخلق الاجسام والاسماع والابصار وكشف البلوى والعاهات لوجب ان يكون ذلك المثل موجودا فيهم ومنهم كما انهم لو كانوا قادرين على ذلك لوجب ان يكون ذلك منهم ولما لم يكن ذلك كذلك ثبت انه لا يجوز عجز العباد على الحقيقة عن مثل القران مع عدمه منهم وكونه غير موجود لهم ولا عن قلب عصى موسى حية ولا عن مثل ذلك

(قال ابو محمد) اينتظر كفر بعد هذا الكفر فى تصريحه ان العباد والعرب لا يجوز ان يعجزوا عن مثل القران ولا عن قلب العصا حية ولا يعتر ضعيف بقوله انهم غير قادرين على ذلك فانما هو على قوله المعروف من ان الله لا يقدر على غير ما فعل وظهر منه فقط ومن عظيم المحال قوله فى هذا الفصل انه لا يجوز ان يعجز العاجز الا عما يقدر عليه مع ان هذا الكلام منه موجب انهم ان عجزوا عن مثل القران قدروا عليه وما يمترى فى انه كان كائدا للاسلام ملحدا الا شك فيه فهذه الاقوال لا ينطلق بها لسان مسلم ومن اعظم البراهين على كفر الباقلاني وكيده للدين قوله فى فصل آخر من الباب المذكور فى الكتاب المذكور انه لا يجب على من سمع القران من محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم أن يبادر الى القطع على أنه له آية أو انه على يده ظهر ومن قبله نجم حتى يسال أهل النواحى والاطراف واهله الاخبار ويتعرف حال المتكلمين بذلك اللسان فى الافاق فاذا علم بعد التثبت والنظر انه لم يسبقه الى ذلك أحد لزمه حينئذ اعتقاد نبوته

(قال ابو محمد) وهذا انسان خاف مناحلة الامة له بالرجم كما يرجم الكلب ان صرح بان نبوة محمد صلى الله عليه وسلم باطل فصرح لهم بما يودى الى ذلك من قرب اذا وجب ان لا يقر احد بنبوة محمد بن عبد الله بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بانه أتى بالقران ولا بانه آية من اياته على صحة نبوته الا حتى يسال اهل النواحى والاطراف وينتظر الاخبار ويتعرف حال المتكلم بالعربية فى الافاق

(قال ابو محمد) فاحال والله على عمل لا نهاية له ولو عمر الانسان عمر نوح عليه الصلاة والسلام لان سؤال اهل النواحى والاطراف لا ينقضى فى الف عام وانتظار الاخبار ليس له حد وليت شعرى متى تصل المخدرة وطالب المعاش الى طرف من هذا المحال لان اهل النواحى من بين صدر الصين الى آخر الاندلس الى بلاد الزنج الى بلاد الصقالبة فيما بين ذلك فلاح كفر هذا الجاهل الملحد وكيده الاسلام لكل من له ادنى فهم ونعوذ بالله فى ذلك قال الله تعالى * ان كيد الشيطان كان ضعيفا * ويكفى من كل من زاغ به فى هذا الفصل الملعون قائله ان من له علم قوى بالعربية ولا اخبار كافية تيقن عجز العرب عن معارضته ومن بعدهم الى اليوم وانه من عند محمد صلى الله عليه وسلم لم يزل ينزل ... وانما نزل منقطعا فى كل قصة تنزل وينزل فيها قران وهذا ضرورة موجبة انه من عنده عليه الصلاة والسلام ظهر بوحى الله تعالى اليه وبما فيه من الغيوب التى تظهر ... ومن لا علم له بالعربية والاخبار فيكفيه اخبار من يقع له العلم بخبره بان العرب عجزت عن معارضته وانه اتى به متصلا عند حلول القصص التى انزل الله تعالى فيها الاية والايتين والكلمة والكلمتين من القران والتوراة

عن الباقين وأما الفريق الثانى الذين زعموا ان لاخير فى اتخاذ النساء والرغبة فى النسل ولا فى شيء من الشهوات الجسدانية كتبوا الى الاسكندر كتابا مدحوه فيه على حب الحكمة وملابسته العلم وتعظيم أهل الرأى والعقل والتمسوا منه حكيما يناظرهم فنفذ اليهم واحدا من الحكماء وفصلوه بالنظر بالعمل فانصرف الاسكندر عنهم ووصلهم بجزائل سنية وهدايا كريمة فقالوا اذا كانت

حتى تم كما هو وهذا الحق وذلك الالحاد المحض والكلام الغث السخيف ومن كبر اتهم الصلع قول السمناني اذ نص على ان الباقلاني كان يقول ان جميع المعاصي كلها لا نحاشي شيئا منها مما يجب ان يستغفر الله منه جايز وقوعها من النبي صلى الله عليه وسلم حاشا الكذب في البلاغ فقط وقال الباقلاني واذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء ثم فعله فليس ذلك دليلا على انه منسوخ اذ قد يفعله عاصيا لله عز وجل قال الباقلاني وليس على اصحابه فرضا ان ينكروا ذلك عليه وقال السمناني في كتاب الامامة لولا دلالة العقل على وجوب كون النبي صلى الله عليه وسلم معصوما في البلاغ عن الله عز وجل لما وجب كونه معصوما في البلاغ كما لا يجب فيما سواه من افعاله واقواله وقال ايضا في مكان آخر منه وكذلك يجوز ان يكفر النبي صلى الله عليه وسلم بعد اداء الرسالة

(قال ابو محمد) بالله الذي لا إله إلا هو ان كان قال هذا القول ناصرا له وداعيا اليه مسلم قط وما كان قائله إلا كافرا ملحدا فاعلموا ايها الناس انه قد جوز على النبي صلى الله عليه وسلم الكفر والزنا واللياطة والغناء والسرقة وجميع المعاصي واي كيد الاسلام بالناس اعظم من هذا وأما صاحبه ابن فورك فانه منع من هذا وانكره واجاز على النبي صلى الله عليه وسلم صغار المعاصي كقتال النساء وتعريضهن وتمخيذ الصبيان ونحو ذلك واما شيخهما ابن مجاهد البصري ليس بالمقرى فانه منع من كل ذلك وحاشا لله ان يجوز النبي صلى الله عليه وسلم ذنب بعمد لا صغير ولا كبير لقول الله تعالى * لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة * ومن المحال ان يامر بالله تعالى ان نتأسى بعاص في معصيته صغرت او كبرت واعجبوا لاستخفاف هذا الملحد بالدين وبالمسلمين اذ يقول هاهنا انه ليس فرضا على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان ينكروا عليه عصيان ربه ومخالفة امره الذي امرهم به وهو يقول في نصره للقياس ان قياس من قاس من الصحابة وسكوت من سكت منهم عن انكاره دليل على وجوب الحكم بالقياس لانهم لا يقرون على منكر فاوجب اقرارهم على المنكر من النبي صلى الله عليه وسلم حاشا لله من هذا وانكر اقرارهم على القياس لو كان منكرا فجمع بين هذا المناقضة والكذب في دعوى القياس على الصحابة وفي دعوى معرفة جميعهم بقياس من قاس منهم ودعوى انهم لم ينكروه وهذه صفات الكذابين المتلاعبين بالدين ومن طوامهم ما حكاه السمناني عن الباقلاني انه قال واختلفوا في وجوب كون النبي صلى الله عليه وسلم افضل اهل وقته في حال الرسالة وما بعدها الى حين موته فاوجب ذلك قائلون واسقطه آخرون وقال الباقلاني وهذا هو الصحيح وبه نقول

(قال ابو محمد) وهذا والله الكفر الذي لا خفاء به اذ جوز ان يكون أحد ممن في عصر النبي صلى الله عليه وسلم فما بعده أفضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم وما انكر بالعلي احمد ابن حائط لا دين هذا اذ قال ان اباذر كان أزهد من النبي صلى الله عليه وسلم هذا مع قول هذا المستخف الباقلاني الذي ذكره عنه السمناني في كتابه الكبير في كتاب الامامة منه ان من شرط الامامه ان يكون الامام افضل اهل زمانه

(قال ابو محمد) يا لمعيارة الدين يجوز عند هذا الكافر ان يكون في الناس غير الرسل افضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يجوز عنده ان يلي الامامة احد يوجد في الناس

الحكمة تعمل بالملوك هذا العمل في هذا العالم فكيف اذا البستاها على ما يجب لباسها واتصلت بنا غاية الاتصال ومناظراتهم مذكورة في كتب ارسطوطاليس ومن سنتهم اذا نظروا للشمس قد أشرقت سجدوا لها وقالوا ما أحسنك من نور وما ابهاك وما انورك لا تقدر الابصار ان تلتذ بالنظر اليك فان كنت انت النور الاول الذي لا نور فوقك فلك الحمد والتسبيح وإياك نطلب واليك

افضل منه ثم حققه ايضا في هذا حمق عتيق لانه تكليف ما لا يطاق ولا سبيل الى القطع به على احد على احد الا بنص من الله عز وجل وكيف يحاط الافضل من قريش وهم مبثوثون من اقصى السند وكابل ومكران الى الاشونة الى سواحل البحر المحيط ومن سواحل بحر اليمن الى ثغور أرمينية واذربيجان فما بين ذلك اللهم العن من لا يستحي ومن العجب ان هذا الجاهل الباقلاني قطع بخلاف الاجماع على ابي حنيفة باجازته للقراءة الفارسية وصرح بان ترتيب الايات في القرآن اجماع وقد اجاز مالك لمن قرأ عند غروب الشمس وطلوعها فجاءته آية سجدة ان يصل التي قبلها بالتي بعدها فمالك عنده مخالف للاجماع وقطع بان الشافعي خالف الاجماع في قوله * بسم الله الرحمن الرحيم * اية من أم القرآن وان داود خالف الاجماع في قوله بابطال القياس أفلا يستحي هذا الجاهل من ان يصف العلماء بصفته من عظيم جهله بان عاصما وابن كثير وغيرهما من القراء وطائفة من الصحابة تقول بقول الشافعي الذي جعله خلافا للاجماع وانه لم يات قط عن احد من الصحابة ايجاب الحكم بالقياس من طريق تثبت وانه قد قال بانكاره ابن مسعود ومسروق والشعبي وغيرهم ولكن من يضلل الله فلا هادي له ومن عجائبه قوله ان العامي اذا نزلت به النازلة ففرضه ان يسال افقه اهل بلده فاذا افتاه فهو فرضه فان نزلت به تلك النازلة ثانية لم يجزله ان يعمل بتلك الفتيا لكن يسال ثانية اما ذلك الفقيه واما غيره ففرضه ان يعمل بالفتيا الثانية وهكذا ابدا

(قال ابو محمد) هذا تكليف ما لا يطاق اذا وجب على كل احد من العامة أن يسال ابدا عن كل ما ينوبه في صلاته وصيامه وزكاته ونكاحه وبيوعه ويكرر السؤال عن كل ذلك كل يوم بل كل ساعة وهل في الحماقة اكثر من هذا ونعوذ بالله من الخذلان

﴿ ذكر شنع لقوم لا تعرف فرقهم ﴾

﴿قال ابو محمد﴾ ادعت طائفة من الصوفية ان في اولياء الله تعالى من هو افضل من جميع الانبياء والرسل وقالوا من بلغ الغاية القصوى من الولاية سقطت عنه الشرائع كلها من الصلاة والصيام والزكاة وغير ذلك وحلت له المحرمات كلها من الزنا والخمر وغير ذلك واستباحوا بهذا نساء غيرهم وقالوا بانا نرى الله ونكلمه وكل ما قذف في نفوسنا فهو حق ورأيت لرجل منهم يعرف بابن شمعون كلاما نصه ان لله تعالى مائة اسم وان الموفي مائة هو ستة وثلاثون حرفا ليس منها في حروف الهجاء شيء الا واحد فقط وبذلك الواحد يصل اهل المقامات الى الحق وقال ايضا اخبرني بعض من رسم لمجالسة الحق انه مد رجله يوما فنودي ما هكذا مجالس الملوك فلم يمد رجله بعدها يعني انه كان مديما لمجالسة الله تعالى وقال ابو حاضر النصيبي من اهل نصيبين وابو الصياح السمرقندي واصحابهما ان الخالق لم يزل واقع الله تعالى وقال ابو الصياح لا تحل ذبائح اهل الكتاب وخطأ فعل ابي بكر الصديق رضي الله عنه في قتال أهل الردة وصوب قول الصحابة الذين رجعوا عنه في حربهم وقال ابو شعيب القلال ان ربه جسم في صورة انسان لحم ودم ويفرح ويحزن ويمرض ويفيق وقال بعض الصوفية ان ربه يمشي في الارض حتى انه يمشي في صورة محور يتبعه الصبيان بالحجارة حتى تدموا عقبيه واعلموا رحمكم الله ان هذه كلها كفرات صلع واقوال قوم يكيدون الاسلام وصدق القائل

شهدت بان العلم هازل * بامجاده والاولى بادل

نسعى لندرك السكنى بقربك
وتنظر الى ابدائك الاعلى
وان كان دونك واعلى منك
نورا آخر انت مملوك له
فهذا التسبيح وهذا الحمد
له وانما سعينا وتركنا
جميع لذات هذا
العالم القصير مثلك والحق
بعالمك ونتصل بسماكك
اذا كان المملوك بهذا البها
والجلال فكيف بالمالك يكون
بهاؤها وجلالها ومجدها وكمالها
فحق لكل طالب ان يهجر
جميع اللذات ويظفر بالحوار
يقربه ويدخل في
غمار جنده وحزبه هذا

وما الجهل المامون فى ذاك دونه * وكلهم فى الافك والكفر مبزل
والله ماهم من المغرورين بهم فى قبولهم عنهم وحسن الظن بهم الا كما قال الاخر
وساع مع السلطان يسعى عليهم * ومحترس من مثله وهو حارس
واعلموا رحمكم الله ان جميع فرق الضلالة لم يجر الله على ايديهم خيرا ولا فتح بهم من بلاد الكفر قرية ولا رفع للاسلام راية وما زالوا يسعون فى قلب نظام المسلمين ويفرقون كلمة المؤمنين ويسلون السيف على اهل الدين ويسعون فى الارض مفسدين اما الخوارج والشيعة فامرهم فى هذا اشهر من أن يتكلف ذكره وما توجهت الباطنية الى كيد الاسلام واخراج الضعفاء منه الى الكفر الا على السنة الشيعة واما المرجئة فكذلك الان الحارث بن سريج خرج بزعمه منكرا للجور ثم لحق بالترك فقادهم الى ارض الاسلام فانهب الديار وهتك الاستار والمعتزلة فى سبيل ذلك الا انها تلى بتقليد بعضهم المعتصم والواثق جهلا وظنا انهم على شىء وكانت للمعتصم فتوحات محمودة كما بل والمازيار وغيرهم فالله الله ايها المسلمون تحفظوا بدينكم ونحن نجمع لكم بعون الله الكلام فى ذلك الزموا القرآن وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما مضى عليه الصحابة رضى الله عنهم والتابعون واصحاب الحديث عصرا عصرا الذين طلبوا الاثر فالزموا الاثر ودعوا كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار وبالله تعالى التوفيق تم الكلام فى شنع المبتدعة أهل الاهواء والنحل المضلة والحمد رب العالمين

ماوجدته من مقالات أهل العالم ونقلته على ماوجدته فمن صادف فيه خللا فى النقل فاصلحه اصلح الله عز وجل حاله وسدد اقواله وافعاله والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه اجمعين

(تم)

﴿ فهرست الجزء الرابع من كتاب الفصل فى الملل والنحل لابن حزم ﴾

صحيفة

﴿ الى هنا تم بحمد الله تعالى كتاب الملل والنحل للامام الشهرستانى المتوفى سنة ٥٤٨ هـ ﴾

الفصل

في الملل والأهواء والنحل

للإمام ابن حزم الظاهري الأندلسي المتوفى سنة ٤٥٦ هـ

وبهامشه

الملل والنحل للشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨ هـ

[illegible]

عبد الرحمن خليفة

[illegible]

الجزء الخامس — الطبعة الاولى سنة ١٣٤٨ هـ

﴿ حقوق الطبع بالتعليقات محفوظة للملترم — مصدر بمقدمة بقلم مصححه ﴾

(تنبيه) — قد تم كتاب الملل والدحل الى آخر الحزء الرابع

يطلب من مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده
بميدان الأزهر بمصر



﴿ المعاني التي يسميها اهل الكلام اللطائف والكلام في السحر ﴾
(وفي المعجزات التي فيها احالة الطبائع يجوز واحدها لغير الانبياء أم لا)

﴿ قال ابو محمد ﴾ ذهب قوم الى ان السحر قلب للاعيان واحالة للطبائع وانهم يرون (١) اعين الناس مالا يرى واجازوا للصالحين على سبيل كرامة الله عزوجل لهم اختراع الاجسام وقلب الاعيان وجميع احالة الطبائع وكل معجز للانبياء عليهم السلام ورأيت لمحمد ابن الطيب الباقلانى ان الساحر يمشى على الماء على الحقيقة وفي الهواء ويقلب الانسان حمارا على الحقيقة وان كل هذا موجود من الصالحين على سبيل الكرامة وانه لافرق بين آيات الانبياء وبين مايظهر من الانسان الفاضل ومن الساحر أصلا الابالتحدى (٢) فان النبي يتحدى الناس بان ياتوا بمثل ماجاء هو به فلا يقدر أحد على ذلك فقط وان كل مالم يتحد به النبي صلى الله عليه وسلم الناس فليست آية له وقطع بان الله تعالى لايقدر على اظهار آية على لسان متنبىء كاذب وذهب اهل الحق الى انه لايقلب احد عينا ولايحيل طبيعة الا الله عز وجل لانبيائه فقط سواء تحدوا بذلك أولم يتحدوا وكل ذلك آيات لهم عليهم الصلاة والسلام تحدوا بذلك ام لا والتحدى لامعنى له وانه لايمكن وجود شيء من ذلك لصالح ولا لساحر ولا لاحد غير الانبياء عليهم الصلاة والسلام والله تعالى قادر على اظهار الآيات على ايدى الكذابين المدعين للنبوة لكنه تعالى لايفعل كما لايفعل مالايريد ان يفعله من سائر ماهو قادر عليه

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا هو الحق الذي لايجوز غيره برهان ذلك قوله عزوجل * وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا لامبدل لكلماته * وقال عزوجل . وعلم آدم الاسماء كلها . وقال تعالى . انما أمره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون : فصح ان كل مافي العالم مما قدرتبه الله عزوجل الترتيب الذى لايتبدل وصح ان الله عزوجل اوقع كل اسم على مسماه فلايجوز ان يوقع اسم من تلك الاسماء على غير مسماه الذى اوقعه الله تعالى عليه لانه كان يكون تبديلا لكلمات الله تعالى التى ابطل عزوجل ان تبدل ومنع من ان يكون لها مبدل ولوجاز ان تحال صفات مسمى منها التى بوجودها فيه استحق وقوع ذلك الاسم عليه لوجب ان يسقط عنه ذلك الاسم الذى أوقعه الله تعالى عليه فاذ ذلك كذلك فقد وجب ان كل مافي العالم مما قد رتبه

(١) يرون بضم أوله فثانيه اى يشبهون على اعين الناس ويروبهم من الاشياء المتخيلة ما ليس بمرئى على الحقيقة
(٢) التحدى طلب المعارضه وأصله من تمارى الحاديين فى الحداء ومعارضة كل منهما الآخر فيه ويقال تحديت فلانا اذا باريته ونازعته الغلبة وهو فى عرف المتكلمين عبارة عن قول النبى يصدقنى كذا اه مصححه

الله على ماهو عليه من فصوله الذاتية وانواعه واجناسه فلا يتبدل شيء منه قطعا الاحيث قام البرهان على تبدله وليس ذلك الاعلى احد وجهين اما استحالة معهودة جارية على رتبة واحدة وعلى مابنى الله تعالى عليه العالم من استحالة المني حيوانا والنوى والبزور شجرة ونباتا وسائر الاستحالات المعهودات واما استحالة لم تعهد قط ولا بنى الله تعالى العالم عليها ولذلك قد صح للانبياء عليهم السلام شواهد لهم على صحة نبوتهم وجود ذلك بالمشاهدة ممن شهدهم ونقله الى من لم يشاهدهم بالتواتر الموجب للعلم الضرورى فوجب الاقرار بذلك وبقى ماعدا أمر الانبياء عليهم السلام على الامتناع فلا يجوز البتة وجود ذلك لامن ساحر ولامن صالح بوجه من الوجوه لانه لم يقم برهان بوجود ذلك ولاصح به نقل وهو ممتنع في العقل كما قدمنا ولوكان ذلك ممكنا لاستوى الممتنع والممكن والواجب وبطلت الحقائق كلها وامكن كل ممتنع ومن لحق هاهنا لحق بالسوفسطائية على الحقيقة ونسأل من جوز ذلك للساحر والفاضل هل يجوز لكل احد غير هذين ام لايجوز الا لهذين فقط فان قال ان ذلك للساحر والفاضل فقط وهذا هو قولهم سألناهم عن الفرق بين هذين وبين سائر الناس ولاسبيل لهم الى الفرق بين هؤلاء وبين غيرهم الابالدعوى التى لايعجز عنها احد وان قالوا ان ذلك جائز ايضا لغير الساحر والفاضل لحقوا بالسوفسطائية حقا ولم يثبتوا حقيقة وجاز تصديق من يدعى أنه يصعد الى السماء ويرى الملائكة وانه يكلم الطير ويجتنى من شجر الخروب التمر والعناب وان رجالا حملوا وولدوا وسائر التخليط الذى من صار اليه وجب ان يعامل بماهو اهله ان امكن اوان يعرض عنه لجنونه وقلة حيائه

﴿قال ابو محمد﴾ لافرق بين من ادعى شيئا مماذكرنا للفاضل وبين دعوى الرافضة رد الشمس على على بن ابى طالب مرتين حتى ادعى بعضهم ان حبيب بن اوس قال

فردت علينا الشمس والليل راغم * بشمس لهم من جانب الخدر تطلع

نضا ضوءها صبغ الدجنة وانطوى * لبهجتها ثوب السماء المرجع

فوالله ماادرى على بدا لنا * فردت له ام كان فى القوم يوشع

وكذلك دعوى النصارى لرهبانهم وقدمائهم فانهم يدعون لهم من قلب الاعيان اضعاف ماادعيه هؤلاء وكذلك دعوى اليهود لاحبارهم ورؤس المثايب عندهم ان رجلا منهم رحل من بغداد الى قرطبة فى يوم واحد وانه اثبت قرنين فى رأس رجل مسلم من بنى الاسكندرانى كان يسكن بقرطبة عند باب اليهود وهذا كله باطل موضوع وبنو الاسكندرانى كانوا اقواما اشرافا معروفين لم يعرف لاحد منهم شيء من هذا والحماقة لاحد لها وهذا برهان كاف فى تصحيح نفسه

﴿قال ابو محمد﴾ واما السحر فانه ضروب منه ماهو من قبل الكواكب كالطابع المنقوش فيه صورة عقرب فى وقت كون القمر فى العقرب فينفع امساكه من لدغة العقرب ومن هذا الباب كانت الطلسمات وليست احالة طبيعة ولاقلب عين ولكنها قوى ركبها الله عزوجل مدافعة لقوى اخر كدفع الحر للبرد ودفع البرد للحر وكقتل القمر للدابة الدبرة اذا لاقى الدبرة ضوءه اذا كانت دبرتها(١) مكشوفة للقمر ولايمكن دفع الطلسمات لانها قد شاهدنا أنفسنا آثارها ظاهرة الى الآن من قرى لاتدخلها جرادة ولايقع فيه برد وكسرى قسطه التى لايدخلها جيش الاان يدخلها كرها وغير ذلك كثير جدا لاينكره الامعاند وهى اعمال قد ذهب من كان يحسنها جملة وانقطع من العالم ولم يبق الاآثار صناعاتهم فقط ومن هذا الباب كان ماتذكره الاوائل فى كتبهم فى الموسيقا وانه كان يؤلف به بين الطبائع وينافر به ايضا بينها ونوع آخر

(١) الدبرة الجرحة المقرحة السائلة والجمع من ذلك الدبر ... درة والاثنى دبرة كفرحة ... كشواء

من السحر يكون بالرقى (١) وهو كلام مجموع من حروف مقطعة فى طوالع معروفة ايضا يحدث لذلك التركيب قوة تستثار بها الطبائع وتدافع قوى أخر وقد شاهدنا وجربنا من كان يرقى الدمل الحاد القوى الظهور فى أول ظهوره فييبس يبدأ من يومه ذلك بالذبول ويتم يبسه فى اليوم الثالث ويقلع كما تقلع قشرة القرحة اذا تم يبسها جربنا من ذلك مالا نحصيه وكانت هذه المرأة ترقى احد دملين قد دفعا على انسان واحد ولا ترقى الثانى فييبس الذى رقت ويتم ظهور الذى لم ترق ويلقى حامله منه الاذى الشديد وشاهدنا من كان يرقى الورم المعروف بالخنازير فيندمل ما يفتح منها ويذبل مالم ينفتح ويبرأ كل ذلك البرء التام كان لا يزال يفعل ذلك فى الناس والدواب ومثل هذا كثير جدا وقد اخبرنا من خبره عندنا كمشاهدتنا لثقته وتحرينا لصدقه وفضله انه شاهد مالا يحصى ممن يتكلم على الذين يمخضون (٢) الزبد من اللبن بكلام فلا يخرج من ذلك اللبن زبد ولا فرق بين هذين الوجهين وبين ملاقاة فضلة الصفراء بالسقمونيا وملاقاة ضعف القلب بالكندر وكل هذه المعانى جارية على رتبة واحدة من طلب علم ذلك أدركه ومنه ما يكون بالخاصة كالحجر الجاذب للحديد وما اشبه ذلك ومنه ما يكون لطف يد كحيل ابى العجائب التى شاهدها الناس وهى اعمال لطيفة لا تحيل طبعا اصلا

﴿قال ابو محمد﴾ وكل هذه الوجوه التى ذكرناها ليست من باب معجزات الانبياء عليهم السلام ولا من باب ما يدعيه اهل الكذب للسحرة والصالحين لان معجز الانبياء هو خارج عن الرتب وعن طبائع كل ما فى العالم وعن بنية العالم لا يجرى شىء من ذلك على قانون ولا على سنن معلوم لكن قلب عين واحالة صفات ذاتية كشق القمر وفلق البحر واختراع طعام وماء وقلب العصا حية واحياء ميت قد أرم وأخراج ناقة من صخرة ومنع الناس من يتكلموا بكلام مذكور أومن ان يأتوا بمثله وما اشبه هذا من احالة الصفات الذاتية التى بوجودها تستحق الاسماء * ومنها تقوم الحدود وهذا بعينه هو الذى يدعيه المبطلون للساحر والفاضل

(قال ابو محمد) وانما يلوح الفرق جدا بين هذين السبيلين لاهل العلم بحدود الاسماء والمسميات وبطبائع العالم وانقسامه من مبدئه من اجناس اجناسه الى انواعه الى اشخاصه وما هو من اعراضه ذاتى وما هو منها غيرى وما يسرع الاستحالة والزوال من الغيرى منها وما يبطىء زواله منها وما يثبت منها ثبات الذاتى وان لم يكن ذاتيا والفرق بين البرهان وبين ما يظن انه برهان وليس برهانا والحمد لله على ما وهب وانعم به علينا لا اله الا هو حدثنا محمد بن سعيد بن نبات ثنا احمد بن عبد البصير قال ثنا قاسم بن أصبغ ثنا محمد بن عبد السلام الخشني ثنا محمد بن المثنى ثنا عبد الرحمن ابن مهدى ثنا سفيان الثورى عن ابى اسحاق الشيبانى عن يسير بن عمرو قال ذكر الغيلان عند عمر بن الخطاب فقال ان احدا لا يتحول عن خلقه الذى خلق له ولكن لهم سحرة كسحرتكم فاذا خشيتم شيئا من ذلك فاذنوا

(١) الرقى بضم ففتح جمع رقية بضم فسكون وهى العوذة التى يرقى بها المحموم أو المصروع او نحوهما من ارباب الآفات وقد جاء فى بعض الاحاديث جوازها وفى بعضها النهى عنها ... استرقوا لها فان بها النظرة اى اطلبوا لها من يرقيها ومن النهى عنها انهم لا يسترقون ولا ... وعلى ربهم يتوكلون ووجه الجمع بين الاحاديث ان الرقى يكره منها ما كان بغير اللسان العربى وبغير اسماء الله ... وان يعتقد أنها نافعة فيتكل عليها ولا يكره منها ما كان بالرقى المروية من غير أن يعتقد فيها أنها أو دعائها مصححة

(٢) يمخضون بفتح عين الفعل وكسرها وضمها ثلاث لغات من مخض اللبن يمخضون مخضا فهو ممخوض ومخيض أخذ زبده

عمر رضى الله عنه يبطل احالة الطبائع وهذا نص قولنا والحمد لله رب العالمين كثيرا وقد نص الله عز وجل على ما قلنا فقال تعالى * فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى * فاخبر تعالى ان عمل أولئك السحرة انما كان تخييلا لا حقيقة له وقال تعالى * انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى * فاخبر تعالى انه كيد لا حقيقة له فان قيل قد قال الله عز وجل * سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم * قلنا نعم انها حيل عظيمة واثم عظيم اذ قصدوا بها معارضة معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم وانهم كادوا عيون الناس اذ أوهموهم ان تلك الحبال والعصى تسعى فاتفقت الايات كلها والحمد لله رب العالمين وكان الذى قدر ممن لا يدرى حيلهم من أنها تسعى ظنا أصله اليقين وذلك انهم رأوا صفة حيات رقط (١) طوال تضطرب فسارعوا الى الظن وقدروا انها ذوات حيات ولو انعموا الظن وفتشوها لوقفوا على الحيلة فيها وانها ملئت زئبقا ولذا فيها تلك الحركات كما يفعل المجائى الذى يضرب بسكينة فى جسم انسان فيظن من رآه ممن لا يدرى حيلته ان السكين غاصت فى جسد المضروب وليس كذلك بل كان نصاب السكين مثقوبا فتغلغلت صفاحة السكين فى النصاب وكالذى يأخذ خيطا فى حلقة خاتم يمسك انسان متوسط فى الخيط بيديه ثم يأخذ المجائى (٢) الخاتم الذى فيه الخيط فيه وفى ذلك المقام ادخله تحت يده وكان فى فيه خاتم اخرى يرى من حضر حلقة الخاتم الذى فى فيه يوهمهم انه قد أخرجه من الخيط ثم يرده الى الخيط ويرفع يديه وقد نظر الخاتم الذى كان فيه الخيط وكذلك سائر حيلهم وقد وقفنا على جميعها فهذا هو معنى قوله تعالى سحروا أعين الناس واسترهبوهم أى انهم أوهموا الناس فيما رأوا ظنونا متوهمة لا حقيقة لها ولو فتشوها لانجلى لهم الحق وكذلك قوله تعالى * فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه * فهذا أمر ممكن يفعله النمام وكذلك ما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم سحره لبيد بن الاعصم فولد ذلك عليه مرضا حتى كان يظن انه فعل الشىء وهو لم يفعله وليس فى هذا أيضا احالة طبيعة ولا قلب عين وانما هو تأثير بقوة لتلك الصناعة كما قلنا فى الطلسمات والرقى فلا فرق ونحن نجد الانسان يسب أو يقابل بحركة يغضب منها فيستحيل من الحلم الى الطيش ومن السكون الى الحركة والفرق حتى يقارب حال المجانين أو ربما أمرضه ذلك وقد قال عليه السلام ان من البيان لسحرا لان من البيان ما يؤثر فى النفس فيثيرها او يسكنها عن أمورانها ويحيلها عن عزماتها وعلى هذا المعنى استعملت الشعراء ذكر سحر العيون لاستمالتها النفوس فقط

قال ابو محمد ويقال لمن قال ان السحر يحيل الاعيان ويقلب الطبائع أرأيتم ان جاز هذا فأى فرق بين النبى صلى الله عليه وسلم والساحر ولعل جميع الانبياء كانوا سحرة كما قال فرعون عن موسى عليه السلام * انه لكبيركم الذى علمكم السحر * وان هذا لمكر مكرتموه فى المدينة لتخرجوا منها اهلها * فاذا جاز ان يقلب سحرة موسى عليه السلام عصيهم واحبالهم حيات وقلب موسى عليه السلام عصاه حية وكان كلا الامرين حقيقة فقد صدق فرعون بلا شك فى انه ساحر مثلهم الا انه أعلم منهم به فقط وحاشا لله من هذا ان ما كان على السحرة الا من حيل اهل العجائب فقط فان لجؤا الى ما ذكره الباقلانى من التحدى قيل لهم هذا باطل من وجوه احدها ان اشتراط التحدى فى كون آية النبى آية دعوى كاذبة مجحمة لا دليل على صحتها لا من قرآن ولا من سنة صحيحة ولا سقيمة ولا من اجماع ولا من قول صاحب ولا من حجة عقل ولا قال بهذا احد قط قبل هذه الفرقة الضعيفة وما كان هكذا فهو فى غاية السقوط والمحنة قال الله عز وجل * قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين * ووجه

(١) رقط جمع رقطاء كحمر وحمراء والرقطة كالنمرة سواد يشوبه نقط بياض

(٢) العجائى ما يسمى فى عرف اهل مصر بالحاوى

ضرورة ان من لا برهان له على صحة قوله فهو كاذب فيها غير صادق وثانيها انه لو كان ماقالوا لسقطت اكثر آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم كنبعان الماء من بين اصابعه واطعامه المئين والعشرات من صاع شعير وعناق (١) ومرة اخرى من كسر ملفوفة فى خمار وكتفله فى العين فجاشت بماء غزير الى اليوم وحنين الجذع وتكليم الذراع وشكوى البعير والذئب والاخبار بالغيوب وتمر جابر وسائر معجزاته العظام لانه عليه الصلاة والسلام لم يتحد بذلك كله احدا ولا عمله الا بحضرة اهل اليقين من اصحابه رضى الله عنهم ولم يبق له آية حاشا القرآن ودعاء اليهود الى تمنى الموت (٢) وشق القمر فقط وكفى بحسا بقول أدى الى مثل هذا فان ادعوا انه عليه السلام تحدى بها من حضر وغاب كذبوا واخترعوا هذه الدعوى لا نه لم يات فى شىء من تلك الاخبار انه تحدى بها احدا وان تمادوا على ان كل هذه ليست معجزات ولا آيات اكذبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله اذ فعل ذلك اشهد انى رسول الله والثالث وهو البرهان الدافع وهو قول الله تعالى . واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون . وقوله . وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون . فسمى الله تعالى تلك المعجزات المطلوبة من الانبياء عليهم السلام آيات ولم يشترط عز وجل فى ذلك تحديا من غيره فصح ان اشتراط التحدى باطل محض وصح انها اذا ظهرت فهى آية كان هنالك تحد أو لم يكن وقد صح اجماع الامة (٣) المتيقن على ان الآيات لا ياتى بها ساحر ولا غير نبى فصح ان المعجزات اذا هى آيات لا تكون لساحر ولا لاحد ليس نبيا والرابع انه لو صح حكم التحدى لكان حجة عليه لان التحدى عندهم يوجب ان لا يقدر على مثل ذلك احد اذ لو امكن ان يوجد مثل ذلك من احد لكان قد بطل تحديه وقيل له قد وجد من يعمل مثل عملك هذا اما صالح واما ساحر والخامس انه لو كان ماقالوا وجاز ظهور معجزة من ساحر لا يتحدى بها او فاضل لا يتحدى بها لامكن ان يتحدى لهما بها بعد موتهما من ضل فيهما كما فعلت الغلاة بعلى رضى الله عنه فعلى كل حال قولهم ساقط والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) واما من ادعى انه يشبه الساحر على العيون فيريهم ما لا يرى فان هذه الطائفة لم تكتف بالكفر باطال النبوات اذ لعل ما اتى به النبى صلى الله عليه وسلم كان تشبيها على العيون لا حقيقة له حتى رامت ابطال الحقائق كلها اولها عن اخرها ولحقت بالسوفسطائية لحاقا صحيحا بلا تكلف ويقال لهم اذا جاز ان يشبه على العيون حتى يرى المشبه عليها ما لا حقيقة له ولا تراه فما يدريكم لعلكم كلكم الآن مشبه على عيونكم ولعل بعض السحرة قد شبه عليكم فاراكم انكم تتوضؤن وتصلون وانتم لا تعقلون شيئا من ذلك ولعلكم تظنون انكم تزوجتم وانما فى بيوتكم صان ولا معز ولعلكم الآن على ظهر البحر ولعل

---

(١) العناق الانثى من اولاد المعز وهو بفتح العين المهملة

(٢) أى فى قوله تعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولن يتمنوه ابدا بما قدمت أيديهم فقد تحداهم النبى صلى الله عليه وسلم بطلب الموت ودعاهم الى تمنيه فلم يقع منهم ذلك لانهم لو تمنوه لنقل الينا ذلك كما غيره من الحوادث ولكان ناقلوه من أهل الكتاب اكثر من غيرهم وهذا من المعجزات لانه اخبار بالغيب اه مصححه

(٣) مذهب المتكلمين أن المعجزة أمر خارق للعادة أى ليس وقوعه من المعتاد كالسحر وما يوجد فى بعض الاشياء من القوى المؤثرة وفى بعض الاجسام من الخواص يفعله الله سبحانه وتعالى مقارنا لدعوى الرسالة متحدى به من الرسول كاحياء الموتى وقلب العصا حية وابراء الاكمه والابرص فان ذلك وامثاله مما يفعله الله سبحانه عند دعوى الرسالة مقرونا بالتحدى ومن أئمة المتكلمين من ذهب الى جواز وقوع الامر الخارق على يد الولى لكن لا عن قصد منه واختيار لوقوعه ومنهم من ذهب الى ان كل ما وقع من الخوارق لنبى لا يقع كرامة لولى ومنهم من صرح بمنع وقوع الخوارق مطلقا سواء كانت معجزة لنبى ام لا على يد ولى وهذا ماذهب اليه ابن حزم من أن احالة الطبائع (قال وتبديل الاعيان لا يقع على يد ساحر ولا على يد صالح اه مصححه

كل

كل ماتعتقدون من الدين تشبيه عليكم وهذا كله لامخلص لهم منه وقد عاب الله عز وجل من ذهب الى هذا فقال * ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون * ولو جاز ان يكون للسحر حقيقة ويشبه ما ياتي به الانبياء عليهم السلام وامكن ان يشبه على البصر ماذمهم الله عز وجل بان قالوا شيئا يمكن كونه لكنهم لما قالوا ما لا يمكن البتة وتعلقوا بذلك في دفع الحقائق عابهم الله تعالى بذلك وانكره عليهم

(قال ابو محمد) وليس غلط الحواس في بعض الاوقات من باب التشبيه عليها في شيء لان احدنا قد يرى شخصا على بعد لا يشك فيه الا انه سائر فقطع انه انسان او انه فلان فقطع بظنه ولو انه لم يعمل ظنه ولا قطع به لكان باقيا على ما ادرك من الحقيقة وهكذا في كل ما حكم فيه المرء بظنه واما ذو الآفة كمن فيه ابتداء نزول الماء فيرى خيالات لا حقيقة لها فهو ايضا كما ذكرنا وانما الماء المطل على حدقته يوهمه انه رأى شيا وقطع بذلك فاذا تثبت في كل ذلك لاح له الحق من الظن وكذلك من فسد مكان التخيل من دماغه فان نفسه تظن ما يتوهمه فتقطع به واو قوي تمييزها لفرقت بين الحق والباطل وهكذا القول في ادراك السمع والذوق وهذا كله يجري على رتب مختلفة ممن اعمل ظنه وعلى رتب غير مختلفة في جمل هذه الاوقات بل هي ثابتة عند اهل التحقيق والمعرفة معروفة الصلاح حتى يعود منها الى صلاحه ما لم يستحكم فساده ولا يظن ظان انه ممكن ان يكون في مثل حال هؤلاء اذ لو كان هذا لم يعرف شيئا من العلوم على رتبه واحكامه الجارية على سنن واحد وبالله تعالى التوفيق ثم نسالهم باي شيء يعرفون انه لم يشبه على عيونكم وقد عرفنا كم نحن بماذا نعرف ان حواسنا سليمة وان عقولنا سليمة مادامت سالمة وبماذا نعرف الحواس المدخولة والعقول المدخولة وغير المدخولة وهو اجراء ما ادرك بالحواس السليمة والعقول السليمة على رتب محدودة معلومة لا تبدل عن حدودها ابدا واجراء ما ادرك بالحواس الفاسدة والعقول المدخولة على غير رتب محدودة فانهم لا يقدرون على فرق اصلا وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) وكذلك ما ذكر عمن ليس نبيا من قلب عين او احالة طبيعة فهو كذب الا ما وجد من ذلك في عصر نبي فانه آية لذلك النبي وذلك الذي ظهرت عليه آية بمنزلة الجذع الذي ظهرت فيه الحنين والذراع الذي ظهر فيه النطق والعصا التي ظهرت فيها الحياة وسواء كان الذي ظهرت فيه الآية صالحا او فاسقا وذلك كنحو النور الذي ظهر في سوط عمرو بن حممة الدوسي وبرهان ذلك انه لم يظهر فيه بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم

(قال ابو محمد) فان قيل اذا اجزتم ان تظهر المعجزة في غير نبي لكن في عصر نبي لتكون آية لذلك النبي فهلا اجزتموه كذلك بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم لتكون آية له ايضا ولا فرق بين الامرين . قلنا انما اجزنا ذلك الشيء في الجماد وسائر الحيوان وفيمن شاء الله تعالى اظهار ذلك فيه من الناس لا يخص بذلك فاضلا لفضله ولا يمنع ذلك في فاسق لفسقه او كافر وانما ننكر على من خص بذلك الفاضل فجعلها كرامة له ولو جاز ذلك بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم لاشكل الامر ولم تكن في امن من دعوى من ادعى انها آية لذلك الفاضل ولذلك الفاسق والانسان من الناس يدعيها آية له ولو كان ذلك لكان اشكالا في الدين وتلبيسا من الله تعالى على جميع عباده اولهم عن آخرهم وهذا خلاف وعد الله تعالى لنا واخباره بانه قد بين علينا الرشد من الغي وليس كذلك ما كان في عصر النبي صلى الله عليه وسلم لانه لا يكون الا من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وباخباره وانذاره فصدت بذلك انها له لا للذي ظهرت منه وهذا في غاية البيان والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) واما الذى روى في ذلك عن الثلاثة اصحاب الغار وانفراج الصخرة ثلثا ثلثا عند ما ذكروا اعمالهم فلا تعلق لهم فيه لان تكسير الصخرة ممكن في كل وقت ولكل احد بلا اعجاز وما كان هكذا فجائز وقوعه بالدعاء وبغير الدعاء لكن وقع وفاقا لتمنيه كمن دعا في موت عدوه او تفريج همه او بلوغ امنيته في دنياه ولقد حدثنى حكم بن منذر بن سعيد ان اباه رحمه الله كان في جماعة في سفرة في صحراء فعطشوا وأيقنوا بالهلكة ونزلوا في ظل جبل ينتظرون الموت قال فاسندت رأسي الى حجر ناتئ فتاذيت به فقلعته فاندفع الماء العذب من تحته فشربنا وتزودنا ومثل هذا كثير مما يفرح وحتى لو كانت معجزة لوجب بلاشك ان يكونوا انبياء اولنبي ممن في زمن نبي لابد مما قدمناه

(قال ابو محمد) ولا عجب اعجب من قول من يجيز قلب الاعيان للساحر وهو عندهم فاسق أو كافر ويجيز مثل ذلك للصالح وللنبي فقد جاز عندهم قلب الاعيان للنبي وللصالح وللفاسق وللكافر فوجب ان قلب الاعيان جائز من كل احد وبؤسا لقول ادى الى مثل هذا وهم يجيزون للمغيرة بن سعيد وبيان ومنصور الكشف وقلب الاعيان على سبيل السحر وقد جاء بعدهم من يدعى لهم النبوة بها فاستوى عند هؤلاء المخذولين النبي والساحر نعوذ بالله من الضلال المبين

(قال ابو محمد) فان اعترضوا بقول الله تعالى * وقال ربكم ادعوني استجب لكم * وبقوله تعالى * أجيب دعوة الداع اذا دعان * فهذا حق وانما هو بلاشك انه في الممكنات التي علم الله تعالى انها تكون لا فيما في علم الله تعالى انها لا تكون ولا في المحال وسالهم عمن دعا الى الله تعالى في أن يجعله نبيا او في ان ينسخ دين الاسلام او بان يجعل القيامة قبل وقتها او يمسخ الناس كلهم قردة او بان يجعل له عينا ثالثة او بان يدخل الكفار الجنة والمؤمنين النار ومثل هذا فان اجازوا كل هذا كفروا ولحقوا مع كفرهم بالمجانين وان منعوا من كل هذا تركوا استدلالهم بالايات المذكورة وصح ان الاجابة انما تكون في خاص من الدعاء لا في العموم وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) وصح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاسامة وخالد هلا شققت عن قلبه لتعلم أقالها متعوذا ام لا

(قال ابو محمد) فلو جاز ظهور المعجزة على غير نبي على سبيل الكرامة لوجب ان نقطع على من ظهرت له انه ولى الله تعالى وهذا لا يعلمه من أحد بعد الصحابة رضى الله عنهم الذين ورد فيهم النص وأما قول الباقلاني ان الله تعالى لا يقدر على اظهار آية على يد كذاب فهو داخل في جملة تعجيزه البارى تعالى وهو ايضا تعجيز سخيف داخل في جملة المحال وذلك انه جعل الله تعالى قادرا على اظهار الايات على كل ساحر (١) فان علم انه يقول انه نبي لم يقدر على ان يظهرها عليه وهذا قول في غاية الفساد لان من قدر على شيء لم يجز أن يبطل قوته عليه علمه بان ذلك الذى ظهر فيه الفعل يقول انا نبي ولا يترم هذا ولا يتشكل في العقل ولا يمكن البتة وانهم قوم اهملوا حكم الله تعالى عليهم وأطلقوا حكمهم عليه تعالى وما في التخليط اسمج من هذا ولا اطم ولا ابرد

(قال ابو محمد) ورأيت للباقلانى في فصل من كلامه ان الناس ليسوا عاجزين عن مثل هذا القران ولا قادرين عليه ولا هم عاجزون عن الصعود الى السماء ولا عن احياء الموتى ولا عن خلق الاجسام ولا اختراعها ولا قادرين على ذلك هذا نص كلامه دون تاويل منا عليه ثم قال ان القدرة لا تقع الا حيث يقع العجز

(قال ابو محمد) وكل هذا هوس لا ياتى به الا الممرور (٢) وأطم من ذلك احتجاجه بان العجز لا يقع الا

---

(١) اى ان الله تعالى فيما ذهب اليه الباقلانى قادر على اظهار الخوارق على يد ساحر اوفاصل فلم يدع النبوة فان ادعاها كان كاذبا والله تعالى لا يقدر على تاديب كذاب باظهار الاية على يده

(٢) الممرور الذى غلبت عليه المرة وهى مزاج من أمزجة البدن اذا انحرف سبب لصاحبه اختلاطا وجنونا

حبيشي

حيث تقع القدرة ولا ندري في أي لغة وجد هذا الكذب أم في أي عقل وجد هذا السخف وهذا دونه علم بالغة من الخاصة والعامة في بطلان قوله وفي أن العجز ضد القدرة وأن ما قدر الانسان عليه فلم يعجز عنه في حين قدرته عليه وأن ما عجز عنه فلم يقدر عليه في حين عجزه عنه وأن نفي القدرة اثبات للعجز وأن نفي العجز اثبات للقدرة ما يجهل هذا عامي ولا خاصي اصلا وهو ايضا معروف بأول العقل والعجب أن يأتي بمثل هذه الدعاوى السخيفة بغير دليل اصلا لكن حماقات وضلالات يطلقها هذا الجاهل وامثاله من الفساق في دين الله تعالى فيلزمها من قلدهم ممن أضله الله تعالى ونعوذ بالله من الخذلان وقد قال الله تعالى ﴿ واعلموا انكم غير معجزي الله ﴾ فنفى هذا انهم مقدور عليهم لله تعالى وقال تعالى ﴿ ليس بمعجز في الارض ﴾ فوجب انه مقدور عليه وقال تعالى ﴿ والله على كل شيء قدير ﴾ فصح انه غير عاجز وبالله تعالى التوفيق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

الكلام في الجن ووسوسة الشيطان وفعله في المصروع

(قال ابو محمد) لم تدرك الجن بالحواس ولا علمنا وجوبهم ضرورة بالعقل ولا علمنا امتناع كونهم في العالم ضرورة العقل لكن علمنا بضرورة العقل امكان كونهم لأن قدرة الله تعالى لا نهاية لها وهو عز وجل يخلق ما يشاء ولا فرق بين ان يخلق خلقا عنصرهم التراب والماء فيسكنهم الارض والهواء والماء وبين ان يخلق خلقا عنصرهم النار والهواء فيسكنهم الهواء والنار والارض بل كل ذلك سواء وممكن في قدرته لكن لما اخبرت الرسل الذين شهد الله عز وجل بصدقهم بما ابدى على ايديهم من المعجزات المحيلة للطبائع بنص الله عز وجل على وجود الجن في العالم وجب ضرورة العلم بخلقهم ووجودهم وقد جاء النص بذلك وبأنهم أمة عاقلة مميزة متعبدة موعودة متوعدة متناسلة يموتون وأجمع المسلمون كلهم على ذلك نعم والنصارى والمجوس والصابئون واكثر اليهود حاشا السامرة فقط فمن انكر الجن او تأول فيهم تأويلا يخرجهم به عن هذا الظاهر فهو كافر مشرك حلال الدم والمال قال تعالى ﴿ انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ﴾

(قال ابو محمد) وهم يروننا ولا نراهم قال الله تعالى ﴿ انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ﴾ فصح ان الجن قبيل ابليس قال الله عز وجل ﴿ الا ابليس كان من الجن ﴾

(قال ابو محمد) فاذ اخبرنا الله عز وجل انا لا نراهم فمن ادعى انه يراهم او رآهم فهو كاذب الا ان يكون من الانبياء عليهم السلام فذلك معجزة لهم كما نص رسول الله صلى الله عليه وسلم انه تفلت عليه الشيطان ليقطع عليه صلاته قال فأخذته فذكر انه لولا دعوة اخيه سليمان لربطه الى سارية من سواري المسجد او كما قال عليه السلام وكذلك في رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه الذي رآه انما هي معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا سبيل الى وجود خبر يصح برؤية جني بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما هي منقطعات أو عمن لا خير فيه

(قال ابو محمد) وهم أجسام رقاق صافية هوائية لا ألوان لهم وعنصرهم النار كما ان عنصرنا التراب وبذلك جاء القرآن قال الله عز وجل ﴿ والجان خلقناه من قبل من نار السموم ﴾ والنار والهواء عنصران لا ألوان لهما وانما حدث اللون في النار المشتعلة عندنا لامتزاجها برطوبات ما تشتعل فيه من الحطب والكتان والادهان وغير ذلك ولو كانت لهم الوان لرأيناهم بحاسة البصر ولو لم يكونوا اجساما صافية رقاقا هوائية لأدركناهم بحاسة اللمس وصح النص بأنهم يوسوسون في صدور الناس وان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فوجب التصديق بكل ذلك حقيقة وعلمنا ان الله عز وجل جعل لهم قوة يتوصلون بها الى قذف ما يوسوسون به في النفوس برهان ذلك قول الله تعالى ﴿ من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس ﴾ وانما هذا كما يشاهد الانسان يرى من له عنده ثأر فيصفر وتضطرب جوارحه واخلاقه وشهوته ، ويرى من يحبه فيوله حال أخرى ويرى ما يعجبه فتحدث له حال أخرى

من صفرة ورعشة وصفق نفس ويشير الى انسان آخر باشارات يخيل بها انه يقصده مرة ويحدثه اخرى ويفزعه ثالثة ويرضيه رابعة وكذلك يخيله ايضا مالا علام الى جميع هذه الاحوال فعلى هذا ان الله عز وجل جعل للجن قوى يتصلون بها الى تغيير النفوس والقذف فيها بما يستدعونها اليه نعوذ بالله من شيطان الرجيم ووسوسته ومن شرار الناس وهذا هو جريه منا ابن آدم مجرى الدم كما قال الشاعر

وقد كنت اجري في حشاهن مرة كجري معين الماء في قصب الآس

(قال ابو محمد) واما الصرع فان الله عز وجل قال ﴿كالذي يتخبطه الشيطان من المس﴾ فذكر عز وجل تأثير الشيطان في المصروع انما هو بالمماسة فلا يجوز لاحد ان يزيد على ذلك شيئا ومن زاد على هذا شيئا فقد قال ما لا علم له به وهذا حرام لا يحل قال عز وجل ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾ وهذه الامور لا يمكن ان يعرف البتة الا بخبر صحيح عنه صلى الله عليه وسلم ولا خبر عنه عليه السلام غير ما ذكرنا وبالله تعالى التوفيق فصح ان الشيطان يمس الانسان الذي يسلطه الله عليه مسا كما جاء في القرآن يثير به من طبائعه السوداء والابخرة المتصاعدة الى الدماغ كما يخبر به عن نفسه كل مصروع بلا خلاف منهم فيحدث الله عز وجل له الصرع والتخبط حينئذ كما نشاهده وهذا هو نص القرآن وما توجبه المشاهدة وما زاد على هذا فخرافات من توليد العزامين والكذابين وبالله تعالى نتأيد وأما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان (١) فاذا ارتفعت فارقها فاذا استوت قارنها فاذا زالت فارقها فاذا جنحت للغروب قارنها فاذا غربت فارقها فنهى عن الصلاة في هذه الاوقات او كما قال عليه السلام مما هذا معناه بلا شك فقد علمنا انه عليه السلام لا يقول الا الحق وان كلامه كله على ظاهره الا ان يأتي نص بان هذا النص ليس على ظاهره فنسمع ونطيع او يقوم بذلك برهان من ضرورة حس اواول عقل فنعلم انه عليه السلام انما اراد ما قام به البرهان لا يجوز غير ذلك وقد علمنا يقينا ان الشمس في كل دقيقة طالعة على افق من الآفاق مرتفعة على آخر مستوية على ثالث زائلة عن رابع جانحة للغروب على خامس غاربة على سادس هذا ما لا شك فيه عند كل ذي علم بالهيئة فاذ ذلك كذلك فقد صح يقينا انه عليه السلام انما عنى بذلك افقا ما دون سائر الآفاق لا يجوز غير ذلك اذ لو اراد كل افق لكان الاخبار بانه يفارقها كذبا وحاشا له من ذلك فاذ لا شك في هذا فلا نشك في انه عليه الصلاة والسلام انما عنى به افق المدينة اذ هو الافق الذي اخبر اهله بهذا الخبر فنؤمن بان مقارنة الشمس في تلك الاحوال ومفارقتها من الشيطان والله اعلم بذلك القرآن فاولا ريب في هذا فلا نبالي

(١) ومعنا قرن الشيطان الرواية المشهورة ان الشمس تطلع من بين قرني الشيطان فلا تصلوا لطلوعها والمراد بقرن الشيطان رأسه لان القرن يطلق على حرف الراس من الانسان وهذا من باب تسمية الشيء باسم موضعه والحديث للنهي عن الصلاة مع طلوع الشمس لانه وقت الذي كان عبدة الشمس يسجدون فيه للشمس وقد درج كثير من الامم السابقة على ذلك وفي القرآن في نبأ ملكة سبأ ان الهدهد قال لسليمان عليه السلام اني وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة في وقت طلوعها ... عبدة الشمس لها واعلمنا ان ابليس يطلع رأسه مقارنا لطلوع الشمس ... الشمس ويؤمهم وكذلك في وقتي الاستواء والغروب المذكورة ... للشيطان قرونا على نحو ما في الحيوان من البقر والشاء وان الشمس تجري من بين قرنيه ... ذلك ما ذكرنا من ان الشيطان يطلع لهم في هذه الاوقات ... اه باختصار من كتاب تاويل مختلف الحديث

الا ان ليس شيء من ذلك ممنوع أصلا فصح بما ذكرنا ان اول الخبر خاص كما وصفنا وان نهيه عن الصلاة في الاوقات قصة اخرى وقصة ثانية وحكم غير الاول فهو على عمومه في كل زمان وكل مكان الا ماقام البرهان على تخصيصه من هذا الحكم بنص آخر كما بينا في غير هذا الكتاب في كتب الصلاة من تاليفنا والحمد لله رب العالمين كثيرا

الكلام في الطبائع

(قال ابو محمد) ذهبت الاشعرية الى انكار الطبائع جملة وقالوا ليس في النار حر ولا في الثلج برد ولا في العالم طبيعة أصلا وقالوا انما حدث حر النار جملة وبرد الثلج عند الملامسة قالو ولا في الخمر طبيعة اسكار ولا في المني قوة يحدث بها حيوان ولكن الله عز وجل يخلق منه ما شاء وقد كان ممكنا ان يحدث من مني الرجال جملا ومن مني الحمار انسانا ومن زريعة الكزبر نخلا

(قال ابو محمد) ما نعلم لهم حجة شغبوا بها في هذا الهوس اصلا وقد ناظرت بعضهم في ذلك فقلت له ان اللغة التي نزل بها القرآن تبطل قولكم لان من لغة العرب القديمة ذكر الطبيعة والخليقة والسليقة والنحيزة والغريزة والسجية والسيمة والجبلة بالجيم ولايشك ذو علم في ان هذه الالفاظ استعملت في الجاهلية وسمعها النبي صلى الله عليه وسلم فلم ينكرها قط ولا انكرها احد من الصحابة رضي الله عنهم ولا احد ممن بعدهم حتى حدث من لا يعتد به وقد قال امرؤ القيس

وان كنت قد ساءتك مني خليقة * فسلي ثيابي من ثيابك تنسل

وقال حميد بن ثور الهلالي الصحابي

لكل امرىء يا ام عمرو طبيعة * وتفرق ما بين الرجال الطبائع

وقال النابغة

لهم شيمة لم يعطها الله غيرهم * من الجود والاحلام غير عوازب

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للجارود لما أخبره ان فيه الحلم والاناة فقال له الجارود الله جبلني عليهما يارسول الله ام هما كسب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل الله جبلك عليهما ومثل هذا كثير وكل هذه الالفاظ اسماء مترادفة على معنى واحد عندهم وهو قوة في الشيء يوجد بها على ما هو عليه فاضطرب [illegible] القول [illegible] عامة [illegible] بالتخصيص وهذا موجود بالحس وبديهة العقل في كل مخلوق في العالم فلم يكن عنده جواب

(قال ابو محمد) وبهذا المذهب الفاسد [illegible] على ان سموا ما تأتي به الانبياء عليهم الصلاة والسلام من الآيات المعجزات خرق العادة لانهم جعلوا امتناع شق القمر وشق البحر وامتناع احياء الموتى واختراع ناقة من صخرة [illegible] عادات فقط

(قال ابو محمد) ومعاذ الله من هذا ولو كان ذلك عادة لما كان فيها اعجاز اصلا لان العادة في لغة العرب الدأب والديدن والهجيرى (١) الفاظ مترادفة على معنى واحد وهو ما اكثر استعمال الانسان له [illegible] لا ينكر [illegible] بل هو ممكن وجوده وعدمه مثله بخلاف الطبيعة التي الخروج عنها ممتنع والعادة في استعمال العرب العامة الملحى [illegible] القراءة وتحمل [illegible] الناس العامسوة وكاستعمال بعضهم [illegible]

---

(١) [illegible] هجيراء بكسر أوله وتشديد ثانية أي دأبه وعادته ومنه قول الشاعر

[illegible] والوال هجيراه والحرب

قال الشاعر

تقول وقد درأت لها وضينى * أهذا دينه أبدا ودينى (١)

وقال آخر * ومن عاداته الخلق الكريم

وقال آخر

تعود الطير عادات وثقن بها * فهن يصحبنه فى كل مرتحل

وقال آخر * عودت كندة عادات فصبر لها *

وقال آخر * وشديد عادة منتزعة *

فذكر أن انتزاع العادة يشتد الا انه ممكن غير ممتنع بخلاف ازالة الطبيعة التى لاسبيل اليها وربما وضعت العرب لفظة العادة مكان لفظة الطبيعة كما قال حميد بن ثور الهلالى

سلى الربع ان يممت يا أم سالم * وهل عادة للربع أن يتكلما

(قال ابو محمد) وكل هذه الطبائع والعادات مخلوقة خلقها الله عز وجل فرتب الطبيعة على انها لاتستحيل ابدا ولا يمكن تبدلها عند كل ذى عقل كطبيعة الانسان بان يكون ممكنا له التصرف فى العلوم والصناعات ان لم يعترضه آفة وطبيعة الحمير والبغال بانه غير ممكن منها ذلك وكطبيعة البزاز لا ينبت شعيرا ولا جوزا وهكذا كل ما فى العالم والقوم مقرون بالصفات وهى الطبيعة فمنها لازم من الصفات المحمولة فى الموصوف ما هو ذاتى به لا يتوهم زواله الا بفساد حامله وسقوط الاسم عنه كصفات الخمر التى ان زالت عنها صارت خلا وبطل اسم الخمر عنها وكصفات الخبز واللحم التى اذا زالت عنهما صارت زبلا وسقط اسم الخبز واللحم عنهما وهكذا كل شىء له صفة ذاتية وبهذه هى الطبيعة ومن الصفات المحمولة فى الموصوف ما لو توهم زواله عنه لم يبطل حامله ولا فارقه اسمه وهذا القسم ينقسم اقساما ثلاثة فاحدها ممتنع الزوال كالطس والقصر والزرق وسواد الزنجى ونحو ذلك الا انه لو توهم زائلا لبقى الانسان انسانا بحاله وثانيها بطىء الزوال كالمردودة وسواد الشعر وما أشبه ذلك وثالثها سريع الزوال كحمرة الخجل وصفرة الوجل وكمدة الهم ونحو ذلك فهذه هى حقيقة الكلام فى الصفات وما عدا ذلك فطريق السوفسطائية الذين لا يحققون حقيقة ونعوذ بالله من الخذلان

﴿ نبوة النساء ﴾

﴿ قال ابو محمد ﴾ هذا فصل لا نعلمه حدث التنازع العظيم فيه الا عندنا بقرطبة وفى زماننا فان طائفة ذهبت الى ابطال كون النبوة فى النساء جملة وبدعت من قال ذلك وذهبت طائفة الى القول بانه قد كانت فى النساء نبوة وذهبت طائفة الى التوقف فى ذلك

﴿ قال ابو محمد ﴾ ما نعلم للمانعين من ذلك حجة اصلا الا ان بعضهم نازع فى ذلك بقول الله تعالى وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم .

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا امر لا ينازعون فيه ولم يدع احد ان الله تعالى ارسل امرأة وانما الكلام فى النبوة دون الرسالة فوجب طلب الحق فى ذلك بان ينظر فى معنى لفظة النبوة فى اللغة التى خاطبنا الله بها عز وجل فوجدنا هذه اللفظة مأخوذة من الانباء وهو الاعلام فمن اعلمه الله عز وجل بما يكون قبل ان يكون او اوحى اليه منبئا له بامر ما فهو نبى بلا شك وليس هذا من باب الالهام الذى هو طبيعة كقول الله تعالى واوحى ربك الى النحل ولا من باب الظن والتوهم الذى لا يقطع بحقيقته الا مجنون ولا من باب الكهانة التى هى من

(١) درأت أى بسطت لها الوضين على الارض والوضين بطان من جلد منسوج بعضه على بعض يشد به الرحل على الناقة بمنزلة الحزام للسرج

ا تراق

استراق الشياطين السمع من السماء فيرمون بالشهب الثواقب وفيه يقول الله عز وجل * شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا * وقد انقطعت الكهانة بمجيء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من باب النجوم التي هي تجارب تعلم ولا من باب الرؤيا التي لا يدرى اصدقت ام كذبت بل الوحي الذي هو النبوة قصد من الله تعالى الى اعلام من يوحى اليه بما يعلمه به ويكون عند الوحي به اليه حقيقة خارجة عن الوجوه المذكورة يحدث الله عز وجل لمن اوحى به اليه علما ضروريا بصحة ما اوحى به كعلمه بما ادرك بحواسه وبديهة عقله سواء لا مجال للشك في شيء منه اما بمجيء الملك به اليه واما بخطاب يخاطب به في نفسه وهو تعليم من الله تعالى لمن يعلمه دون وساطة معلم فان انكروا ان يكون هذا هو معنى النبوة فليعرفونا ما معناها فانهم لا ياتون بشيء اصلا فاذ ذلك كذلك فقد جاء القرآن بان الله عز وجل ارسل ملائكة الى نساء فاخبروهن بوحي حق من الله تعالى فبشروا ام اسحاق باسحاق عن الله تعالى قال عز وجل * وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب قالت يا ويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لشيء عجيب قالوا أتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت * فهذا خطاب الملائكة لام اسحاق عن الله عز وجل بالبشارة لها باسحاق ثم يعقوب ثم بقولهم لها أتعجبين من امر الله ولا يمكن البتة ان يكون هذا الخطاب من ملك لغير نبي بوجه من الوجوه ووجدناه تعالى قد ارسل جبريل الى مريم ام عيسى عليهما السلام بخاطبها وقال لها * انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا * فهذه نبوة صحيحة بوحي صحيح ورسالة من الله تعالى اليها وكان زكريا عليه السلام يجد عندها من الله تعالى رزقا واردا تمنى من اجله ولدا فاضلا ووجدنا ام موسى عليهما الصلاة والسلام قد اوحى الله اليها بالقاء ولدها في اليم واعلمها انه سيرده اليها ويجعله نبيا مرسلا فهذه نبوة لا شك فيها وبضرورة العقل يدري كل ذي تمييز صحيح انها لو لم تكن واثقة بنبوة الله عز وجل لها لكانت بالقائها ولدها في اليم برؤيا تراها او بما يقع في نفسها او قام في هاجسها في غاية الجنون والمرار الهائج ولو فعل ذلك احدنا لكان في غاية الفسق او في غاية الجنون مستحقا لمعاناة دماغه في البيمارستان لا يشك في هذا احد فصح يقينا ان الوحي الذي ورد لها في القاء ولدها في اليم كالوحي الوارد على ابراهيم في الرؤيا في ذبح ولده فان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لو لم يكن نبيا واثقا بصحة الوحي والنبوة الوارد عليه من ذبح ولده لكنه ذبح ولده لرؤيا رآها او ظن وقع في نفسه لكان لا شك فاعل ذلك من غير الانبياء فاسقا في نهاية الفسق او مجنونا في غاية الجنون هذا ما لا يشك فيه احد من الناس فصحت نبوتهن بيقين ووجدنا الله تعالى قد قال وقد ذكر من الانبياء عليهم السلام في سورة كهيعص ذكر مريم في جملتهم ثم قال عز وجل * اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح * فهذا هو عموم لها معهم لا يجوز تخصيصها من جملتهم وليس قوله عز وجل * وامه صديقة * بمانع من ان تكون نبية فقد قال تعالى * يوسف ايها الصديق * وهو مع ذلك نبي رسول وهذا ظاهر وبالله تعالى التوفيق ويلحق بهن عليهن السلام في ذلك امرأة فرعون بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون او كما قال عليه السلام والكمال في الرجال لا يكون الا لبعض المرسلين عليهم الصلاة والسلام لان من دونهم ناقص عنهم بلا شك وكان تخصيصه صلى الله عليه وسلم مريم وامرأة فرعون تفضيلا لهما على سائر من اوتيت النبوة من النساء بلا شك اذ من نقص عن منزلة آخر ولو بدقيقة فلم يكمل فصح بهذا الخبر ان هاتين المرأتين كملتا كمالا لم يلحقهما فيه امرأة غيرهما اصلا وان كن بنصوص القرآن نبيات وقد قال تعالى * تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض * فالكامل في نوعه هو الذي لا يلحقه احد من اهل نوعه فهم من الرجال الرسل الذين فضلهم الله تعالى على سائر الرسل وهم نبينا وابراهيم عليهما

الصلاة والسلام بلاشك للنصوص الواردة بذلك فى فضلهما على غيرهما وكمل من النساء من ذكر عليه الصلاة والسلام

(الكلام فى الرؤيا)

(قال ابو محمد) ذهب صالح تلميذ النظام الى ان الذى يرى احدنا فى الرؤيا حق كما هو وانه من رأى انه بالصين وهو بالاندلس فان الله عز وجل اخترعه فى ذلك الوقت بالصين

(قال ابو محمد) وهذا القول فى غاية الفساد لان العيان والعقل يضطر ان الى كذب هذا القول وبطلانه اما العيان فلاننا نشاهد حينئذ هذا النائم عندنا وهو يرى نفسه فى ذلك الوقت بالصين واما من طريق العقل فهو معرفتنا بما يرى الحالم من المحالات من كونه مقطوع الرأس حيا وما اشبه ذلك وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا قص عليه رؤيا فقال لا تخبر بتلعب الشيطان بك

(قال ابو محمد) والقول الصحيح فى الرؤيا هو انواع فمنها ما يكون من قبل الشيطان وهو ما كان من الاضغاث والتخليط الذى لا ينضبط ومنها ما يكون من حديث النفس وهو ما يشتغل به المرء فى اليقظة فيراه في النوم من خوف عدو أو لقاء حبيب او خلاص من خوف او نحو ذلك ومنها ما يكون من غلبة الطبع كرؤية من غلب عليه الدم للانوار والزهر والحمرة والسرور ورؤية من غلب عليه الصفراء للنيران ورؤية صاحب البلغم للثلوج والمياه وكرؤية من غلب عليه السوداء للكهوف والظلم والمخاوف ومنها مايريه الله عز وجل نفس الحالم اذا صفت من اكدار الجسد وتخلصت من الافكار الفاسدة فيشرف الله تعالى به على كثير من المغيبات التى لم تات بعد وعلى قدر تفاضل النفس فى النقاء والصفاء يكون تفاضل ما يراه فى الصدق وقد جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم انه لم يبق بعده من النبوة الا المبشرات وهى الرؤيا الصالحة يراها الرجل او ترى له وانها جزء من ستة وعشرين جزأ من النبوة الى جزء من ستة واربعين جزأ من النبوة الى جزء من سبعين جزأ من النبوة وهذا نص جلى على ما ذكرنا من تفاضلها فى الصدق والوضوح والصفاء من كل تخليط وقد تخرج هذه النسب والاقسام على ان المراد بذلك رؤيا الانبياء عليهم السلام فمنهم من رؤياه جزء من ستة وعشرين جزء من أجزاء نبوته وخصائصه وفضائله ومنهم من رؤياه جزء من ستة واربعين جزأ من نبوته وخصائصه وفضائله ومنهم من رؤياه جزء من سبعين جزأ من نبوته وخصائصه وفضائله وهذا هو الاظهر والله أعلم ويكون خارجا على مقتضى الفاظ الحديث بلا تاويل ولا تكلف وأما رؤيا غير الانبياء فقد تكذب وقد تصدق الا أنه لا يقطع على صحة شئ منها الا بعد ظهور صحته حاشا رؤيا الانبياء فانها كلها وحى مقطوع على صحته كرؤيا ابرهيم عليه السلام ولو رأى ذلك غير نبى فى الرؤيا فانفذه فى اليقظة لكان فاسقا عابثا او مجنونا ذاهب التمييز بلا شك وقد تصدق رؤيا الكافر ولا تكون حينئذ جزأ من النبوة ولا مبشرات ولكن انذارا له اوعظة و وعظا بالله تعالى التوفيق

(الكلام فى أى الخلق افضل)

(قال ابو محمد) ذهب قوم الى ان الانبياء عليهم السلام افضل من الملائكة وذهبت طائفة تنتسب الى الاسلام الى ان الصالحين غير النبيين افضل من الملائكة وذهب بعضهم الى ان الولى ا ... فى هذه الامة من هو افضل من عيسى بن مريم ورأيت الباقلاني يقول جائز ان يكون فى هذه الامة من هو افضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم من حين بعث الى أن مات ورأيت لأبى هاشم الجبائى ... انسان من المسلمين فى الاعمال الصالحة لامكن أن يوازى عمل النبى صلى الله عليه وسلم كذا ...

(قال ابو محمد) ولولا انه استحيا قليلا مما لم يستحي من نظيره الباقلانى لقال ما يرجحه ... ل ...

كان يريد فضلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم

(قال أبو محمد) وهذه الأقوال كفر مجرد لا تردد فيه وحاشا لله تعالى من أن يكون أحد ولو عمر عمر الدهر يستحق فضل صاحب فكيف فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم أو نبي من الأنبياء عليهم السلام وكيف أن يكون أفضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ما لا تقبله نفس مسلم كأنهم ما سمعوا قول الله عز وجل لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وقول النبي صلى الله عليه وسلم دعوا لي أصحابي فلو كان لأحدكم مثل أحد ذهبا فأنفقه في سبيل الله ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه

(قال أبو محمد) فكيف يجوز أحد من أن تصدق هو بمثل جبل أحد ذهبا وتصدق الصاحب بنصف مد من شعير كان نصف المد الشعير لا يعدله في الفضل جبل الذهب فكيف برسول الله صلى الله عليه وسلم قال أهل الحق ان الملائكة أفضل من كل خلق خلقه الله تعالى ثم بعدهم الرسل من النبيين عليهم السلام ثم بعدهم الأنبياء غير الرسل عليهم السلام ثم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على مراتبهم في الفضل

(قال أبو محمد) ومن صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد بان له من الفضل ما لسائر الصحابة بعموم قوله صلى الله عليه وسلم دعوا لي أصحابي وأفضل الرسل محمد صلى الله عليه وسلم أما فضل الملائكة على الرسل من غير الملائكة فلبراهين منها قول الله عز وجل آمرا الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقول. قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي. فلو كان الرسول أرفع من الملك أو مثله ما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم هذا القول الذي إنما قاله منحطا عن أن يترفع بأن يظن به [illegible] رأى الله [illegible] الملك [illegible] مرتبته التي هي دون [illegible] الملك إذ لا يمكن البتة أن يقول [illegible] أو ليعلموا أن الله عز وجل ذكر محمدا الذي هو أفضل الرسل بعد الملائكة وذكر جبريل [illegible] السلام وكان أنه أبين من الله عز وجل بينهما تباينا بعيدا وهو أنه عز وجل قال إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين. فهذه صفة جبريل عليه السلام ثم ذكر محمدا صلى الله عليه وسلم [illegible] فقال وما صاحبكم بمجنون. ثم زاد تعالى بيانا رافعا للإشكال جملة فقال ولقد رآه بالأفق المبين [illegible] فعظم الله تعالى من شأن أكرم الأنبياء والرسل بأن رأى جبريل عليه السلام ثم قال ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى إذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى [illegible] الله تعالى كما ترى على محمد صلى الله عليه وسلم بأن أراه جبريل مرتين وإنما يتفاضل الناس [illegible] الاختصاص المجرد وأعظم الاختصاص الرسالة والتعظيم فقد [illegible] قال تعالى جاعل الملائكة رسلا. فهم كلهم رسل الله ثم اختصهم تعالى [illegible] وحوالي عرشه في المكان الذي وعد رسله ومن اتبعهم من نهاية كرامتهم مصيرهم إليه وهو موضع خاص الملائكة ومحلهم [illegible] وذكرهم عز وجل في غير موضع من كتابه [illegible] عليهم ووصفهم بأنهم لا يفترون ولا [illegible] والفترة والسآمة والسهو [illegible] السهو [illegible] السلام [illegible] الله [illegible] الملائكة رسلا [illegible] الناس * قيل له ليس هذا معارضا لقوله عز وجل جاعل الملائكة رسلا [illegible] لا شك فيه وليس [illegible] شيء فكلهم رسل وكلهم ليسوا رسلا فلا يحل لأحد أن يريد في الآية [illegible] الآية الأخرى زيادة على ما في هذه الآية والأخبار [illegible]

رسل ففي تلك الآية نص ما في هذه الآية وفي هذه الآية كل ما في تلك وزيادة فعرض قول كل ذلك كان الله عز وجل اذ ذكر في كهيعص من ذكر من النبيين فقال * أولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين * وقد قال تعالى ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك * افترى الرسل الذين لم يقصصهم الله تعالى عليه جملة او في هذه السورة خاصة لم ينعم عليهم معاذ الله من هذا وما يقوله مسلم والوجه الثاني من اوجه الفصل هو تفاضل العاملين بتفاضل منازلهم في اعمال الطاعة والعصمة من المعاصي والدنيات وقد نص الله تعالى على ان الملائكة لا يفترون من الطاعة ولا يسامون منها ولا يعصون الله في شيء امرهم فقد صح ان الله عز وجل عصمهم من الطبائع الناقصة الداعية الى الفتور والكسل كالطعام والتغوط وشهوة الجماع والنوم فصح قطعا انهم افضل من الرسل الذين لم يعصموا من الفتور والكسل ودواعيهما

(قال ابو محمد) واحتج بعض المخالفين في هذا بان قال قال الله عز وجل ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين * قالوا فدخل في العالمين الملائكة وغيرهم

(قال ابو محمد) وهذه الآية قد صح البرهان بانها ليست على عمومها لانه تعالى لم يذكر فيها محمدا صلى الله عليه وسلم ولا خلاف في انه افضل الناس قال الله تعالى * كنتم خير امة اخرجت للناس * فان قال ان آل ابراهيم هم آل محمد قيل له فنحن اذا افضل من جميع الانبياء حاشا آل عمران وآدم ونوحا فقط وهذا لا يقوله مسلم فصح يقينا ان هذه الآية ليست على عمومها فاذ لا شك في ذلك فقد صح ان الله عز وجل انما اراد بها عالمي زمانهم من الناس لا من الملائكة ولا من الجن ولا من عالمي غير زمانهم لاننا بلا شك افضل من آل عمران الذين في زمانهم بهذه الآية جملة وبالله تعالى التوفيق وصح انها مثل قوله تعالى * يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين * ولا شك في انهم لم يفضلوا على الرسل ولا على النبيين ولا على امتنا ولا على الصالحين من غيرهم فكيف على الملائكة ونحن لا ننكر ازالة النص عن ظاهره وعمومه ببرهان من نص آخر او اجماع متيقن او ضرورة حس وانما ننكره ونمنع من ازالة النص عن ظاهره وعمومه بالدعوى فهذا هو الباطل الذي لا يحل في دين ولا يصح في امكان العقل وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) وذكر بعضهم قول الله عز وجل * الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية *

(قال ابو محمد) وهذا مما لا حجة لهم فيه اصلا لان هذه الصفة تعم كل مؤمن صالح من الانس ومن الجن ومن جميع الملائكة عموما مستويا فانما هذه الآية تفضيل الملائكة والصالحين من الانس والجن على سائر البرية وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) واحتجوا بامر الله عز وجل الملائكة بالسجود لآدم على جميعهم السلام

(قال ابو محمد) وهذا اعظم حجة عليهم لان السجود المأمور به لا يخلو من ان يكون سجود عبادة وهذا كفر ممن قاله ولا يجوز ان يكون الله عز وجل يامر احدا من خلقه بعبادة غيره واما ان يكون سجود تحية وكرامة وهو كذلك بلا خلاف من احد من الناس فاذ هو كذلك فلا دليل ادل على فضل الملائكة على آدم من ان يكون الله تعالى لم يعط آدم في اعطائه وكرامته بان تحييه الملائكة لانهم لو كانوا دونه لم يكن له كرامة ولا مزية في تحية من هو دونه وقد اخبر الله عز وجل عن يوسف عليه السلام فقال * ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا * وكانت رؤياه هي التي ذكر الله عز وجل عنه اذ يقول يا ابت اني رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين

(قال ابو محمد) وليس في سجود يعقوب عليه السلام ليوسف ما يوجب انه ارفع من يعقوب الفضل من يعقوب ولا ان سجود

ايضا ان الملائكة لم يعلموا اسماء الاشياء حتى انبأهم بها آدم على جميعهم السلام بتعليم الله عز وجل آدم اياها

﴿قال ابو محمد﴾ وهذا لا حجة لهم فيه لان الله عز وجل يعلم من هو انقص فضلا وعلما في الجملة أشياء لا يعلمها من هو افضل منه واعلم منه بما عدا تلك الاشياء فعلم الملائكة ما لا يعلمه آدم وعلم آدم اسماء الاشياء ثم امره بان يعلمها الملائكة كما خص الخضر عليه السلام بعلم لم يعلمه موسى عليه السلام حتى اتبعه موسى عليه السلام ليتعلم منه وعلم أيضا موسى عليه السلام علوما لم يعلمها الخضر وهكذا صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الخضر قال لموسى عليه السلام انى على علم من علم الله لا تعلمه انت وانت على علم من علم الله لا أعلمه أنا

(قال ابو محمد) وليس في هذا أن الخضر أفضل من موسى عليه السلام

﴿قال ابو محمد﴾ وقد قال بعض الجهال ان الله تعالى جعل الملائكة خدام أهل الجنة يأتونهم بالتحف من عند ربهم عز وجل قال تعالى * وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون * وقال تعالى * والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم *

﴿قال ابو محمد﴾ أما خدمة الملائكة لاهل الجنة واتيانهم اليهم بالتحف فشيء ما علمناه قط ولا سمعناه الا من القصاص بالخرافات والاكاذيب وانما الحق من ذلك ما ذكره الله عز وجل في النص الذى اوردناه وهو ولله الحمد من اقوى الحجج في فضل الملائكة على من سواهم ويلزم هذا المحتج اذا كان اتيان الملائكة بالبشارات الى اهل الجنة دليلا على فضل أهل الجنة عليهم أن يكون ارسال الرسل اليهم مبشرين ومنذرين بالبشارات من عند الله عز وجل دليلا على أنهم أفضل منهم وهذا كفر مجرد ولكن الحقيقة هي أن الفضل اذا كان للانبياء عليهم السلام على الناس لانهم رسل الله اليهم ووسائط بين ربهم تعالى وبينهم فالفضل واجب للملائكة على الانبياء والرسل لكونهم رسل الله تعالى اليهم ووسائط بينهم وبين ربهم تعالى واما تفضل الله تعالى على اهل الجنة بالاكل والشرب والجماع واللباس والآلات والقصور فانما فضلهم لله عز وجل بذلك ... [illegible] ... المعدية لهذه الملذات بل أباهم فضلهم ... [illegible] ... الا ذكر الله عز وجل وعبادته وطاعته في تنفيذ اوامره تعالى ... [illegible] ... الذى جعله تعالى غاية كرامة الوصول اليه ... [illegible] ... الملائكة مع ابتهاجهم ... والله تعالى ... [illegible]

(قال ابو محمد) وقال بعض السخفاء ان الملائكة بمنزلة الهواء والرياح

(قال ابو محمد) وهذا كذب وقحة وجنون لان الملائكة بنص القرآن والسنن واجماع جميع من يقر بالملائكة من اهل الاديان المختلفة عقلاء متعبدون منهيون مأمورون وليس كذلك الهواء والرياح لانها لا عقل ولا هي متكلفة متعبدة بل هي مسخرة مصرفة لا اختيار لها قال تعالى * والسحاب المسخر بين السماء والارض * وقال تعالى * سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام * وذكر تعالى الملائكة فقال * بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون * وقال تعالى * ويستغفرون لمن في الارض * وقال تعالى * وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا فى انفسهم وعتوا عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين * فقرن تعالى رؤية الملائكة برؤيته تعالى وقرن تعالى اتيانه باتيان الملائكة فقال عز وجل هل ينظرون الا ان يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة * واعلم ان اعراض الملائكة ... [illegible] ... الله عز وجل لا على الغمام ونص تعالى على ان آدم عليه الصلاة والسلام ... الاكل من الشجرة ... [illegible] ... كما نص تعالى علينا ... [illegible] ... عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين

﴿قال ابو محمد﴾ فيقين ندرى ان آدم عليه السلام لولا يقين ... [illegible] ... الملائكة ... [illegible]

من ابليس ما غره به من أ كل الشجرة التي نهاه الله عزوجل عنها ولو علم آدم ان الملك مثله اودونه لما حمل نفسه على مخالفة امر الله تعالي لينحط عن منزلته الرفيعة الى الدون هذا مالا يفهمه ذو عقل اصلا

(قال ابو محمد) وقال الله عزوجل * ان يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون * فقوله عزوجل بعد ذكر المسيح ولا الملائكة المقربون بلوغ الغاية في علو درجتهم على المسيح عليه السلام لان بنية الكلام ورتبته انما هي اذا اراد القائل نفي صفة ما عن متواضع عنها ان يبدأ بالادنى ثم بالاعلى واذا اراد نفي صفة ما عن مترفع عنها ان يبدأ بالاعلى ثم بالادنى فتقول في القسم الاول ما يطمع في الجلوس بين يدى الخليفة خازنه ولا وزيره ولا اخوه وتقول في القسم الثاني ما ينحط الى الاكل في السوق والولادة مرتبة ولا متصاون من التجار او الصناع لا يجوز البتة غير هذا و بالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) وايضا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر بان الله سبحانه وتعالى خلق الملائكة من نور وخلق الانسان من طين وخلق الجن من نار

(قال ابو محمد) ولا يجهل فضل النور على الطين وعلى النار احد الا من لم يجعل الله له نورا ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور وقد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا ربه في ان يجعل في قلبه نورا فالملائكة من جوهر دعا افضل البشر ربه في ان يجعل في قلبه منه و بالله تعالى التوفيق وفي هذا كفاية لمن عقل

﴿قال ابو محمد﴾ وقال عز وجل * ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر * الى قوله * وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا * فانما فضل الله تعالى بنص كلامه عزوجل بني آدم على كثير ممن خلق لا على كل من خلق و بلاشك ان بني آدم يفضلون على الجن وعلى جميع الحيوان الصامت وعلى ما ليس حيوانا فلم يبق خلق يستثنى من تفضيل الله تعالى بني آدم عليه الا الملائكة فقط

﴿قال ابو محمد﴾ واما فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل رسول قبله فالثابت عنه عليه السلام انه قال فضلت على الانبياء بست وروى بخمس وروى باربع وروى بثلاث رواه جابر بن عبد الله وانس بن مالك وحذيفة بن اليمان وابو هريرة و بقوله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر وانه عليه السلام بعث الى الاحمر والاسود وانه عليه السلام اكثر الانبياء اتباعا وانه ذو الشفاعة التي يحتاج اليه يوم القيامة فيها النبيون فمن دونهم اماتنا الله على ملته ولا خالف بنا عنه وهو ايضا عليه السلام خليل الله وكليمه

﴿الكلام في الفقر والغني﴾

﴿قال ابو محمد﴾ اختلف قوم في اى الامرين افضل الفقر ام الغنى

﴿قال ابو محمد﴾ وهذا سؤال فاسد لان تفاضل العمل والجزاء في الجنة انما هو للعامل لا للحالة المحمولة فيه الا ان ياتي نص بتفضيل الله عز وجل حالا على حال وليس ههنا نص في فضل احدى هاتين الحالتين على الاخرى

﴿قال ابو محمد﴾ وانما الصواب ان يقال ايما افضل الغنى ام الفقير والجواب ههنا هو ما قاله الله تعالى اذ يقول * هل تجزون الا ما كنتم تعملون * فان كان الغنى افضل عملا من الفقير فالغني افضل وان كان الفقير افضل عملا من الغنى فالفقير افضل وان كان عملهما متساويا فهما سواء قال * عز وجل * ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره * وقد استعاذ النبي صلى الله عليه من فتنة الفقر وفتنة الغنى وجعل الله عز وجل الشكر بازاء الغنى والصبر بازاء الفقر فمن اتقى الله عز وجل فهو الفاضل غنيا كان او فقيرا وقد اعترض بعضهم ههنا بالحديث الوارد ان فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل اغنيائهم بكذا وكذا خريفا و نزع الاخرون يقول الله عز وجل * ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فاغنى *

(قال ابو محمد) والغنى نعمة اذا قام صاحبها بالواجب عليه فيها واما فقراء المهاجرين فهم كانوا اكثر وكان الغنى فيهم قليلا والامر كله منهم وفي غيرهم راجع الى العمل بالنص والاجماع على انه تعالى لا يجزي بالجنة على فقر ليس معه عمل خير ولا على غني ليس معه عمل خير وبالله التوفيق

الكلام في الاسم والمسمى

(قال ابو محمد) ذهب قوم الى ان الاسم هو المسمى وقال آخرون الاسم غير المسمى واحتج من قال ان الاسم هو المسمى بقول الله تعالى * تبارك اسم ربك ذو الجلال والاكرام * ويقرأ ايضا ذو الجلال والاكرام قالوا ولا يجوز ان يقال تبارك غير الله فلو كان الاسم غير المسمى ما جاز أن يقال تبارك اسم ربك وبقوله تعالى * سبح اسم ربك الاعلى * قالوا ومن الممتنع ان يامر الله عز وجل بان يسبح غيره وبقوله عز وجل * ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم * وقالوا الاسم مشتق من السمو وانكروا على من قال انه مشتق من الوسم وهو العلامة وذكروا قول لبيد

الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

وقالوا قال سيبويه الافعال امثلة احدث من لفظ احداث الاسماء قالوا وانما اراد المسمين هذا كل ما احتجوا به قد تقصيناه لهم ولا حجة لهم في شيء منه اما قول الله عز وجل تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام وذو الجلال فحق ومعنى تبارك تفاعل من البركة والبركة واجبة لاسم الله عز وجل الذي هو كلمة مؤلفة من حروف الهجاء ونحن نتبرك بالذكر له وبتعظيمه ونجله ونكرمه فله التبارك وله الاجلال منا ومن الله تعالى وله الاكرام من الله تعالى ومنا حيثما كان من قرطاس او في شيء منقوش فيه او مذكور بالالسنة ومن لم يجل اسم الله عز وجل كذلك ولا اكرمه فهو كافر بلا شك فالآية على ظاهرها دون تاويل فبطل تعلقهم بها جملة ولله تعالى الحمد وكل شيء نص الله تعالى عليه انه تبارك فذلك حق ولو نص تعالى بذلك على أي شيء كان من خلقه كان ذلك واجبا لذلك الشيء واما قوله تعالى * سبح اسم ربك الاعلى * فهو على ظاهره دون تاويل لان التسبيح في اللغة التي بها نزل القرآن وبها خاطبنا الله عز وجل هو تنزيه الشيء عن السوء وبلا شك ان الله تعالى امرنا ان ننزه اسمه الذي هو كلمة مجموعة من حروف الهجاء عن كل سوء حيث كان من كتاب او منطوقا به ووجه آخر وهو ان معنى قوله تعالى * سبح اسم ربك الاعلى * ومعنى قوله تعالى . ان هذا لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم . معنى واحد وهو ان يسبح الله تعالى باسمه ولا سبيل الى تسبيحه تعالى ولا الى دعائه ولا الى ذكره الا بتوسط اسمه فكلا الوجهين صحيح حق وتسبيح الله تعالى وتسبيح اسمه كل ذلك واجب بالنص ولا فرق بين قوله تعالى . فسبح باسم ربك العظيم . وبين قوله . فسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم . والحمد بلا شك هو غير الله وهو تعالى نسبح بحمده كما نسبح باسمه ولا فرق فبطل تعلقهم بهذه الآية والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) اما قوله تعالى . ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم . فقول الله عز وجل حق على ظاهره ولهذه الاية وجهان كلاهما صحيح احدهما ان معنى قوله عز وجل . ما تعبدون من دونه الا اسماء برهان هذا قوله تعالى اثر ذلك متصلا بها سميتموها انتم وآباؤكم فصح يقينا انه تعالى لم يعن بالاسماء ههنا ذوات المعبودين لان العابدين لها لم يحدثوا قط ذوات المعبودين بل الله تعالى توحد باحداثها هذا ما لا شك فيه والوجه الثاني ان اولئك الكفار انما كانوا يعبدون اوثانا من حجارة او بعض المعادن او من خشب ويقين ندري انهم قبل ان يسموا تلك الجمل من الحجارة والمعادن ومن الخشب باسم اللات والعزى ومناة وهبل وود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا وبعل قد كانت ذواتها بلا شك موجودات قائمة وهم لا يعبدونها ولا تستحق عندهم عبادة

فلما اوقعوا عليه هذه الاسماء عبدوها حينئذ فصح يقينا انهم لم يقصدوا بالعبادة الا الاسماء كما قال الله تعالى لا الذوات المسميات فعادت الآية حجة عليهم وبرهانا على ان الاسم غير المسمى بلا شك وبالله تعالى التوفيق وأما قولهم ان الاسم مشتق من السمو وقول بعض من خالفهم انه مشتق من الوسم فقولان فاسدان كلاهما باطل انتحله أهل النحو لم يصح قط عن العرب شيئا منهما وما اشتق لفظ الاسم قط من شيء بل هو اسم موضوع مثل حجر وجبل وخشبة وسائر الاسماء لا اشتقاق لها واول ما تبطل به دعواهم هذه الفاسدة أن يقال لهم قال الله عز وجل * قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين * فصح ان من لا برهان له على صحة دعواه فليس صادقا في قوله فهاتوا برهانكم على ان الاسم مشتق من السمو أو من الاسم والا فهي كذبة كذبتموها على العرب وافتريتموها عليهم أو على الله تعالى الواضع للغات كلها وقول عليه تعالى اوعلى العرب بغير علم والا فمن أين لكم ان العرب اجتمعوا فقالوا نشتق لفظة اسم من السمو أو من الوسم والكذب لا يستحله مسلم ولا يستسهله فاضل ولا سبيل لهم الى برهان اصلا بذلك وايضا فلو كان الاسم مشتقا من السمو كما تزعمون فتسمية العذرة والكلب والجيفة والقذر والشرك والخنزير والخساسة رفعة لها وسمو لهذه المسميات وتبا لكل قول أدى الى هذا الهوس البارد وايضا فهبك انه قد سلم لهم قولهم ان الاسم مشتق من السمو اي حجة على ان الاسم هو المسمى بل هو حجة عليهم لان ذات المسمى ليست مشتقة اصلا ولا يجوز عليها الاشتقاق من السمو ولا من غيره فصح بلا شك ان ما كان مشتقا فهو غير ما ليس مشتقا والاسم باقرارهم مشتق والذات المسماة غير مشتقة فالاسم غير الذات المسماة وهذا يلبح لكل من نصح نفسه ان المحتج بمثل هذا السفه عيار مستهزىء بالناس متلاعب بكلامه ونعوذ بالله من الخذلان

(قال ابو محمد) وهذا قول يؤدي من اتبعه وطرده الى الكفر المجرد لانهم قطعوا ان الاسم مشتق من السمو وقطعوا ان الاسم هو الله نفسه فعلى قولهم المهلك الخبيث ان الله يشتق وان ذاته مشتقة وهذا ما لا ندري كافرا بلغه والحمد لله على ما من به من الهدى وايضا فان الله تعالى يقول * وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين * الى قوله تعالى (قال يا آدم انبئهم باسمائهم)

(قال ابو محمد) فلا يخلو ان يكون الله عز وجل علم آدم الاسماء كلها كما قال عز وجل اما بالعربية واما بلغة أخرى او بكل لغة فان كان عز وجل علمه الاسماء بالعربية فان لفظة اسم من جملة ما علمه لقوله تعالى الاسماء كلها ولامره تعالى آدم بان يقول للملائكة انبئوني باسماء هؤلاء فلا يجوز ان يخص من هذا العموم شيء اصلا بل هو لفظ موقف عليه كسائر الاسماء ولا فرق وهو من جملة ما علمه الله تعالى آدم عليه السلام الا ان يدعوا ان الله تعالى اشتقه فالقوم كثيرا ما يستسهلون الكذب على الله تعالى والاخبار عنه بما لا علم لهم به فصح يقينا ان لفظة الاسم لا اشتقاق لها وانما هي اسم مبتدأ كسائر الاسماء والانواع والاجناس وان كان الله تعالى علم آدم الاسماء كلها بغير العربية فان اللغة العربية موضوعة للترجمة عن تلك اللغة بدل كل اسم من تلك اللغة اسم من العربية موضوع للعبارة عن تلك الالفاظ واذا كان هذا فلا مدخل للاشتقاق في شيء من الاسماء اصلا لا لفظة اسم ولا غيرها وان كان تعالى علمه الاسماء بالعربية وغيرها من اللغات العربية فلفظة اسم من جملة ما علمه وبطل ان يكون مشتقا اصلا والحمد لله رب العالمين فبطل قولهم في اشتقاق الاسم وعاد حجة عليهم وبالله تعالى التوفيق واما بيت لبيد فانه يخرج على وجهين احدهما ان السلام اسم من اسماء الله تعالى قال تعالى * الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن * وايضا رحمة الله وسلم صحيح للصحابة للنبي ﷺ وسماه ثم اسم الله عليكما احافظ لكما والوجه الثاني انه اراد السلام التحية ولبيد لا يقدر هو ولا غيره على ايقاع التحية عليهما اما بعد رحيله ولا غيره على ايقاع اسم التحية والدعاء بها فقط فاي الامرين كان فاسم السلام في بيت لبيد هو غير معنى السلام فالاسم في ذلك البيت غير المسمى ولا بد ثم لو صح انه يدعو به على لبيد ولو صح لكان قول عائشة رحمها الله ورضي الله عنها انما أهجر اسمك بيانا ان الاسم غير المسمى وان اسمه

عليه

عليه السلام غيره لانها اخبرت انها لا تهجره وانما تهجر اسمه رضى الله وهي ليست الفصاحة في دون لبيد وهي اولى بان تكون حجة من لبيد فكيف وقول لبيد حجة عليهم لا لهم والحمد لله رب العالمين وقد قال رؤبة باسم الذي في كل سورة سمه ورؤبة ليس دون لبيد في الفصاحة وذات البارى تعالى ليست في كل سورة وانما في السورة اسم الله تعالى فلا شك ان الذي في السورة غير الذي ليس فيها وقال ابو سفيان حسين بن المنذر ابن الحارث بن وعلة الرقاشي لابنه غياط

وسميت غياطا ولست بغايظ * عدوا ولكن الصديق تغيظ

فصرح بان الاسم غير المسمى تصريحا لا يحتمل التاويل بخلاف ما ادعوه على لبيد واما قول سيبويه ان الافعال امثلة احدث من لفظ احداث الاسماء فلا حجة لهم فيه فمن ندرى انه اراد احداث اصحاب الاسماء برهان ذلك قوله في غير ما موضع من كتابه امثلة الاسماء في الثلاثي والرباعي والخماسي والسداسي والسباعي فقطع ان السداسي والسباعي من الاسماء [illegible] ولا بد ان الثلاثي من الاسماء اصلي ولا بد ان الرباعي والخماسي من الاسماء يكون [illegible] كجعفر وسفرجل ويكون [illegible] ان السداسي من الاسماء [illegible] مثل يدود ولو تتبعنا قطعه على ان الاسماء هي الابنية المسموعة الموضوعة ليعرف بها المسميات لبلغ ازيد من ثلثمائة موضع أفلا يستحى من يدرى هذا من كلام سيبويه اطلاقا [illegible] بان مراده لا يخفى على احد قرأ من كتابه ورقتين ونعوذ بالله من قلة الحياء واول سطر في كتاب سيبويه بعد البسملة هذا باب علم ما الكلم من العربية فالكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل فالاسم رجل وفرس فهذا بيان جلي من سيبويه ومن كل من تكلم في النحو قبله وبعده على ان الاسماء هي بعض الكلام وان الاسم هو كلمة من الكلم ولا خلاف بين احد له حس سليم في ان المسمى ليس كلمة ثم قال بعد اسطر يسيرة والرفع والجر والنصب والجزم بحروف الاعراب وحروف الاعراب الاسماء المتمكنة والافعال المضارعة لاسماء الفاعلين وهذا منه بيان لا اشكال فيه ان الاسماء غير الفاعلين وهي التي تضارعها الافعال التي في اوائلها الزوائد الاربع وما قال قط من يرمي بالحجارة ان الافعال تضارع المسمين ثم قال فالنصب في الاسماء رأيت زيدا والجر مررت بزيد والرفع هذا زيد وليس في الاسماء جزم لتمكنها والحاق التنوين هذا كله بيان ان الاسماء هي الكلمات المؤلفة من الحروف المقطعة لا المسمون بها ولو تتبع هذا في ابواب الجمع وابواب التصغير والنداء والترخيم وغيرها لكثر جدا وكاد يفوت الاحصاء

(قال ابو محمد) وسقط كل ما شغب به القائلون بان الاسم هو المسمى وكل قول سقط احتجاج اهله وعرى عن برهان فهو باطل ثم نظرنا فيمن احتج من القائلون ان الاسم غير المسمى فوجدناهم يحتجون بقول الله تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه قالوا والله عز وجل واحد والاسماء كثيرة [illegible] تعالى [illegible] يكون اثنين او اكثر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما مائة [illegible] احصاها دخل الجنة قالوا ومن قال ان خالقه او معبوده تسعة وتسعون فهو شر من النصارى الذين لم يجعلوه الا ثلاثة

(قال ابو محمد) هذا برهان ضروري لازم [illegible] لمحمد بن الطيب الباقلاني ولمحمد بن الحسن بن فورك الاصبهاني انه ليس لله تعالى الا اسم واحد فقط

(قال ابو محمد) وهذه مناقضة [illegible] لله عز وجل بالقرآن ولرسول الله صلى الله عليه وسلم ولجميع العالمين ثم عطلا الا معنى قول الله عز وجل ولله الاسماء الحسنى وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما انما هو التسميه لا الاسماء

(قال ابو محمد) وكان هذا التقسيم ادخل في الضلال من ذلك الاجمال ويقال لهم فعلى قولكم هذا أراد الله تعالى ان يقول لله التسميات الحسنى فقال الاسماء الحسنى وأراد رسوله الله صلى الله عليه وسلم ان يقول ان لله تسعة وتسعين تسمية فقال تسعة وتسعين اسما عن غلط وخطا قال الله تعالى ذلك ورسوله صلى الله عليه وسلم أم عن عمد ليضل بذلك أهل الاسلام ام عن جهل باللغة التي تنبهنا بها الينا ولا بد من احد هذه الوجوه ضرورة لا محيد عنها وكلها كفر مجرد ولا بد لهم من احدها او ترك ما قالوه من الكذب على الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم هذا ودعواهم في ذلك ظاهر الكذب بلا دليل ولا يرضى بهذا لنفسه عاقل

الاسم على المسمى فهي شيء ثالث غير الاسم وغير المسمى فذات الخالق تعالى هي الله المسمى والتسمية هي تحريكنا عضل الصدر واللسان عند نطقنا بهذه الحروف وهي غير الحروف لان الحروف هي الهواء المندفع بالتحريك فهو المحرك بفتح الراء والانسان هو المحرك بكسر الراء والحركة هي فعل المحرك في دفع المحرك وهذا امر معلوم بالحس مشاهد بالضرورة متفق عليه في جميع اللغات واحتجوا أيضا بقول الله تعالى * ان الله يبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا * وهذا نص لا يحتمل تأويلا في ان الاسم هو الياء والحاء والياء والالف ولو كان الاسم هو المسمى لما عقل احد معنى قوله تعالى لم نجعل له من قبل سميا ولا فهم ولكان فارغا حاشا الله من هذا ولا خلاف في ان معناه لم يطلق هذا الاسم على احد قبله وذكروا ايضا قول الله عز وجل عن نفسه هل تعلم له سميا وهذا نص جلي على ان اسماء الله تعالى التي اختص بها لا تقع على غيره ولو كان ما يدعونه لما عقل هذا اللفظ احد ايضا حاشا لله من هذا واحتجوا ايضا بقول الله تعالى مبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد وهذا نص على ان الاسم هو الالف والحاء والميم والدال اذا اجتمعت واحتجوا ايضا بقول الله عز وجل وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين الى قوله قال يا آدم انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم قال المراقل لكم الاية وهذا نص جلي على ان الاسماء كلها غير المسميات لان المسميات كانت اعيانا قائمة وذوات ثابتة تراها الملائكة وانما جهلت الاسماء فقط التي علمها الله آدم وعلمها آدم الملائكة وذكروا قول الله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى وهذا ما لا حيلة لهم فيه لان لفظة الله هي غير لفظة الرحمن بلا شك وهي بنص القرآن اسماء الله تعالى والمسمى واحد لا يتغاير بلا شك وذكروا قول الله عز وجل * ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه * وهذا بيان ايضا جلي مجمع عليه من أهل الاسلام ان الذي عنده التذكية فهو الكلمة المجموعة من الحروف المقطعة مثل الله والرحمن والرحيم وسائر اسمائه عز وجل واحتجوا من الاجماع بان جميع اهل الاسلام لا نحاشي منهم احدا قد اجمعوا على القول بان من حلف باسم من اسماء الله عز وجل وحنث فعليه الكفارة ولا خلاف في ان ذلك لازم فيمن قال والله او الرحمن او الصمد او اي اسم من اسماء الله عز وجل حلف بها فما أسخف عقولا يدخل فيها تخطئة ما جاء به الله عز وجل في القرآن وما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أجمع عليه أهل الاسلام وما أطبق عليه أهل الارض قاطبة من أن الاسم هو الكلمة المجموعة من الحروف المقطعة وتصويب الباقلاني وابن فورك في ان ذلك ليس هو الاسم وانما هو التسمية والحمد لله الذي لم يجعلنا من اهل هذه الصفة المرذولة ولا من هذه العصابة المخذولة واحتجوا ايضا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ارسلت كلبك فذكرت اسم الله فكل فصح ان اللفظ المذكور هو اسم الله تعالى وبقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان له اسماء وهي احمد ومحمد والعاقب والحاشر والماحي فيالله ويا للمسلمين أيجوز ان يظن ذو مسكة عقل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس ذوات تبارك الذي يخلق ما لا نعلم وذكروا قول رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي فصح ان الاسم هو الميم والحاء والميم والدال يقين لا شك فيه واحتجوا بقول عائشة رضي الله عنها بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال لها عليه السلام اذا كنت راضية عني قلت لا ورب محمد واذا كنت ساخطة قلت لا ورب ابراهيم قالت اجل والله يارسول الله ما اهجر الا اسمك فلم ينكر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها ذلك القول فصح ان اسمه غيره بلا شك لانها لم تهجر ذاته وانما هجرت اسمه واحتجوا ايضا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الاسماء الى الله عز وجل عبد الله وعبد الرحمن واصدق الاسماء همام والحارث وروي اكذبها خالد ومالك وهذا كله يبين ان الاسم غير المسمى فقد يسمى عبد الله وعبد الرحمن من يبغضه الله عز وجل وقد يسمى من يكون كذابا الحارث وهماما ويسمى الصادق خالدا ومالكا فهم بخلاف أسمائهم واحتجوا ايضا بان قالوا قد اجتمعت الامم كلها على انه اذا سئل المرء ما اسمك قال فلان واذا قيل له كيف سميت ابنك وعبدك قال سميته فلانا فصح ان تسميته هي اختياره وايقاعه ذلك الاسم على المسمى وان الاسم غير المسمى واحتجوا من طريق النظر بان قالوا انتم تقولون ان اسم الله تعالى هو الله نفسه ثم لا تبالون بان تقولوا اسماء الله تعالى مشتقة من صفاته فعليم مشتق من علم وقدير مشتق من قدرة وحي من حياة فاذا اسم الله هو الله واسم الله مشتق فالله تعالى على قولكم مشتق وهذا كفر بارد وكلام سخيف ولا خلص لهم منه فصحت البراهين المذكورة من القرآن والسنن والاجماع والعقل واللغة والنحو على ان الاسم غير المسمى بلا شك ولقد احسن احمد بن جدار ماشاء أن يحسن اذ يقول

هيهات يا أخت آل بشر * غلطت في الاسم والمسمى
لو كان هذا وقيل سم * مات اذاً من يقول سما

(قال ابو محمد) واخبرني ابو عبد الله السائح العطار انه شاهد بعضهم قد كتب الله في صحاة وجعل يصلي اليها قال فقلت له ماهذا فقال معبودي قال فنفخت فيها فطارت فقلت له قد طار معبودك قال فضربني

(قال ابو محمد) وموهوا فقالوا فاسماء الله عز وجل اذا مخلوقة اذ هي كثيرة واذ هي غير الله تعالى قلنا لهم وبالله تعالى التوفيق ان كنتم تعنون الاصوات التي هي حروف الهجاء والمداد المخطوط به في القراطيس فما يختلف مسلمان في كل ذلك مخلوق وان كنتم تريدون الايهام والتمويه باطلاق الخلق على الله تعالى في اطلاق ذلك فهو كافر بل ان اشار مشير الى كتاب مكتوب فيه الله او بعض اسماء الله تعالى او الى كلامه اذ قال يا الله او قال بعض اسمائه عز وجل فقال هذا مخلوق او هذا ليس ربكم او تكفرون بهذا لما حل لمسلم الا ان يقول حاشا لله من ان يكون مخلوقا بل هو ربي وخالقي أؤمن به ولا اكفر به ولو قال غير هذا لكان كافرا حلال الدم لانه لا يمكن ان يسال عن ذات الباري تعالى ولا عن الذي هو ربنا عز وجل وخالقنا والذي هو المسمى بهذه الاسماء ولا الى الذي يخبر عنه ولا الى الذي يذكر الا بذكر اسمه ولا بد فلما كان الجواب في هذه المسالة يقوم عند اهل الجهل بايصال مالا يجوز الى ذات الله تعالى لم يجز ان يطلق الجواب في ذلك البتة الا بتقسيم كما ذكرنا وكذلك لو كتب انسان محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم او نطق بذلك ثم قال لك هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم أم ليس رسول الله وتؤمنون بهذا أو تكفرون به لكان من قال ليس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أكفر به كافرا حلال الدم باجماع اهل الاسلام ولكنا نقول بل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نؤمن به ولا يختلف اثنان في ان الصوت المسموع والخط المكتوب ليس هو الله ولا رسول الله وبالله تعالى التوفيق فان قالوا ان احمد بن حنبل وابا زرعة عبيد الله بن عبد الكريم وابا حاتم محمد بن ادريس الحنظلي الرازيين رحمهم الله تعالى يقولون ان الاسم هو المسمى قلنا لهم هؤلاء رضي الله عنهم وان كانوا من أهل السنة ومن أئمتنا فليسوا معصومين من الخطا ولا أمرنا الله عز وجل بتقليدهم واتباعهم في كل ما قالوه وهؤلاء رحمهم الله

آرام اختيار هذا القول قولهم الصحيح ان القرآن هو المسموع من القرآن المخلوط في المصاحف نفسه وهذا قول صحيح ولا يوجب أن يكون الاسم هو المسمى على ماقد بينا في هذا الباب وفي باب الكلام في القرآن والحمد لله رب العالمين وانما العجب كله ممن طلب الحق وفارق هؤلاء المذكورين حيث اصابوا وحيث لايحل خلافهم وتعلق بهم حيث وهموا من هؤلاء المنتمين الي الاشعري القائلين بان القرآن لم ينزل قط الينا ولا سمعناه قط ولا نزل به جبريل علي قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الذي في المصاحف هو شيء آخر غير القرآن ثم اتبعوا هذه الكفرة الصلعاء بان قالوا ان اسم الله هو الله وانه ليس لله الا اسم واحد وكذبوا الله تعالى ورسوله في ان لله أسماء كثيرة تسعة وتسعين ونعوذ بالله من الخذلان

﴿ قال ابو محمد ﴾ ولو أن انسانا يشير الى كتاب مكتوب فيه الله فقال هذا ليس ربي وأنا كافر بهذا لكان كافرا ولو قال هذا المداد ليس ربي وأنا كافر بربوبيه هذا الصوت لكان صادقا وهذا لاينكر وانما نقف حيث وقفنا قال محمد رسول الله رحمه الله لم يبعد من الاستخفاف ولو قال اللهم ارحم محمدا وآل محمد لكان محسنا ولو ان انسانا يذكر من أبويه العضو المستور باسمه لكان عاقا آتي كبيرة وان كان صادقا وبالله تعالى التوفيق

(الكلام في قضايا النجوم والكلام في هل يعقل الفلك والنجوم ام لا)

(قال ابو محمد) زعم قوم ان الفلك والنجوم تعقل وانها ترى وتسمع ولا تذوق ولا تشم وهذه دعوى بلا برهان وما كان هكذا فهو باطل مردود عند كل طائفة باول العقل اذ ليست أصح من دعوى اخرى تضادها وتعارضها وبرهان صحة الحكم بان الفلك والنجوم لا تعقل اصلا هو ان حركتها ابدا علي رتبة واحدة لاتتبدل عنها وهذه صفة الجماد المدبر الذي لا اختيار له فقالوا الدليل علي هذه ان الافضل لايختار الا الافضل العمل فقلنا لهم ومن اين لكم بان الحركة افضل من السكون الاختياري لانا وجدنا الحركة حركتين اختيارية واضطرارية ووجدنا السكون سكونين اختياريا واضطراريا فلا دليل علي ان الحركة الاختيارية افضل من السكون الاختياري ثم من لكم بان الحركة الدورية افضل من سائر الحركات يمينا ويسارا اوامام اووراء ثم من لكم بان الحركة من شرق الي غرب كما يتحرك الفلك الاكبر أفضل من الحركة من غرب الى شرق كما تتحرك سائر الافلاك وجميع الكواكب فلاح ان قولهم خرافة فاسدة ودعوى كاذبة مموهة وقال بعضهم لما كنا نحن نعقل وكانت الكواكب تدبرنا كانت اولى بالعقل والحياة منا فقلنا هاتان دعوتان مجموعتان في نسق أحدهما القول بانها تدبرنا فهي دعوى كاذبة بلا برهان علي مانذكره بعد هذا ان شاء الله تعالى والثاني الحكم بان من دبرنا احق بالعقل والحياة منا فقد وجدنا التدبير يكون طبيعيا ويكون اختياريا فلو صح انها تدبرنا لكان تدبيرا طبيعيا كتدبير الغذاء لنا وكتدبير الهواء والماء لنا وكل ذلك ليس حيا ولا عاقلا بالمشاهدة وقد أبطلنا الآن ان يكون تدبير الكواكب لنا اختياريا بما ذكرنا من جريها على حركة واحدة ورتبة واحدة لاتنتقل عنها اصلا واما القول بقضايا النجوم فانا نقول في ذلك قولا لائحا ظاهرا ان شاء الله تعالى

(قال ابو محمد) أما معرفة قطعها في أفلاكها وآناء ذلك ومطالعها وابعادها وارتفاعاتها واختلاف مراكز أفلاكها فعلم حسن صحيح رفيع يشرف به الناظر فيه على عظيم قدرة الله عز وجل وعلي يقين أثره وصنعته واختراعه تعالى للعالم بما فيه وفيه الذي يضطر كل ذلك الى الاقرار بالخالق ولا يستغنى عن ذلك في معرفة القبلة وأوقات الصلاة ويصح من هذه المعرفة رؤية الاهلة لفرض الصوم والفطر ومعرفة الكسوفين برهان ذلك قول الله تعالى ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وقال تعالى والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي

لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون وقال تعالى والسماء ذات البروج وقال تعالى لتعلموا عدد السنين والحساب وهذا هو نفس ماقلنا وبالله تعالى التوفيق

واما القضاء بها فالقطع به خطا لما نذكره ان شاء الله تعالى واهل القضاء يقسمون قسمين احدهما القائلون بانها والفلك عاقلة مميزة فاعلة مدبرة دون الله تعالى اومعه وانها لم تزل * فهذه الطائفة كفار مشركون حلال دماؤهم واموالهم باجماع الامة وهؤلاء عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول ان الله تعالى قال اصبح من عبادى كافر بى مؤمن بالكواكب وفسره رسول الله صلى الله عليه وسلم انه القائل مطرنا بنوء كذا وكذا واما من قال بانها هى المدن التى يمكنهم فيها دعوى ان بناءها كان فى طالع كذا ونصبه كذا لكن فى الاقاليم والقطع من الارض التى لم يتقدم كون بعضها كون بعض كذبهم فيما عليه بنوا قضاياهم فى النجوم وكذلك قسمتهم اعضاء الجسم والفلزات على الدرارى ايضا وبرهان سادس اننا نجد نوعا وانواعا من انواع الحيوان قد فشا فيها الذبح فلا تكاد يموت شىء منها الا مذبوحا كالدجاج والحمام والضان والمعز والبقر التى لا يموت منها حتف انفه الا فى غاية الشذوذ ونوعا وانواعا لا تكاد تموت الا حتف انفها كالحمير والبغال وكثير من السباع وبالضرورة يدرى كل احد انها قد تستوى اوقات ولادتها فبطل قضاؤهم بما يوجب الموت الطبيعى وبما يوجد الكرهى لاستواء جميعها فى الولادات واختلافها فى انواع المنايا وبرهان سابع وهو انا نرى الخصاء شيئا فى سكان الاقليم الاول وسكان الاقليم السابع ولا سبيل الى وجوده البتة فى سكان سائر الاقاليم ولا شك ولا مرية فى استوائهم فى اوقات الولادة فبطل يقينا قضاؤهم بما يوجب الخصاء او بما لا يوجبه بما ذكرنا من تساويهم فى اوقات التكون والولادة واختلافهم فى الحكم ويكفى من هذا ان كلامهم فى ذلك دعوى بلا برهان وما كان هكذا فهو باطل مع اختلافهم فيما يوجبه الحكم عندهم والحق لا يكون فى قولين مختلفين وايضا فان المشاهدة توجب انا قادرون على مخالفة احكامهم متى اخبرونا بها فلو كانت حقا وحتما ماقدر احد على خلافها واذا امكن خلافها فليست حقا فصح انها تخرص كالطرق بالحصا والضرب بالحب والنظر فى الكتف والزجر والطيرة وسائر مايدعى اهله فيه تقدمة المعرفة بلا شك ومايخص ماشاهدناه وما صح عندنا مما حققه حذاقهم من التعديل فى المواليد والمسيرات وتحاويل السنين ثم قصوا فيه فاخطؤا وماتقع اصابتهم من خطئهم الا فى جزء يسير فصح انه تخرص لا حقيقة فيه لاسيما دعواهم فى اخراج الضمير فهو كله كذب لمن تامله وبالله تعالى التوفيق وكذلك قولهم فى القرانات ايضا ولو امكن تحقيق تلك التجارب فى كل ماذكرنا لصدقناها وما يبدوا منها ولم يكن ذلك علم غيب لان كل ماقام عليه دليل من خط او كتف اوزجرا وتطير فليس غيبا لو صح وجه كل ذلك وانما الغيب وعلمه هو ان يخبر المرء من الكائنات دون صناعة اصلا من شىء مما ذكرنا ولا من غيره فيصيب الجزئى والكلى وهذا لا يكون الا لنبى وهو معجزة حينئذ واما الكهانة فقد بطلت بمجىء النبى صلى الله عليه وسلم فكان هذا من اعلامه وآياته وبالله تعالى التوفيق

﴿الكلام فى خلق الله تعالى للشىء اهو المخلوق نفسه ام غيره﴾

وهل فعل الله من دون الله تعالى هو المفعول ام غيره

﴿قال ابو محمد﴾ ذهب قوم الى ان خلق الشىء المخلوق واحتج هؤلاء بقول الله عز وجل * ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم *

﴿قال ابو محمد﴾ ولا حجة لهم فى هذه الآية لان الاشهاد هاهنا هو الاحضار بالمعرفة وهذا حق لان الله تعالى لم يحضرنا عارفين ابتداء خلق السموات والارض وابتداء انفسنا ووجدنا من قال ان خلق الشىء هو الشىء نفسه يحتج بقول الله تعالى هذا خلق الله وهذه اشارة الى جميع المخلوقات فقد سمى الله تعالى جميع

المخلوقات كلها خلقا له وهذا برهان لا يعارض

(قال ابو محمد) ثم نسأل من قال ان خلق الشيء هو غير الشيء فنقول له أخبرنا عن خلق الله تعالى لما خلق أمخلوق هو ايضا ام غير مخلوق فلا بد من احد الامرين فان قالوا هو غير مخلوق اوجبوا بازاء كل مخلوق شيئا موجودا غير مخلوق وهذا مضاهاة لقول الدهرية والبرهان قد قام بخلاف هذا وقال تعالى * خلق كل شيء فقدره تقديرا * وان قالوا بل خلقه تعالى لما خلق مخلوق قلنا فخلقه تعالى لذلك الخلق أبخلق ام بغير خلق فان قالوا بغير خلق قيل لهم من اين قلتم ان خلقه للاشياء بخلق هو غير المخلوق وقلتم في خلقه لذلك الخلق انه بغير خلق وهذا تخليط وان قالوا بل خلقه بخلق سألناهم الخلق هو ام بخلق هو غيره وهكذا ابدا فان وقفوا في شيء من ذلك فقالوا خلقه هو هو سألناهم عن الفرق بين ما قالوا ان خلقه هو غيره وبين ما قالوا ان خلقه هو هو وان تمادوا واخرجوا الى وجود اشياء لا نهاية لها وهذا محال ممتنع وقد قطع بهذا معمر بن عمرو العطار احد رؤساء المعتزلة وسنذكر كلامه بعد هذا ان شاء الله تعالى متصلا بهذا الباب وبالله تعالى نتأيد وايضا فان الجميع متفقون على ان الله عز وجل خالق ما خلق بلا منافاة فاذ لا شك في ذلك فقد صح يقينا انه لا واسطة بين الله تعالى و بين ما خلق ولا ثالث في الوجود غير الخالق والمخلوق وخلق الله تعالى ما خلق حق موجود وهو بلا شك مخلوق وهو بلا شك ليس هو الخالق فهو المخلوق نفسه بيقين لا شك فيه اذ لا ثالث هاهنا أصلا وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) وكل من دون الله تعالى فعله هو مفعوله نفسه لا غير لانه لا يفعل احد دون الله تعالى الا حركة او سكونا او تأثيرا أو معرفة او فكرة او ارادة ولا مفعول لشيء دون الله تعالى الا ما ذكرنا فهي مفعولات الفاعلين وهي افعال الفاعلين ولا فرق وما عدا هذا فانما هو مفعول فيه كالمضروب والمقتول او مفعول به كالسوط والابرة وما اشبه ذلك او مفعول له كالمطاع والمخدوم او مفعول من اجله كالمكسوب والمجلوب فهذه اوجه المفعولات

(قال ابو محمد) واما سائر افعال الله تعالى فبخلاف ما قلنا في الخلق بل هي غير المفعول فيه او له او به او من اجله وذلك كالاحياء فهو غير المحيا بلا شك وكلاهما مخلوق لله تعالى وخلقه تعالى لكل ذلك هو المخلوق نفسه كما قلنا وكالاماتة فهي غير الممات ولو كان غير هذا وكان الاحياء هو المحيا والاماتة هي الممات وبيقين ندري ان المحيا هو الممات نفسه لوجب ان يكون الاحياء هو الاماتة وهذا محال وكالابقاء فهو غير المبقى للبرهان الذي ذكرنا وبيقين ندري ان الشيء غير اعراضه التي هي قائمة به وفانية عنه تارة وبالله تعالى التوفيق

﴿الكلام في البقاء والفناء والمعاني التي يدعيها معمر﴾

والاحوال التي تدعيها الاشعرية وهل المعدوم شيء ام ليس شيئا ومسئلة الاجزاء وهل يتجدد خلق الله للاشياء ام لا يتجدد

(قال ابو محمد) ذهب قوم الى ان البقاء والفناء صفتان للباقي والفاني لا هما الباقي ولا الفاني ولا هما غير الباقي والفاني

﴿قال ابو محمد﴾ وهذا قول في غاية الفساد لان القضية الثانية بنقيض الاولى والاولى بنقيض الثانية لانه اذا قال ليست هي فقد اوجب انها غيره واذا قال ليست غيره فقد اوجب انه هو وهذا تناقض ظاهر وايضا فانه لا فرق بين قول القائلين ليس هو هو ولا بين قوله هو هو وهو غيره والمعنى في تلك القضيتين سواء وأيضا فلو كان البقاء ليس هو الباقي ولا هو غيره والفناء ليس هو الفاني ولا هو غيره فالباقي هو الفاني نفسه والباقي ليس هو الباقي ولا غيره وهذا مزيد من الجنون ومن التناقض وذهب معمر الى ان الفناء صفة قائمة بغير الفاني

(قال ابو محمد) وهذا تخليط لا يعقل ولا يتوهم ولا يقوم عليه دليل اصلا وما كان هكذا فهو باطل والحقيقة في ذلك ظاهرة وهي ان البقاء هو وجود الشيء وكونه ثابتا قائما مدة زمان ما فاذ هو قائما كذلك فهو صفة موجودة في الباقي محمولة فيه قائمة به موجودة بوجوده فانية بفنائه واما الفناء فهو عدم الشيء وبطلانه جملة وليس هو شيئا اصلا والفناء المذكور ليس موجودا البتة في شيء من الجواهر وانما هو عدم العرض فقط كحمرة الخجل اذا ذهبت عبر عن المعنى المراد بالاخبار عن ذهابها بلفظة الفناء كالغضب يفنى ويعقبه رضا وما اشبه ذلك ولو شاء الله عز وجل ان يعدم الجواهر لقدر على ذلك ولكنه لم يوجد ذلك الى الآن ولا جاء به نص فيقف عنده فالفناء عدم كما قلنا

الكلام في المعدوم اهو شيء ام لا

(قال ابو محمد) وقد اختلف الناس في المعدوم اهو شيء ام لا فقال اهل السنة وطوائف من المرجئة كالاشعرية وغيرهم ليس شيئا وبه يقول هشام بن عمرو الفوطي احد شيوخ المعتزلة وقال سائر المعتزلة المعدوم شيء وقال عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط احد شيوخ المعتزلة ان المعدوم جسم في حال عدمه الا انه ليس متحركا ولا ساكنا ولا مخلوقا ولا محدثا في حال عدمه

(قال ابو محمد) واحتج من قال بان المعدوم شيء بان قالوا قال عز وجل ان زلزلة الساعة شيء عظيم فقالوا فقد اخبر عز وجل بانها شيء وهي معدومة ومن الدليل على ان المعدوم شيء انه يخبر عنه ويوصف ويسمى ومن المحال ان يكون ما هذه صفته ليس شيئا

(قال ابو محمد) اما قول الله عز وجل ان زلزلة الساعة شيء عظيم فان هذه القصة موصولة بقوله تعالى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى فانما تم الكلام عند قوله يوم ترونها فصح ان زلزلة الساعة يوم ترونها شيء عظيم وهذا هو قولنا ولم يقل تعالى قط انها الآن شيء عظيم ثم اخبر تعالى بما يكون يومئذ من هول المرضعات ووضع الاحمال وكون الناس سكارى من غير خمر فبطل تعلقهم بالآية وما نعلم انهم شغبوا بشيء غيرها واما قولهم ان المعدوم يخبر عنه ويوصف ويسمى ويسمى فجهل شديد وظن فاسد وذلك ان قولنا في شيء يذكر انه معدوم ويخبر عنه انه معدوم ويسمى به انما هو ان يذكر اسم ما فذلك الاسم موجود بلا شك يعرف ذلك بالحس كقولنا العنقاء وابن آوى وحين وعرس ونبوة مسيلمة وما اشبه ذلك ثم كل اسم ينطق به ويوجد ملفوظا او مكتوبا فانه ضرورة لا بد له من احد وجهين اما ان يكون له مسمى واما ان يكون ليس له مسمى فان كان له مسمى فهو موجود وهو شيء حينئذ وان كان ليس له مسمى فاخبارنا بالعدم وتسميتنا له ليس الصحة انما هو اخبار عن ذلك الاسم الموجود انه ليس له مسمى ولا تحته شيء وتبين منا لان يكون تحته مسمى فهكذا هو الامر لا كما ظنه اهل الجهل فصح ان المعدوم لا يخبر عنه ولا يسمى ونسألهم عمن قال ليت لي ثوبا احمر وغلاما اسود اخبرونا هل الثوب المتمنى به عندكم احمر ام لا فان اثبتوا معنى وهو الثوب اثبتوا عرضا محمولا فيه وهو الحمرة فوجب ان المعدوم يحمل الاعراض وان قالوا لم يتمن شيئا صدقوا وصح انه اذا عدم ولا يسمى لانه ليس شيئا ولا فرق بين قول القائل تمنيت لا شيء وبين قوله لم اتمن شيئا فهما سواء لا معنى لاحدهما غير الآخر وهذا ايضا يخرج على وجه آخر وهو انه لا يتمنى الاشياء موجودة في العالم كثوب مرجو وجوده او غلام موجود لا من احد لفظة التمني لما ليس في العالم فلم يتمن شيئا واما قولهم يوصف فظاهر [illegible] الا من قول القائل يوصف اخبار بانه لصفة محمولة فيه موجودة به فليت شعري كيف يحمل المعدوم من الصفات من الحمرة والخضرة والقوة والطول والعرض ان هذا لعجيب جدا فظهر فساد ما موهوا به والحمد لله رب العالمين

(قال) ابو محمد رضي الله عنه واذ قد عرا قولهم عن الدليل فقد صح انه دعوى كاذبة ثم نقول و بالله التوفيق من البرهان على ان المعدوم اسم لا يقع على شيء أصلا قول الله عز وجل وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا وقوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا وقوله وخلق كل شيء فقدره تقديرا وقال عز وجل انا كل شيء خلقناه بقدر فيلزمهم ولا بد ان كان المعدوم شيئا ان يكون مخلوقا بعد وهم لا يختلفون في ان المخلوق موجود وقد وجد وقتا من الدهر فالمعدوم على هذا موجود وقد كان موجودا وهذا خلاف قولهم وهذا غاية البيان في ان المعدوم ليس شيئا

(قال) أبو محمد رضي الله عنه ونسألهم ما معنى قولنا شيء فلا يجدون بدا من ان يقولوا انه الموجود او ان يقولوا هو كل ما يخبر عنه فان قالوا هو الموجود صاروا الى الحق وان قالوا هو كل ما يخبر عنه قلنا لهم ان المشركين يخبرون عن شريك الله عز وجل قال تعالى أين شركائي

(قال) أبو محمد وهذا معدوم لا مدخل له في الحقيقة واسم لا مسمى تحته فان قالوا ان شركاء الله تعالى اشياء كانوا قد أفحشوا وأيضا فانه قد اتفقت جميع الامم لا تحاشي ان المعدوم ليس شيئا او لا شيء إذ ما يعبر به في كل لغة عن شيء وعن لا شيء الا ان المعنى واحد فلو كان المعدوم شيئا لكان ما أجمعوا عليه بلا شيء وليس شيئا ولم يكن شيئا باطلا وهذا رد على جميع أهل الارض مذ كانوا الى ان يفنى العالم فصح أن الموجود هو الشيء فاذ هو الشيء فبضرورة العقل ان اللاشيء هو المعدوم ثم نسألهم أتقولون ان المعدوم عظيم او صغير او حسن او قبيح أو طويل او قصير او ذو لون في حال عدمه فان ابوا من هذا تناقض قولهم وسئلوا عن الفرق بين قولهم انه شيء و بين قولهم انه حسن او قبيح او صغير او كبير وكيف قالوا انه شيء ثم قالوا انه ليس حسنا ولا قبيحا ولا صغيرا ولا كبيرا فان قالوا نعم اوجبوا ان المعدوم يحمل الاعراض والصفات وهذا تخليط ناهيك به وسئلوا فبماذا يحمل الصفات أفي ذاته او فبماذا فان قالوا في ذاته أوجبوا ان له ذاتا وهذه صفة الموجود ضرورة وان قالوا بل يحمل الصفات في غيره كان ذلك أيضا عجبا زائدا ومحالا لا خفاء به

(قال) ابو محمد ونسألهم هل الايمان موجود من أبي جهل او معدوم فان قولهم بلا شك انه معدوم منه . فنسألهم عن ايمان أبي جهل المعدوم حسن هو أم قبيح . فان قالوا لا حسن ولا قبيح قلنا لهم ايكون بعقل ايمان ليس حسنا هذا عظيم جدا . وان قالوا بل هو حسن أوجبوا انه حامل للحسن وكذلك نسألهم عن الكفر المعدوم من الانبياء عليهم السلام اقبيح هو أم لا . فان قالوا لا أوجبوا كفرا ليس قبيحا . وان قالوا بل هو قبيح أوجبوا ان المعدوم يحمل الصفات ونسألهم عن ولد العقيم المعدوم منه اصغير هو أم كبير ام عاقل ام أحمق . فان منعوا من وجود شيء من هذه الصفات له كان عجبا ان يكون ولد لا صغير ولا كبير ولا حي ولا ميت وان وصفوه بشيء من هذه الصفات اتوا بالزيادة من المحال ونسألهم عن الاشياء المعدومة ألها عدد ام لا عدد لها . فان قالوا لا عدد لها كانوا قد أتوا بالمحال اذ أقروا باشياء لا عدد لها . وان قالوا بل لها عدد كان ذلك ... جدا ومحالا لا خفاء به ونسألهم عن الاولاد المعدومين من العاقر والعقيم كم عددهم . ونسألهم عن الاشياء المعدومة اهي في العالم ومن العالم أم ليست في العالم ولا من العالم فان قالوا هي في العالم ومن العالم سألناهم عن مكانها فان حددوا لها مكانا سخروا ما شاؤا وان قالوا لا مكان لها . قيل لهم وكيف يكون شيء في العالم لا مكان له فيه ...

(قال أبو محمد) ويلزمهم ان المعدومات اذا كانت أشياء لا عدد لها ولا نهاية ولا مبدأ فانها لم تزل وهذه دهرية محققة وكفر مجرد ان تكون اشياء لا تحصى كثرة لم تزل مع الله تعالى ونعوذ بالله من مثل هذا الهوس

(قال ابو محمد) وقد ادعوا ان المعدوم يعلم وهذا جهل منهم بحدود الكلام لاسيما ممن اقر بان المعدوم

لا شيء

لاشيء وادعى مع ذلك انه يعلم فالزمناهم على ذلك انهم يعلمون لاشيء وان الله تعالى يعلم لاشيء فحسر بعضهم على ذلك فقلنا له ان قولك علمت لاشيء وعلم الله تعالى لاشيء ملائم لقولك لم اعلم شيئا ولقولك لم يعلم الله تعالى شيئا لافرق بين معنى القضيتين البتة بل هما واحد وان اختلفت العبارتان واذ هو كذلك فقد صح ان المعدوم لايعلم فان الزمنا على هذا وسالنا هل يعلم الله تعالى الا شيئا قبل كونها أم لا قلنا لم يزل الله تعالى يعلم ان مايخلقه ابدا الى مالا نهاية له فانه سيخلقه ويرتبه على الصفات التي يخلقها فيها اذا خلقه وانه سيكون شيئا اذا كونه ولم يزل عز وجل يعلم ان مالم يخلق بعد فليس هو شيئا حتى يخلقه ولم يزل تعالى يعلم انه لاشيء معه وانه ستكون الاشياء اشياء اذا خلقها لانه تعالى انما يعلم الاشياء على ماهي عليه لاعلى خلاف ماهي عليه لان من علمها على خلاف ماهي عليه فلم يعلمها بل جهلها وليس هذا علما بل هو ظن كاذب وجهل وبرهان هذا قول الله عز وجل ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو في لغة العرب التي خاطبنا الله تعالى بها حرف يدل على امتناع الشيء لامتناع غيره فصح انه تعالى لم يسمعهم لانه لم يعلم فيهم خيرا او لاخير فيهم فصح ان المعدوم لايعلم أصلا، لو علم لكان موجودا وانما يعلم الله تعالى ان لفظة المعدوم لامسمى لها ولا شيء تحتها ويعلم عز وجل الآن ان الساعة غير قائمة وهو الآن تعالى لا يعلمها قائمة بل يعلم انه سيقيمها فتقوم فتكون قيامة وساعة ويوم جزاء ويوم بعث وشيئا عظيما حين يخلق كل ذلك لاقبل ان يخلقه فاما علمه تعالى بانه سيقيمها فتقوم فهو موجود حق فهذا معنى اطلاق العلم على مالم يكن بعد من المعدومات كما اننا لا نعلم الآن الشمس طالعة طلوعها في غد بل نعلم انها ستطلع غدا وكذلك لا نعلم موت الاحياء الان بل نعلم ان الله تعالى سيخلق موتهم فنعلمه موتا لهم اذا خلقه لاقبل ذلك وبالله تعالى التوفيق وقال تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين فهذا نص جلي على ان المعدوم لايعلم لان الله تعالى اخبر انه لايدخل الجنة من لايعلمه الله تعالى مجاهدا ولا صابرا فصح ان من لم يجاهد ولا صبر فلم يعلمه الله تعالى قط مجاهدا ولاصابرا اولا علم له جهادا ولا صبرا وانما علمه غير مجاهد وغير صابر ولم يزل تعالى يعلم ان من كان منهم سيجاهد وسيصبر فانه لم يزل يعلم انه سيجاهد وسيصبر فاذا جاهد وصبر علمه حينئذ صابرا مجاهدا والعلم لايستحيل لانه ليس شيئا غير البارى تعالى وانما استحال المعلوم فقط . ثم نسالهم هل يعلم الله تعالى لحية الاطلس وقنا الافطس ام لايعلم ذلك وهل يعلم الله تعالى اولاد العقيم وايمان الكافر وكفر المؤمن وكذب الصادق وصدق الكاذب ام لايعلم شيئا من ذلك . فان قالوا انه تعالى يعلم كل ذلك كانوا قد وصفوا الله تعالى بالجهل وانه يعلم الاشياء بخلاف ماهي عليه وان قالوا انه تعالى لا يعلم للعقيم اولادا وانما يعلمه لاولد له ولا يعلم لحية الاطلس بل يعلمه غير ذي لحية صدقوا وعادوا الى الحق وبالله تعالى التوفيق

* (الكلام في المعاني على معمر) *

قال ابو محمد واما معمر ومن اتبعه فقالوا انا وجدنا المتحرك والساكن فايقنا ان معنى حدث في المتحرك به فارق الساكن في صفته وان معنى حدث في الساكن به ايضا فارق المتحرك في صفته وكذلك علمنا ان في الحركة معنى به فارقت السكون وان في السكون معنى به فارق الحركة وكذلك علمنا ان في ذلك المعنى الذي به خالفت الحركة السكون معنى به فارق المعنى الذي به فارقه السكون وهكذا ابدا واوجبوا ان في كل شيء في هذا العالم من جوهر او عرض اي شيء كان معاني فارق كل معنى منها كل ماعداه في العالم وكذلك ايضا في تلك المعاني لانها اشياء موجودة متغايرة واوجبوا بهذا وجود اشياء في زمان محدد في العالم لانهاية لعددها

(قال ابو محمد) هذه جملة كل ما شغبوا به الا انهم فصلوها ومدوها فى الكفر والكافر والايمان والمؤمن وفى غير ذلك مما هو المعنى الذى اوردناه بعينه ولا زيادة فيه اصلا

(قال ابو محمد) وهذا ليس شيئا لاننا نقول لهم وبالله تعالى التوفيق العالم كله قسمان جوهر حامل وعرض محمول ولا مزيد ولا ثالث فى العالم غير هذين القسمين هذا امر يعرف بضرورة العقل وضرورة الحس فالجواهر مغايرة بعضها لبعض بذواتها التى هى اشخاصها يعنى بالغيرية فيها وتختلف ايضا بجنسها وهى ايضا مفترق بعضها من بعض بالعرض المحمول فى كل حامل من الجواهر وأما الاعراض فمغايرة للجواهر بذواتها بالغيرية فيها وكذلك هذه ايضا بعضها مغاير لبعض بذواتها وبعضها مفارق لبعض بذواتها وان كان بعض الاعراض ايضا قد تحمل الاعراض كقولنا حمرة مشرقة وحمرة كدرة وعمل سيىء وعمل صالح وقوة شديدة وقوة دونها فى الشدة ومثل هذا كثير الا ان كل هذا اقف فى عدده متناه لا يزيد وهذا امر يعلم بالحس والعقل فالمتحرك يفارق الساكن هذا بحركته وهذا بسكونه والحركة تفارق السكون بذاتها وتفارقها السكون بذاته وبالنوعية والغيرية والحركة الى الشرق تفارق الحركة الى الغرب بكون هذه الى الشرق وكون هذه الى الغرب بذاته وبالغيرية فقط وهكذا فى كل شيء فكل شيئين وقعا تحت نوع واحد مما يلى الاشخاص فانهما يختلفان بغيريتهما فان كانا وقعا تحت نوعين فانهما يختلفان بالغيرية فى الشخص وبالغيرية فى النوع أيضا وبالغيرية ايضا لهما نوع جامع لجميع اشخاصها الا ان كل ذلك يقف عند حد من العدد لا يزيد ولا بد ثم نسألهم خبرونا عن المعانى التى تدعونها فى حركة واحدة أيما أكثر اهى أم المعاني التى تدعونها في حركتين فان أثبتوا قلة وكثرة تركوا مذهبهم واوجبوا النهاية فى المعانى التى نفوا النهاية عنها وان قالوا لا قلة ولا كثرة ههنا كابروا وأتوا بالمحال الناقض ايضا لاقوالهم لانهم اذا أوجبوا للحركة معنى اوجبوا للحركتين معنيين وهكذا أبدا فوجبت الكثرة والقلة ضرورة لا محيد عنها

(قال ابو محمد) فلم يكن لهم جواب أصلا الا أن بعضهم قال اخبرونا أليس الله تعالى قادرا على ان يخلق فى جسم واحد حركات لا نهاية لها

(قال ابو محمد) فجواب اهل الاسلام فى هذا السؤال نعم واما من عجز ربه فاجابوا بلا فسقط هذا السؤال عنهم وكان سقوط الاسلام عنهم بهذا الجواب اشد من سقوط سؤال اصحاب معمر

(قال ابو محمد) وتمادى سؤالهم لاهل الحق فقالوا اخبرونا أيما أكثر ما يقدر الله تعالى عليه من خلق الحركات فى جسمين او ما يقدر عليه من خلق الحركات فى جسم واحد فكان جواب أهل الحق فى ذلك انه لا يقع عدد على معدوم ولا يقع العدد الا على موجود معدود والذى يقدر الله تعالى عليه ولم يفعله فليس هو بعد شيئا ولا له عدد ولا هو معدود ولا نهاية لقدرة الله تعالى واما ما يقدر عليه تعالى ولم يفعله فلا يقال فيه ان له نهاية ولا انه لا نهاية له واما كل ما خلق الله تعالى فله نهاية بعد وكذا كل ما يحدث فاذا احدثه حدثت له نهاية حينئذ لا قبل ذلك واما المعانى التى تدعونها فانكم تدعون انها موجودة قائمة فوجب ان يكون لها نهاية فان نفيتم النهاية عنها لحقتم باهل الدهر وكلمناكم بما كلمناهم به مما قد ذكرنا قبل وبالله تعالى التوفيق ثم لو ثبت لكم هذه العبارة من قول القائل ان ما يقدر الله تعالى عليه لا نهاية له وهذا لا يصح بل الحق فى هذا ان نقول ان الله تعالى قادر على ان يخلق ما لا نهاية له فى وقت ذى نهاية ومكان ذى نهاية وان شاء ان يخلق ذلك فى وقت غير ذى نهاية ومكان غير ذى نهاية لكان قادرا على كل ذلك لما وجب من ذلك اثبات ما ادعيتم من وجود معان فى وقت واحد لا نهاية لها اذ ليس ههنا عقل يوجب ذلك ولا خبر يوجب ذلك وانما هو قياس منكم ادعيتم انه لما كان قادرا على ان يخلق ما لا نهاية له قلنا انه قد خلق ما لا نهاية له فهذا قياس والقياس كله باطل ثم لو كان القياس حقا لكان هذا منه باطلا لانه زعمكم

قياس موجود على ومعدوم قياس وتشبيه لما قد خلقه بزعمكم على ما لم يخلقه وهذا في غاية الفساد ولا فرق بينكم في هذا القياس الفاسد وبين من يقول ان في بلد كذا قوما يشمون من عيونهم ويسمعون من انوفهم ويذوقون من آذانهم ويبصرون من السنتهم فاذا كذب في ذلك وسئل برهانا على دعواه قال اتقرون ان الله قادر على خلق ذلك فقلنا له نعم قال فهذا دليل على صحة دعواي بل انتم اسوأ حالا لان هذا أخبر عن متوهم لو كان كيف كان يكون فانتم تخبرون عن غير متوهم في الحس ولا متشكل في العقل وهو اقراركم بوجود معان لا نهاية لعددها في وقت واحد

(قال ابو محمد) فبطل هذا القول الفاسد والحمد لله رب العالمين وكان يكفي من بطلانها انها دعوى لا برهان على صحتها وهي دعوى فاسدة غير ممكنة بل هي محال لا يتوهم ولا ولا يتشكل وبالله تعالى التوفيق

الكلام في الاحوال مع الاشعرية ومن وافقهم

(قال ابو محمد) واما الاحوال التي ادعتها الاشعرية فانهم قالوا ان هاهنا أحوالا ليست حقا ولا باطلا ولا هي مخلوقة ولا غير مخلوقة ولا هي موجودة ولا معدومة ولا هي معلومة ولا هي مجهولة ولا هي أشياء ولا هي لا أشياء، وقالوا من هذا علم العالم بان له علما ووجوده لوجوده ما يجده قالوا فان قلتم ان لكم علما بان لكم علما بالباري تعالى وبما تعلمونه وان لكم وجودا لوجودكم ما تجدونه سألنا كم ألكم علم بعلمكم بان لكم علما وهل لكم وجود لوجودكم ووجودكم ما تجدونه، فان أقررتم بذلك لزمكم أن تتسلسلوا هذا أبدا الى ما لا نهاية له ودخلتم في قول اصحاب معمر والدهرية. وان منعتم من ذلك سئلتم عن صحة الدليل على صحة منعكم ما منعتم من ذلك وصحة ايجابكم ما أوجبتم من ذلك، و كذلك قالوا في قدم القديم وحدوث المحدث وبقاء الباقي وفناء الفاني وظهور الظاهر وخفاء الخافي وقصد القاصد ونية الناوي وزمان الزمان وما أشبه ذلك وقالوا لو كان للباقي بقاء وللبقاء الذي بقاء وهكذا أبدا الى ما لا نهاية له قالوا فهذا يوجب وجود اشياء لا نهاية لها وهذا محال، وهكذا قالوا في قدم القديم وقدم قدمه وقدم قدم قدمه الى ما لا نهاية له وفي حدوث احد حدوث حدوثه وحدوث حدوث حدوثه الى ما لا نهاية له، وهكذا قالوا في زمان الزمان وزمان زمان الزمان الى ما لا نهاية له وفي فناء الفاني وفناء فنائه وفناء فناء فنائه الى ما لا نهاية له وكذلك ظهور الظاهر وظهور ظهوره وظهور ظهور ظهوره الى ما لا نهاية له وكذلك القصد والقصد الى القصد والقصد الى القصد الى القصد وهكذا الى ما لا نهاية له وكذلك النية والنية للنية والنية للنية الى ما لا نهاية له وكذلك تحقيق الحق وتحقيق تحقيق الحق الى ما لا نهاية له

(قال ابو محمد) أفكار السوء اذا طرقت صاحبها انه يدقق فيها فهي اضر عليه لانها تخرجه الى التخليط الذي ينسبونه الى السوفسطائية والى الهذيان المحض وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا

(قال ابو محمد) والكلام في هذا أيسر من ان يشكل على ذي فهم (١) ضعيف على عالم والحمد لله ونحن نتكلم على هذا ان شاء الله عز وجل كلاما ظاهرا لا يخفى على ذي حس سليم وبالله تعالى نتأيد ونقول وبالله تعالى التوفيق. أما القدم فانه من صفات الزمن ومن فيه تقول هذا اقدم من هذا وزمان أقدم من زمان وشيخ اقدم من شيخ اي انه متقدم بزمنه عليه وزمان متقدم لذاته على زمان ليس في العالم قدم قديم الا زماني هذا هو حكم اللغة التي لا يوجد فيها غيره اصلا وقدم الله القدم والتقدم متقدم على غيره بنفسه فقط لا زمان ولا هو موجود معلوم وهي صفة لم يأت بها نص ولا قام بوجوده دليل ولم يكن هكذا فهو باطل وأما وجود الوجود فبضرورة الحس ان الموجود حق وانه يقتضي واجدا وان الوجود يقتضي وجودا

(١) فهم لعله كثير الفهم

فهو حق لما ذكرنا ووجود الواجد بذاته لا بوجود هو غيره لأن وجود الوجود لم يأت به نص ولا برهان وما كان هكذا فهو باطل ، وأما البارئ عز وجل فانه يجد نفسه ويعلمها ويجد ما دونه ويعلمه بذاته لا بوجود هو غيره ولا بعلم هو غيره فقط وكذلك العالم منا يقتضي علما ولا بد هو فعل العالم وصفته المحمولة فيه عرضا بيقين ويزيد ويذهب ويثبت اطوارا هذا مالا شك فيه والعالم منا يعلم انه يحمل علما يعلمه ذلك لا بعلم هو غير علمه لأن العلم بالعلم لم يوجب وجوده نص ولا برهان وما كان هكذا فهو باطل وكذلك الباقي مثله بلا شك والبقاء هو اتصال وجوده مدة بعد مدة وهذا معنى صحيح لا يجوز ان ينكره عاقل فاما بقاء البقاء فلم يأت بايجاب وجود نص ولا قام به برهان وما كان هكذا فهو باطل ولا يجوز ان يوصف الله تعالى ببقاء البقاء ولا انه (١) باق كما لا يوصف بالخلد ولا بانه خالد ولا بالدوام ولا بانه دائم ولا بالثبات ولا بانه ثابت ولا بطول العمر ولا بطول المدة لأن الله عز وجل لم يسم نفسه بشيء من ذلك لا في القرآن ولا على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا قاله قط أحد من الصحابة رضي الله عنهم ولا قام به برهان بل البرهان قام ببطلان ذلك لأن كل ما ذكرنا من صفات المخلوقين ولا يجوز ان يوصف الله تعالى بشيء من صفات المخلوقين الا ان يأتي نص بان يسمى باسم ما فيوقف عنده ولأن كل ما ذكرنا اعراض فيما هو فيه والله تعالى لا يحمل الاعراض وايضا فانه عز وجل لا في زمان ولا يمر عليه زمان ولا هو متحرك ولا ساكن لكن يقال لم يزل الله تعالى ولا يزال ، واما الفناء فانه مدة للعدم تعدها اجزاء الحركات والسكون ولا يجوز ان تكون للمدة مدة لكنها مدة في نفسها ولمسها فالقول بالزمان حق لانه محسوس معلوم واما القول بزمان الزمان فهو شيء لم يأت به نص ولا قام بصحته برهان وما كان هكذا فهو باطل ، واما ظهور الظاهر فهو متيقن معلوم والظهور صفة الظاهر وفعله تقول ظهر يظهر ظهورا والظهور معلوم ظاهر بنفسه ولا يجوز ان يقال ان للظهور ظهورا لانه لم يأت به نص ولا قام بصحته برهان وما كان هكذا فهو باطل ، واما خفاء الخافي فهو عدم ظهوره والعدم ليس شيئا كما قدمنا ، واما القصد الى الشيء والنية له فانما هما فعل القاصد والناوي وارادتهما الشيء والقول بهما واجب لانهما موجودان بالضرورة يجدهما كل واحد من نفسه ويعلمهما من غيره علما ضروريا واما القصد الى القصد والنية للنية فباطل لانه لم يأت به نص ولا أوجبهما دليل وما كان هكذا فهو باطل ، والقول به لا يجوز فهذا وجه البيان فيما خفي عليهم حتى اتوا فيه بهذا التخليط والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) ثم نقول لهم اخبرونا اذا قلتم هذه احوال أهي معان ومسميات مضبوطة محدودة متميز بعضها من بعض ام ليست معاني اصلا ولا لها مسميات ولا هي مضبوطة ولا محدودة متميز بعضها من بعض ، فان قالوا ليست معاني ولا محدودة ولا مضبوطة ولا متميزا بعضها من بعض ولا لتلك الاسماء مسميات اصلا ، قيل لهم فهذا هو معنى العدم حقا فلم قلتم انها ليست معدومة ثم لم سميتموها احوالا وهي معدومة ولا تكون التسمية الا شرعية او لغوية وتسميتكم هذه المعاني احوالا ليست تسمية شرعية ولا لغوية ولا مصطلحا عليها لبيان ما يقع عليه فهي باطل محض بيقين ، فان قالوا هي معان مضبوطة ولها مسميات محدودة متميزة بعضها من بعض قيل لهم هذه صفة الموجود ولا بد فلم قلتم انها ليست موجودة وهذا ما لا مخلص لهم منه وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) ويقال لهم ايضا هذه الاحوال التي تقولون أمعقولة هي أم غير معقولة فان قالوا هي معقولة كانوا قد اثبتوا لها معنى وحقائق من اجلها عقلت فهي موجودة ولا بد والعدم ليس معقولا لكنه لا معنى لهذه اللفظة أصلا وبالله تعالى التوفيق ، ويقال لهم ايضا هل الاحوال في اللغة

(١) ولا أنه اي بقاء البقاء باق

وفى المعقول الا صفات لذي حال وهى الحال فى اللغة الا بمعنى التحول من صفة الى اخرى يقال هذا حال فلان اليوم وكيف كانت حالك بالامس وكيف يكون الحال غدا فاذا الامر هكذا ولا بد فهذه الاحوال الموجودة حق مخلوقة ولا بد فظهر فساد قولهم وانه من اسخف الهذيان والمحال الممتنع الذى لا يرضى به عاقل ، و يقال لهم ايضا قبل كل شيء وبعده فمن اين سميتم هذا الاسم يعنى الاحوال ومن اين قلتم لاهى معلومة ولاهي مجهولة ولا حق ولا باطل ولا مخلوقة ولا غير مخلوقة ولا معدومة ولا موجودة ولا هى أشياء ولا غير اشياء أى دليل حداكم على هذا الحكم أقرآن أم سنة ام اجماع أم قول متقدم أم لغة ام ضرورة عقل ام دليل اقناعى ام قياس فهاتوه ولا سبيل اليه فلم يبق الا الهذر والهوس وقلة المبالاة بما يكتبه الملكان و يسال عنه رب العالمين والتهاون باستخفاف أهل العقول لمن قال بهذا الجنون ولا مز يد ونعوذ بالله من الخذلان ، ومايبنغى لهم بعد هذا أن ينكروا على من أتى بمالا يعقل ككون الجسم فى مكانين والجسمين فى مكان واحد وكون شيء قائما قاعدا وكون أشياء غير متناهية فى وقت واحد فان قالوا هذا كفر قيل لهم بل الكفر ما جئتم به لانه ابطال الحقائق كلها والعجب كل العجب انهم لايجوزون قدرة الله تعالى على ماهو محال عندهم وقد أتوا فى هذا الفصل بعين المحال ونعوذ بالله من الخذلان

﴿ قال ابو محمد ﴾ وكلامهم فى هذه المسالة كلام ما سمع باسخف منه ولا قول السوفسطائية ولا قول النصارى ولا قول الغالية على ان هذه الفرق احمق الفرق اقوالا اما السوفسطائية فانهم قطعوا على ان الاشياء باطل لاحق أو انها حق عند من هى عنده حق و باطل عند من هي عنده باطل ، وأما النصارى والغالية فان كانت هاتان الفرقتان قد اتتا بالعظائم فانهم قطعوا بانها حق ، وأما هؤلاء المخاذيل فانهم اتوا بقول حققوه وابطلوه ولم يحققوه ولا ابطلوه كل ذلك معا فى وقت واحد من وجه واحد وهذا لاياتى به الا مبرسم (١) او مجنون أو ماجن يريد أن يضحك من معه

﴿ قال ابو محمد ﴾ ونحن نتكلف بيان هذا التخليط التى اتوا به وان كان مكتفيا بسماعه ولكن التزيد من ابطال الباطل ما أمكن حسن مقبول و بالله تعالى التوفيق ان قولهم لاهي حق ولا هى باطل فان كل ذى حس سليم يدرى أن كل مالم يكن حقا فهو باطل ومالم يكن باطلا فهو حق هذا لايعقل غيره فكيف وقد قال الله تعالى * فماذا بعد الحق الا الضلال * وقال تعالى ليحق الحق و يبطل الباطل * وقال تعالى * هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون * وقال تعالى * خلق كل شيء فقدره * وقال تعالى * انا وجدنا ماوعدنا ربنا حقا * وقال * فهل وجدتم ماوعد ربكم حقا قالوا نعم *

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهؤلاء قوم ينتمون الي الاسلام و يصدقون القرآن ولولا ذلك ما احتججنا عليهم فقد قطع الله تعالى انه ليس الا حق او باطل وليس الا علم اوجهل وهو عدم العلم وليس الاوجود اوعدم وليس الا شيء مخلوق او الخالق او لفظ العدم التى لاتقع علي شيء ولا علي مخلوق فقد اكذبهم الله عز وجل فى دعواهم ولا يشك ذو حس سليم ان مالم يكن باطلا فهو حق ومالم يكن حقا فهو باطل ومالم يكن معلوما فهو مجهول ومالم يكن مجهولا فهو معلوم ومالم يكن شيئا فهو لاشيء ومالم يكن لاشيء فهو شيء ومالم يكن موجودا فهو معدوم وما لم يكن معدوما فهو موجود ومالم يكن مخلوقا فهو غير مخلوق ومالم يكن غير مخلوق فهو مخلوق ، هذا كله معلوم ضرورة ولا يعقل غيره ، فاذ هذا كذلك ولا فرق بين ماقالوه فى هذه القضية وبين القول اللازم لهم ضرورة وهو . ان تلك الاحوال معدومة موجودة معا حق باطل معا معلومة مجهولة معا مخلوقة غير مخلوقة معا شيء لاشيء معا وهذا هو نفس قولهم ومقتضاه ، لانهم اذ قالوا ليست حقا

(١) المبرسم الذى يهذى من علة البرسام وهى الحمى من الجدري

فقد اوجبوا انها باطل واذ قالوا ولا هي باطل فقد اوجبوا انها حق وهكذا في سائر ماقالوه ، واعجبوا العقول وسع هذا فيها وسخموا به ورقهم ، وعجب آخر وهو قولهم ان هاهنا احوالا ولفظة هاهنامعناها الاثبات بلا شك فهي موجودة ثابتة بلاشك ﴿قال ابو محمد﴾ ولم يتخلصوا من هذا من قول معمر في وجوب وجود اشياء لانهاية لها او ان يصيروا الى قولنا في ابطال هذه التي يسمونها أحوالا واعدامها جملة وما نعلم هوسا الا وقد انتظمته هذه المقالة ونعوذ بالله من الخذلان * ومسئلة أخري

قالت الاشعرية ليس في العالم شيء له بعض أصلا ولا شيء له نصف ولاثلث ولا ربع ولاخمس ولا سدس ولا سبع ولا ثمن ولا تسع ولا عشر ولا جزء اصلا واحتجوا في هذا بان قالوا يلزم من قال ان الواحد عشر العشرة وجزء من العشرة وبعض العشرة ان يقول ولا بد ان الواحد عشر من نفسه وجزء من نفسه وبعض نفسه وانه جزء لغيره عشر لغيره لان العشرة تسعة وواحد فلو كان الواحد عشر العشرة وبعضا للعشرة وجزأ للعشرة لكان عشرا لنفسه وللتسعة التي هي غيره ولكان جزأ بعضا لنفسه وللتسعة التي هي غيره

﴿قال أبو محمد﴾ وهذا خبط شديد أول ذلك انه رد على الله تعالى مجرد وتكذيب للقرآن وخلاف اللغة بل لجميع اللغات ومكابرة للعقول وللحواس قال تعالى * واذا خلا بعضهم الى بعض * وقال تعالى * يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا * وقال تعالى * فلامه الثلث ، فلامه السدس ، فلها النصف ، ولهن الربع ، ولهن الثمن * فقد كذبوا القرآن نصا ثم هذا موجود في كل طبيعة وفي كل لغة ومحسوس بالحواس ثم يقال لهم لافرق بينكم وبين من صحح ولم ينكر كون الشيء بعض نفسه و بعض غيره وجزأ لنفسه وجزأ لغيره وعشر نفسه وعشر غيره واحتج في تصحيح ذلك بالحجة التي رمتم بها ابطال ذلك ولا مزيد ، وكلا كما متسكع (١) في طلمة الخطاء ، ثم نقول لهم ــ وبالله تعالى التوفيق ــ ليس الامر كما ظننتم بل الاسماء موضوعة للتفاهم ولتمييز بعض المسميات من بعض ، فالعشرة اسم للعشرة افراد مجتمعات في العدد كذلك لتسعة وواحد ولثمانية واثنين ولسبعة وثلاثة ولستة وأربعة وخمسة وخمسة قال تعالى * ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة * وهكذا جميع الاعداد لاينكر ذلك الا مخذول مكابر للمشاهدة ، فبالضرورة ندري ان كل جزء من تلك الجملة فهو بعض لها وعشر لها وقسم منها لسبة ماولا يقال هو جزء لنفسه ولاجزء لغيره ولا انه بعض لنفسه ولا انه بعض لغيره ولا عشر لنفسه ولا عشر لغيره ومثل هذا البلق الذي هو اسم لاجتماع السواد والبياض معا فالبياض البلق والسواد بعض البلق وليس البياض جزأ لنفسه وللسواد ولا بعضا لنفسه وللسواد وكل واحد منهما جزء للبلق ، وكذلك الانسان اسم للجملة المجتمعة من اعضائه ولاشك في ان العين بعض الانسان وجزء من الانسان ولايحتمل ان يقال العين بعض نفسها وبعض الاذن واليد ولا ان يقال الاذن جزء لنفسها وللعين والانف وهكذا في سائر الاعضاء ، فعلى قول هؤلاء النوكى (٢) يلزمهم ان لاتكون العين بعض الانسان وان يقولوا ان العين بعض نفسها وبعض الاذن ، ومن ابطل الابعاض والاجزاء فقد ابطل الجمل لان الجمل ليست شيئا الا غير ابعاضها ومن ابطل الجمل فقد ابطل الكل والجزء وابطل العالم بكل مافيه واذا بطل العالم بطل الدين والعقل ، وهذه حقيقة السفسطة وماعلم في الاقوال احمق من هذه المسالة ومن التي قبلها نعوذ بالله من الخذلان

(١) المتسكع المتعسف في مشيه والذي لايهتدي في امره والمتحير والمتمادي في الباطل
(٢) النوكى كالحمقى وزنا ومعنى جمع انوك كاحمق

(الكلام في خلق الله عز وجل للعالم في كل وقت وزيادته في كل دقيقة)

(قال ابو محمد) وذكر عن النظام انه قال ان الله تعالى مايخلق كل ماخلق في وقت واحد دون ان يعدمه وأنكر عليه القول بعض أهل الكلام

(قال ابو محمد) وقول النظام هاهنا صحيح لاننا اذا اثبتنا ان خلق الشيء نفسه فخلق الله تعالى قائم في كل موجود ابدا مادام ذلك الموجود موجودا وايضا فانا نسألهم مامعنى قولكم خلق الله تعالى امر كذا فجوابهم ان معنى خلقه انه تعالى اخرجه من العدم الى الوجود فنقول لهم اليس معنى هذا القول منكم انه اوجده ولم يكن موجودا فلا بد من قولهم نعم . فنقول لهم وبالله تعالى التوفيق فالخلق هو الايجاد عندكم بلاشك فاخبرونا أليس الله تعالى موجدا لكل موجود ابدا مدة وجوده فان أنكروا ذلك أحالوا واوجبوا ان الاشياء موجودة وليس الله تعالى موجدا لها الآن وهذا تناقض وان قالوا نعم فان الله تعالى موجد لكل موجود ابدا مادام موجودا قلنا لهم هذا هو الذى انكرتم بعينه قد اقررتم به لان الايجاد هو الخلق نفسه والله تعالى موجد لكل مايوجد في كل وقت ابدا وان لم يفنه قبل ذلك والله تعالى خالق لكل مخلوق في كل وقت وان لم يفنه قبل ذلك وهذا مالا مخلص لهم منه وبالله تعالى التوفيق وبرهان آخر وهو قول الله تعالى * ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم * وصح البرهان بان الله تعالى خلق التراب والماء الذى يتغذى آدم وبنوه بما استحال عنهما وصارت فيه دماء واحاله الله تعالى منيا فثبت بهذا يقينا ان جميع اجساد الحيوان والنوامى كلها متفرقة ثم جمعها الله تعالى فقام منها الحيوان والنوامى وقال عز وجل * ثم أنشاناه خلقا آخر * وقال تعالى خلقا من بعد خلق * فصح ان في كل حين يحيل الله تعالى أحوال مخلوقاته فهو خلق جديد والله تعالى يخلق في كل حين جميع العالم خلقا مستأنفا دون ان يفنيه وبالله تعالى التوفيق

(الكلام في الحركة والسكون)

(قال ابو محمد) ذهبت طائفة الى أنه لاحركة في العالم وان كل ذلك سكون واحتجوا بان قالوا وجدنا الشيء ساكنا في المكان الاول ساكنا في المكان الثاني وهكذا أبدا فعلمنا ان كل ذلك سكون ، وهذا قول منسوب الى معمر بن عمرو العطار مولى بنى سليم أحد رؤساء المعتزلة وذهبت طائفة الى أن لاسكون اصلا وانما هي حركة اعتماد ، وهذا قول ينسب الى ابراهيم بن سيار النظام ، واحتج غير النظام من اهل هذه المقالة بان قالوا السكون انما هو عدم الحركة والعدم ليس شيئا ، وقال بعضهم هو ترك الحركة وترك الفعل ليس فعلا ولا هو معنى ، وذهبت طائفة الى ابطال الحركة والسكون معا وقالوا انما يوجد متحرك وساكن فقط وهو قول ابي بكر بن كيسان الاصم ، وذهبت طائفة الى ان الجسم في اول خلق الله تعالى ليس ساكنا ولا متحركا ، وذهبت طائفة الى اثبات الحركة والسكون الا انها قالت ان الحركات اجسام ، وهو قول هشام بن الحكم شيخ الامامية وجهم بن صفوان السمرقندى ، وذهبت طائفة الى اثبات الحركة والسكون وان كل ذلك اعراض ، وهذا هو الحق . فاما من قال بنفى الحركة وان كل ذلك سكون فقولهم يبطل بانا قد علمنا بان السكون انما هو اقامة في المكان ، وان الحركة نقلة عن ذلك المكان وزوال عنه ، ولاشك في ان الزوال عن الشيء هو غير الاقامة فيه ، فاذ الامر كذلك فواجب ان يكون لهذين المعنيين المتغايرين لكل واحد منهما اسم غير اسم الآخر كما هما متغايران فاتفق في اللغة ان سمي احدهما حركة وسمي الآخر سكونا وأما قولهم ان كل حركة فهى سكون في المكان الثاني فليس كذلك ، لان السكون اقامة لانقلة فيها فاذا وجدت نقلة متصلة لااقامة فيها فهي غير الاقامة التى لانقلة فيها ، ونوع آخر له أيضا اشخاص غير شخاص

النوع الآخر ، وبيقين ندرى ان الشيء المتحرك من مكان الى مكان فانه وان حاوز كل مكان يمر عليه فانه غير واقف ولا مقيم ، هذا ما لاشك فيه يعرف ذلك بضرورة الحس ، فصح ان الحركة معنى وان السكون معنى آخر ، وأما من قال ان السكون حركة اعتماد فاحتجاج لا يعقل فلا وجه للاشتغال به ، وأما حجة من احتج بان السكون عدم الحركة والعدم ليس شيئا فليس كما قال ، لانه عقب الحركة اقامة موجودة ظاهرة فهي وان كان معها بوجودها عدمت الحركة فليست هى عدما كما ان القيام معنى صحيح موجود وان كان قد عدمت معه سائر الحركات والاعمال من القعود والاتكاء والاضطجاع ، ويقال لهم وما الفرق بينكم وبين من قال بل الحركة ليست معنى لانها عدم السكون فهذا ما لا انفكاك عنه وكذلك من قال أيضا ان المرض ليس معنى لانه عدم الصحة والصحة ليست معنى لانها عدم المرض ومثل هذا كثير جدا وفى هذا ابطال الحقائق كلها وأما من قال ان الترك ليس معنى فخطأ لان كل من دون الله تعالى فانه ان ترك شيئا ما وفعلا ما فلا بد له ضرورة من فعل آخر ومعنى آخر هذا أمر يوجد بالمشاهدة والحس لا يمكن غير ذلك فصح ان ترك من دون الله تعالى لفعل ما هو أيضا فعل صحيح بوجوده منه سمى تاركا لما ترك وليس الله تعالى كذلك بل لم يزل غير فاعل ولم يكن بذلك فاعلا للترك لان ترك الانسان للفعل كما بينا عرض موجود فيه وهو حامل له ولو كان لترك الله تعالى للفعل معنى لكان قائما به تعالى ومعاذ الله من هذا من أن يكون عز وجل حاملا لعرض فلو كان أيضا قائما بنفسه لكان جوهرا والترك ليس جوهرا ولو كان قائما بغيره عز وجل لكان تعالى فاعلا له غير تارك فصح الفرق وبالله تعالى التوفيق ، وأما من أبطل الحركة والسكون معا فقول فاسد أيضا ، لانه أثبت المتحرك والساكن مع ذلك وبيقين يدرى كل ذى حس سليم ان من تحرك سكن ، فان تلك العين المتحركة ثم الساكنة هى عين واحدة وذات واحدة لم تتبدل ذاتها وانما تبدل عرضها المحمول فيها ، فبالضرورة ندرى أنه حدث فيه أوله أو منه معنى من أجله استحق أن يسمى متحركا وانه حدث فيه أوله أو منه أيضا معنى من أجله استحق أن يسمى ساكنا ، ولولا ذلك لم يكن بان يسمى متحركا احق به منه بان يسمى ساكنا ، هذا أمر محسوس مشاهد ، فذلك المعنى هو الحركة أو السكون فصح وجودهما ضرورة ، ولا فرق بين من أثبت الساكن والمتحرك ونفى الحركة والسكون ، ولا فرق بينه وبين من أثبت الضارب والقائم والآكل وأبطل الضرب والاكل والقيام ، وهذه سفسطة صحيحة وبالله تعالى التوفيق واما من قال ان الجسم فى أول خلق الله عز وجل له ليس ساكنا ولا متحركا فكلام فاسد أيضا لانه لا يتوهم ولا يعقل معنى ثالث ليس حركة ولا سكونا وهذا لا يتشكل في النفس ولا يثبته عقل ولا سمع ، وأيضا فلانه قول لا دليل عليه فهو باطل ، ولاشك فى أن الله تعالى اذا خلق الجسم فانما يخلقه فى زمان ومكان فاذ لاشك فى ذلك فالجسم فى أول حدوثه ساكن فى المكان الذى خلقه الله تعالى فيه ولو طرفة عين ، ثم اما أن يتصل سكونه فيه فتطول اقامته فيه ، واما أن ينتقل عنه فيكون متحركا عنه ، فان قال قائل بل هو متحرك لانه خارج عن العدم الى الوجود قيل له هذا منك تسمية فاسدة ، لان الحركة فى اللغة وهى التى يتكلم عليها أنما هى نقلة من مكان الى مكان ، والعدم ليس مكانا ولم يكن المخلوق شيئا قبل أن يخلقه الله تعالى فحال خلقه هى أول احواله التى لم يكن هو قبلها فكيف ان يكون له حال قبلها فلم ينتقل اصلا بل ابتدأه الله تعالى الآن ، واما الجسم الكلى الذى هو جرم العالم جملة وهو الفلك الكلى فكل جزء منه مقدر مفروض فان أجزاءه المحيطة به من أربع جهات والجزء الذى يليه فى جهة عمق الفلك هو مكانه ، ولا مكان له فى الصفحة التى لا تلى الاجزاء التى ذكرنا ، والله تعالى يمسكه بقوته كما يشاء ولا يلاقيه من صفحته العليا شيء اصلا ولا هنالك مكان ولا زمان ولا خلاء ولا ملا

﴿ قال ابو محمد ﴾ ورأيت لبعض النوكى ممن ينتمى الى الكلام قولا طريفا ، وهو انه قال ان الله تعالى اذ

خالق الارض خلق جرما عظيما يمسكها لئلا تنحدر سفلا فحين خلق ذلك الجرم اعدمه وخلق آخر وهكذا ابدا بلا نهاية لانه زعم لو بقاه وقتين لا احتاج الى ممسك وهكذا ابدا الى ما لا نهاية له كان هذا الانوك لم يسمع قول الله تعالى * ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده * فصح ان الله تعالى يمسك الكل كما هو دون عمد لا زيادة ولا جرم آخر، ولو ان هؤلاء المخاذيل اذ عدموا العلم تمسكوا باتباع القرآن والسكوت عن الزيادة والخبر عن الله بما لا علم لهم به لكان اسلم لهم في الدين والدنيا، ولكن من يضلل الله فلا هادي له ونعوذ بالله من الضلال، واما من قال ان الحركات اجسام فخطأ، لان الجسم في اللغة موضوع للطويل العريض العميق ذي المساحة، وليست الحركة كذلك فليست جسما ولا يجوز ان يوقع عليها اسم جسم اذ لم يأت ذلك في اللغة ولا في الشريعة ولا اوجبه دليل واوضح انها ليست جسما فهي بلا شك عرض، واما من قال ان الحركة ترى فقول فاسد، لانه قد صح ان البصر لا يقع في هذا العالم الا على لون في ملون فقط، ونحن ندري ان الحركة لا لون لها اذ لا لون لها فلا سبيل الى ان ترى، وانما علمنا كون الحركة لانا رأينا الملون المتحرك في مكان ما، ثم رأيناه في مكان آخر فعلمنا ان ذلك الملون قد انتقل عن مكان الى مكان بلا شك، وهذا المعنى هو الحركة، او بان يحس الجسم قد انتقل من مكان الى مكان فيدري حينئذ من لامسه وان كان أعمى او مطبق العينين انه تتحرك، وبرهان ما قلنا ان الهواء لما لم يكن له لون لم ير، واحدوا انما يعلم بوجوده وتحركه بملاقات فانه متنقل بهبوب الرياح، وكذلك ايضا علمنا حركة الصوت باحساسنا الصوت ياتي من مكان ما الى مكان ما، وكذلك القول في الحركة في المشموم من الطيب والنتن وحركة المذوق، فبطل قول من قال ان الحركات ترى، وصح ان الحركة ليست لونا ولا لها لون ولو كان هذا الامكن لآخر ان يدعي ان الحركة انه يسمع الحركة وهذا خطأ لانه لا يسمع الا الصوت ولامكن لآخر ان يدعي ان الحركة تلمس، وهذا خطأ، وانما يلمس المحسة من الخشونة والاملاس او غير ذلك من المحسات، والحق من هذا انما هو ان الحركة تعرف وتوجد بتوسط كل ما ذكرنا وبالله تعالى التوفيق.

﴿ قال ابو محمد ﴾ والحركات العقلية المكانية تنقسم قسمين لا ثالث لهما، اما حركة ضرورية او اختيارية، فالاختيارية هي فعل النفوس الحية من الملائكة والانس والجن وسائر الحيوان كله، وهي التي تكون الى جهات شتى على غير رتبة معلومة الاوقات، وكذلك السكون الاختياري والحركة الضرورية تنقسم قسمين لا ثالث لهما اما طبيعية واما قسرية، والاضطرارية هي الحركة الكائنة ممن ظهرت منه عن غير قصد منه اليها، واما الطبيعية فهي حركة كل شيء غير حي مما بناه الله عليه كحركة الماء الى وسط المركز، وحركة الارض كذلك، وحركة الهواء والنار الى مواضعها، وحركة الافلاك والكواكب دورا، وحركة عروق الجسد النوابض، والسكون الطبيعي هو سكون كل ما ذكرنا في عنصره، واما القسرية فهي حركة كل شيء دخل عليه ما يحيل حركته عن طبيعته او عن اختياره الى غيرها، كتحريك المرء قهرا وتحريك الماء علوا والحجر كذلك، وكتحريك النار سفلا والهواء كذلك، وكتصعيد الهواء، كعكس الشمس لحر النار، والسكون القسري هو توقيف الشيء في غير عنصره، او توقيف المختار كرها، وبالله تعالى التوفيق

﴿ الكلام في التولد ﴾

﴿ قال ابو محمد ﴾ تنازع المتكلمون في معنى عبروا عنه بالتولد وهو انهم اختلفوا فيمن رمى سهما فجرح به انسانا او غيره، وفي حرق النار وتبريد الثلج وسائر الآثار الظاهرة من الجمادات، فقالت طائفة ما تولد من ذلك عن فعل انسان او حي فهو فعل الانسان والحي، واختلفوا فيما تولد من غير حي فقالت طائفة هو فعل الله، وقالت طائفة ما تولد من غير حي فهو فعل الطبيعة، وقال آخرون كل ذلك فعل الله عز وجل

﴿ قال أبو محمد ﴾ فهؤلاء مبطلون للحقائق عائبون عن موجبات العقول.

﴿ قال ابو محمد ﴾ والامر أبين من ان يطول فيه الخطاب والحمد لله رب العالمين والصواب في ذلك : ان كل ما في العالم من جسم أو عرض في جسم او أثر من جسم فهو خلق الله عز وجل ، فكل ذلك فعل الله عز وجل بمعنى انه خلقه وكل ذلك مضاف بنص القرآن وبحكم اللغة الى ما ظهرت منه من حي أو جماد قال تعالى * فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج * فنسب عز وجل الاهتزاز والانبات والربو الى الارض وقال * تلفح وجوههم النار * فاخبر تعالى ان النار تلفح وقال تعـالى * وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه * فاخبر عز وجل ان الماء يشوي الوجوه وقال تعالى * ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة * فسمي تعالى المخطيء قاتلا واوجب عليه حكما وهو لم يقصد قتله قط لكنه تولد عن فعله ، وقال تعالى * اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه * فاخبر تعالى ان الكلم والعمل عرض من الاعراض وقال تعالى أفإن مات او قتل انقلبتم * وقال تعالى * على شفا جرف هار فانهار به * ولم تختلف امة ولا لغة في صحة قول القائل مات فلان وسقط الحائط فنسب الله تعالى وجميع خلقه الموت الى الميت ، والسقوط الى الحائط ، والانهيار الى الجرف ، لظهور كل ذلك منها ليس في القرآن ولا في السنن ولا في العقول شيء غير هذا الحكم ، ومن خالف هذا فقد اعترض على الله تعالى وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الامم وعلى جميع عقولهم ، وهذه صفة من عظمت مصيبته بنفسه ومن لا دين له ولا عقل ولا حياء ولا علم ، وصح بكل ما ذكرنا ان اضافة كل أثر في العالم الى الله تعالى هي على غير اضافته الى من ظهر منه ، فاما اضافته الى الله تعالى فلانه خلقه ، وأما اضافته الى من ظهر منه أو تولد عنه فلظهوره منه اتباعاً للقرآن ولجميع اللغات ولسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل هذه الاخبـارات وكلتا هاتين الاضافتين حق لا مجاز في شيء من ذلك ، لانه لا فرق بين ما ظهر من حي مختار أو من غير حي مختار في أن كل ذلك ظاهر مما ظهر منه ، وانه مخلوق لله تعالى ، الا ان الله تعالى خلق في الحي اختيارا لما ظهر منه ، ولم يخلق الاختيار فيما ليس حيا ولا مريداً ، فما تولد عن فعل فاعل فهو فعل الله عز وجل بمعنى انه خلقه ، وهو فعل ما ظهر منه بمعنى أنه ظهر منه ، قال الله تعالى * فلم تقتلوهم ولـكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى * وقال تعالى * افرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه ام نحن الزارعون * وهذا نص قولنا والله تعالى التوفيق .

﴿ الكلام في المداخلة والمجاورة والكمون ﴾

﴿ قال أبو محمد ﴾ ذهب القائلون بان الالوان اجسام الى المداخلة ومعنى هذه اللفظة ان الجسمين يتداخلان فيكونان جميعاً في مكان واحد

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا كلام فاسد لما سنبينه ان شاء الله تعالى في باب الكلام في الاجسام والاعراض من ديواننا هذا وبالله تعالى التوفيق من ذلك ان كل جسم فله مساحة واذا كان كذلك فله مكان زائد ، واذ له مكان بقدر مساحته ولا بد ، فان كل جسم زيد عليه جسم آخر فان ذلك الجسم الزائد يحتاج الى مكان زائد من اجل مساحته الزائدة ، هذا امر يعلم بالمشاهدة وان اختلاط الامر على من لم يتمرن في معرفة حدود الكلام من اجل ما يرى في الاجسام المتخلخلة من تخلل الاجسام المائعة لها فانما ذلك لان في خلال اجزاء تلك الاجسام المتخلخلة خروقا صغارا مملوءة هواء فاذا صب عليها الماء او مائع ما ملأ تلك الخروق وخرج عنها الهواء الذي كان فيها ، وهذا ظاهر للعين محسوس خروج الهواء عنها بنفاخات وصوت من كل ما يخرج عنه الهواء بسرعة والذي ذكرنا فانه اذا تم خروج الهواء عنه وزيد في عدد المائع ربما احتاج الى مكان زائد واما الذي ذكرنا قبل فان في الاجسام المكتنزة كماء صب على ماء او دهن على دهن او دهن على ماء وهكذا في كل شيء من هذه الانواع وغيرها ،

فصح يقينا ان الجسم انما يكون في الجسم على سبيل المجاورة كل واحد في حيز غير حيز الآخر، واما تكون المداخلة بين الاعراض والاجسام وبين الاعراض والاعراض، لان العرض لا يشغل مكانا فيجد اللون والطعم والمجسة والرائحة والحر والبرد والسكون كل ذلك مداخل للجسم ومداخل بعضه بعضا، ولا يمكن ان يكون جسم واحد في مكانين ولا جسمان في مكان واحد، ثم ان المجاورة بين الجسمين تنقسم اقساما احدها ان يخلع احد الجسمين كيفياته ويلبس كيفية الآخر، كنقطة رميتها في دن خل اودن مرق اوفي لبن اوفي مداد اوشيء يسير من بعض هذه في بعض اومن غيرها كذلك، فان الغالب منها يسلب المغلوب كيفياته الذاتية والغيرية ويذهبها عنه ويلبسه كيفياته نفسه الذاتية والغيرية، والثاني ان يخلع كل واحد منهما كيفياته الذاتية والغيرية ويلبسا معا كيفيات اخر، كماء الراح اذا جاور ماء العفص، وكجسم الجير اذا جاور جسم الزرنيخ، وكسائر المعاجين كلها والدقيق والماء وغير ذلك، والثالث ان لا يخلع واحد منهما عن نفسه كيفية من كيفياته لا الذاتية ولا الغيرية بل يبقى كل واحد منهما كما كان كزيت اضيف الى ماء كحجر الى حجر وثوب الى ثوب، فهذا حقيقة الكلام في المداخلة والمجاوره ﴿ واما الكمون فان طائفة ذهبت الى ان النار كامنة في الحجر وذهبت طائفة الى ابطال هذا وقالت انه لا نار في الحجر اصلا وهو قول ضرار بن عمرو

﴿ قال ابو محمد ﴾ وكل طائفة منهما فانها تفرط على الاخرى فيما تدعى عليها، فضرار ينسب الى مخالفيه انهم يقولون بان النخلة بطولها وعرضها وعظمها كامنة في النواة، وان الانسان بطوله وعرضه وعمقه وعظمه كامن في المني، وخصومه ينسبون اليه انه يقول ليس في النار حر ولا في العنب عصير ولا في الزيتون زيت ولا في الانسان دم.

﴿ قال ابو محمد ﴾ وكلا القولين جنون محض ومكابرة للحواس والمعقول، والحق في ذلك ان في الاشياء ما هو كامن كالدم في الانسان والعصير في العنب والزيت في الزيتون والماء في كل ما يعتصر منه، وبرهان ذلك ان كل ما ذكرنا اذا خرج مما كان كامنا فيه ضمر الباقي لخروج ما خرج وخف وزنه لذلك عما كان عليه قبل خروج الذي خرج، ومن الاشياء ما ليس كامنا كالنار في الحجر والحديد، لكن في حجر الزناد والحديد الذكر قوة اذا اصطكا احتدم ما بينهما من الهواء فاستحال نارا، وهكذا يعرض لكل شيء محترق فان رطوباته تستحيل نارا ثم دخانا ثم هواء اذ في طبع النار استخراج ناريات الاجسام وتصعيد رطوباتها حتى يفنى كل ما في الجسم من الناريات والمائيات عنه بالخروج ثم لو نفخت دهرك على ما بقي من الارضية المحضة وهي الرماد لم يحترق ولا اشتعل اذ ليس فيه نار فتخرج ولا ماء فيتصعد، وكذلك دهن السراج فانه كثير الناريات بطبعه فيستحيل ما فيه من المائية اليسيرة دخانا هوائيا وتخرج ناريته حتى يذهب كله، واما القول في النوى والبزور والنطفة، فان في النواة وفي البزر وفي النطفة طبيعة خلقها في كل ذلك الله عز وجل، وهي قوة تجتذب الرطوبات الواردة عليها من الماء والزبل ولطيف التراب الوارد كل ذلك على النواة والبزر، فتحيل كل ذلك الى ما في طبعها احالته اليه فيعود عودا ولحاء وورقا وزهرا وثمارا خوخا وكرما، ومثل الدم الوارد على النطفة فتحيله طبيعتها التي خلقها الله تعالى فيه لحما ودما وعظاما وعصبا وعروقا وشرايين وعضلا وغضاريف وجلدا وظفرا وشعرا، وكل ذلك خلق الله الذي فتبارك الله احسن الخالقين والحمد لله رب العالمين

﴿ قال ابو محمد ﴾ وذهب الباقلاني وسائر الاشعرية الى انه ليس في النار حر ولا في الثلج برد ولا في الزيتون زيت ولا في العنب عصير ولا في الانسان دم، وهذا امر ناظرنا عليه من لاقيناه منهم. والعجب كل العجب قولهم هذا التخليط وانكارهم ما يدرك بالحواس وضرورة العقل، ثم هم يقولون مع هذا ان

للزجاج والحصا طعما ورائحة ، وازالة قشور العنب رائحة ، وان للملك طعما ورائحة . وهذا احدى عجائب الدنيا ﴿ قال ابو محمد ﴾ وما وجدنا لهم في ذلك حجة غير دعوام ان الله تعالى خلق كل حر نجده في النار عند مسنا اياها وكذلك خلق البرد في الثلج عند مسنا اياه وكذلك خلق الزيت عند عصر الزيتون والعصير عند عصر العنب والدم عند القطع والشرط ﴿ قال ابو محمد ﴾ فاذا تعلقوا من هذا بحواسهم فمن اين قالوا ان للزجاج طعما ورائحة وللملك طعما ورائحة وهذا موضع تشهد الحواس بتكذيبهم في احدهما ولا تدرك الحواس الآخر ويقال لهم لعل الناس ليس في الارض منهم أحد وانما خلقهم الله عند رؤيتكم لهم ولعل بطونكم لامصارين فيها ورؤسكم لا ادمغة فيها لكن الله عز وجل خلق كل ذلك عند الشدخ والشق ﴿ قال ابو محمد ﴾ وقول الله تعالى يكذبهم اذ قال تعالى * يانار كوني بردا وسلاما على ابراهيم * فلولا ان النار تحرق بحرها ماكان يقول الله عز وجل * قل نار جهنم اشد حرا لوكانوا يفقهون * فصح ان الحر في النار موجود وكذلك اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نار جهنم اشد حرا من نارنا هذه بسبعين درجة وقال تعالى * وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين * فاخبر ان الشجرة تنبتها وقال تعالى * ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا * فصح ان السكر والعصير الحلال ماخوذ من الثمر والاعناب ولولم يكونا فيهما ما أخذا منهما وقد اطبقت الامة كلها على انكار هذا الجنون وعلى القول هذا أحلى من العسل وامر من الصبر وأحر من النار ونحمد الله على السلامة

﴿ الكلام في الاستحالة ﴾

﴿ قال ابو محمد ﴾ احتج الحنيفيون ومن وافقهم في قولهم ان النقطة من البول والخمر تقع في الماء فلا يظهر لها فيه اثر انها باقية فيه بجسمها ، الا ان أجزاءها دقت وخفيت عن ان تحس ، وكذلك الحبر يرمى في اللبن فلا يظهر له فيه اثر ، وكذلك الفضة اليسيرة تذاب في الذهب فلا يظهر لها فيه اثر ، وهكذا كل شيء قالوا ولو ان ذلك المقدار من الماء يحيل ماء النقطة من الخمر تقع فيه لكان أكثر من ذلك المقدار اقوى على الاحالة بلا شك ، ونحن نجد كلما زدنا نقط الخمر وقلتم انتم قد استحالت ماء ونحن نزيد فلا يلبث ان تظهر الخمر ، وهكذا في كل شيء قالوا فظهرت صحة قولنا ولزمكم ان كلما كثر الماء ضعفت احالته وهكذا في كل شيء ﴿ قال ابو محمد ﴾ فقلنا لهم ان الامور انما هي على مارتبها الله عز وجل وعلى ماتوجد عليه لا على قضايا كم المخالفة للحس . ولاينكر ان يكون مقدار مايفعل فعلا ما فاذا كثر لم يفعل ذلك الفعل كالمقدار من الدواء ينفع فاذا زيد فيه أو نقص منه لم ينفع . ونحن نقر معكم بما ذكرتم ولاننكره فنقول ان مقدار اما من الماء يحيل مقدارا ما يلقي فيه من الخل اوالخمر أوالعسل ولايحيل أكثر منه مما يلقى فيه . ونحن نجد الهواء يحيل الماء هواء حتى اذا كثر الهواء المستحيل من الماء بل أحال الهواء ماء ، وهكذا كل ماذكرتم ، وانما العمدة فانما هي ماشهدت به أوائل العقول والحواس من ان الاشياء انما تختلف باختلاف طبائعها وصفاتها التي منها تقوم حدودها وبها تختلف في اللغة اسماؤها فللماء صفات وطبائع اذا وجدت في جرم ما سمي ماء ، فاذا عدمت منه لم يسم ماء ولم يكن ماء ، وهكذا كل ما في العالم ولا نحاشي شيئا أصلا ومن المحال ان تكون حدود الماء وصفاته وطبعه في العسل او في الخمر ، وهكذا كل شيء في العالم فاكثره يستحيل بعضه الى بعض ، فاي شيء وجدت فيه حدود شيء ما سمي باسم مافيه تلك الحدود اذا استوفاها كلها ، فان لم يستوف الا بعضها وفارق ايضا شيئا من صفاته الذاتية فهو حينئذ شيء غير الذي كان وغير الذي مازج ، كالبغل الذي في الاتان ... وهذه رتبة العالم في مقتضى العقول وفيما تشاهد الحواس بالبصر والذوق والشم واللمس ، فمن رام غير هذا خرج عن المعقول ، ... الحنيفيين

من هذا اجتناب ماء البحر لان فيه على عقولهم عذرة وبول لاورطوبات ميتة وكذلك مياه جميع الانهار أولها عن آخرها نعم وماء المطر أيضا نجد الدجاج يتغذى بالميتة والدم والعذرة والكبش يسقى خمرا ان ذلك كله قد استحال عن صفات كل ذلك وطبعه الى لحم للدجاج والكبش فحل عندنا وعندهم ولو كثر تغذيها به حتى تضعف طبيعتها عن احالته فوجد فى خواصها وفيها صفة العذرة والميتة حرم آكله وهذا هو الذي أنكروه نفسه وهو مقرون معانى ان الثمار والبقول تتغذى بالعذرة وتستحيل فيها مدتها قد حلت وهذا هو الذى أنكروه نفسه وبالله تعالى التوفيق

﴿ الكلام فى الطفرة ﴾

(قال ابو محمد) نسب قوم من المتكلمين الى ابراهيم النظام انه قال ان المار على سطح ا لجسم يسير من مكان الى مكان بينهما أماكن لم يقطعها هذا المار ولا مر عليها ولا حاذاها ولا حل فيها

(قال أبو محمد) وهذا عين المحال والتخليط الا ان كان هذا على قوله في انه ليس فى العالم الا جسم حاشا الحركة فقط فانه وان كان قد أخطا في هذه القصة فكلامه الذى ذكرنا خارج عليه خروجا صحيحا لان هذا الذى ذكرنا ليس موجودا البتة الافى حاسة البصر فقط وكذلك اذا أطبقت بصرك ثم فتحته لاقى نظرك خضرة السماء والكواكب التى فى الافلاك البعيدة بلا زمان كما يقع على أقرب مايلاصقه من الالوان لاتفاضل بين الادراكين فى المدة أصلا فصح ضرورة ان خلا البصر لو قطع المسافة التى بين الناظر وبين الكواكب ومر عليها لكان ضرورة بلوغه اليها فى مدة أطول من مدة مروره على المسافة التى ليس بينه وبين من يراه فيها الا يسيرا وأقل فصح يقينا ان البصر يخرج من الناظر ويقع على كل مرئى قرب أو بعد دون ان يمر فى شىء من المسافة التى بينهما ولا يحلها ولا يحاذيها ولا يقطعها وأما فى سائر الاجسام فهذا محال الا ترى انك تنظر الى الهدم والى الضرب القصار بالثوب فى الحجر من بعد فتراه ثم يقيم سويعة وحينئذ تسمع صوت ذلك الهدم وذلك الضرب فصح يقينا ان الصوت يقطع الاماكن وينتقل فيها وان وان البصر لايقطعها ولا ينتقل فيها فاذا صح البرهان بشىء مالم يعترض عليها الاعديم عقل أوعديم حياء أوعديم علم أوعديم دين وبالله تعالى التوفيق

﴿ الكلام فى الانسان ﴾

﴿ قال ابو محمد ﴾ اختلف الناس فى هذا الاسم على مايقع فذهبت طائفة الى انه انما يقع على الجسد دون النفس وهو قول أبى الهذيل العلاف وذهبت طائفة الى الى انه انما يقع على النفس دون الجسد وهو قول ابراهيم النظام وذهبت طائفة الى انه انما يقع عليهما معا كالبلق الذي لايقع الا على السواد والبياض معا

﴿ قال ابو محمد ﴾ واحتجت الطائفة التى ذكرنا بقول الله عز وجل * خلق الانسان من صلصال كالفخار * وبقول الله تعالى * فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب * وبقوله تعالى * ايحسب الانسان ان يترك سدا الم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى * وبآيات أخر غير هذه وهذه بلاشك صفة للجسد لاصفة للنفس لان الروح انما تنفخ بعد تمام خلق الانسان الذى هو الجسد واحتجت الطائفة الاخرى بقوله تعالى * ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا * وهذا بلاخلاف صفة النفس لاصفة الجسد لان الجسد موات والفعالة هى النفس وهى المدبرة الحية حاملة لهذه الاخلاق وغيرها

﴿ قال ابو محمد ﴾ وكلا هذين الاحتجاجين حق وليس احدهما اولى بالقول من الآخر ولا يجوز

ان يعارض أحدهما بالاخر لان كليهما من عند الله عز وجل وماكان من عند الله فليس يختلف قال تعالى * ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً * فاذ كل هذه الآيات حق فقد ثبت ان للانسان اسم يقع على النفس دون الجسد ويقع أيضا على الجسد دون النفس ويقع ايضا على كليهما مجتمعين فنقول في الحي هذا انسان وهو مشتمل على جسد وروح ونقول للميت هذا انسان وهو جسد لا نفس فيه ونقول ان الانسان يعذب قبل يوم القيامة وينعم يعني النفس دون الجسد واما من قال انه لا يقع الا على النفس والجسد معا فخطا يبطله الذي ذكرنا من النصوص التي فيها وقوع اسم الانسان على الجسد دون النفس وعلى النفس دون الجسد وبالله تعالى التوفيق

﴿ الكلام في الجواهر والاعراض وما الجسم وما النفس ﴾

﴿قال ابو محمد﴾ اختلف الناس في هذا الباب فذهب هشام بن الحكم الى انه ليس في العالم الا جسم وان الالوان والحركات أجسام واحتج أيضا بان الجسم اذا كان طويلا عريضا عميقا فمن حيث وجدته وجدت اللون فيه فوجب الطول والعرض والعمق للون أيضا فاذا وجب ذلك للون أيضا فاللون طويل عريض عميق وكل طويل عريض عميق جسم فاللون جسم وذهب ابراهيم بن سيار النظام الى مثل هذا سواء سواء الا الحركات فانه قال هي خاصة اعراض وذهب ضرار بن عمرو الى أن الاجسام مركبة من الاعراض وذهب سائر الناس الى ان الاجسام هي كل ما كان طويلا عريضا عميقا شاغلا لمكان وان كل ماعداه من لون أو حركة أو مذاق أو طيب أو نتن فعرض * وذهب بعض الملحدين الى نفي الاعراض ووافقهم على ذلك بعض أهل القبلة

﴿قال أبو محمد﴾ أما الجسم فمتفق على وجوده وأما الاعراض فاثباتها بين واضح بعون الله تعالى وهو اننا نجد في العالم الا قائما بنفسه حاملا لغيره أو قائما بغيره لا بنفسه محمولا في غيره ووجدنا القائم بنفسه شاغلا لمكان يملاه ووجدنا الذي لا يقوم بنفسه لكنه محمول في غيره لا يشغل مكانا بل يكون الكثير منها في مكان حاملها القائم بنفسه هذه قسمة لا يمكن وجود شيء في العالم بخلافها ولا وجود قسم زائد على ماذكرنا فاذ ذلك كذلك فبالضرورة علمنا أن القائم بنفسه الشاغل لمكانه هو نوع آخر غير القائم بغيره الذي لا يشغل مكانا فوجب أن يكون لكل واحد من هذين الجنسين اسم يعبر عنه ليقع التفاهم بيننا فاتفقنا على ان سمينا القائم بنفسه الشاغل لمكانه جسما واتفقنا على ان سمينا ما لا يقوم بنفسه عرضا وهذا بيان برهاني متشاهد * ووجدنا الجسم تتعاقب عليه الالوان والجسم قائم بنفسه فيما نراه ابيض صار أخضر ثم احمر ثم اصفر كالذي نشاهده في الثمار والاصباغ فبالضرورة نعلم ان الذي عدم وفني من البياض والخضرة وسائر الالوان هو غير الذي بقي موجودا لم يفن وانهما جميعا غير الشيء الحامل لهما لانه لو كان شيء من ذلك هو الآخر لعدم بعدمه فدل بقاؤه بعده على انه غيره ولا بد اذ من المحال الممتنع ان يكون الشيء معدوما موجودا في حالة واحدة في مكان واحد في زمان واحد وايضا فان الاعراض هي الافعال من الاكل والشرب والنوم والجماع والمشي والضرب وغير ذلك فمن انكر الاعراض فقد اثبت الفاعلين وأبطل الافعال وهذا محال لاخفاء به ولا فرق بين من اثبت الفاعلين ونفى الافعال وبين من أثبت الافعال ونفى الفاعلين وكل الطائفتين مبطلة لما يشاهد بالحواس ويدرك بالعقل سوفسطائيون حقا لان من الاعراض مايدرك بالبصر وهو الالوان اذ ما لا لون له لا يدرك بالشم كالنتن والطيب ومنها مايدرك بالذوق كالحلاوة والمرارة والحموضة والملوحة ومنها مايدرك باللمس كالحر والبرد ومنها مايدرك بالسمع كحسن الصوت وقبحه وجهارته وخفوته ومنها مايدرك بالعقل كالحركة والحمق والعقل

والعدل والجور والعلم والجهل فظهر فساد قول مبطلي الاعراض يقينا والحمد لله رب العالمين فاذ قد صح كل ما ذكرنا فانما الاسماء عبارات وتمييز للمسميات ليتوصل بها المخاطبون الى تفاهم مراداتهم من الوقوف على المعاني وفصل بعضها من بعض ليس للاسماء فائدة غير هذه فوجب ضرورة أن يوقع على القائم بنفسه الشاغل لمكانه الحامل لغيره أسماء تكون عبارة عنه وأن يوقع أيضا على القائم بغيره لا بنفسه المحمول الذي لا يشغل مكانا اسما آخر يكون أيضا عبارة عنه لينفصل بهذين الاسمين كل واحد من ذينك المسميين عن الآخر وان لم يكن هذا وقع التخليط وعدم البيان واصطلحنا على ان سمينا القائم بنفسه الشاغل للمكان جسما واتفقنا على ان سمينا القائم بغيره لا بنفسه عرضاً لانه عرض في الجسم وحدث فيه هذا هو الحق المشاهد بالحس المعروف بالعقل وما عدا هذا فهذيان وتخليط لا يعقله قائله فكيف غيره فصح بهذا كله وجود الاعراض وبطلان قول من أنكرها وصح أيضا بما ذكرنا ان حد اللون والحركة وكل ما لا يقوم بنفسه هو غير حد القائم بنفسه فاذ ذلك كذلك فلا جسم الا القائم بنفسه وكل ما عداه فعرض فلاح بهذا صحة قول من قال بذلك وبطل قول هشام والنظام وبالله تعالى التوفيق * وأما احتجاج هشام بوجود الطول والعرض والعمق الذي توهمها في اللون فانما هو طول الجسم الملون وعرضه وعمقه فقط وليس للون طول ولا عرض ولا عمق وكذلك الطعم والمجسة والرائحة وبرهان ذلك انه لو كان للجسم طول وعرض وعمق وكان للون طول غير طول الملون الحامل له وعرض آخر غير عرض الحامل له وعمق آخر غير عمق الملون الحامل له لاحتاج كل واحد منهما الى مكان آخر غير مكان الآخر اذ من أعظم المحال الممتنع أن يكون شيئان طول كل واحد منهما ذراع وعرضه ذراع وعمقه ذراع ثم يسعان جميعا في واحد ليس هو الا ذراع في ذراع فقط ويلزمه مثل هذا في الطعم والرائحة والمجسة لان كل هذه الصفات توجد من كل جهة من جهات الجسم الذي هي فيه كما يوجد اللون ولا فرق وقد يذهب الطعم حتى يكون الشيء لا طعم له وتذهب الرائحة حتى يصير الشيء لا رائحة له ومساحته باقية بحسبها فصح يقينا ان المساحة للملون والذي له الرائحة والطعم والمجسة لا للون ولا للطعم مكان ولا للرائحة ولا للمجسة وقد نجد جسما طويلا عريضا عميقا لا لون له وهو الهواء ساكنة ومتحركة وبالضرورة ندري انه لو كان له لون لم يزد ذلك في مساحته شيئا

﴿قال أبو محمد﴾ فان بلغ الجهل بصاحبه الى أن يقول ليس الهواء جسما سألناه عما في داخل الزق المنفوخ ما هو وعما يلقى الذي يجري فرسا جوادا بوجهه وجسمه فانه لا شك في انه جسم قوي متكثر محسوس وبرهان آخر * وهو ان كل أحد يدري ان الطول والعرض والعمق لو كان لكل واحد منها طول وعرض وعمق لاحتاج كل واحد منها أيضا الى طول آخر وعرض آخر وعمق آخر وهكذا متسلسلا الى ما لا نهاية له وهذا باطل فبطل قول ابراهيم وهشام وبالله تعالى التوفيق وأما قول ضرار ان الاجسام مركبة من الاعراض فقول فاسد جدا لان الاعراض قد صح كما ذكرنا انها لا طول لها ولا عرض ولا عمق ولا تقوم بنفسها وصح ان الاجسام ذات أطوال وعروض وأعماق وقائمة بانفسها ومن المحال ان يجتمع ما لا طول له ولا عرض ولا عمق مع مثله فيتقوم منها ما له طول وعرض وعمق وانما غلط فيها من توهم ان الاجسام مركبة من السطوح وان السطوح مركبة من الخطوط والخطوط مركبة من النقط

﴿قال أبو محمد﴾ وهذا خطأ على كل حال لان السطوح المطلقة انما هي تناهي الجسم وانقطاعه وعدم تماديه من أوسع جهاته وعدم امتداده فقط واما الخطوط المطلقة وانما هي تناهي جهة السطح وانقطاع تماديها وأما النقط فهي تناهي

جهات الجسم من أحدنها يا نه كطرف السكين ونحوه فكل هذه الابعاد انما هي عدم التمادي ومن المحال ان يجتمع عدم فيقوم منه موجود وانما السطوح الجسمة والخطوط الجسمة والنقط الجسمة فانما هي أبعاض الجسم وأجزاؤه ولا تكون الاجزاء أجزاء الابعد القسمة فقط على مانذكر بعد هذا ان شاء الله تعالى

(قال أبو محمد) وذهب قوم من المتكلمين الى اثبات شيء سموه جوهرا ليس جسما ولا عرضا وقد ينسب هذا القول الى بعض الاوائل وحد هذا الجوهر عندمن أثبته انه واحد بالذات قابل للمتضادات قائم بنفسه لا يتحرك ولا له مكان ولا له طول ولا عرض ولا عمق ولا يتجزى وحده بعض من ينتمي اليه الكلام بانه واحد بذاته لا طول له ولا عرض ولا يتجزي وقالوا انه لا يتحرك وله مكان وانه قائم بنفسه يحمل من كل عرض عرضا واحدا فقط كاللون والطعم والرائحة والمجسة

(قال أبو محمد) وكلا هذين القولين والقول الذي اجتمعا عليه في غاية الفساد والبطلان أولا من قال ذلك أنها كلها دعاوى مجردة لا يقوم على صحة شيء منها دليل أصلا لا برهاني ولا اقناعي بل البرهان العقلي والحسي يشهدان ببطلان كل ذلك وليس يعجز احد ان يدعي ماشاء وما كان هكذا فهو باطل محض وبالله تعالى نتايد واما نحن فنقول انه ليس في الوجود الا الخالق وخلقه وأنه ليس الخلق الا جوهرا حاملا لاعراضه واعراضا محمولة في الجوهر لا سبيل الى تعدى أحدهما عن الآخر فكل جوهر جسم وكل جسم جوهر وهما اسمان معناهما واحد ولا مزيد وبالله تعالى التوفيق

(قال أبو محمد) ونحن ان شاء الله تعالى كل شيء أوقعت عليه هتان الطائفتان اسم جوهو لا جسم ولا عرض ونبين ان شاء الله تعالى فساد كل ذلك بالبراهين الضرورية كما فعلنا في سائر كلامنا وبالله تعالى التوفيق

(قال أبو محمد) حققنا ماأوقع عليه بعض الاوائل ومن قلدهم اسم جوهر وقالوا انه ليس جسما ولا عرضا فوجدناهم يذكرون البارى تعالى والنفس والهيولى والعقل والصورة وعبر بعضهم عن الهيولى بالطينة وبعضهم بالخميرة والمعنى في كل ذلك واحد الا ان بعضهم قال المراد بذلك الجسم متعريا من جميع اعراضه وابعاده وبعضهم قال المراد بذلك الشيء الذي منه كون هذا العالم ومنه تكون على حسب اختلافهم في الخالق أوفي انكاره وزاد بعضهم في الجوهر الخلا والمدة اللذين لم يزل الا عندهم يعنى بالخلا المكان المطلق لا المكان المعهود ويعنى بالمدة الزمان المطلق لا الزمان المعهود

(قال أبو محمد) وهذه أقوال ليس شيء منها لمن ينتمى الى الاسلام وانما هي للمجوس والصابئين والدهرية والنصارى في تسميتهم البارى تعالى جوهرا فانهم سموه في أمانتهم التي لا يصح عندهم دين الملكي ولا لنسطوري ولا ليعقوبي ولا لهاروني الا باعتقادها والا فهو كافر بالنصرانية قطعا حاشا تسميته البارى تعالى جوهرا فانه للمجسمة أيضا وحاشا القول بان النفس جوهر لا جسم فانه قد قال به النظام أحد رؤساء المعتزلة وأما المنتمون الى الاسلام فان الجوهر ليس جسما ولا عرضا ليس هو عندهم شيئا الا الاجزاء الصغار التي لا تتجزؤا اليها تنحل الاجسام بزعمهم وقد ذكر هذا عن بعض الاوائل أيضا فهذه ثمانية أشياء كما ذكرنا لا نعلم أحدا اسمي جوهرا ليس جسما ولا عرضا وغيرها الا ان قوما جهالا يطنون في القوى الذاتية انها جواهر وهذا جهل منهم لانها بلا خلاف محمولة انما هي غير قائمة بنفسها وهذه صفة العرض لا صفة الجوهر بلا خلاف

(قال أبو محمد) فاما الخلا والمدة فقد تقدم افسادنا لهذا القول في صدر ديواننا بالبراهين الضرورية وفي كتابنا الموسوم بالتحقيق في نقض كتاب العلم الالهي لمحمد بن زكريا الطبيب وحللنا كل دعوى أوردها هو وغيره في هذا المعنى بابين شرح والحمد لله رب

العالمين

العالمين كثيرا وأثبتنا فى صدر كتابنا هذا وهنالك انه ليس فى العالم خلا البتة وانه كله كرة مصمتة لاتخلل فيها وانه ليس وراءها خلاء لا ملاء ولا شيء البتة وان المدة ليست الامد أحدث الله الفلك بما فيه من الاجسام الساكنة والمتحركة وأعراضها وبينا فى كتاب التقريب لحدود الكلام ان الآلة المسماة الزرافة وسارقة الماء والآلة التى تدخل فى احليل من به أسر البول براهين ضرورية تحقيق ان لا خلاء فى العالم أصلا وان الخلاء عند القائلين به انما هو مكان لا تمكن فيه وهذا محال بما ذكرنا لانه لو خرج الماء من الثقب الذى فى أسفل سارقة الماء وقد شد أعلاها لبقي مكانه خالياً بلا متمكن فيه فاذا لم يمكن ذلك أصلا ولا كان فيه بنية العالم وجوده وقف الماء باقياً لا ينهرق حتى اذا فتح أعلاها ووجد الهواء مدخلا خرج الماء وانهرق لوقته وخلفه الهواء وكذلك الزرافة والآلة المتخذة لمن به أسر البول فانه اذا حصلت تلك فى داخل الاحليل وأول المثانة ثم جبذ الزر المغلق ليقها الى خارج اتبعه البول ضرورة وخرج اذ لم يخرج لبقي ثقب الآلة خاليا لاشيء فيه وهذا باطل ممتنع وقد بينا فى صدر كتابنا كما اعترض به الملحدون المخالفون لنا فى هذا المكان فاغنى عن اعادته فان قال قائل فالماء الذى اخترعه الله عز وجل معجزة من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم والتمر الذى اخترع له والثريد الذى فى اخترع له من أين اخترعه وهى أجسام محدثة والعالم عندكم ملا لا خلاء فيه ولا تخلخل ولا يكون الجسمان فى مكان واحد قلنا وبالله تعالى التوفيق لا يخلو هذا من أحد وجهين لا ثالث لهما اما أن يكون الله عز وجل أعدم من الهواء مقدار ما اخترع فيه من التمر والماء والثريد واما أن يكون الله عز وجل أحال أجزاء من الهوى ماء وتمرا وثريدا فالله أعلم أى ذلك كان والله على كل شيء قدير فسقط قولهم فى الخلا والمدة والحمد لله رب العالمين

﴿ قال أبو محمد ﴾ وأما الصورة فكيفية بلاشك وهى تخليط الجواهر وتشكلها الا انها قسمان أحدها ملازم كالصورة الكلية لاتفارق الجواهر البتة ولا توجد دونها ولا تتوهم الجواهر عارية عنها والآخر تتعاقب أنواعه وأشخاصه على الجواهر كانتقال الشيء عن تثليث الى تربيع ونحو ذلك فصح انها عرض بلا شك وبالله تعالى التوفيق وأما العقل فلا خلاف بين أحد له عقل سليم فى انه عرض محمول فى النفس وكيفية برهان ذلك انه يقبل الاشد والاضعف ونقول عقل أقوى من عقل وأضعف من عقل وله ضد وهو الحمق ولا خلاف فى الجواهر انها لا ضد لها وانما التضاد فى بعض الكيفيات فقط وقد اعترض فى هذا بعض من يدعى له علم الفلسفة فقال ليس فى العقل ضد لكن لوجوده ضد وهو عدمه فقلت الذى ذكر لى هذا البحث ان هذه سفسطة وجهل لو جاز له هذا التخليط لجاز لغيره ان يقول ليس للعلم ضد لكن لوجوده ضد وهو عدمه ولا لشيء من الكيفيات ضد ولكن لوجودها ضد وهو عدمها فيبطل التضاد من جميع الكيفيات وهذا كلام يعلم فساده بضرورة العقل ولا فرق بين وجود الضد للعقل وبين وجوده للعلم ولسائر الكيفيات وهى باب واحد كله وانما هى صفات متعاقبة كلها موجودة فالعقل موجود ثم يعقبه الحمق وهو موجود كما أن العلم موجود ويعقبه الجهل وكما ان النجدة موجودة ويعقبها الجبن وهو موجود وهذا أمر لا يخفى على من له أقل تمييز وكذلك الجواهر لا تقبل الاشد والاضعف فى ذواتها وهذا أيضاً قول كل من له أدنى فهم من الاوايل والعقل عند جميعهم هو تمييز الفضائل من الرذائل واستعمال الفضائل واجتناب الرذائل والتزام مايحسن به العاقبة فى دار البقاء وعالم الجزاء وحسن السياسة فيما يلزم المرء فى دار الدنيا وبهذا أيضا جاءت الرسل عليهم السلام قال الله عز وجل * أفلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها * وقال تعالى * كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تعقلون * وقال تعالى * أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا * وقال تعالى * ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون * وقال تعالى *

واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بانهم قوم لايعقلون . وقال تعالى . ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لايؤمنون * فصح ان العقل هو الايمان وجميع الطاعات وقال تعالى عن الكفار * وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير * ومثل هذا فى القرآن كثير فصح ان العقل فعل النفس وهو عرض محمول فيها وقوة من قواها فهو عرض كيفية بلا شك وانما غلط من غلط في هذا لانه رأى لبعض الجهال المخلطين من الاوائل ان العقل جوهر وان له فلكا فعول على ذلك من لاعلم له وهذا خطأ كما أوردنا وبالله تعالى التوفيق وأيضا فان لفظة العقل عربية أتى بها المترجمون عبارة عن لفظة أخري يعبر بها فى اليونانية أو فى غيرها من اللغات عما يعبر بلفظة العقل عنه فى اللغة العربية هذا مالاخفاء به عند أحد ولفظة العقل في لغة العرب انما هي موضوعة لتمييز الاشياء واستعمال الفضائل فصح ضرورة انها معبرة بها عن عرض وكان مدعى خلاف ذلك ردىء العقل عديم الحياء مباهتا بلا شك ولقد قال بعض النوكى الجهال لو كان العقل عرضا لكانت الاجسام أشرف منه فقلت للذى أتانى بهذا وهل للجوهر شرف الا باعراضه وهل شرف جوهر قط على جوهر الا بصفاته لا بذاته هل يخفى هذا على أحد ثم قلنا ويلزمهم هذا نفسه على قولهم السخيف في العلم والفضائل أن لايخالفونا في انها اعراض فعلى مقدمتهم السخيفة يجب أن تكون الاجسام كلها أشرف منها وهذا كما ترى وأما الهيولى فهو الجسم نفسه الحامل لاعراضه كلها وانما أفردته الاوائل بهذا الاسم اذ تكلموا عليه مفردا فى الكلام عليه عن سائر أعراضه كلها من الصورة وغيرها مفصولا فى الكلام عليه خاصة عن اعراضه وان كان لاسبيل الى أن يوجد خاليا عن أعراضه ولا متعريا منها أصلا ولايتوهم وجوده كذلك ولايتشكل فى النفس ولايتمثل ذلك أصلا بل هو محال ممتنع جملة كما ان الانسان الكلى وجميع الاجناس والانواع ليس شىء منها غير اشخاصه فقط فهى الاجسام باعيانها ان كان النوع نوع أجسام وهى أشخاص الاعراض ان كان النوع نوع أعراض ولامريد لان قولنا الانسان الكلى يريد النوع انما معناه أشخاص الناس فقط لا أشياء اخر وقولنا الحمرة الكلية انما معناه أشخاص الحمرة حيث وجدت فقط فبطل بهذا تقدير من ظن من اهل الجهل ان الجنس والنوع والفصل جواهر لاأجسام وبالله تعالى التوفيق لكن الاوائل سمتها وسمت الصفات الاوليات الذاتيات جوهريات لاجواهر وهذا صحيح لانها منسوبة الى الجواهر لملازمتها لها وانها لاتفارقها البتة ولايتوهم مفارقتها لها وبالله تعالى التوفيق فبطل قولهم فى الخلاء والمدة والصورة والعقل والهيولى والحمد لله رب العالمين واما البارى تعالى فقد أخطأ من سماه جوهرا من المجسمة ومن النصارى لان لفظة الجوهر لفظة عربية ومن اثبت الله عز وجل ففرض عليه اذا قربه خالقه والاهه ومالك امره الا يقدم عليه فى شىء الا بعهد منه تعالى والا يخبر عنه الا بعلم متيقن ولا علم ههنا الا ما اخبر به عز وجل فقط فصح يقينا ان تسمية الله عز وجل جوهرا والاخبار عنه بانه جوهر حكم عليه تعالى بغير عهد منه واخبار عنه تعالى بالكذب الذى لم يخبر قط تعالى به عن نفسه ولا سمى به نفسه وهذا اقدام لم ياتنا قط به برهان باباحته وايضا فان الجوهر حامل لاعراض ولو كان البارى تعالى حاملا لعرض لكان مركبا من ذاته واعراضه وهذا باطل واما النصارى فليس لهم ان يتصوروا على اللغة العربية ويصرفوها عن موضعها فبطل ان يكون تعالى جوهرا لبراءته عن حد الجواهر وبطل ان يسمى جوهرا لانه تعالى لم يسم نفسه به وبالله تعالى التوفيق فبطل قول من سمى الله تعالى جوهرا واخبر عنه انه تعالى جوهر ولله تعالى الحمد فلم يبق الا النفس والجزء الذى لايتجزأ ونحن ان شاء الله تعالى نتكلم فيها كلاما مبينا ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

(قال أبو محمد) اختلف الناس في النفس فذكر عن أبي بكر عبد الرحمن بن كيسان الاصم انكار النفس جملة وقال لا أعرف الا ما شاهدته بحواسي وقال جالينوس وأبو الهذيل محمد بن الهذيل العلاف النفس عرض من الاعراض ثم اختلفا فقال جالينوس هي مزاج مجتمع متولد من تركيب اخلاط الجسد وقال أبو الهذيل هي عرض كسائر أعراض الجسم وقالت طائفة النفس هي النسيم الداخل الخارج بالتنفس فهى النفس قالوا والروح عرض وهو الحياة فهو غير النفس وهذا قول الباقلاني ومن اتبعه من الاشعرية وقالت طائفة النفس جوهر ليست جسما ولا عرضا ولا لها طول ولا عرض ولا عمق ولا هى فى مكان ولا تتجزأ وانما هي الفعالة المدبرة وهى الانسان وهو قول بعض الاوائل وبه يقول معمر بن عمرو العطار أحد شيوخ المعتزلة وذهب سائر أهل الاسلام والملل المقرة بالميعاد الى ان النفس جسم طويل عريض عميق ذات مكان عاقلة مميزة مصرفة للجسد

(قال أبو محمد) وبهذا نقول والنفس والروح اسمان مترادفان لمسمى واحد ومعناهما واحد

(قال أبو محمد) اما قول أبي بكر ابن كيسان فانه يبطله النص وبرهان العقل أما النص فقول الله تعالى * ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا أنفسكم اليوم الآية * فصح ان النفس موجودة وانها غير الجسد وانها الخارجة عند الموت

(قال أبو محمد) واما البرهان العقلي فاننا نرى المرء اذا أراد تصفية عقله وتصحيح رأيه اوفك مسألة عويصة عكس ذهنه وافرد نفسه عن حواسها الجسدية وترك استعمال الجسد جملة وتبرأ منه حتى انه لا يرى من بحضرته ولا يسمع ما يقال أمامه فحينئذ يكون رأيه وفكره اصفى ما كان فصح ان الفكر والذكر ليسا للجسد المتخلى منه عند ارادتهما وايضا فالذى يراه النائم مما يخرج حقا على وجهه وليس ذلك الا اذا تخلت النفس عن الجسد فبقى الجسد كجسد الميت ونجده حينئذ يرى فى الرؤيا ويسمع ويتكلم ويذكر وقد بطل عمل بصره الجسدي وعمل أذنيه الجسدى وعمل ذوقه الجسدى وكلام لسانه الجسدى فصح يقينا ان العقل المبصر السامع المتكلم الحساس الذائق هو شيء غير الجسد فصح أن المسمى نفسا اذ لا شيء غير ذلك وكذلك ما تتخيله نفس الاعمى والغائب عن الشيء مما قد رآه قبل ذلك فيتمثله ويراه في نفسه كما هو فصح يقينا انهما متمثلا مدركا غير الجسد اذ لا أثر للجسد ولا للحواس فى شيء مما ذكرنا البتة ومنها انك ترى المريد يريد بعض الامور بنشاط فاذا اعترضه عارض ما كسل والجسم بحسبه كما كان لم يتغير منه شيء فعلمنا ان ههنا مريدا للاشياء غير الجسد ومنها أخلاق النفس من الحلم والصبر والحسد والعقل والطيش والخرق والنزق والعلم والبلادة وكل هذا ليس لشيء من أعضاء الجسد فاذ لا شك فى ذلك فانما هو كله للنفس المدبرة للجسد ومنها ما يرى من بعض المحتضرين ممن قد ضعف جسده وفسدت بنيته وتراه حينئذ أحد ما كان ذهنا وأصح ما كان تمييزا وأفصل طبيعة وأبعد عن كل لغو وأنطق بكل حكمة وأصحهم نظرا وجسده حينئذ فى غاية الفساد وبطلان القوى فصح أن المدرك للامور المدبر للجسد الفعال المميز الحى هو شيء غير الجسد وهو الذى يسمى نفسا وصح ان الجسد مؤ(ت)للنفس وانها مذ حلت فى الجسد كانها وقعت في طين مخمر فانساها شغلها بها كثيرا مما لها وأيضا فلو كان الفعل للجسد لكان فعله متماديا وحياته متصلة فى حال نومه وموته ونحن نرى الجسد حينئذ صحيحا سالما لم ينتقض منه شيء من أعضائه وقد بطلت أفعاله كلها جملة فصح ان الفعل والتمييز انما كان لغير الجسد وهو النفس المفارقة وان الفعال الذاكر قد باينه وتبرأ منه وأيضا فانا نرى أعضاء الجسد تذهب عضوا عضوا بالقطع والفساد والقوى باقية بحسبها والاعضاء قد ذهبت وفسدت ونجد الذهن والتدبير والعقل وقوى النفس باقية أوفر ما كان فصح ضرورة ان الفعال العالم الذاكر المدبر المريد هو غير الجسد كما ذكرنا وان الجسد

موات فبطل قول ابن كيسان والحمد لله رب العالمين وأما قول من قال أنها مزاج كما قال جالينوس فان كل ما ذكرنا مما أبطلنا به قول أبي بكر بن كيسان فانه يبطل أيضا قول جالينوس وأيضا فان العناصر الاربعة التي منها تركب الجسد وهي التراب والماء والهواء والنار فانها كلها موات بطبعها ومن الباطل الممتنع والمحال الذي لا يجوز البتة أن يجتمع موات وموات وموات وموات فيقوم منها حي وكذلك محال أن تجتمع بوارد فيقوم منها حار أو حوار فيجتمع منها بارد أو حي وحي وحي فيقوم منها موات فبطل أن تكون النفس مزاجا وبالله تعالى التوفيق وأما قول من قال انها عرض فقط وقول من قال انما النفس النسيم الداخل والخارج من الهواء وان الروح هو عرض وهو الحياة فان كلا هذين القولين يبطلان بكل ما ذكرنا ابطال قول الاصم ابن كيسان وأيضا فان أهل هذين القولين ينتمون الى الاسلام والقرآن يبطل قولهم نصا قال الله تعالى (الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى) فصح ضرورة أن الانفس غير الاجساد وأن الانفس هي المتوفاة في النوم والموت ثم ترد عند اليقظة وتمسك عند الموت وليس هذا التوفي للاجساد أصلا ويقين يدري كل ذي حس سليم ان العرض لا يمكن أن يتوفى فيفارق الجسم الحامل له ويبقى كذلك ثم يرد بعضه ويمسك بعضه هذا مالا يكون ولا يجوز لان العرض يبطل بمزايلته الحامل له وكذلك لا يمكن ان يظن ذو مسكة من عقل ان الهواء الخارج والداخل هو المتوفى عند النوم وكيف ذلك وهو باق في حال النوم كما كان في حال اليقظة ولا فرق وكذلك قوله تعالى (والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون) فانه لا يمكن أن يعذب العرض ولا الهواء وأيضا فان الله عز وجل يقول (واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى) الآية

(قال أبو محمد) فهذه آية ترفع الاشكال جملة وتبين ان النفس غير الجسد وانما هي العاقلة المخاطبة المكلفة لانه لا يشك ذو حس سليم في أن الاجساد حين أخذ الله عليها هذا العهد كانت مبددة في التراب والماء والهواء والنار ونص الآية يقتضي ما قلنا فكيف وفيها نص ان الاشهاد انما وقع على النفوس وما أدري كيف تنشرح نفس مسلم بخلاف هذه النصوص وكذلك أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى عند سماء الدنيا ليلة اسري به عن يمين آدم وعن يساره نسم بنيه فاهل السعادة عن يمينه وأهل الشقاوة عن يساره عليه السلام ومن الباطل ان تكون الاعراض باقية هنالك أو ان يكون النسيم هنالك وهو هواء متردد في الهواء

(قال أبو محمد) ولو كان ما قاله أبو الهذيل والباقلاني ومن قلدهما حقا لكان الانسان يبدل في كل ساعة ألف ألف روح وأزيد من ثلاثمائة ألف نفس لان العرض عندهم لا يبقى وقتين بل يفنى ويتجدد عندهم أبدا فروح كل حي على قولهم في كل وقت غير روحه التي كانت قبل ذلك وهكذا تتبدل أرواح الناس عندهم بالخطاب وكذلك بيقين يشاهد كل أحد ان الهواء الداخل بالتنفس ثم يخرج هو غير الهواء الداخل بالتنفس الثاني فالانسان يبدل على قول الاشعرية أنفسا كثيرة في كل وقت ونفسه الآن غير نفسه آنفا وهذا حمق لا خفاء به فبطل قول الفريقين بنص القرآن والسنة والاجماع والمشاهدة والمعقول والحمد لله رب العالمين هذا مع تعريهما من الدليل جملة وانها دعوى فقط وما كان هكذا فهو باطل وقد صرح الباقلاني عند ذكره لما يعترض في أرواح الشهداء وأرواح آل فرعون وقال هذا يخرج على وجهين بان يوضع عرض الحياة في أقل جزء من أجزاء الجسم وقال بعض من شاهدناه منهم توضع الحياة في عجب الذنب واحتج بالخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يأكله التراب الا عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة وفي رواية منه خلق وفيه يركب

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا تمويه من المحتج بهذا الخبر لانه ليس فى الحديث لا نص ولا دليل ولا اشارة يمكن ان يتاول على ان عجب الذنب يحيا وانما فى الحديث ان عجب الذنب لا ياكله التراب وانه من خلق الجسد وفيه يركب فقط فظهر تمويه هذا القائل وضعفه والحمد لله رب العالمين قال الباقلانى واما ان يعلق لتلك الحياة جسد آخر فلا

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا مذهب أصحاب التناسخ بلا مؤنة واحتج لذلك بالحديث المأثور ان نسمة المؤمن طير يعلف من ثمار الجنة ويأوى الى قناديل تحت العرش وفي بعضها أنها فى حواصل طير خضر

﴿ قال أبو محمد ﴾ ولا حجة لهم فى هذا الخبر لان معنى قوله عليه السلام طائر يعلف هو على ظاهره لا على ظن أهل الجهل وأما أخبر عليه السلام ان نسمة المؤمن طائر يعني أنها تطير فى الجنة فقط لا أنها تنسخ فى صور طير فان قيل ان النسمة مؤنثة قلنا قد صح عن عربي فصيح أنه قال أتتك كتابي فاستخففت بها فقيل له أتؤنث الكتاب فقال أوليس صحيفة وكذلك النسمة روح فتذكر لذلك وأما الزيادة التى فيها أنها فى حواصل طير خضر فانها صفة تلك القناديل التى تاوى اليها والحديثان معاً حديث واحد وخبر واحد

﴿ قال ابو محمد ﴾ ولم يحصل من هذين الوجهين الفاسدين الا على دعوى كاذبة بلا دليل يشبه الهزل أو على كفر مجرد فى المصير الى قول أصحاب التناسخ وعلى تحريف الحديث عن وجهه ونعوذ بالله من الخذلان فبطل هذان القولان والحمد لله رب العالمين وأما قول من قال ان النفس جوهر لا جسم من الاوائل ومعمر وأصحابه فانهم موهوا بأشياء اقناعيات فوجب ايرادها ونقضها ليظهر البرهان على وجه الانصاف للخصم وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) قالوا لو كانت النفس جسما لكان بين تحريك المحرك رجله وبين ارادته تحريكها زمان على قدر حركة الجسم وثقله اذا النفس هي المحركة للجسد والمريدة لحركته قالوا فلو كان المحرك للرجل جسما لكان لا يخلو اما ان يكون حاصلا فى هذه الاعضاء واما جائيا اليها فان كان جائيا اليها احتاج الى مدة ولا بد وان كان حاصلا فيها فنحن اذا قطعنا تلك العصبة التى بها تكون الحركة لم يبق منها فى العضو الذى كان يتحرك شيء أصلا فلو كان ذلك المحرك حاصلا فيه لبقي منه شيء في ذلك العضو

(قال أبو محمد) وهذا لا معنى له لان النفس لا تخلو من أحد ثلاثة أوجه لا رابع لها اما ان تكون محللة لجميع الجسد من خارج كالثوب واما أن تكون متخللة بجميعه من داخل كالماء فى المدرة وأما أن تكون في مكان واحد من الجسد وهو القلب أو الدماغ وتكون قواها منبثة في جميع الجسد فأي هذه الوجوه كان فتحريكها لما يريد تحريكه من الجسد يكون مع ارادتها لذلك بلا زمان كادراك البصر لما يلاقى فى البعد بلا زمان واذا قطعت العصبة لم ينقطع ما كان من جسم النفس متخللا لذلك العضو ان كانت متخللة لجميع الجسد من داخل أو مجللة له من خارج بل يفارق العضو الذى يبطل حسه فى الوقت وينفصل عنه بلا زمان وتكون مفارقتها لذلك العضو كمفارقة الهواء للاناء الذى ملىء ماء وأما أن كانت النفس ساكنة فى موضع واحد من الجسد فلا يلزم على هذا القسم ان ينسلب من العضو المقطوع بل يكون فعلها حينئذ فى تحريكها الاعضاء كفعل حجر المغنطيس فى الحديد وان لم يلصق به بلا زمان فبطل هذا الالزام الفاسد والحمد لله رب العالمين وقالوا لو كانت النفس جسما لوجب أن نعلم ببعضها أو بكلها

(قال أبو محمد) وهذا سؤال فاسد نقسمه والجواب وبالله تعالى التوفيق انها لا تعلم الا بكلها أو ببعضها لان كل

بسيط غير مركب من طبائع شتى فهو طبيعة واحدة وما كان طبيعة واحدة فقوته فى جميع أبعاضه وفى بعض أبعاضه سواء كالنار تحرق بكلها و ببعضها ثم لا ندرى ما وجه هذا الاعتراض علينا بهذا السؤال ولا ما وجه استدلالهم منه على انها غير جسم ولو عكس عليهم فى ابطال دعواهم أنها جوهر لا جسم لما كان بينهم و بين السائل لهم بذلك فرق أصلا وقالوا ان من شان الجسم انك اذا زدت عليه جسما آخر زاد فى كميته وثقله قالوا فلو كانت النفس جسما ثم داخلت الجسم الطاهر لوجب أن يكون الجسد حينئذ أثقل منه دون النفس ونحن نجد الجسد اذا فارقته النفس أثقل منه اذا كانت النفس فيه

(قال أبو محمد) وهذا شغب فاسد ومقدمة باطلة كاذبة لانه ليس كل جسم كما ذكروا من أنه اذا زيد عليه جسم آخر كان أثقل منه وحده وانما يعرض هذا فى الاجسام التى تطلب المركز والوسط فقط يعنى التى فى طبعها أن تتحرك سفلا وترسب من المائيات والارضيات وأما التى تتحرك بطبعها علوا فلا يعرض ذلك فيها بل الامر بالضد واذا أضيف جسم منها الى جسم ثقيل خففه فانك ترى أنك لو نفخت زقا من جلد ثور أو جلد بعير لوأمكن حتى يمتلىء هو أ ثم وزنته فانك لا تجد على وزنه زيادة على مقدار وزنه لو كان فارغا أصلا وكذلك ما صعد من الزقاق ولو أنه ورقة سوسنة منفوخة وتجد تحسد الجسم العظيم الذى اذا أضفته الى الجسم الثقيل خففه جدا فانك لو رميت الزق غير المنفوخ فى الماء لرسب فاذا نفخته ورميت به خف وعام ولم يرسب وكذلك يستعمله العائمون لانه يرفعهم عن الماء و يمنعهم من الرسوب وهكذا النفس مع الجسد وهو باب واحد كلى لان النفس جسم علوى فلكى أخف من الهواء وأطلب للعلو فهى تخفف الجسد اذا كانت فيه فبطل تمويهم والحمد لله رب العالمين وقالوا ايضا لو كانت النفس جسما لكانت ذات حاصية اما خفيفة وأما ثقيلة وأما حارة واما باردة واما لينة واما خشنة

(قال ابو محمد) ثم هى خفيفة فى غاية الخفة ذاكرة عاقلة مميزة حية هذه خواصها وحدودها التى بانت بها عن سائر الاجسام المركبات مع سائر أعراضها المحمولة فيها من الفضائل والرذائل وأما الحر واليبس والبرد والرطوبة واللين والخشونة فانما هى من اعراض عناصر الاجرام التى دون الفلك خاصة ولكن هذه الاعراض المذكورة مؤثرة فى النفس اللذة او الالم فهى منفعلة لكل ماذكرنا وهذا يثبت انها جسم قالوا انما من كان الاجسام فكيفياته محسوسة وما لم تكن كيفياته محسوسة فليس بجسم و كيفيات النفس انما هى الفضائل والرذائل وهذان الجنسان من الكيفيات ليسا محسوسين فالنفس ليست جسما

(قال ابو محمد) وهذا شغب فاسد ومقدمة كاذبة لان قولهم ان ما لا تحس كيفياته فليس جسما دعوى كاذبة لا برهان عليها اصلا لا عقلى ولا حسى وما كان هكذا فهو قول ساقط مطروح لا يعجز عن مثله احد ولكننا لا نقنع بهذا دون ان نبطل هذه الدعوى ببرهان حسى ضرورى بعون الله تعالى وهو ان الفلك جسم وكيفياته غير محسوسة واما اللون اللازوردى الظاهر فانما يتولد فيما دونه من امتزاج بعض العناصر ووقوع خط البصر عليها وبرهان ذلك تبدل ذلك اللون بحسب العوارض المتولدة له فمرة تراه أبيض صافى البياض ومرة ترى فيه حمرة ظاهرة فصح أن قولهم دعوى مجردة كاذبة وبالله تعالى التوفيق وايضا فان الجسم تتفاضل انواعه فى وقوع الحواس عليه فمنه ما يدرك لونه وطعمه وريحه ومنه ما لا يدرك منه الا المجسة فقط كالهواء ومنها النار فى عنصرها لا يقع عليها شىء من الحواس اصلا بوجه من الوجوه وهى جسم عظيم المساحة محيط بالهواء كله فوجب من هذا ان الجسم كل ما زاد لطافة وصفاء لم تقع عليه الحواس وهذا حكم النفس وما دون النفس فانه محسوس للنفس لا تحس البتة الا للنفس ولا حساس الا هى فهى حساسة لا محسوسة ولم يجب قط لا بعقل ولا بحس ان يكون كل حساس محسوسا فسقط قولهم

جملة والحمد لله رب العالمين وقالوا ان كل جسم فانه لا يخلوا من ان يقع تحت جميع الحواس او تحت بعضها والنفس لا تقع تحت كل الحواس ولا تحت بعضها فالنفس ليست جسما

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذه مقدمة فاسدة كما ذكرنا آنفا لان ما عدم اللون من الاجسام لم يدرك بالبصر كالهواء وكالنار في عنصرها وان ما عدم الرائحة لم يدرك بالشم كالهواء والنار والحصى والزجاج وغير ذلك وما عدم الطعم لم يدرك بالذوق كالهواء والنار والحصى والزجاج وما عدم المجسة لم يدرك باللمس كالهواء الساكن والنفس عادمة اللون والطعم والمجسة والرائحة فلا تدرك بشيء من الحواس بل هي المدركة لكل هذه المدركات وهي الحساسة لكل هذه المحسوسات فهي حساسة لا محسوسة وانما تعرف آثارها وبراهين عقلية وسائر الاجسام والاعراض محسوسة لا حساسة ولا بد من حساس لهذه المحسوسات ولا حساس لها غير النفس وهي التي تعلم نفسها وغيرها وهي القابلة لاعراضها التي تتعاقب عليها من الفضائل والرذائل المعلومة بالعقل كقبول سائر الاجرام لما تعاقب عليها من الاعراض بالعقل والنفس هي المتحركة باختيارها المحركة لسائر الاجسام هي مؤثرة فيها تألم وتلتذ وتفرح وتحزن وتغضب وترضى وتعلم وتجهل وتحب وتكره وتذكر وتنسى وتنتقل وتحل فبطل قول هؤلاء ان كل جسم فلا بد من أن يقع تحت الحواس أو تحت بعضها لانها دعوى لا دليل عليها وكل دعوى عريت من دليل فهي باطلة وقالوا كل جسم فانه لا محالة يلزمه الطول والعرض والعمق والسطح والشكل والكم والكيف فان كانت النفس جسما فلا بد أن تكون هذه الكيفيات فيها أو تكون بعضها فيها فاي الوجهين كان فهي اذا محاط بها وهي مدركة بالحواس أو من بعضها ولا نرى الحواس تدركها فليست جسما

﴿ قال أبو محمد ﴾ هذا كله صحيح وقضايا صادقة حاشا قضية واحدة ليست فيها وهي قولهم وهي مدركة من الحواس أو من بعضها فهذا هو الباطل المقحم بلا دليل وسائر ذلك صحيح وهذه القضية الفاسدة دعوى كاذبة وقد تقدم أيضا افسادنا لها آنفا مع تعريها عن دليل يصححها ونعم فالنفس جسم طويل عريض عميق ذات سطح وخط وشكل ومساحة وكيفية يحاط بها ذات مكان وزمان لان هذه خواص الجسم ولا بد والعجب من قلة حياء من أقحم مع هذا فهي اذا مدركة بالحواس وهذا عين الباطل لان حاسة البصر وحاسة السمع وحاسة الذوق وحاسة الشم وحاسة اللمس لا يقع شيء منها لا على الطول ولا على العرض ولا على العمق ولا على السطح ولا على الشكل ولا على المساحة ولا على الكيفية ولا على الخط وانما تقع حاسة البصر على اللون فقط فان كان في شيء مما ذكرنا لون وقعت عليه حاسة البصر وعلمت ذلك الملون بتوسط اللون والا فلا وانما تقع حاسة السمع على الصوت فان حدث في شيء مما ذكرنا صوت وقعت عليه حاسة السمع حينئذ وعلمت ذلك المصوت بتوسطه والا فلا وانما تقع حاسة الشم على الرائحة فان كان في شيء مما ذكرنا رائحة وقعت عليها حينئذ حاسة الشم وعلمت حامل الرائحة بتوسط الرائحة والا فلا وان كان لشيء مما ذكرنا طعم وقعت عليه حينئذ حاسة الذوق وعلمت المذوق بتوسط الطعم والا فلا وان كان في شيء مما ذكرنا محسة وقعت عليها حاسة اللمس حينئذ وعلمت الملموس بتوسط المحسة والا فلا وقالوا ان من خاصة الجسم أن يقبل التجزي واذا جزىء خرج منه الجزء الصغير والكبير ولم يكن الجزء الصغير كالجزء الكبير فلا يخلو حينئذ من أحد أمرين اما أن يكون كل جزء منها نفسا ويلزم من ذلك ان لا تكون النفس نفسا واحدة بل تكون حينئذ أنفسا كثيرة مركبة من أنفس واما أن لا يكون كل جزء منها نفسا فيلزم أن لا تكون كلها نفسا

(قال أبو محمد) أما قولهم ان خاصة الجسم احتمال التجزي فهو صدق والنفس محتملة للتجزي لانها جسم من الاجسام وأما قولهم ان الجزء الصغير ليس كالكبير فان كانوا يريدون المساحة فنعم وأما في غير ذلك فلا وأما قولهم انها ان تجزأت فاما ان يكون كل جزء منها نفساً والزامهم من ذلك انها مركبة من أنفس فان القول الصحيح في هذا ان النفس محتملة للتجزي بالقوة وان كان التجزي بانقسامها غير موجود بالفعل وهكذا القول في الفلك والكواكب كل ذلك محتمل للتجزي بالقوة وليس التجزي موجودا في شيء منها بالفعل وأما قولهم انها مركبة من أنفس فشغب فاسد لاننا قد قدمنا في غير موضع ان المعاني المختلفة والمسميات المتغايرة يجب أن يوقع على كل واحد منها اسم يبين به عن غيره والا فقد وقع الاشكال وبطل التفاهم وصرنا الى قول السوفسطائية المبطلة لجميع الحقائق ووجدنا العالم ينقسم قسمين أحدهما مؤلف من طبائع مختلفة فاصطلحنا على ان سمينا هذا القسم مركبا والثاني مؤلف من طبيعة واحدة فاصطلحنا على ان سمينا هذا القسم بسيطا ليقع التفاهم في الفرق بين هذين القسمين ووجدنا القسم الاول لا يقع على كل جزء من أجزائه اسم كله كالانسان الجزئي فانه متألف من أعضاء لا يسمى شيء منها انسانا كالعين والانف واليد وسائر أعضائه التي لا يسمى عضو منها على انفراده انسانا فاذا تألفت سمي المتألف منها انسانا ووجدنا القسم الثاني يقع على كل جزء من أجزائه اسم كله كالارض والماء والهواء والنار وكالفلك فكل جزء من النار نار وكل جزء من الماء ماء وكل جزء من الهواء هواء وكل جزء من الفلك فهو فلك وكل جزء من النفس نفس وليس ذلك موجبا ان تكون الارض مؤلفة من أرضين ولا أن يكون الهواء مؤلفا من أهوية ولا أن يكون الفلك مؤلفا من أفلاك ولا ان تكون النفس مؤلفة من أنفس وحتى لو قيل ذلك بمعنى ان كل بعض منها يسمى نفسا وكل بعض من الفلك يسمى فلكا فما كان يكون في ذلك ما يعترض به على أنها جسم كسائر الاجسام التي ذكرنا وبالله تعالى التوفيق وقالوا أيضا طبع ذات الجسم أن تكون غير متحركة والنفس متحركة فان كانت هذه الحركة التي فيها من قبل البارى تعالى فقد وجدنا لها حركات فاسدة فكيف يضاف ذلك الى البارى تعالى

(قال أبو محمد) وهذا الكلام في غاية الفساد والهجنة ولقد كان ينبغي لمن ينتسب الى العلم ان كان يدري مقدار سقوط هذه الاعتراضات وسخفها أن يصون نفسه عن الاعتراض بها لرذالتها وكان الاولى به ان يتعلم قبل ان يتكلم فاما قوله ان طبع ذات الجسم ان تكون غير متحركة فقول ظاهر الكذب والمجاهرة لان للافلاك والكواكب اجساما وطبعها الحركة الدائمة المتصلة أبدا الى ان يحيلها خالقها عن ذلك يوم القيامة وان للعناصر دون الفلك اجساما وطبعها الحركة الى مقرها والسكون في مقرها وأما النفس فلانها حية كان طبعها السكون الاختياري والحركة الاختيارية حينا وحينا هذا كله لا يجهله أحد به دوق وأما قولهم انها حركات ردية فكيف تضاف الى البارى تعالى فانما كان بعض حركات النفس رديا بمخالفة النفس أمر باريها في تلك الحركات وانما أضيفت الى البارى تعالى لانه خلقها فقط على قولنا أولانه تعالى خالق تلك القوى التي بها كانت تلك الحركات فسقط الزامهم الفاسد والحمد لله رب العالمين وقالوا ايضا ان الاجسام في طبعها الاستحالة والتغير واحتمال الانقسام أبدا بلا غاية ليس شيء منها الا هكذا أبدا فهي محتاجة الى من يربطها ويشدها ويحفظها ويكون به تماسكها قالوا والفاعل لذلك النفس فلو كانت النفس جسما لكانت محتاجة الى من يربطها ويحلها فيلزم من ذلك أن تحتاج الى نفس أخرى والاخرى الى أخرى والاخرى كذلك الى ما لا نهاية له وما لا نهاية له باطل

(قال أبو محمد) هذا أفسد من كل قول سبق من تشغيباتهم لان مقدمته مغشوشة فاسدة كاذبة أما قولهم

ان الاجسام فى طبعها الاستحالة والتغير على الاطلاق كذب لان الفلك جسم لا يقبل الاستحالة وانما تصح الاستحالة والتغير فى الاجسام المركبة من طبائع شتى بخلعها كيفياتها ولباسها كيفيات أخرى وبانحلالها الى عناصرها هكذا مدة ما أيضا ثم تبقى غير منحلة ولا مستحيلة وأما النفس فانها تقبل الاستحالة والتغيير فى أعراضها فيتغير ويستحيل من علم الى جهل ومن جهل الى علم ومن حرص الى قناعة ومن بخل الى جود ومن رحمة الى قسوة ومن لذة الى ألم هذا كله موجود محسوس واما ان تستحيل فى ذاتها فتصير ليست نفسا فلا وهذا الكوكب هو جسم ولا يصير غير كوكب والفلك لا يصير غير فلك وأما قوله ان الاجسام محتاجة الى ما يشدها ويربطها ويمسكها فصحيح وأما قوله ان النفس هى الفاعلة لذلك فكذب، دعوى بلا دليل عليها اقناعى ولا برهانى بل هو تمويه مدلس يجوز باطله على أهل الغفلة وهكذا قول الدهرية وليس كذلك بل النفس من جملة الاجسام المحتاجة الى ما يمسكها ويشدها ويقيمها وحاجتها الى ذلك كحاجة سائر الاجسام التى فى العالم ولا فرق والفاعل لكل ذلك فى النفس وفى سائر الاجسام والممسك لها والحافظ لجميعها والمحل لما استحال منها فهو المبدى للنفس ولكل ما فى العالم من جسم أو عرض والمتمم لكل ذلك هو الله الخالق البارى المصور عز وجل فبعض أمسكها بطبائعها التى خلقها فيها وصرفها فضبطها لما هى فيه وبعض أمسكها برباطات ظاهرة كالعصب والعروق والجلود لا فاعل لشيء من ذلك دون الله تعالى وقد قدمنا البراهين على كل ذلك فى صدر كتابنا هذا فاغنى عن ترداده والحمد لله رب العالمين * وقالوا أيضا كل جسم فهو اما ذو نفس واما لا ذو نفس فان كانت النفس جسما فهى متنفسة اى ذات نفس واما لا متنفسة اى لا ذات نفس فان كانت لا متنفسة فهذا خطأ لانه يجب من ذلك ان تكون النفس لا نفسا وان كانت متنفسة اى ذات نفس فهى محتاجة الى نفس وتلك النفس الى أخرى والاخرى الى أخرى وهذا يوجب ما لا نهاية له وما لا نهاية له باطل

(قال أبو محمد) هذه مقدمة صحيحة ركبوا عليها نتيجة فاسدة ليست منتجة على تلك المقدمة وأما قولهم ان كل جسم فهو اما ذو نفس واما لا ذو نفس فصحيح وأما قولهم ان النفس ان كانت غير متنفسة وجب من ذلك أن تكون النفس لا نفسا فشغب فاسد بارد لا يلزم لان معنى القول بان الجسم ذو نفس انما هو ان بعض الاجسام أضيفت اليه نفس حية حساسة متحركة بارادة مدبرة لذلك الجسم الذى استضافت اليه ومعنى القول بان هذا الجسم غير ذى نفس انما هو انه لم يستضف اليه نفس فالنفس الحية هى المتحركة المدبرة وهى غير محتاجة الى جسم مدبرها ولا محرك لها فلم يجب ان يحتاج الى نفس ولا ان تكون ليست نفسا ولا فرق بينهم فى قولهم هذا وبين من قال ان الجسم يحتاج الى جسم كما قالوا انه يجب ان تحتاج النفس الى نفس أو قال يجب ان تكون الجسم لا جسما كما قالوا يجب ان تكون النفس لا نفسا وهذا كله هوس وجهل والحمد لله رب العالمين وقالوا لو كانت النفس جسما لكان الجسم نفسا

(قال أبو محمد) وهذا من الجهل المفرط المظلم ولو كان القائل هذا الجنون أقل علم بحدود الكلام لم يأت بهذه الغثاثة لان الموجبة الكلية لا تنعكس البتة انعكاسا مطرداً الا موجبة جزئية لا كلية وكلامهم هذا بمنزلة من قال لما كان الانسان جسما وجب أن يكون الجسم انسانا ولما كان الكلب جسما وجب أن يكون الجسم كلبا وهذا غاية الحمق والقحة لكن صواب القول فى هذا ان يقول لما كانت النفس جسما كان بعض الاجسام نفسا ولما كان الكلب جسما وجب أن يكون بعض الاجسام كلبا وهذا هو العكس الصحيح المطرد اطرادا صحيحا أبدا وبالله تعالى التوفيق وقالوا أيضا ان كانت النفس جسما فهى بعض الاجسام واذا كانت كذلك فكلية الاجسام أعظم مساحة منها فيجب أن تكون أشرف منها

﴿قال أبو محمد﴾ عن عدم الحياء والعقل لم يبال بما نطق به لسانه وهذه قضية في غاية الحمق لانها توجب ان الشرف انما هو بعظم الاجسام وكثرة المساحة ولو كان كذلك لكانت القضية والنملة وكان الحمار والبغل وكدس العذرة أشرف من الانسان النبيه والفيلسوف لان كل ذلك أعظم مساحة منه ولكانت الغرلة أشرف من ناظر العين والالية أشرف من القلب والكبد والدماغ والصخرة أشرف من اللؤلؤة وأف لكل علم ادى الى مثل هذا نعم فان كثيرا من الاجسام أعظم مساحة من النفس وليس ذلك موجبا أنها أشرف منها مع ان النفس الرذلة المضربة عما أوجبه التمييز وعن طاعة ربها الى الكفر به فكل شيء في العالم اشرف منها ونعوذ بالله من الخذلان وقالوا ان كانت النفس جسما آخر مع الجسم فالجسم نفس وشيء آخر واذا كان كذلك فالجسم أتم واذا كان أتم فهو أشرف

﴿قال أبو محمد﴾ وهذا جنون مردد لانه ليس بكثرة العدد يجب الفضل والشرف ولا بعموم اللفظ يجب الشرف بل قد يكون الاقل والاخص أشرف ولو كان ما قالوه لوجب ان تكون الاخلاق جملة أشرف من الفضائل خاصة لان الاخلاق فضائل وشيء آخر فهي اتم فهي على حكمهم السخيف أشرف وهذا ما لا يقوله ذو عقل وهم يقرون ان النفس جوهر والجوهر نفس وجسم فالجوهر أشرف من النفس لانه نفس وشيء آخر وقد قالوا ان الحي يقع تحت النامي فيلزمهم ان النامي أشرف من الحي لانه حي وشيء آخر وهذا تخليط وحماقة ونعوذ بالله من الوسواس وقالوا أيضا كل جسم يتغذى والنفس لا تتغذى فهي غير جسم

﴿قال أبو محمد﴾ ان كان هؤلاء السخفاء اذا اشتغلوا بهذه الحماقات كانوا سكارى بل سكر الجهل والسخف اعظم من سكر الخمر لان سكر الخمر سريع الافاقة وسكر الجهل والسخف بطيء الافاقة أتراهم اذ قالوا كل جسم فهو يتغذى ألم يروا الماء والارض والهواء والكواكب والفلك وان كل هذه أجسام عظام لا تتغذى وانما يتغذى من الاجسام النوامي فقط وهي أجسام الحيوان السكان في الماء والارض والشجر والنبات فقط فاذا كان هؤلاء النوكى ما لا يتغذى ليس جسما فالارض والحجارة والكواكب والفلك والملائكة ليس كل ذلك جسما وكفى بهذا جنونا وخطأ ونحمد الله على السلامة قالوا لو كانت النفس جسما لكانت لها حركة لان لكل جسم حركة ونحن لا نرى للنفس حركة فبطل ان تكون جسما

﴿قال أبو محمد﴾ هذه دعوى كاذبة وقد تناقضوا أيضا فيها لانهم قد قالوا قبل هذا بنحو ورقة في بعض حججهم ان الاجسام غير متحركة والنفس متحركة وهنا قلبوا الامر فظهر جهلهم وضعف عقولهم وأما قولهم لا نرى لها حركة فحرقة وليس كل ما لا يرى يجب ان ينكر اذا قام على صحته دليل ويلزمهم اذ أبطلوا حركة النفس لانهم لا يرونها ان يبطلوا النفس جملة لانهم ايضا لا يرونها ولا يسمعونها ولا يلمسونها ولا يذوقونها وحركة النفس معلومة بالبرهان وهو ان الحركة قسمان حركة اضطرار وحركة اختيار فحركة الاضطرار هي حركة كل جسم غير النفس هذا ما لا يشك فيه فبقيت حركة الاختيار وهي موجودة يقينا وليس في العالم شيء متحرك بها حاشا النفس فقط فصح ان النفس هي المتحركة بها فصح ضرورة أن للنفس حركة اختيارية معلومة بلا شك واذ لا شك في أن كل متحرك فهو جسم وقد صح ان النفس متحركة فالنفس جسم فهذا هو البرهان الضروري التام الصحيح لا تلك الوساوس والاهذار ونحمد الله على نعمه عز وجل وقالوا لو كانت النفس جسما لوجب ان يكون اتصالها بالجسم اما على سبيل المجاورة واما على سبيل المداخلة وهي الممازجة

﴿قال أبو محمد﴾ نعم هذا هو اذا ونعم فان النفس متصلة بالجسم على سبيل المجاورة ولا يجوز سوى ذلك اذ لا يمكن ان يكون اتصال الجسمين الا بالمجاورة واما اتصال المداخلة فانما هي العرض والعرض في الجسم والعرض على ما بينا قبل وقالوا أيضا ان كانت النفس جسما فكيف يعرف الجسم بمماسة أم بغير مماسة

﴿قال أبو محمد﴾ الاجسام كلها حاش النفس موات لا علم لها ولا حس ولا تعلم شيئا وانما العلم والحس للنفس فقط فهي تعلم الاجسام والاعراض وخالق الاجسام والاعراض الذي هو خالقها ايضا بما فيها من صفة الفهم وطبيعة التمييز وقوة العلم التي وضعها فيها خالقها عز وجل وسؤالهم وارد وقالوا أيضا ان كل جسم بدأ في نشوة وغاية ينتهي اليها وأجود ما يكون الجسم اذا انتهى الى غايته فاذا أخذ في النقص ضعف وليست الانفس كذلك لانا نرى أنفس المعمرين أكثر ضياء وأنفذ فعلا ونجد أبدانهم اضعف من ابدان الاحداث ولو كانت النفس جسما لنقص فعلها بنقصان البدن فاذا كان هذا كما ذكرنا فليست النفس جسما

﴿قال ابو محمد﴾ هذه مقدمة فاسدة الترتيب اما قولهم ان الجسم اجود ما يكون اذا انتهى الى غايته فخطأ اذا قيل على العموم وانما ذلك في النوامي فقط وفي الاشياء التي تستحيل استحالة ذبولية فقط كالشجر واصناف أجساد الحيوان والنبات واما الجبال والحجارة والارض والبحار والهواء والماء والافلاك والكواكب فليس لها غاية اذا بلغتها اخذت في الانحطاط وانما يستحيل بعض ما يستحيل من ذلك على سبيل التفتت كحجر كسرته فانكسر ولو تركته لبقي ولم يذبل ذبول الشجر والنبات وأجسام الحيوان وكذلك النفس لا تستحيل استحالة ذبول ولا استحالة تفتت وانما تستحيل اعراضها كما ذكرنا فقط ولا نماء له وكذلك الملائكة والفلك والكواكب والعناصر الاربعة لا نماء لها وكل باق على هيئته التي خلقه الله تعالى عليها اذ خلق كل ذلك والنفس كذلك منتقلة من عالم الابتداء الى عالم الابتلاء الى عالم البرزخ الى عالم الحساب الى عالم الجزاء فتخلد فيه أبدا بلا نهاية وهي اذا تخلصت من رطوبات الجسد وكدره كانت أصفى نظرا وأصح علما كما كانت قبل حلولها في الجسد نسأل الله خير ذلك المنقلب بمنه آمين

﴿قال أبو محمد﴾ هذا ما موهوا به من كل نطيحة ومتردية قد تقصيناه لهم وبينا أن كله فساد وحماقات وتقصيناه بالبراهين الضرورية والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) فاذا بطل كل ما شغب به من يقول ان النفس ليست جسما وسقط هذا القول لتعريه عن الادلة جملة فنحن ان شاء الله تعالى نوضح بعون الله عز وجل وقوته البراهين الضرورية على انها جسم وبالله تعالى نتأيد وذلك بعد ان نبين بتأييد الله عز وجل شغبين يمكن ان يعترض بهما ان قال قائل انمو النفس فان قلتم لا قلنا نحن نجدها تنشأ من صغر الى كبر وترتبط بالجسد بالغذاء واذا انقطع الغذاء انحلت عن الجسد ونجدها تسوء أخلاقها ويقل صبرها بعدم الغذاء فاذا تغذت اعتدلت اخلاقها وصلحت

﴿قال أبو محمد﴾ لا تغتذي ولا تنمو انعدم غذائها فالبرهان القائم انها ليست مركبة من الطبائع الاربع وانها بخلاف الجسد هذا هو البرهان على انها لا تغتذي وهو ان ما تركب من العناصر الاربعة فلا بد له من الغذاء ليستخلف ذات الجسد أو ذات الشجرة أو ذلك النبات من رطوبات ذلك الغذاء او ارضياته مثل ما تحلل من رطوباته بالهواء والحر وليست هذه صفة النفس اذ لو كانت لها هذه الصفة لكانت من الجسد او مثله ولو كانت من الجسد او مثله لكانت مواتا كالجسد غير حساسة فاذ قد بطل ان تكون مركبة من طبائع العناصر بطل ان تكون متغذية نامية واما ارتباطها بالجسد من اجل الغذاء فهو امر لا يعرف كيفيته الا خالقها عز وجل الذي هو مدبرها الا انه معلوم انه كذلك فقط وهو كطحن المعدة للغذاء لا يدرى كيف هو وغير ذلك

مما يوجد الله عز وجل يعلمه ومن البرهان على ان النفس لا تتغذى ولا تنمو ان البرهان قد قام على انها كانت قبل تركيب الجسد على آباد الدهور وانها باقية بعد انحلاله وليس هنالك فى دينك العالمين غذاء يولد نماء أصلا وأما ماظنوه من نشاتها من صغر الى كبر فخطأ وانما هو عودة من النفس الى ذكرها الذى سقط عنها باول ارتباطها بالجسد فان سال سائل اتموت النفس قلنا نعم لان الله تعالى نص على ذلك فقال * كل نفس ذائقة الموت * وهذا الموت انما هو فراقها للجسد فقط برهان ذلك قول الله تعالى * اخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون * وقوله تعالى * كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم * فصح ان الحياة المذكورة انما هى ضم الجسد الى النفس وهو نفخ الروح فيه وأن الموت المذكور انما هو التفريق بين الجسد والنفس فقط وليس موت النفس مما يظنه أهل الجهل وأهل الالحاد من انها تعدم جملة بل هى موجودة قائمة كما كانت قبل الموت وقبل الحياة الاولى ولا انها يذهب حسها وعلمها بل حسها بعد الموت أصح ما كان وعلمها أتم ما كان وحياتها التى هى الحس والحركة الارادية باقية بحسبها أكمل ما كانت قط. قال عز وجل * وان الدار الاخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون * وهى راجعة الى البرزخ حيث رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسرى به عن الميمنة من آدم عليه السلام ومشئمته الى ان تحيا ثانية بالجمع بينها و بين جسدها يوم القيامة وأما انفس الجن وسائر الحيوان فحيث شاء الله تعالى ولا علم لنا الا ما علمنا ولا يحل لاحد ان يقول بغير علم وبالله تعالى التوفيق

(قال أبو محمد) فلنذكر الآن البراهين الضرورية على ان النفس جسم من الاجسام فمن الدليل على ان النفس جسم من الاجسام انقسامها فى الاشخاص فنفس زيد غير نفس عمرو فلو كانت النفس واحدة لا تنقسم على مازعم الجاهلون القائلون انها جوهر لا جسم لوجب ضرورة ان تكون نفس المحب هى نفس المبغض وهى نفس المحبوب وان تكون نفس الفاسق الجاهل هى نفس الفاضل الحكيم العالم ولكانت نفس الخائف هى نفس المخوف منه ونفس القاتل هى نفس المقتول وهذا حمق لا خفاء به فصح انها نفوس كثيرة متغايرة الاماكن مختلفة الصفات حاملة لاعراضها فصح انها جسم بيقين لاشك فيه و برهان آخر هو ان العلم لاخلاف فى انه من صفات النفس وخواصها لا مدخل للجسد فيه أصلا ولا حظ فلو كانت النفس جوهرا واحدا لا تتجزى نفوسا لوجب ضرورة ان يكون علم كل أحد مستويا لا تفاضل فيه لان النفس على قولهم واحدة وهى العالمة فكان يجب ان يكون كلما علمه زيد يعلمه عمرو لان نفسها واحدة عندهم غير منقسمة ولا متجزئة فكان يلزم ولا بد ان يعلم جميع أهل الارض مايعلمه كل عالم فى الدنيا لان نفسهم واحدة لا تنقسم وهى العالمة وهذا مالا امكان فيه البتة فقد صح بما ذكرنا ضرورة ان نفس كل احد غير نفس غيره وان انفس الناس اشخاص متغايرة تحت نوع نفس الانسان وان نفس الانسان الكلية نوع تحت جنس النفس الكلية التى يقع تحتها انفس جميع الحيوان واذ هى أشخاص متغايرة ذات أمكنة متغايرة حاملة لصفات متغايرة فهى أجسام ولا يمكن غير ذلك البتة و بالله تعالى التوفيق وأيضا فان العالم كله محدود معروف اجسام واعراض ولا مزيد فمن ادعى ان ههنا جوهرا ليس جسما ولا عرضا فقد ادعى مالا دليل عليه البتة ولا يتشكل فى العقل ولا يمكن توهمه وما كان هكذا فهو باطل مقطوع على بطلانه و بالله تعالى التوفيق وأيضا فان النفس لا تخلو من أن تكون خارج الفلك أو داخل الفلك فان كانت خارج الفلك فهذا باطل اذ قام البرهان على تناهي جرم العالم فليس وراء النهاية شيء ولو كان وراءها شيء لم تكن نهاية

فوجب ضرورة انه ليس خارج الفلك الذي هو نهاية العالم شيء لا خلاء ولا ملاء وان كانت في الفلك فهي ضرورة أما ذات مكان وأما محمولة في ذي مكان لانه ليس في العالم شيء غير هذين أصلا ومن ادعي ان في العالم شيئا ثالثا فقد ادعى المحال والباطل وما لا دليل له عليه وهذا لا يعجز عنه أحد وما كان هكذا فهو باطل بيقين وقد قام الدليل على ان النفس ليست عرضا لانها عالمة حساسة والعرض ليس عالما ولا حساسا وصح انها حاملة لصفاتها لا محمولة فاذ هي حاملة متمكنة فهي جسم لا شك فيه اذ ليس الا جسم حامل أو عرض محمول وقد بطل ان تكون عرضا محمولا فهي جسم حامل وبالله تعالى التوفيق وأيضا فلا تخلو النفس من ان تكون واقعة تحت جنس أولا فان كانت لا واقعة تحت جنس فهي خارجة عن المقولات وليس في العالم شيء خارج عنها ولا في الوجود شيء خارج عنها الا خالقها وحده لا شريك له وهم لا يقولون بهذا بل يوقعونها تحت جنس الجوهر فاذ هي واقعة تحت جنس الجوهر فانا نسألهم عن الجوهر الجامع للنفس وغيرها اله طبيعة أم لا فان قالوا لا وجب ان كل ما تحت الجوهر لا طبيعة له وهذا باطل وهم لا يقولون بهذا فان قالوا لا ندري ما الطبيعة قلنا لهم اله صفة محمولة فيه لا يوجد دونها أم لا فلابد من نعم وهذا هو معنى الطبيعة وان قالوا بل له طبيعة وجب ضرورة ان يعطي كل ما تحته طبيعة لان الاعلى يعطي لكل ما تحته اسمه وحدوده عطاء صحيحا والنفس تحت الجوهر فالنفس ذات طبيعة بلا شك واذ صح ان لها طبيعة فكل ماله طبيعة فقد حصرته الطبيعة وما حصرته الطبيعة فهو ذو نهاية محدود وكل ذي نهاية فهو اما حامل واما محمول والنفس بلا شك حاملة لاعراضها من الاضداد كالعلم والجهل والذكاء والبلادة والنجدة والجبن والعدل والجور والقسوة والرحمة وغير ذلك وكل حامل فذو مكان وكل ذي مكان فهو جسم فالنفس جسم ضرورة وأيضا فكل ما كان واقعا تحت جنس فهو نوع من أنواع ذلك الجنس وكل نوع فهو مركب من جنسه الاعلى العام له من أنواعه ومركب أيضا مع ذلك من فصله الخاص به المميز له من سائر الانواع الواقعة معه تحت جنس واحد فانه موضوع وهو جنسه القابل لصورته وصورة غيره وله محمول وهو صورته التي خصته دون غيره فهو ذو موضوع ومحمول فهو مركب والنفس نوع للجوهر فهي مركبة من موضوع ومحمول وهي قائمة بنفسها فهي جسم ولابد

﴿قال أبو محمد﴾ وهذه براهين ضرورية حسية عقلية لا محيد عنها وبالله تعالى التوفيق وهذا قول جماعة من الاوائل ولم ينقل ارسطاطاليس ان النفس ليست جسما على ما ظنه أهل الجهل وانما نفى أن تكون جسما كدرا وهو الذي لا يليق بكل ذي علم سواه ثم لو صح انه قالها لكانت وهلة ودعوى لا برهان عليها وخطا لا يجب اتباعه عليه وهو يقول في مواضع من كتبه اختلف أفلاطون والحق وكلاهما الينا حبيب غير ان الحق أحب الينا واذا جاز أن يختلف أفلاطون والحق فغير نكير ولا بديع أن يختلف ارسطاطاليس والحق وما عصم انسان من الخطا فكيف وما صح قط انه قاله

﴿قال أبو محمد﴾ انما قال ان النفس جوهر لا جسم من ذهب الى انها هي الخالقة لما دون الله تعالى على ما ذهب اليه نفس الصابئين ومن كنى بها عن الله تعالى

﴿قال أبو محمد﴾ وكلا القولين سخف وباطل لان النفس والعقل لفظتان من لغة العرب موضوعتان فيها لمعنيين محدودين فاحالتهما عن موضوعهما في اللغة سفسطة وجهل وقلة حياء وتمويه وتدليس

﴿قال أبو محمد﴾ وأما من ذهب الى ان النفس ليست جسما ممن ينتمي الى الاسلام بزعمه فقول يبطل بالقرآن والسنة واجماع الامة فاما القرآن فان الله عز وجل قال * هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت * وقال تعالى * اليوم تجزى كل نفس ما كسبت لا ظلم اليوم * وقال تعالى * كل امرئ بما كسب رهين * فصح

ان النفس هي الفعالة الكاسبة المجزية المخطئة *وقال تعالى* ان النفس لامارة بالسوء*وقال تعالى* ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب*وقال تعالى* ولاتقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل احياء ولكن لاتشعرون*وقال تعالى* ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله*فصح ان الانفس منها مايعرض على النار قبل يوم القيامة فيعذب ومنها مايرزق وينعم فرحا ويكون مسرورا قبل يوم القيامة ولاشك ان اجساد آل فرعون واجساد المقتولين في سبيل الله قد تقطعت او صارها او اكلتها السباع والطير وحيوان الماء فصح ان الانفس منقولة من مكان الى مكان ولاشك في ان العرض لايلقى العذاب ولايحس فليست عرضا وصح انها تنتقل في الاماكن قائمة بنفسها وهذه صفة الجسم لاصفة الجوهر عند القائل به فصح ضرورة انها جسم واما من السنن فقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ارواح الشهداء في حواصل طير خضر في الجنة وقوله صلى الله عليه وسلم انه رأى نسم بني آدم عند سماء الدنيا عن يمين آدم ويساره فصح ان الانفس مرئية في اماكنها وقوله عليه السلام ان نفس المؤمن اذا قبضت عرج بها الى السماء وفعل بها كذا ونفس الكافر اذا قبضت فعل بها كذا فصح انها معدودة ومنعمة ومنقولة في الاماكن وهذه صفة الاجسام ضرورة واما من الاجماع فلاخلاف بين احد من اهل الاسلام في ان انفس العباد منقولة بعد خروجها عن الاجساد الى نعيم او الى صنوف ضيق وعذاب وهذه صفة الاجسام ومن خالف هذا وزعم ان الانفس تعدم اوانها تنتقل الى اجسام أخر فهو كافر مشرك حلال الدم والمال بخرقه الاجماع ومخالفته القرآن والسنن ونعوذ بالله من الخذلان

(قال ابو محمد) وقد ذكرنا في باب عذاب القبر ان الروح والنفس شيء واحد ومعنى قول الله تعالى* ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي* انما هو لان الجسد مخلوق من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم عظاما ثم لحما ثم امشاجا وليس الروح كذلك وانما قال الله تعالى امرا له بالكون كن فكان فصح ان النفس والروح والنسمة اسماء مترادفة لمعنى واحد وقد يقع الروح ايضا على غير هذا جبريل عليه السلام الروح الامين والقرآن روح من عند الله وبالله تعالى التوفيق فقد بطل قولهم في النفس وصح انها جسم ولم يبق الا الكلام في الجزء الذي ادعوا انه لايتجزى

(قال ابو محمد) ذهب جمهور المتكلمين الى ان الاجسام تنحل الى اجزاء صغار لايمكن البتة ان يكون لها جزء وان تلك الاجزاء جواهر لا اجسام لها وذهب النظام وكل من يحسن القول من الاوائل الى انه لاجزء وان دق الا وهو يحتمل التجزي ابدا بلا نهاية وانه ليس في العالم جزؤ ولايتجزء وان كل جزء انقسم الجسم اليه فهو جسم ايضا وان دق ابدا

(قال ابو محمد) وعمدة القائلين بوجود الجزء الذي لايتجزأ خمس مشاغب وكلها راجعة بحول الله وقوته عليهم ونحن ان شاء الله تعالى نذكرها كلها ونتقصي لهم كل ماموهوا به ونرى بعون الله عز وجل بطلان جميعها بالبراهين الضرورية ثم نرى بالبراهين الصحاح صحة القول بان كل جزء فهو يتجزأ ابدا وانه ليس في العالم جزؤ لايتجزأ أصلا كافعلنا بسائر الاقوال والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) فاول مشاغبهم ان قالوا اخبرونا اذا قطع الماشي المسافة التي مشى فيها فهل قطع ذا نهاية او غير ذي نهاية فان قلتم قطع غير ذي نهاية فهذا محال وان قلتم قطع ذا نهاية فهذا قولنا

(قال ابو محمد) وجوابنا وبالله تعالى التوفيق ان القوم اتوا من احد وجهين اما انهم لم يفهموا قولنا فتكلموا بجهل وهذا لايرضاه ذو ورع ولا ذو عقل ولاحياء واما انهم لما عجزوا عن معارضة الحق رجعوا الى الكذب والمباهتة وهذه شر من الاولى وفي أحد هذين القسمين وجدنا كل من ناظرناه منهم في هذه

المسألة

المسالة وهكذا عرض لنا سواء مع المخالفين لنا فى القياس المدعين لتصحيحه فانهم أيضا أحد رجلين اما جاهل بقولنا فهو يقولنا مالا نقوله ويتكلم فى غير مااختلفنا فيه واما مكابر ينسب الينا مالا نقوله مباهتة وجراءة على الكذب وعجزا عن معارضة الحق من اننا ننكر اشتباه الاشياء واننا ننكر قضايا العقول واننا ننكر استواء حكم الشيئين فيما اوجبه لهما مااشتبها فيه وهذا كله كذب علينا بل نقر بذلك كله ونقول به وانما ننكر ان نحكم في الدين لشيئين بتحريم او ايجاب او تحليل من اجل انهما اشتبها فى صفة من صفاتهما فهذا هو الباطل البحت والحمد لله رب العالمين على عظيم نعمه * ونقول على هذا السؤال الذى سالونا عنه اننا لم نرفع النهاية عن الاجسام كلها من طريق المساحة بل نثبتها ونعرفها ونقطع على ان كل جسم فله مساحة ابدا محدودة ولله الحمد وانما نفينا النهاية عن قدرة الله تعالى على قسمة كل جزء وان دق واثبتنا قدرة الله تعالى على ذلك وهذا هو شيء غير المساحة ولم يتكلف القاطع بالمشى أو بالذرع او بالعمل قسمة ماقطع ولا تجزئته وانما تكلف عملا او مشى فى مساحة معدودة بالميل او بالذراع والشبر او الاصبع اوما اشبه ذلك وكل هذا له نهاية ظاهرة وهذا غير الذى نفينا وجود النهاية فيه فبطل الزامهم والحمد لله كثيرا ثم نعكس هذا الاعتراض عليهم فنقول لهم وبالله تعالى التوفيق نحن القائلون بأن كل جسم فله طول وعرض وعمق وهو محتمل للانقسام والتجزىء وهذا هو اثبات النهاية لكل جزء انقسم الجسم اليه من طريق المساحة ضرورة وانتم تقولون ان الجسم ينقسم الى اجزاء ليس لشيء منها عرض ولاطول ولاعمق ولا مساحة ولايتجزأ وليست أجساما وان الجسم هو تلك الاجزاء نفسها ليس هو شيء غيرها اصلا وان تلك الاجزاء ليس لشيء منها مساحة فلزمكم ضرورة اذا الجسم هو تلك الاجزاء وليست اجساما وان الجسم هو تلك الاجزاء وليس هو غيرها وكل جزء من تلك الاجزاء لامساحة له ان الجسم لامساحة له وهذا امر يبطله العيان واذا لم تكن له مساحة والمساحة هى النهاية فى ذرع الاجسام فلا نهاية لما قطعه القاطع من الجسم على قولهم وهذا باطل والاعتراض الثانى ان قالوا لابد ان يلى الجرم من الجرم الذى يليه جزء ينقطع ذلك الجرم فيه قالوا وهذا اقرار بجزء لايتجزأ

﴿قال ابو محمد﴾ وهذا تمويه فاسد لاننا لم ندفع النهاية من طريق المساحة بل نقول ان لكل جرم نهاية وسطحا ينقطع تماديه عنده وان الذى ينقطع به الجرم اذا جزىء فهو متناه محدود ولكنه محتمل للتجزى أيضا وكل ماجزىء فذلك الجزء وهو الذى يلى الجرم الملاصق له نهايته من جهته التى لاقاه منها لاما ظنوا من أن احد الجرم جزء منه وهو وحده الملاصق للجرم الذى يلاصقه بل هو باطل بما ذكرنا لكن الجزء وهو الملاصق للجرم بسطحه فاذا جزىء كان الجزء الملاصق للجرم بسطحه هو الملاصق حينئذ بسطحه لا الذى خرج عن ملاصقته وهكذا ابدا والكلام فى هذا كالكلام فى الذى قبله لا فرق والاعتراض الثالث ان قالوا هل الف اجزاء الجسم الا الله تعالى فلابد من نعم قالوا فهل يقدر الله على تفريق اجزاء حتى لايكون فيها شيء من التاليف ولا تحتمل تلك الاجزاء التجزىء أم لايقدر على ذلك قالوا فان قلتم لايقدر عجزتم ربكم تعالى وان قلتم يقدر فهذا اقرار منكم بالجزء الذى لايتجزأ

﴿قال أبو محمد﴾ هذا هو من اقوى شبههم التى شغبوا بها وهو حجة لنا عليهم والجواب انا نقول لهم وبالله تعالى التوفيق ان سؤالكم سؤال فاسد وكلام فاسد ولم تكن قط اجزاء العالم متفرقة ثم جمعها الله عز وجل ولا كانت له اجزاء مجتمعة ثم فرقها الله عز وجل لكن الله عز وجل خلق العالم بكل ما فيه بان قال له كن فكان او بان قال لكل جرم منه اذا اراد خلقه كن فكان ذلك الجرم ثم ان الله تعالى

خلق جميع ما اراد جمعه من الاجرام التى خلقها مفترقة ثم جمعها وخلق تفريق كل جرم من الاجرام التى خلقها مجتمعة ثم فرقها فهذا هو الحق لا ذلك السؤال الفاسد الذي احتلموه واوهمتم به اهل الغفلة ان الله تعالى الف العالم من اجزاء خلقها متفرقة وهذا باطل لانه دعوي بلا برهان عليها ولا فرق بين من قال ان الله تعالى الف اجزاء العالم وكانت متفرقة وبين من قال بل الله تعالى فرق العالم اجزاء وانما كان جزأ واحدا وكلاهما دعوى ساقطة لا برهان عليها الامن نص ولا من عقل بل القرآن جاء بما قلناه نصا قال تعالى * انما أمرنا لشيء اذا أردناه ان نقول له كن فيكون * ولفظة شيء تقع على الجسم وعلى العرض فصح ان كل جسم صغر او كبر وكل عرض فى جسم فان الله تعالى اذا أراد خلقه قال له كن فكان ولم يقل عز وجل قط انه الف كل جزء من أجزاء متفرقة فهذا هو الكذب على الله عز وجل حقا فبطل ما ظنوا انهم يلزمونا به ثم نقول لهم ان الله تعالى قادر على ان يخلق جسما لا ينقسم ولكنه لم يخلقه فى بنية هذا العالم ولا يخلقه كما انه تعالى قادر على ان يخلق عرضا قائما بنفسه ولكنه تعالى لم يخلقه فى بنية هذا العالم ولا يخلقه لانهما ممار تبه الله عز وجل محالا فى العقول والله تعالى قادر على كل ما يسال عنه لا نحاشى شيئا منها الا انه تعالى لا يفعل كل ما يقدر عليه وانما يفعل ما يشاء وما سبق في علمه انه يفعله فقط والله تعالى التوفيق * ثم نعطف هذا السؤال نفسه عليهم فنقول لهم هل يقدر الله عز وجل على ان يقسم كل جزء ويقسم كل قسم من اقسام الجسم ابدا بلا نهاية ام لا فان قالوا لا يقدر على ذلك عجزوا ربهم حقا وكفروا وهو قولهم دون تاويل ولا الزام واكثرهم يحاشون من أهل الاسلام فيملحون ضلالتهم باثبات الجزء الذى لا يتجزأ جملة * وان قالوا انه تعالى قادر على ذلك صدقوا ورجعوا الى الحق الذى هو نفس قولنا وخلاف قولهم جملة ونحن لا نخالفهم قط فى ان اجزاء طحين الدقيق لا يقدر مخلوق في العالم على تجزئة تلك الاجزاء وانما خالفناهم فى ان قلنا نحن ان الله تعالى قادر على ما لا نقدر نحن عليه من ذلك وقالوا هم بل هو غير قادر على ذلك تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقولهم فى تناهى القدرة على قسمة الله تعالى الاجزاء هو القول بان الله تعالى يبلغ من الخلق الى مقدار ما ثم لا يقدر علي الزيادة عليه ويبقى حسيرا عاجزا تعالى الله عن هذا الكفر ولعدرى ان أبا الهذيل شيخ المشتبين لجزء الذى لا يتجزأ ليجنح الى هذا المذهب جنوحا شديدا وقد صرح بان لما يقدر الله عليه كلا وآخرا لو خرج الى الفعل لم يكن الله تعالى قادرا بعده على تحريك ساكن ولا تسكين متحرك ولا على فعل شيء أصلا ثم تدارك كفره فقال ولا يخرج ذلك الآخر أبدا الى حد الفعل

﴿ قال أبو محمد ﴾ فيقال له ما المانع من خروجه والنهاية حاصرة له والفصل قائم ولا بد مع طول الزمان من البلوغ الى ذلك الآخر

﴿ قال ابو محمد ﴾ نعوذ بالله من الضلال والاعتراض الرابع هو ان قالوا أيما أكثر أجزاء الجبل أو أجزاء الخردلة وأيما أكثر أجزاء الخردلة أو أجزاء الخردلتين قالوا فان قلتم بل أجزاء الخردلتين وأجزاء الجبل صدقتم وأقررتم بتناهى التجزى وهو القول بالجزء الذي لا يتجزء وان قلتم ليس أجزاء الجبل أكثر من أجزاء الخردلة ولا أجزاء الخردلتين أكثر من أجزاء الخردلة كابرتم العيان لانه لا يحدث فى الخردلة جزء الا ويحدث فى الخردلتين جزآن وفى الجبل أجزاء وادعوا علينا انا نقول ان فى كل جسم أجزاء لا نهاية لعددها ولا آخر لها وان من قطع بالمشى مكانا ما أو قطع بالحلمتين شيئا فانما قطع ما لا نهاية لعدده وقالوا ان عمدة حجتكم على الدهرية هو هذا المعنى نفسه فى الزامكم اياهم وجوب القلة والكثرة فى عدد الأشخاص وأوقات الزمان وايجابكم ان كل ما حصره العدد فذو نهاية وانكاركم علي الدهرية وجود أشخاص وازمان لا نهاية لعددها قالوا ثم نقضتم كل ذلك فى هذا المكان

﴿ قال ابو محمد ﴾ هو الذى قلنا انهم امالم يفهموا كلامنا فى هذه المسألة فقولونا مالا نقوله بظنونهم الكاذبة واما انهم عرفوا قولنا فحرفوه قلة حياء واستحلال الكذب وجراءة كل عمل الفضيحة لهم فى كذبهم و عجزا منهم عن كسر الحق ونصر الباطل فاعلموا ان كل مانسبوه الينا من قولنا ان من قطع مكانا أو شيئا بالمشى أو بالجلمتين فانما قطع مالانهاية له فباطل ماقلناه قط بل ماقطع الا ذا نهاية بمساحته وزمانه وأما احتجاجنا على الدهرية بما ذكروا فصحيح هو حجتنا على الدهرية وأما ادعاؤهم اننا نقضنا ذلك فى هذا المكان فباطل والفرق بين ماقلناه من ان كل جزء فهو يتجزأ أبدا بلانهاية وبين مااحتججنا به على الدهرية من ايجاب النهاية بوجود القلة والكثرة فى اعداد الاشخاص والازمان وانكارنا عليهم وجود أشخاص وأزمان لانهاية لها بل هو حكم واحد وباب واحد وقول واحد ومعنى واحد وذلك ان الدهرية أثبتت وجود أشخاص قد خرجت الى الفعل لانهاية لعددها ووجود ازمان قد خرجت الى الفعل لانهاية لها وهذا محال ممتنع وهكذا قلنا فى كل جزء خرج الى حد الفعل فانها متناهية العدد بلاشك ولم نقل قط ان اجزائه موجودة منقسمة لانهاية لعددها بل هذا باطل محال ثم ان الله تعالى قادر على الزيادة فى الاشخاص وفى الازمان وفى قسمة الجزء ابدا بلانهاية لكن كل ماخرج الى الفعل او يخرج من الاشخاص او الازمان او تجزئة الاجزاء فكل ذلك متناه بعدده اذا خرج وهكذا ابدا واما مالم يخرج الى حد الفعل بعد من شخص او زمان او تجزى فليس شيئا ولاهو عددا ولامعدودا ولايقع عليه عدد ولاهو شخص بعد ولازمان ولاجزؤ وكل ذلك عدم وانما يكون جزء اذا جزىء بقطع او برسم مميز لاقبل ان يجزء وبهذا تبين غثاثة سؤالهم فى ايما اكثر اجزاء الخردلة او اجزاء الجبل او اجزاء الخردلتين لان الجبل اذا لم يجزأ والخردلة اذا لم تجزأ والخردلتان اذا لم تجزآ فلا اجزاء لها اصلا بعد بل الخردلة جزؤ واحد والجبل جزؤ واحد والخردلتان كل واحدة منهما جزؤ فاذا قسمت الخردلة على سبعة اجزاء وقسم الجبل جزاين وقسمت الخردلتان جزئين جزئين فالخردلة الواحدة بقى اكثر من اجزاء من الجبل والخردلتين لانها صارت سبعة اجزاء ولم يصر الجبل والخردلتان الاستة اجزاء فقط فلو قسمت الخردلة ستة اجزاء لكانت اجزاؤها واجزاء الجبل والخردلتين سواء ولو قسمت الخردلة خمسة أجزاء وكانت اجزاء الجبل والخردلتين اكثر من اجزاء الخردلة وهكذا فى كل شيء فصح انه لايقع التجزى فى شيء الا اذا قسم لاقبل ذلك فان كانوا يريدون فى ايهما يمكننا التجزئة اكثر فى الجبل والخردلتين ام فى الخردلة الواحدة فهذا مالاشك فيه ان التجزى امكن لنا فى الجبل وفى الخردلتين منه فى الخردلة الواحدة لان الخردلة الواحدة عن قريب تصغر اجزاؤها حتى لانقدر نحن على قسمتها ويتمادى لنا الامر فى الجبل كثيرا حتى انه يفنى عمر احد قبل ان يبلغ تجزئته الى اجزاء تدق عن قسمتنا واما قدرة الله عز وجل على قسمة ماعجزنا نحن عن قسمته من ذلك فباقية غير متناهية وكل ذلك عليه هين سواء ليس بعضه اسهل عليه من بعض بل هو قادر على قسمة الخردلة ابدا بلانهاية وعلى قسمة الفلك كذلك ولافرق وبالله تعالى التوفيق وبرهان ماقلناه ان الشيء قبل ان يجزأ فليس متجزئا فاذا جزىء نصفين او جزئين فهو جزءآن فقط فاذا جزىء على ثلاثة اجزاء فقط فهو ثلاثة اجزاء وهكذا ابدا واما من قال او ظن ان الشيء قبل ان ينقسم وقبل ان يتجزأ انه منقسم بعد ومتجزىء بعد فوسواس وظن كاذب لكنه محتمل الانقسام والتجزى وكل ماقسم وجزىء فكل جزؤ ظهر منه فهو معدود متناه وكذلك كل جسم فطوله وعرضه متناهيان بلاشك والله تعالى قادر على الزيادة فيهما أبدا بلانهاية الا ان كل ما زاده تعالى فى ذلك واخرجه الى حد الفعل فهو متناه ومعدود ومحدود وهكذا ابدا وكذلك الزيادة فى أشخاص العالم وفى العدد فان كل ما خرج الى حد الفعل من الاشخاص ومن الاعداد فذو نهاية والله تعالى قادر على الزيادة فى الاشخاص ابدا بلانهاية والزيادة فى العدد ممكنة ابدا بلانهاية الا ان كل ما خرج من الاشخاص والاعداد الى الفعل فحصته النهاية ولابد ثم نعكس هذا السؤال عليهم فنقول

لهم وبالله تعالى التوفيق أفضل عندكم قدرة الله تعالى على قسمة الجبل على قدرته على قسمة الخردلة وهل تأتي حال يكون الله فيها قادرا على قسمة أجزاء الجبل غير قادر على قسمة اجزاء الخردلة ام لا فان قالوا بل قدرة الله تعالى على قسمة الجبل اتم من قدرته على قسمة الخردلة واقروا بانه تأتي حال يكون الله تعالى فيها قادرا على قسمة اجزاء الجبل غير قادر على قسمة اجزاء الخردلة كفروا وعجزوا ربهم وجعلوا قدرته محدثة متفاضلة متناهية وهذا كفر مجرد وان ابوا من هذا وقالوا ان قدرة الله تعالى على قسمة الجبل والخردلة سواء وانه لا سبيل الى وجود حال يقدر الله تعالى فيها على تجزئة اجزاء الجبل ولا يقدر على تجزئة اجزاء الخردلة صدقوا ورجعوا الى قولنا الذى هو الحق وما عداه ضلال وباطل والحمد لله رب العالمين * والاعتراض الخامس هو ان قالوا هل لاجزاء الخردلة كل أم ليس لها كل وهل يعلم الله عدد اجزائها ام لا يعلمه * فان قلتم لا كل لها نفيتم النهاية عن المخلوقات الموجودات وهذا كفر وان قلتم ان الله تعالى لا يعلم عدد اجزائها كفرتم وان قلتم ان لها كلا وان الله تعالى يعلم اعداد اجزائها اقررتم بالجزء الذى لا يتجزأ (قال أبو محمد) وهذا تمويه لاذع ينبغي التنبيه عليه لئلا يجوز على أهل الغفلة وهو أنهم أقحموا لفظة كل حيث لا يوجد كل وسألوا هل يعلم الله تعالى عدد ما لا عدد له وهم فى ذلك كمن سأل هل يعلم الله تعالى عدد شعر لحية الاطلس أم لا وهل يعلم جميع أولاد العقيم أم لا وهل كل حركات أهل الجنة والنار ام لا بهذه السؤالات كسؤالهم ولا فرق * وجوابنا فى ذلك كله ان الله عز وجل انما يعلم الاشياء على ما هي عليه لا على خلاف ما هى عليه لان من علم الشيء على ما هو عليه فقد علمه حقا وأما من علم الشيء على خلاف ما هو عليه فلم يعلمه بل جهله وحاشا لله من هذه الصفة فما لا كل له ولا عدد له فانما يعلمه الله عز وجل ان لا عدد له ولا كل وما علم الله عز وجل قط عددا ولا كلا الا لما له عدد وكل لا لما لا عدد له ولا كل وكذلك لم يعلم الله عز وجل قط عدد شعر لحية الاطلس ولا علم قط ولد العقيم فكيف ان يعرف لهم كلا وكذلك لم يعلم الله عز وجل قط عدد أجزاء الجبل ولا الخردلة قبل ان يجزآ لانهما لا جزء لهما قبل التجزئة وانما علمهما غير متجزئين وعلمهما محتملين للتجزى فاذا جزئا علمهما حينئذ متجزئين وعلم حينئذ عدد اجزائهما ولم يزل تعالى يعلم انه يجزىء كل ما لا يتجزء ولم يزل يعلم عدد الاجزاء التي لا تخرج فى المستأنف الى حد الفعل ولم يزل يعلم عدد ما يخرج من الاشخاص بخلقه فى الابد الى حد الفعل او لم يزل يعلم انه لا أشخاص زائدة على ذلك ولا اجزاء لما لم يقسم بعد وكذلك ليس للخردلة ولا للجبل قبل التجزى اجزاء اصلا واذ ذلك كذلك فلا كل هاهنا ولا بعض فهذا بطلان سؤالهم والحمد لله رب العالمين ثم نعكس عليهم هذا السؤال فنقول لهم وبالله تعالى التوفيق اخبرونا عن الشخص الفرد من خردلة او برة اوشعرة او غير ذلك اذا جزأتا كل ذلك جزئين او اكثر متى حدثت الاجزاء أحين جزئت ام قبل ان يجزء فان قالوا قبل ان يجزء ناقضوا أسمج مناقضة لانهم اقروا بحدوث اجزاء كانت قبل حدوثها وهذا سخف وان قالوا انما حدثت لها الاجزاء حين جزئت لا قبل ذلك سألناهم متى علمها الله تعالى متجزئة حين حدث فيها التجزى ام قبل ان يحدث فيها التجزي فان قالوا بل حين حدث فيها التجزى صدقوا وأبطلوا قولهم فى أجزاء الخردلة وان قالوا بل علم انها متجزئة وان لها اجزاء قبل حدوث التجزى فيها جهلوا ربهم تعالى اذ اخبروا انه يعلم الشيء بخلاف ما هو عليه ويعلم اجزاء لما لا اجزاء له وهذا ضلال وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) هذا كل ما موهوا به لم ندع لهم منه شيئا الا وقد اوردناه وبينا انه كله لا حجة لهم فى شيء منه وانه كله عائد عليهم وحجة لنا والحمد لله رب العالمين ثم نبتدىء بحول الله تعالى وقوته بايراد البراهين الضرورية على ان كل جسم في العالم فانه متجزئ محتمل للتجزئة وكل جزء من جسم فهو أيضا جسم محتمل

للتجزي وهكذا ابدا و بالله تعالى نتأيد

(قال ابو محمد) يقال لهم و بالله تعالى نستعين اخبرونا عن هذا الجزء الذي قلتم انه لا يتجزى أهو في العالم أم ليس في العالم ولا سبيل الى قسم ثالث فان قالوا ليس هو في العالم صدقوا وأبطلوه الا انهم يلزمهم قول فاحش وهو انهم يقولون ان جميع العالم مركب من اجزاء لا تتجزأ والكل ليس هو شيئا غير تلك الاجزاء فان كانت تلك الاجزاء ليست في العالم فالعالم عدم ليس في العالم وهذا تخليط كما ترى وان قالوا بل هو في العالم قلنا لهم لا يخلوا ان كان في كرة العالم من ان يكون إما قائما بنفسه حاملا واما ان يكون محمولا غير قائم بنفسه لا بد ضرورة من احد الامرين اذ ليس العالم كله الا على هذين القسمين فان كان محمولا غير قائم بنفسه فهو عرض من الاعراض وان كان حاملا قائما بنفسه ذا مكان فهو جسم وثم يقال لهم اخبرونا عن الجزء الذي ذكرتم انه لا يتجزأ وهو على قولكم في مكان لانه بعض من ابعاض الجسم هل الملاقي منه للمشرق هو الملاقي للمغرب ام غيره وهل المحاذي منه للسماء هو المحاذي منه للارض أم هو غيره فان قالوا كل ذلك واحد والملاقي منه للمشرق هو الملاقي منه للمغرب والمحاذي منه للسماء هو المحاذي منه للارض أتوا باحدى العظائم وجعلوا جهة المشرق منه هي جهة المغرب وجعلوا السماء والارض منه في جهة واحدة وهذا حمق لا يأتيه الا الموسوس ومكابرة للعيان لا يرضاها انسان سالم البنية وان قالوا بل الملاقي منه للمشرق هو غير الملاقي منه للمغرب وان السماء والارض منه في جهتين متقابلتين فوق وأسفل صدقوا وهكذا جهة الجنوب والشمال فاذ ذلك كذلك بلا شك فقد صح انه ذو جهات ست متغايرة وهذا اقرار منهم بانه ذو اجزاء اذ قطعوا بان الملاقي منه للمغرب غير الملاقي منه للمشرق ومن للتبعيض وبطل قولهم من قرب والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) فان أرادوا الزامنا مثل هذا في العرض قلنا ليس للعرض جهة ولا له مكان ولا يقوم بنفسه ولا يحاذي شيئا وانما يحاذي الاشياء حامل العرض لا العرض اذ لو ارتفع العرض لبقي حامله في ذلك المكان كما كان محاذيا من جميع جهاته ما كان يحاذي حين حمله للعرض سواء سواء ولو ارتفع في قولكم الجزء الذي لا يتجزأ لبقي مكانه خاليا منه وقد اوضحنا ان عرضين واعراضا تكون في جسم واحد في جهة واحدة منه وهم لا يختلفون في ان جزئين كل واحد منهما لا يتجزأ فلا يمكن البتة ان يكونا جميعا في مكان واحد بل لكل واحد منهما عندهم مكان غير مكان الآخر وبرهان آخر وهو انهم يقولون ان الجزء الذي لا يتجزأ لا طول له ولا عرض ولا عمق فنقول لهم وبالله تعالى التوفيق اذا اضفتم الى الجزء الذي لا يتجزأ عندكم جزءا آخر مثله لا يتجزأ أليس قد حدث لهما طول فلا بد من قولهم نعم لا يختلفون في ذلك ولو انهم قالوا لا يحدث لهما طول الزمهم مثل ذلك في اضافة جزء ثالث ورابع واكثر حتى يقولوا ان الاجسام العظام لا طول لها ويحصلوا في مكابرة العيان فنقول لهم اذا قلتم ان جزءا لا يتجزأ لا طول له اذا ضم اليه جزء آخر لا يتجزأ ولا طول له فانهما يحدث له طول فقولوا لنا هل يخلو هذا الطول الحادث عندكم من احدى ثلاثة اوجه لا رابع لها اما ان يكون هذا الطول لاحدهما دون الآخر او لا لواحد منهما او لكليهما فان قلتم ليس هذا الطول لهما ولا لواحد منهما فقد اوجبتم طولا لا لطويل وطولا قائما بنفسه والطول عرض والعرض لا يقوم بنفسه وصفة والصفة لا يمكن ان توجد الا في موصوف بها ووجود طول لا لطويل مكابرة ومحال وان قلتم ان ذلك الطول هو لاحد الجزئين دون الآخر فقد احلتم واتيتم بما لا شك بالحس وضرورة العقل في بطلانه ولزمكم ان الجزء الذي لا يتجزأ له طول واذا كان له طول فهو بلا شك يتجزأ وهذا ترك منكم لقولكم مع انه ايضا محال لا بد يجمع هذا انه يتجزى ولا يتجزى وان قلتم ان ذلك الطول للجزئين معا صدقتم واقررتم بالحق في أن كل جزء منهما فله قسط من الطول والقسط من الطول طول بلا شك واذا كان كل واحد منهما له طول فكل واحد منهما يتجزأ وهذا خلاف قولكم انه لا يتجزى وهذا

برهان ضروري أيضا لامحيد عنه وبالله تعالى التوفيق برهان آخر

﴿قال ابو محمد﴾ ونقول لهم أيما أطول جزآن لايتجزأ كل واحد منهما وقد ضم أحدهما الى الاخر أم أحدهما غير مضموم الى الاخر فلايجوز ان يقول أحد الا ان الجزئين المضمومين أطول من أحدهما غير مضموم الى الاخر فاذ ذلك كذلك فمن المحال الممتنع الباطل ان يقال فى شىء هذا أطول من هذا الاوفى الاخر طول دون طول ماهو أطول منه فقد صح ضرورة ان الطول موجود لكل جزء قالوا فيه انه لايتجزأ واذا كان له طول فهو منقسم بلا خلاف من أحد مناومنهم وهكذا القول فى عرضهما ان ضم أحدهما الى الآخر وفى عمقهما كذلك ولابد من ان يكون لكل واحد منهما حصة من العرض والعمق واذ ذلك كذلك ضرورة فكل جزء قالوا فيه انه لايتجزى فلابد من ان يكون له طول وعرض وعمق واذ ذلك كذلك فهو جسم يتجزأ ولابد وهذا أيضا برهان ضروري لامحيد عنه وبالله تعالى التوفيق * وقد رام أبو الهذيل التخلص من هذا الالزام فهد ذلك عليه لانه رام محالا فقال ان الطول الحادث للجزئين عند اجتماعهما انما هو كالاجتماع الحادث لهما ولم يكن لهما ولا لاحدهما اذ كانا منفردين

﴿قال ابو محمد﴾ وهذا تمويه ظاهر لان الاجتماع هو ضم أحدهما الى الآخر نفسه ليس هو شيئا آخر ولم يكونا قبل الضم والجمع مضمومين ولامجتمعين وليس معنى الطول والعرض والعمق كذلك بل هو شىء آخر غير الضم والجمع وانما هو صفة للطويل مضموما كان الى غيره اوغير مضموم ولايوجب الجمع والضم طولا لم يكن واحنا فى الضم والجمع فلم يرد ابو الهذيل على ان قال لما اجتمعا صارا مجتمعين وصارا طويلين وهذه دعوى فاسدة ونظر مدخل لان قوله لما اجتمعا صارا مجتمعين صحيح لاشك فيه وقوله وصارا طويلين دعوى مجردة من الدليل جملة وماكان هكذا فهو باطل وأيضا فان الاجتماع لما حدث بينهما طل معنى آخر كان موجوداً فيهما وهو الافتراق الذى هو ضد الاجتماع فاخبرونا اذا حدث الطول بزعمكم فاى شىء هو المعنى الذى ذهب بوجود الطول وعاقبة الطول ولاسبيل لهم الى وجوده فصح ان الطول كان موجودا فى كل جزء على انفراده وكذلك العرض والعمق ثم لما اجتمعا زاد الطول والعرض والعمق وهكذا أبدا وبالله تعالى التوفيق وهذا هو الذي تشهد له الحواس والمشاهدة والعقل والحمد لله رب العالمين *وبرهان آخر وهو ان الجرم ان كان أحمر فكل جزء من أجزائه أحمر بلا شك فان قالوا ليس أحمر قلنا لهم فله أخضر أو أصفر أوغير ذى لون وهذا عين المحال لان الكل قدبينا انه ليس هو شيئا غير اجزائه فلوكان لون أجزائه غير لونه كله لكان لونه غير لونه وهذا محال فاذ لاشك فيما ذكرنا فالجزء الذي يدعون انه لايتجزأ هو دولون بلاشك واذهو ذو لون فهو جسم لايعقل غير ذلك فهو يتجزى

﴿قال ابو محمد﴾ وقالت الاشعرية ههنا كلاما طريفا وهو انهم قالوا هو ذو لون واحد

﴿قال ابو محمد﴾ كل ما هو فهو ذو لون واحد لا ذو الوان كثيرة الاان يكون ابلق اوموشى برهان آخر ان وجود شىء فى العالم قائم بنفسه ليس جسما ولا عرضا ولا قابلا للتجزىء ولا طول له ولا عرض ولا عمق فهو محال ممتنع اذ هذا المذكور ليس شيئا غير البارى تعالى وجل تعالى ان يكون له فى العالم شبه وبهذا بان عز وجل عن مخلوقاته ولم يكن له كفوا احد وليس كمثله شىء برهان اخر

(قال ابو محمد) كل شىء يحتمل ان يكون له اجزاء كثيرة فبالضرورة ندري انه يحتمل ان يجزأ الى اقل منها هذا مالا تخالف العقول والاحساس فيه شىء احتمل ان ينقسم على اربعة اقسام فلاشك انه يحتمل ان ينقسم على ثلاثة وعلى اثنين وهكذا فى كل عدد دون ذلك فى هذا ممايدفع الضرورة وينكره العقل فلواقتطعنا من ثلاثة أجزاء كل جزء منها

لا يتجزأ على قولهم أو يعمل ذلك الخط من عشرة أجزاء وكذلك من الف جزء اكذلك او مما زاد فانه لا يختلف احد فى ان الخط الذى هو من ثلاثة اجزاء فانه ينقسم اثلاثا فى موضعين وان الذى هو اربعة اجزاء فانه ينقسم ارباعا فى ثلاثة مواضع وان الذى من الف جزؤ فانه ينقسم اعشارا ونصفين واذ لا شك فى هذا فبيقين لا محيد عنه يدرى كل ذي حس سليم ولوانه عالم اوجاهل ان ما انقسم اثلاثا فانه ينقسم نصفين مستويين وما انقسم ارباعا فانه ينقسم اثلاثا مستوية وان ما كان من الخطوط له اعشار واخماس ونصف واثلاث واسداس واسباع متساوية فاذ لا شك فى هذا فان القسمة لا بد ان تقع فى نصف جزء منها اوفي اقل من نصفه فصح ان كل جسم فهو يتجزأ ضرورة وان الجزء الذى لا يتجزء باطل معدوم من العالم وهذا مالا مخلص لهم منه وبالله تعالى التوفيق * برهان آخر

(قال أبو محمد) بلا شك نعلم ان الخطين المستقيمين المتوازيين لا يلتقيان أبدا ولو مدا عمر العالم ابدا بلا نهاية ⎯ وانك ان مددت من الخط الاعلى الى الخط المقابل له خطين مستقيمين متوازيين قام منهما مربع بلا شك |⎯| فاذا اخرجت من زاويه ذلك المربع خطا منحدرا من هنالك الى الخط الاسفل فان تلك الخطوط المخرجة من الضلع الذى ذكرنا وتلك الخطوط المخرجه من الزاوية لا تمر مع الخط الاعلى ابدا لانها غير موازية له فاذ ذلك كذلك فذلك الضلع منقسم ابدا لا بدما اخرجت الخطوط بلانهاية * برهان آخر

(قال أبو محمد) وبالضرورة ندرى أن كل مربع متساوي الاضلاع فان الخط القاطع من الزاويه العليا الى الزاوية التى لا توازيها يقوم منه فى المربع مثلثان متساويان |⎯| وانه لا شك أطول من كل ضلع من أضلاع ذلك المربع على انفراده فنسألهم عن مائة جزء لا تتجزأ رتبت متلاصقة عشرة عشرة فبالضرورة نجد فيها ما ذكرنا فبيقين نعلم حينئذ أن كل جزء من الاجزاء المذكورة لولا أن له طولا وعرضا لما كان الخط المار بها القاطع المربع القائم منها على مثلثين متساويين أطول من الخط المار بكل جهة من جهات ذلك المربع على استواء وموازاة لخطوط الاربعة المحيطة بذلك المربع وهو اطول منه بلاشك فصح ضرورة ان لكل جزء منها طولا وعرضا وأن ماله طول وعرض فهو متجزء بلاشك وصح ايضا بما ذكرنا ان كل جزء مر عليه الخط المذكور فقد انقسم |⎯| برهان آخر وأيضا فانا لو اقمنا خطا من اجزاء لا تتجزأ على قولهم مستقيما ثم أدرناه حتى يلتقى طرفاه ويصير دائرة فبالضرورة يدري كل ذى حس سليم ان الخط اذا ادير حتى يلتقي طرفاه فان ما قابل من أجزائه مركز الدائرة أضعف مما قابل منها خارج الدائرة فاذ ذلك كذلك فهذا لازم فى هذا الخط المدار بلاشك واذ لا شك فى هذا فقد فصل من أحد طرفي الجزء الذى لا يتجزأ عندهم فضلة على طرفه الآخر وهكذا كل جزء من تلك الاجزاء بلا شك فصح ضرورة أنه محتمل الانقسام ولا بد وبالله تعالى التوفيق * برهان آخر سألهم عن دائرة قطرها أحد عشر جزءا لا يتجزأ كل واحد منها عندهم أو أى عدد شئت على الحساب فادرنا ان نقسمها بنصفين على السواء ولا خلاف فى أن هذا ممكن فبالضرورة ندرى أن الخط القاطع على قطر الدائرة من المحيط الى ما قابله من المحيط مارا على مركزها لا يقع البتة الا فى انصاف تلك الاجزاء فصح ضرورة أنها تتجزأ ولولم يمر ذلك الخط على انصافها لما قسم الدائرة بنصفين وبالله تعالى التوفيق * برهان آخر وهو أن نسألهم عن الجزء الذى لا يتجزأ الذى يحققونه اذا وضع على سطح زجاجة ملساء مستوية هل له حجم زائد على سطحها أم لا حجم له زائد على سطحها فان قالوا لا حجم له زائد على سطحها أعدموه ولم يجعلوا له مكانا

ولا جعلوه متمكنا أصلا فنسألهم عن جزئين جعلا كذلك فلا بد من قولهم ان لهما حجما فنسألهم عن ذلك الحجم ألهما معا أم لأحدهما فأي ذلك قالوا أثبتوا ولا بد الحجم لهما وللجزء الذي هو احدهما واذا كان للجزء الذي لا يتجزأ حجم زائد فالذي لا شك فيه أن له ظلا واذا صح يقينا ان له ظلا فلا شك في ان الظل يزيد وينقص ويمتد ويتقلص ويذهب اذا سامتته الشمس فاذ ذلك كذلك فبيقين ندري ان ظله ينقص حتى يكون اقل من قدره واذ ذلك فقد ظهر ووجب ان له تجزيا ومقدارا متبعضا و برهان آخر وهو اننا نسألهم عن جزء لا يتجزأ من الحديد أو من الذهب وجزء لا يتجزأ من خيط قطن هل ثقلهما ووزنهما سواء ام الذي من الذهب أو الحديد أثقل من الذي من القطن فان قالوا ثقلهما ووزنهما سواء كابروا لزومهم هذا في ألف جزء كذلك من الذهب انهما ليستا أثقل من ألف جزء من القطن مجتمعة كانت الاجزاء أو متفرقة وهذا جنون ومكابرة وان قالوا بل الذي من الذهب أوزن وأثقل صدقوا وأوجبوا ان له تجزيا يتفاضل الوزن ضرورة ولا بد

﴿قال أبو محمد﴾ فهذه براهين ضرورية قاطعة بان كل جزء فهو يتجزأ أبدا بلا نهاية وان جزءا لا يتجزأ ليس في العالم اصلا ولا يمكن وجوده بل هو من المحال الممتنع وبالله تعالى التوفيق

﴿قال أبو محمد﴾ أما أبو الهذيل فخلط في هذا الباب وحق لمن رام نصر الباطل ان يخلط فقال ان الجزء الذي لا يتجزأ ذو حركة وسكون يتعاقبان عليه وانه يشغل مكانا لا يسع فيه معه غيره وانه اقرب الى السماء من مكانه الذي هو عليه من الارض وهذا غاية التناقض اذ ما كان هكذا فله مساحة بلا شك وهو ذو جهات ست فللمساحة أجزاء من نصف وثلث واقل واكثر وما كان ذا جهات فالذي منه في كل جهة غير الذي منه في الجهة الاخرى بلا شك وما كان هذا فهو محتمل للتجزي بلا شك وما عدا هذا فوسواس نعوذ بالله منه

(قال أبو محمد) في تخليطهم هذا اختلاف طريف أيضا فاجمعوا انه اذا ضم جزء ولا يتجزأ الى جزء لا يتجزأ فصار اثنين فقد حدث لهما طول ثم اختلفوا متى يصير جسما له طول وعرض وعمق فقال بعضهم اذا صار جزئين صار جسما وهو قول الاشعرية وقال بعضهم اذا صارا أربعة أجزاء وقال بعضهم بل اذا صارا ستة أجزاء واتفقوا على انه اذا صار ثمانية أجزاء فقد صار جسما له طول وعرض وعمق وكل هذا تخليط ناهيك به وجهل شديد كان الاولى باهله ان يتعلموا قبل ان يتكلموا بهذه الحماقات برهان ذلك أنهم لم يختلفوا أنهم اذا ضموا أربعة أجزاء لا تتجزأ وتحتها أربعة أجزاء لا يتجزأ فانه قد صار عندهم الجميع من هذه الاجزاء جسما طويلا عريضا عميقا

﴿قال أبو محمد﴾ وهذا الذي طاشت نفوسهم عليه وأنست عقولهم اليه في الثمانية وسهل على بعضهم دون بعض في ثلاثة اجزاء تحتها ثلاثة أجزاء اوفي جزئين تحتها جزآن ومنعوا كلهم من ذلك في جزء على جزء حاشا الاشعرية فانه بعينه موجود على اصولهم المخذولة واقوالهم المرذولة في جزء على جزء على جزء سواء بعينه وذلك ان أربعة أجزاء على اربعة أجزاء فانما الحاصل منها جزء على جزء فقط من كل جهة فاذا جعلوا الاربعة على الاربعة طولا فانما جعلوه في جزء الى جنب جزء كذلك فعلوا في العرض وكذلك فعلوا في العمق واذا هو كذلك والطول عندهم يوجد في جزء الى جنب جزء والعرض يوجد بجنب الطول لان العرض لا يكون اكثر من الطول اصلا والعمق موجود فيهم أيضا فظهر ان لكل جزء منها طولا وعرضا وعمقا ومكانا وجهات ووجب ضرورة بهذا انه يتجزأ ولاح جهلهم وخطؤهم وبالله تعالى التوفيق

(قال)

﴿قال أبو محمد﴾ فاذا قد بطل قولهم فى الجزء الذى لا يتجزأ وفى كل ما أوجبوه انه جوهر لا جسم ولا عرض فقد صح ان العالم كله حامل قائم بنفسه ومحمول لايقوم بنفسه ولا يمكن وجود أحدهما متخليا فالمحمول هو العرض والحامل هو الجوهر وهو الجسم سمه كيف شئت ولا يمكن فى الوجود غيرهما وغير الخالق لهما تعالى وبالله تعالى التوفيق

﴿قال أبو محمد﴾ وقال هؤلاء الجهال ان العرض لا يبقى وقتين وانه لا يحمل عرضا

﴿قال أبو محمد﴾ وقد كلمناهم فى هذا وتقرينا كتبهم فما وجدنا لهم حجة فى هذا أصلا أكثر من ان بعضهم قال لو بقى وقتين لشغل مكانا

﴿قال أبو محمد﴾ وهذه حجة فقيرة الى حجة ودعوى كاذبة نصر بها دعوى كاذبة ولا عجب أكثر من هذا ثم لو صحت لهم للزمهم هذا بعينه فيما جوزوه من بقاء العرض وقتا واحدا ويقال لهم ما الفرق بينكم وبين من قال لو بقى العرض وقتا واحدا لشغل مكانا وبيقين يدرى كل ذى حس سليم انه لافرق فى اقتضاء المكان بين بقاء وقت واحد وبين بقاء وقتين فصاعدا فان أبطلوا بقاءه وقتا لزمهم انه ليس باقيا أصلا واذا لم يكن باقيا فليس موجودا أصلا واذ لم يكن موجودا فهو معدوم فحصلوا من هذا التخليط على نفى الاعراض ومكابرة العيان ويقال لهم ما الفرق بينكم وبين من قال بل يبقى وقتين ولا يبقى ثلاثة أوقات اذ لو بقى ثلاثة أوقات لشغل مكانا وكل هذا هوس وليس من أجل البقاء وجب اقتضاء الباقي المكان لكن من أجل انه طويل عريض عميق فقط ولا مزيد وقد قال بعضهم ان الشيء فى حين خلق الله تعالى له ليس باقيا ولا فانيا وهذه دعوى فى الحمق كما سلف لهم ولا فرق وهى مع ذلك لا تعقل ولا يتمثل فى الوهم ان يكون فى الزمان أو فى العالم شيء موجود ليس باقيا ولا فانيا

﴿قال أبو محمد﴾ ولا عجب أعجب من حمق من قال ان بياض الثلج وسواد القار وخضرة البقل ليس شيء منها الذى كان آنفا بل هى فى كل حين ويستعيض الف الف بياض وأكثر والف الف خضرة وأكثر هذه دعوى عارية من الدليل الا انها جمعت السخف مع المكابرة

﴿قال أبو محمد﴾ والصحيح من هذا هو ما قلناه ونقوله ان الاعراض تنقسم أقساما فمنها ما لا يزول ولا يتوهم زواله لا بفساد ما هو فيه لو أمكن ذلك كالصورة الكلية أو كالطول والعرض والعمق ومنها ما لا يزول ولا يتوهم زواله الا بافساد حامله كالاسكار فى الخمر ونحو ذلك فانها ان لم تكن مسكرة لم تكن خمرا وهكذا كل صفة يحدها ما هى عليه ومنها ما لا يزول الا بفساد حامله الا انه لو توهم زائلا لم يفسد حامله كزرق الازرق وفطس الافطس فلو زالا لبقى الانسان انسانا بحسبه ومنها ما يبقى مددا طوالا وقصارا وربما زايل ماهو فيه كسواد الشعر وبعض الطعوم والخشونة والاملاس فى بعض الاشياء والطيب والنتن فى بعضها والسكون والعلم وكبعض الالوان التى تستحيل ومنها ما يسرع الزوال كحمرة الخجل وكمدة الهم وليس من الاعراض شيء يفنى بسرعة حتى لا يمكن ان يضبط مدة بقائه الا الحركة فقط على انها بضرورة العقل والحس يدرى ان حركة الجزء من الفلك التى تقطع الفلك بنصفين من شرق الى غرب أسرع من حركة الجزء منه الذى حوالى القطبين لان كل هذين الجزأين يرجع الى مكانه الذى بدأ منه فى أربع وعشرين ساعة وبين دائرتيهما فى الكبر ما لا يكون مساحة خط دائرة أو خط مستقيم أكثر منه فى العالم وبيقين يدرى ان حركة المذعورة فى طيرانها أسرع من حركة السلحفاة فى مشيها وان حركة المنساب فى الحدور أسرع من حركة الماء الجارى فى مسيل النهر وان حركة العصر فى الجرى أسرع من حركة الماشى فصح يقينا ان خلال الحركات أيضا

هذا اقامة يتفاضل في مدته لان الحركات كلها انما هي نقلة من مكان الى مكان فالمتحرك مقابلة ولا بد لكل جرم مر عليه ففي تلك المقابلات يكون التفاضل في السرعة أو في البطء الا أنه لا يحس أجزاؤه ولا تضبط دقائقه الا بالعقل فقط الذي به يعرف زيادة الظل والشمس ولا يدرك ذلك بالحس الا اذا اجتمعت منه جملة ما فانه حينئذ يعرف بحس البصر كما لا يدرك بالحواس نماء النامي الا اذا اجتمعت منه جملة ما وكما يعرف بالعقل لا بالحس ان لكل خردلة جزءاً من الاثقال فلا يحس الا اذا اجتمعت منه جملة ما وكذلك الشبع والري وكثير من أعراض العالم فتبارك خالق ذلك هو الله أحسن الخالقين وأما قولهم ان العرض لا يحمل العرض فكلام فاسد مخالف للشريعة وللطبيعة وللعقل وللحواس ولاجماع جميع ولد آدم لانا لا نختلف في أن نقول حركة سريعة وحركة بطيئة وحمرة مشرقة وخضرة أشد من خضرة وخلق حسن وخلق سيء وقال تعالى * ان كيدهن عظيم * وقال تعالى * فصبر جميل * وحسبك فسادا بقول أدى الى هذا ومن أحال على العيان والحس والمعقول وكلام الله تعالى فقد فاز قدحه وخسرت صفقة من خالفه

(قال أبو محمد) ولسنا نقول ان عرضا يحمل عرضا الى ما لا نهاية له بل هذا باطل ولكن كما وجد وكما خلق البارى تعالى ما خلق بلا مزيد وما عدا هذا فرقة دين وضعف عقل وقلة حياء ونعوذ بالله من هذه الثلاث وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

الكلام في المعارف

(قال أبو محمد) اختلف الناس في المعارف فقال قائلون المعارف كلها باضطرار اليها وقال آخرون المعارف كلها باكتساب لها وقال آخرون بعضها باضطرار وبعضها باكتساب

(قال أبو محمد) والصحيح في هذا الباب ان الانسان يخرج الى الدنيا ليس عاقلا لا معرفة له بشيء كما قال عز وجل * والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا

(قال أبو محمد) فحركاته كلها طبيعية كأخذه الثدي حين ولادته وبصره وتصرف البهائم على حسبها في آلامها وطربها حتى اذا كبر وعقل وتقوت نفسه الناطقة وأنست بما صارت فيه وسكنت اليه وبدت رطوباته تخف بدأت تميز الامور في الدار التي صارت فيها فيحدث الله تعالى لها قوة على التفكر واستعمال الحواس في الاستدلال ويحدث الله تعالى لها الفهم بما تشاهد وما تخبر به فطريقه الى بعض المعارف اكتساب في أول توصله اليها لانه بأول فهمه ومعرفته عرف ان الكل أكثر من الجزء وان جسما واحدا لا يكون في مكانين وانه لا يكون قاعداً قائما معا وهو ان لم يحسن العبارة عن ذلك فان أحواله كلها تقتضي تيقنه كل ما ذكرنا بعرف أو لا صحة ما أدرك بحواسه ثم انتجت له بعد ذلك سائر المعارف فقد باستدراجه الى ما ذكرنا من قرب أو بعد فكل ما ثبت عنده ببرهان وان كان بعد الرجوع الى ما ذكرنا فمعرفته بنفسه اضطرارية لانه لو رام جهده أن يزيل عن نفسه المعرفة بما ثبت عنده هذا الثبات لم يقدر واذ هذا لا شك فيه فالمعارف كلها اضطرار اذ ما لم يعرفه بيقين فانما هو ظن وما عرفه فليس عليه [illegible] لا شك فيه [illegible] الى طالب البرهان طالب وهذا الطلب هو الاستدلال ولو شاء أن لا يستدل لقدر [illegible] الحركة [illegible] وأما ما كان مدركا بأول العقل والحواس فليس فيه استدلال أصلا الا من قبل هذه الجهات يعتدي كل أحد بالاستدلال وبالرد الى ذلك فيصح استدلاله أو يبطل وحد العلم بالشيء وهو المعرفة به أن نقول العلم والمعرفة اسمان واقعان على معنى واحد وهو اعتقاد الشيء

على

على ماهو عليه وتيقنه به وارتفاع الشكوك عنه ويكون ذلك اما بشهادة الحواس وأول العقل واما ببرهان راجع من قرب أو من بعد الى شهادة الحواس أو أول العقل واما باتفاق وقع له فى مصادفة اعتقاد الحق خاصة بتصديق ما افترض الله عز وجل عليه اتباعه خاصة دون استدلال وأما علم الله تعالى فليس محدودا أصلا ولا يجمعه مع علم الخلق حد ولا جنس ولا شيء أصلا وذهبت الاشعرية الى أن علم الله تعالى واقع مع علمنا تحت حد واحد

(قال أبو محمد) وهذا خطأ فاحش اذ من الباطل أن يقع ما لم تزل النهايات وعلم الله تعالى ليس هو غير الله تعالى على ما بينا قبل وبالله تعالى التوفيق

(قال أبو محمد) قالت طوائف منهم الاشعرية وغيرهم من اتفق له اعتقاد شيء على ما هو به عن غير دليل لكن بتقليد أو بميل بارادته فليس عالما به ولا عارفا به ولكنه معتقد له وقالوا كل علم ومعرفة اعتقاد وليس كل اعتقاد علما ولا معرفة لان العلم والمعرفة بالشيء انما يعبر بهما عن تيقن صحته قالوا وتيقن الصحة لا يكون الا ببرهان قالوا وما كان بخلاف ذلك فانما هو ظن ودعوى لا تيقن بها اذ لو جاز ان يصدق قول بلا دليل لما كان قول اولى من قول ولكانت الاقوال كلها صحيحة على تضادها ولو كان ذلك لبطلت الاقوال ولبطلت الحقائق كلها لان كل قول يبطل كل قول سواه فلو صحت الاقوال كلها لبطلت كلها لانه لو كان يكون كل قول صادقا فى ابطاله ما عداه

(قال أبو محمد) فنقول وبالله تعالى التوفيق ان التسمية والحكم ليس الينا وانما هما الى خالق اللغات وخالق الناطقين بها وخالق الاشياء ومرتبها كما شاء لا اله الا هو قال عز وجل منكرا على من سمى من قبل نفسه * ان هى الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان * وقال تعالى * ولا تقف ما ليس لك به علم * فنهى الله عز وجل كل أحد عن أن يقول ما ليس له به علم ووجدناه عز وجل يقول فى غير موضع من القرآن * يا أيها الذين آمنوا * وقال تعالى * وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا * وقال تعالى * فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين * فخاطب الله تعالى بهذه النصوص وغيرها وكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مؤمن فى العالم الى يوم القيامة ويقين ندرى انه قد كان فى المؤمنين على عهده عليه السلام ثم من بعده عصرا عصرا الى يوم القيامة المستدل وهم الاقل وغير المستدل كمن اسلم من الزنج ومن الروم والفرس والاماء وضعفة النساء والرعاة ومن نشأ على الاسلام بتعليم أبيه او سيده اياه وهم الاكثر والجمهور فسماهم عز وجل مؤمنين وحكم لهم بحكم الاسلام وهذا كله معروف بالمشاهدة والضرورة وقال تعالى * آمنوا بالله ورسوله * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وانى رسول الله ويؤمنوا بما أرسلت به فصح يقينا انهم كلهم مامورون بالقول بجميع ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم وان كل من صدعنه فهو كافر حلال دمه وماله فلو لم يؤمن بالقول بالايمان الا من عرفه من طريق الاستدلال لكان كل من لم يستدل ممن ذكرنا منهيا عن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وعن القول بتصديقه لانه عند هؤلاء القوم ليسوا عالمين بذلك وهذا خلاف القرآن والسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجماع الامة المتيقن أما القرآن والسنة فقد ذكرناهما وأما اجماع الامة فمن الباطل المتيقن أن يكون الاستدلال فرضا لا يصح ان يكون احد مسلما الا به ثم يغفل الله عز وجل ان يقول لا تقبلوا من أحد انه مسلم حتى يستدل او يأتى تعالى بذلك او تعمد عز وجل ترك ذكر ذلك اضلالا لعباده وتركه ذلك رسوله صلى الله عليه وسلم اما عمدا أو قصدا الى الضلال والاضلال او نسيانا الى ان اهتدى له هؤلاء وتنبهوا اليه وهم من هم بلادة وجهلا

وسقوطا هـذا لا يظنه الا كافر ولا يحققه الا مشرك فما قال قط رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل قرية او حلة اوحي ولا لراع ولا لراعية ولا للزنج ولا للنساء لا اقبل اسلامكم حتى أعلم المستدل من غيره فاذا لم يقل عليه السلام ذلك فالقول به واعتقاده افك وضلال وكذلك اجمع جميع الصحابة رضي الله عنهم على الدعاء الى الاسلام وقبوله من كل واحد دون ذكر استدلال ثم هكذا جيلا فجيلا حتى حدث من لا قدر له فان قالوا قد قال الله عز وجل ❊ قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ❊ قلنا نعم وهذا حق وانما قاله الله عز وجل لمن خالف الحق الذي امر عز وجل الجن والانس باتباعه وهكذا القول ان كل من قال قولا خالف فيه ما امر الله عز وجل باتباعه فسواء استدل بزعمه ام لم يستدل هذا مبطل غير معذور الا من عذره الله عز وجل فيما عذره فيه كالمجتهدين من المسلمين يخطئا قاصدا الى الحق فقط ما لم تقم عليه الحجة فيعاند واما من اتبع الحق فما كلفه الله عز وجل قط برهانا والبرهان قد ثبت بصحة كل ما امر الله تعالى به فسواء علمه فتم الرسول صلى الله عليه وسلم بعلمه حسبه أنه عالم بالحق معتقد له موقن به وان جهل برهانه الذي قد علمه غيره وهـذا خلق الله عز وجل الايمان والعلم في نفسه كما خلقه في نفس المستدل ولا فرق قال تعالى ❊ اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا ❊ فسماهم داخلين في دينه وان كانوا افواجا وما شرط الله عز وجل قط اولا بينه له صلى الله عليه وسلم ان يكون ذلك باستدلال بل هـذا شرط من شرط ذلك مما قذفه الشيطان في قلبه وعلى لسانه ليخرجه الى تكفير الامة ولا عجب أعجب من اطباق هذه الطائفة الضالة المخذولة على انه لا يصح لاحد ايمان حتى يستدل على ذلك ولا يصح لاحد استدلال حتى يكون شاكا في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم غير مصدق بها فاذا كان ذلك صح له الاستدلال والا فليس مؤمنا فهل سمع بالحمق أو ادخل في الحمق والكفر من قول من قال لا يؤمن احد حتى يكفر بالله تعالى وبالرسول صلى الله عليه وسلم وان من آمن بهما ولم يكفر بهما قط فهو كافر مشرك برأ الى الله تعالى من كل من قال بهذا

❊قال ابو محمد❊ فهذان طريقان لا ثالث لهما كل طريق منها تنقسم قسمين أحدهما من اتبع الذي امره الله عز وجل باتباعه وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا مؤمن عالم حقا سواء استدل او لم يستدل لأنه فعل ما امره الله تعالى به ثم ينقسم هؤلاء قسمين احدهما من لم يتبع قط غيره عليه الصلاة والسلام ووافق الحق بتوفيق الله عز وجل فهذا في كل عقد اعتقده اجران واما ان يكون حرم موافقة الحق وهو مريد في أمره ذلك اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا معذور ماجور اجرا واحدا ما لم تقم عليه الحجة فيعاندها وهـذا نص قوله عليه السلام في الحاكم المجتهد المصيب والمخطئ والطريق الثانية من اتبع غير الذي امره الله باتباعه فهذا سواء استدل أو لم يستدل هو مخطئ ظالم عاص لله تعالى وكافر على حسب ما جاءت به الديانة في امره ثم ينقسم هؤلاء قسمين أحدهما أصاب ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غير قاصد الى اتباعه عليه الصلاة والسلام فيه والآخر لم يصبه فكلاهما لا خير فيه وكلاهما آثم غير ماجور وكلاهما عاص لله عز وجل أو كافر على حسب ما جاءت به الديانة من أمره لأنهما جميعا تعديا حدود الله عز وجل وما أمرهم به من اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال تعالى ❊ ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ❊ ولا ينتفع باصابته الحق اذلم يصبه من الطريق التي لم يجعل الله طلب الحق وأخذه الا منها وقد علمنا ان اليهود والنصارى يوافقون الحق في كثير كاقرارهم بنبوة موسى عليه السلام وكتوحيد بعضهم لله تعالى فما انتفعوا بذلك اذلم يعتقدوه اتباعا لرسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم وكذلك من قلد فقيها فاضلا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عقده أنه لا يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان وافق قوله قول ذلك الفقيه فهذا فاسق فلا شك ان فعله غير معتقد له وهو كافر بلا شك ان اعتقده بقلبه أو نطق به بلسانه لمخالفته قول الله تعالى * فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما * فنفى الله عز وجل عن أهل هذه الصفة الايمان واقسم على ذلك ونحن ننفي ما نفى الله عز وجل عمن نفاه عنه ونقسم على ذلك ونوقن أننا على الحق في ذلك وأما من قلد فقيها فاضلا وقال انما اتبعه لانه اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا مخطىء لانه فعل من ذلك مالم يأمره الله تعالى به ولا يكفر لانه قاصد الى اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم مخطي للطريق في ذلك ولعله ماجور بنيته أجرا واحدا مالم تقم الحجة عليه بخطاء فعله فان ذكروا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث فتنة القبر وأما المنافق أو المرتاب فانه يقال له ماقولك في هذا الرجل يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول لا ادرى سمعت الناس يقولون شيئا فقلته

﴿قال أبو محمد﴾ هذا حق على ظاهره كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لا يقول هذا الا المنافق أو المرتاب لا المؤمن الموقن بل المؤمن الموقن ذكر في هذا الحديث أنه يقول هو عبد الله ورسوله أتانا بالهدى والنور أو كلاما هذا معناه أو نحو فانما أخبر عليه السلام عن موقن ومرتاب لا عن مستدل وغير مستدل وكذلك نقول أن من قال في نفسه أو بلسانه لولا انى نشأت بين المسلمين لم أكن مسلما وانما اتبعت من نشأت بينهم فهذا ليس مؤمنا ولا موقنا ولا متبعاً لما أمره الله تعالى باتباعه بل هو كافر

(قال أبو محمد) واذا كان قد يستدل دهره كله من لا يوفقه الله تعالى للحق وقد يوفق من لا يستدل يقينا لو علم ان أباه أو أمه أو ابنه أو امرأته أو أهل الارض يخالفونه فيه لاستحل دماءهم كلهم ولو خير بين أن يلقى في النار وبين أن يفارق الاسلام لاختار أن يحرق بالنار على أن يقول مثل هذا فلما اذ هو موجود فقد صح ان الاستدلال لا معنى له وانما المدار على اليقين والعقد فقط وبالله تعالى التوفيق

(قال أبو محمد) وانما يضطر الى الاستدلال من نازعته نفسه اليه ولم يسكن قلبه الى اعتقاد مالم يعرف برهانه فهذا يلزمه طلب البرهان حينئذ ليقي نفسه نارا وقودها الناس والحجارة فان مات شاكا قبل أن يصح عنده البرهان مات كافرا مخلدا في النار أبداً

(قال أبو محمد) ثم نرجع الى ما كنا فيه هل المعارف باضطرار ام باكتساب فنقول وبالله تعالى التوفيق أن المعلومات قسم واحد وهو ما عقد عليه المرء قلبه وتيقنه ثم هذا ينقسم قسمين أحدهما حق في ذاته قد قام البرهان على صحته والثاني لم يقم على صحته برهان وأما مالم يتيقن المرء صحته في ذاته فليس عالما به ولا له به علم وانما هو ظان له واما كل ما علمه المرء ببرهان صحيح فهو مضطر الى علمه به لانه لا مجال للشك فيه عنده وهذه صفة الضرورة واما الاختيار فهو الذى ان شاء المرء فعله وان شاء تركه

(قال ابو محمد) فعلمنا بحدوث العالم وان له بكل ما فيه خالقا واحدا لم يزل لا يشبهه شيء من خلقه في شيء من الاشياء والعلم بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وبصحة كل ما أتى به مما نقله الينا الصحابة كلهم رضى الله عنهم ونقله عنهم الكواف كافة بعد كافة حتى بلغ الينا أو نقله الثقة عن الثقة عن مثله وهكذا حتى بلغ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كله علم حق متيقن مقطوع على صحته عند الله تعالى لان الاحد باطل في شيء من الدين لا يحل قال

الله تعالى * ان الظن لا يغني من الحق شيئاً * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث وقال تعالى * انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون * فصح ان الدين محفوظ لما ضمن الله عز وجل حفظه فنحن على يقين انه لا يجوز أن يكون فيه شك وقد أمر الله تعالى بقبول خبر الواحد العدل ومن المحال ان يأمر الله عز وجل بان نقول عليه ما لم يقل وهو قد حرم ذلك أو ان نقول عليه مالا نعلم انه تعالى قد حرم ذلك بقوله * وان تقولوا على الله ما لا تعلمون * وكل ما أمرنا الله عز وجل بالقول به فنحن على يقين من انه من الدين وان الله تعالى قد حماه من كل دخل وكذلك أخذنا بالزائد من الاثنين المتعارضين ومن الخبرين الثابتين المتعارضين وقد علمنا صحة ان الحق في فعلنا ذلك علم ضرورة متيقن ولا أعجب ممن يقول ان خبر الواحد لا يوجب العلم وانما هو غالب ظن ثم يقطع به ويقول انه قد دخلت في الدين دواخل لا تميز من الحق وانه لا سبيل الى تمييز ما أمر الله تعالى به في الدين مما شرعه الكذابون هذا أمر نعوذ بالله منه ومن الرضاء به

﴿قال أبو محمد﴾ وأما ما اجتمعت عليه الجماعات العظيمة من آرائهم مما لم يأت به نص عن الله عز وجل ولا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو باطل عند الله بيقين لانه شرع في الدين ما لم يأذن به الله عز وجل وقال على الله تعالى ما لم يقله وبرهان ذلك انه قد يعارض ذلك قول آخر قالته جماعات مثل هذه والحق لا يتعارض والبرهان لا يناقضه برهان آخر وقد تقصينا هذا في كتابنا المرسوم بكتاب الاحكام في أصول الاحكام فاغنى عن ترداده والحمد لله رب العالمين

﴿قال أبو محمد﴾ وكل من كان من أهل الملل المخالفة فبلغته معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وقامت عليه البراهين في التوحيد فهو مضطر الى الاقرار بالله تعالى وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك كل من قام على شيء ما أي شيء كان عنده برهان ضروري صحيح وفهمه فهو مضطر الى التصديق به سواء كانت من الملل أو من النحل أو من غير ذلك وانما أنكر الحق في ذلك أحد ثلاثة إما غافل معرض عما صح عنده من ذلك مشتغل عنه بطلب معاشه أو بالتزيد من مال أو جاه أو بصوت أو لذة أو من يظنه صلاحا أو ايثارا للشغل بما يتبين له من ذلك عجزا وضعف عقل وقلة تمييز الفضل لاهل ربحان ومسوف نفسه بالنظر كحال كل طبقة من الطبقات الذين نشاهدهم في كل مكان وكل زمان وإما مقلد لاسلافه أو لمن نشأ بينهم قد شغله حسن الظن بمن قلد او استحسانه لما نشأ فيه وغمر الهوى عقله عن التفكر فيما فهم من البرهان فحال ما ذكرناه بينه وبين الرجوع الى الحق وصرف الهوى ناظر قلبه عن التفكر فيما يتبين له من البرهان ونفر عنه وأوحشه منه فهو اذا سمع برهانا ظاهرا لا مدفع فيه عنده طمس الشيطان وغالب نفسه حتى يعرض عنه وقالت له نفسه لا بد ان هاهنا برهانا يبطل به هذا البرهان الذي أسمع وان كنت أنا لا أدريه وهل خفي هذا على جميع أهل ملتي وأهل نحلتي أو مذهبي أو على فلان وفلان وفلان ولا بد انه قد كان عندهم ما يبطلون به هذا

﴿قال أبو محمد﴾ وهذا عام في اكثر من يظن انه عالم في كل ملة وكل نحلة وكل مذهب وليس واحد من هاتين الطائفتين الا والحجة قد لزمته وبهرته ولكنه غلب وساوس نفسه وحماقتها على الحقايق اللائحة له وصرفه الفاسد على يقين قلبه الثابت والاعب الشيطان به وسخر منه فاوهمه لشهوته لما هو فيه ان هاهنا دليلا يبطل به هذا البرهان وانه لو كان فلان حيا أو حاضرا لابطل هذا البرهان وهذا أعظم ما يكون من السخافة لانه لا يدري ولا سمع

به وتكذيب لما صح عنده وظهر اليه ونعوذ بالله من الخذلان والثالث منكر بلسانه ما قد تيقن صحته بقلبه اما استدامة لرياسة او استدرار مكسب أو طمعا في أحدهما لعله يتم له أو لا يتم ولو تم له لكان خاسر الصفقة فى ذلك أو آثر غرورا ذاهبا عن قريب على فوز الابد أو يفعل ذلك خوف أذى أو عصبة لمن خالف ما قد قام البرهان عنده أوعداوة لقائل ذلك القول الذى قام به عنده البرهان وهذا كله موجود فى جمهور الناس من اهل كل ملة وكل نحلة واهل كل رأى بل هو الغالب عليهم وهذا أمر يجدونه من انفسهم فهم يعالجونها

﴿قال أبو محمد﴾ ويقال لمن قال ممن ينتمى الى الاسلام ان المعارف ليست باضطرار وان الكفار ليسوا مضطرين الى معرفة الحق في الربوبية والنبوة اخبرونا عن معجزات الانبياء عليهم السلام هل رفعت الشك جملة عن كل من شاهدها وحسمت عللها وفصلت بين الحق والباطل فصلا تاما أم لا فان قالوا نعم أقروا بان كل من شاهدها مضطر الى المعرفة بانها من عند الله تعالى حق شاهد بصدق من أتى بها ورجعوا الى الحق الذى هو قولنا ولله الحمد وان قالوا لا بل الشك باق فيها ويمكن ان تكون غير شاهدة بانهم محقون قطعوا بان الانبياء عليهم السلام لم يأتوا ببرهان وان الشك باق فى أمرهم وان حجة الله تعالى لم تقع على الكفار ولا لزمهم قط لله تعالى حجة وان الانبياء عليهم السلام انما أتوا بشىء ربما قام فى الظن انه حق وربما لم يقم وهذا كفر مجرد ممن دان به أو قاله وهكذا نسألهم فى البراهين العقلية على آيات التوحيد وفى الكواف الناقلة اعلام الانبياء عليهم السلام حتى يقروا بالحق بان حجج الله تعالى بكل ما ظهرت وبهرت واضطرت الكفار كلهم الى تصديقها والمعرفة بانها حق او يقولوا انه لم تقم لله حجة على احد ولا تبين قط لاحد تعين صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانما نحن فى الاقرار بذلك على ظن الا انه من الظنون قوى وقد يمكن ان يكون بخلاف ذلك ومن قال بهذا فهو كفر مجرد محض شرك لا خفاء به ونعوذ بالله من الخذلان

﴿قال أبو محمد﴾ ومن انكر ان يكون الكفار وكل مبطل مضطرين الى تصديق كل ما قام به برهان بعد بلوغه اليهم وقال ان ما اضطر المرء الى معرفته فلا سبيل له الى انكاره اريناه كذب قوله فى تكوير الارض والافلاك ومدار الشمس والقمر والنجوم وتناهي مساحة كل ذلك وان أكثر الناس على انكار هذا ودفع الحق فى ذلك وكذلك من دان بالقياس والرأى او دليل الخطاب وسمع البراهين فى ابطالها فهو مضطر الى معرفة بطلان ما هو عليه مكابر لعقله فى ذلك مغالط لنفسه مغالب ليقينه مغلب لظنونه

﴿قال أبو محمد﴾ وعلم الملائكة عليهم السلام وعلم النبيين عليهم السلام بصحة ما جاءتهم به الملائكة واوحى اليهم به وارواه فى منامهم علم ضرورى كسائر ما ادركوه بحواسهم واوائل عقولهم وكعلمهم بان أربعة أكثر من اثنين وان النار حارة والثلج احصر وصوت الرعد وحلاوة العسل ونتن الحلتيت وخشونة القنفذ وغير ذلك ولو لم يكن الامر كذلك لكان عند الملائكة والنبيين شكا فى امرهم وهذا كفر ممن اجازه الا ان الملائكة لا علم لهم بشىء الا هكذا ولا ظن لهم اصلا لانهم لا يتكلمون ولم يركبوا من طبايع متحالفة كما ركب الانسان فان قال قائل فاذا العلم كله اضطرار والاضطرار فعل الله تعالى فى النفوس فكيف يعذب الانسان او يعذب على فعل الله تعالى فيه قلنا نعم لا شىء فى العالم الا خلق الله تعالى وقد صح البرهان بذلك على ما اوردنا فى كلامنا فى خلق الافعال فى ديواننا والحمد لله رب العالمين وما نقول خلافا نصا ولا برهان عقل بالمنع من ان يعذبنا الله تعالى ويؤجرنا على ما خلق فينا والله تعالى يفعل ما يشاء لا يسأل عما يفعل وهم يسألون

﴿ قال أبو محمد ﴾ وكيف ينكر اهل الغفلة ان يكون قوم يخالفون ما هم الى المعرفة به مضطرون وهم يشاهدون السوفسطائية الذين يبطلون الحقائق جملة وكما يعتقد النصارى وهم أمم لا يحصي عددهم الا خالقهم ورازقهم ومضلهم لا اله الا هو وفيهم علماء بعلوم كثيرة وملوك لهم التدابير الصائبة والسياسات المعجبة والاراء المحكمة والفطنة في دقائق الامور والنصر لغوامضها وهم مع ذلك يقولون ان واحدا ثلاثة وثلاثة واحد وان احد الثلاثة اب والثاني ابن والثالث روح وان الاب هو الابن وليس هو الابن والانسان هو الاله وهو غير الاله وان المسيح اله تام وانسان تام وهو غيره وان الاول الذي لم يزل هو المحدث الذي لم يكن ولا هو هو

(قال أبو محمد) وليس في الجنون أكثر من هذا واليعقوبية منهم وهم مئين ألوف يعتقدون ان البارى تعالى عن كفرهم ضرب بالسياط واللطام وصلب ومحرومات وسقي الحنظل وبقي العالم ثلاثة أيام بلا مدبر وكاصحاب الحلول وغالية الرافضة الذين يعتقدون في رجل جالس معهم كالحلاج وابن أبي الغرا ان الله والاله عندهم قد يبول ويسلح ويجوع فيأكل ويعطش فيشرب ويمرض فيسوقون اليه الطبيب ويقاح ضرسه اذا ضرب عليه وينتصر اذا أصابه دمل ويجامع ويحتجم ويفتصد وهو الله الذي لم يزل ولا يزال خالق هذا العالم كله ورازقه ومحصيه ومدبره ومدبر الافلاك المميت المحيي العالم ما في الصدور ويصبرون في جنب هذا الاعتقاد على السجون والمطابق وضرب السياط وقطع الايدي والارجل والقتل والاعدام وهتك الحريم وفيهم قضاة وكتاب وتجارهم اليوم الوف وكما يدعي طوائف اليهود وطوائف من المسلمين ان ربهم تعالى جسد في صورة الانسان لحم ودم يمشي ويقعد كالاشعرية الذين يقولون ان ههنا احوالا لا مخلوقة ولا غير مخلوقة ولا معلومة ولا مجهولة ولا حق ولا باطل وان النار ليست حارة والثلج ليس باردا وكما يقول بعض الفقهاء واتباعه ان رجلا واحدا يكون ابن رجلين وابن امرأتين كل واحدة منهما امه وهو ابنها بالولادة

(قال أبو محمد) اترى كل من ذكرنا لا تشهد نفسه وحسه ولا يقر عقله بان كل هذا باطل بلى والذي خلقهم ولكن العوارض التي ذكرنا قبل سهلت عليهم هذا الاختلاط وكرهت عليهم الرجوع الى الحق والاذعان له

(قال أبو محمد) وأما العناد فقد شاهدناه من كل رأيناه في المناظرة في الدين وفي المعاملات في الدنيا أكثر من أن يحصى ممن يعلم الحق يقينا ويكابر على خلافه ونعوذ بالله من الخذلان ونسأله الهدى والعصمة

(قال أبو محمد) لا يدرك الحق من طريق البرهان الا من صفى عقله ونفسه من الشواغل التي قدمنا ونظر من الاقوال كلها نظرا واحدا واستوت عنده جميع الاقوال ثم نظر فيها طالبا لما شهدت البراهين الراجعة رجوعا صحيحا غير مموه ضروريا الى مقدمات مأخوذة من اوائل العقل والحواس غير متسامح في شيء من ذلك فهذا مضمون له بعون الله عز وجل الوقوف على الحقائق والخلاص من ظلمة الجهل والله تعالى التوفيق * واما نقله اثنان فصاعدا يوقن انهما لم يجتمعا ولا تشاعرا فاخبرا بخبر واحد راجع الى ما ادركه بالحواس من أي شيء كان فهو حق بلا شك مطبوع على حقيته والنفس مضطرة الى تصديقه وهذا قول احد الكافة واولها اذ لا يمكن البتة اتفاق اثنين في توليد حديث واحد لا يختلفان فيه عن غير تواطؤ واما اذا تواطأت الجماعة العظيمة فقد تجتمع على الكذب وقد شاهدنا جماعات يشكرون ولاتهم وهم كاذبون الا ان هذا لا يمكن ان يتفقوا على طيه ابدا ومن ادعى ما نقله الكافة لزمه ان لا يصدق انه كان في الدنيا احد قبله لانه لا يعرف كون الناس الا بالخبر

(قال

﴿ قال أبو محمد ﴾ وقد يضطر خبر الواحد في بعض الاوقات الى التصديق يعرف ذلك من تدبر امور نفسه كمنذر بموت انسان لدفنه وكرسالة من عند السلطان يأتي بها بريد وككتاب وارد من صديق بديهة وكمخبر يخبرك ان هذا دار فلان وكمنذر بعرس عند فلان وكرسول من عند القاضي والحاكم وسائر ذلك من أخبار بان هذا فلان بن فلان ومثل هذا كثير جدا وهذا لا ينضبط ما كثر مما يسمع ومن راعى هذا المعنى لم يمض له يوم واحد قطعا حتى يشاهد في منزله وخارج منزله من خبر واحد ما يضطر الى تصديقه ولا بد كثيرا جدا وأما في الشريعة فخبر الواحد الثقة موجب للعلم وبرهان شرعي قد ذكرناه في كتابنا الاحكام لاصول الاحكام وقد ادعى المخالفون ان ما اتفقت عليه أمتنا بارائها فهي معصومة بخلاف سائر الامم ولا برهان على هذا وقال النظام ان خبر التواتر لا يضطر لان كل واحد منهم يجوز عليه الغلط والكذب وكذلك يجوز على جميعهم ومن المحال ان يجتمع ممن يجوز عليه الكذب وممن يجوز عليه الكذب من لا يجوز عليه الكذب ونظر ذلك باعمى وأعمى وأعمى فلا يجوز ان يجتمع مبصرون

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا تنظير فاسد لان الاعمى ليس فيه شيء من صحة البصر وليس كذلك المخبرون لان كل واحد منهم كما يجوز عليه الكذب كذلك يجوز عليه الصدق ويقع منه وقد علم بضرورة العقل ان اثنين فصاعدا اذا فرق بينهما لم يمكن البتة منهما ان يتفقا على توليد خبر كاذب يتفقان في لفظه ومعناه فصح انهما اذا اخبرا بخبر فاتفقا فيه انهما اخبرا عن علم صحيح موجود عندهما ومن انكر هذا لزمه ان لا يصدق بشيء من البلاد الغائبة عنه ولا بالملوك السالفين ولا بالانبياء وهذا خروج الى الجنون بلا شك او الى المكابرة في الحس وبالله تعالى التوفيق فان قال قائل كيف اجزتم ههنا اطلاق اسم الضرورة والاضطرار ومنعتم من ذلك في افعال الفاعلين عند ذكركم الاستطاعة وخلق الله تعالى افعال العباد وكل ذلك عندكم خلق الله تعالى في عباده قلنا ان الفرق بين الامرين في ذلك لائح وهو ان الفاعل متوهم منه ترك فعله لو اختار تركه وممكن منه ذلك وليس ممكنا منه اعتقاد خلاف ما تيقنه بان يرفع عن نفسه تحقيق ما عرف انه احق فلهذا او غيرها هنا اسم الاضطرار ومنعنا منه هنالك وبالله تعالى نتأيد

﴿ الكلام على من قال بتكافؤ الادلة ﴾

﴿ قال أبو محمد ﴾ ذهب قوم الى القول بتكافؤ الادلة ومعنى هذا انه لا يمكن نصر مذهب على مذهب ولا تغليب مقالة على مقالة حتى يلوح الحق من الباطل ظاهرا بينا لا اشكال فيه بل دلائل كل مقالة فهي مكافئة لدلائل سائر المقالات وقالوا كلما ثبت بالجدل فانه بالجدل ينتقض وانقسم هؤلاء الى أقسام ثلاثة فيما انتجه لهم هذا الاصل فطائفة قالت بتكافؤ الادلة جملة في كل ما اختلف فيه فلم تحقق البارى تعالى ولا أبطلته ولا أثبتت النبوة ولا أبطلتها وهكذا في جميع الاديان والاهواء لم تثبت شيئا من ذلك ولا ابطلته الا انهم قالوا اننا نوقن ان الحق في واحد هذه الاقوال بلا شك الا انه غير بين الى احد البتة ولا ظاهر ولا متميز اصلا

﴿ قال أبو محمد ﴾ وكان اسمعيل بن يونس الاعور الطبيب اليهودي تدل اقواله ومناظراته دلالة صحيحة على انه كان يذهب الى هذا القول لاجتهاده في نصر هذه المقالة ان كان غير مصرح بانه يعتقدها وقالت طائفة اخرى بتكافؤ الادلة فيما دون البارى تعالى فاثبتت الخالق تعالى وقطعت بانه حق خالق لكل ما دونه بيقين لا شك فيه ثم لم تحقق النبوة ولا ابطلتها ولا حققت دينا من الملل ولا ابطلته لكن قالت ان في هذه الاقوال قولا صحيحا بلا شك الا

انه غير ظاهر الى أحد ولا بين ولا كلفه الله تعالى أحدا وكان اسمعيل بن القراد الطبيب اليهودي يذهب الى هذا القول يقينا وقد ناظرنا عليه مصرحا به وكان يقول اذا دعوناه الى الاسلام وحسمنا شكوكه ونقضنا علله الانتقال في الملل تلاعب

﴿قال أبو محمد﴾ وقد ذكر لنا عن قوم من أهل النظر والرياسة في العلم هذا القول الا اننا لم نثبت ذلك عندنا عنهم وطائفة قالت تكافؤ الادلة فيما دون البارى عز وجل ودون النبوة فقطعت ان الله عز وجل حق وانه خالق الخلق وان النبوة حق وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم حق ثم لم يغلب قولا من من اقوال اهل القبلة على قول بل قالوا ان فيها قولا هو الحق ولا شك الا انه غير بين الى أحد ولا ظاهر وأما الاقوال التى صاروا اليها فيما يثبتوا عليها منها وطائفة لزمت الحيرة وقالت لاندرى مانعتقد ولا يمكننا أخذ مقالة لم يصح عندنا دون غيرها مغالطين لانفسنا مكابرين لعقولنا الا كذا الا انكر شيئا من ذلك ولا نثبته وجمهور هذه الطائفة مالت الى اللذات وأمراح النفوس في الشهوات كيف مامالت اليه بطبائعها وطائفة قالت على المرء فرض لموجب العقل الايكون سدا بل يلزمه ولابد ان يكون له دين يرد حريمه عن الظلم والقبائح وقالوا من لادين له فهو غير مامور في هذا العالم على الافساد وقتل النفوس غيلة وجهرا وأخذ الاموال خيانة وغصبا والتعدى على الفروج محللا وعلانية وفى هذا هلاك العالم باسره وفساد البنية وانحلال النظام وبطلان العلوم والفضايل كلها التى تقتضى العلوم بل بعدمها وهذا هو الفساد الذى توجب العقول التحرز منه واجتنابه قالوا فمن لادين له فواجب على كل من قدر على قتله أن يسارع الى قتله واراحة العالم منه وتعجيل استكفاف ضره لانه كالافعى والعقرب أوأضر منهما ثم انقسم هؤلاء قسمين فطائفة قالت فاذا الامر كذلك فوجب على الانسان لزوم التدين الذى نشأ عليه أوولد عليه لانه هو الدين الذى تخيره الله له في مبدأ خلقه ومبدأ نشئته بوقت وهو الذى أنشأه الله عليه فلايحل له الخروج عما رتبه الله تعالى فيه وابتداه عليه أى دين كان وهذا كان قول اسماعيل بن القداد وكان يقول من خرج من دين الى دين فهو وقاح متلاعب بالاديان عاص لله عز وجل المتعبد له بذلك الدين وكان يقول بالمسالة المكانية ومعنى ذلك الايبقى أحد دون دين يعتقده على ماذكرنا آنفا وقالت طائفة لاعذر للمرء في لزوم دين أبيه وجده أو سيده وجاره ولاحجة فيه لكن الواجب على كل أحد أن يلزم ما اجتمعت الديانات باسرها والعقول بكليتها على صحته وتفصيله فلا يقتل أحدا ولا يزنى ولا يلوط ولا يبغ به ولا يسع في افساد حرمة أحد ولا يسرق ولا يغصب ولا يظلم ولا يجور ولا يخون ولا يغش ولا يغتب ولا يتم ولا يسفه ولا يضرب أحدا ولا يستطيل عليه ولكن يرحم الناس ويتصدق ويؤدى الامانة ويؤمن الناس شره ويعين المظلوم ويمنع منه فهذا هو الحق بلا شك لانه المتفق عليه من الديانات كلها ويتوقف عما اختلفوا فيه ليس عليا غير هذا لانه لم يتبين لنا الحق في شيء منه دون غيره

﴿قال أبو محمد﴾ فهذه أصولهم ومعاقدهم وأما احتجاجهم في ذلك فهو انهم قالوا وجدنا الديانات والآراء والمقالات كل طائفة تدعى انها انما اعتقدت ما اعتقدته عن الاوايل وبراهين باهرة وكل طائفة تناظر الاخرى وتنتصف منها وربما غلبت هذه في مجلس ثم غلبتها الاخرى في مجلس آخر على حسب قوة نظر المناظر وقدرته على البيان والتحايل والتشغيب لهم في ذلك كالمتحاربين يكون الظفر سجالا بينهم قالوا وصح انه ليس هاهنا قول ظاهر الغلبة ولو كان لما أشكل على احد ولم يختلف الناس في ذلك كما لم يختلفوا فيما ادركوه بحواسهم وبداية عقولهم وكما لم يختلفوا في الحساب وفي كل شيء عليه برهان لايح قالوا ومن المحال أن يبدو الحق الى الناس

فعاندوه بلا معنى ويرضوا بالهلاك فى الدنيا والاخرة بلا سبب قالوا فلما بطل هذا صح ان كل طائفة انما تتبع اماما نشأت عليه واماما يخيل لاحدهم انه الحق دون تثبيت ولا يقين قالوا وهذا مشاهد من أهل كل ملة وان كان فيها مالاشك فى سخافته وبطلانه وقالوا أيضا انا نرى الجماعة الكثيرة قد طلبوا علم الفلسفة وتبحروا ووسموا أنفسهم بالوقوف على الحقائق وبالخروج عن جملة العامة وبانهم قد أشرفوا على على الصحيح بالبراهين وميزوه من الشغب والاقناع ونجد آخرين قد تمهروا فى علم الكلام وافنوا فيه دهرهم ورسخوا فيه وفخروا بانهم قد وقفوا على الدلايل الصحاح وميزوها من الفاسدة وانهم قد لاح لهم الفرق بين الحق والباطل الحجج بالانصاف ثم نجدهم كلهم يعنى جميع هاتين الطائفتين فلسفيهم وكلاميهم فى فى أديانهم التى يقرون انها نجاتهم او هلكتهم مختلفين كاختلاف العامة واهل الجهل بل أشد اختلافا فمن يهودى يموت على يهوديته ونصرانى يتهالك على نصرانيته وتثليثه ومجوسى يستميت على مجوسيته ومسلم يستقتل فى اسلامه ومنانى يستهلك فى مانويته ودهرى ينقطع فى دهريته قد استوى العامى المقلد من كل طائفة فى ذلك مع المتكلم الماهر المستدل بزعمه ثم نجد أهل هذه الاديان فى فرقهم أيضا كذلك سواء فان كان يهوديا فاما ربانى يتقد غيظا على سائر فرق دينه وأما عانانى يلعن سائر فرق دينه وأما عيسوى يسخر من سائر فرق دينه وأما سامرى يبرأ من سائر فرق دينه وان كان نصرانيا فاما ملكى يتهالك غيظا على سائر فرق دينه وأما نسطورى يتقد اسفا على سائر فرق دينه وأما يعقوبى يسخط على سائر فرق دينه وان كان مسلما فاما خارجى يستحل دماء سائر اهل ملته وأما معتزلى يكفر سائر فرق ملته وأما شيعى لا يتولى سائر فرق ملته وأما مرجئى لا يرضى عن سائر فرق ملته وأما سنى ينافر فرق ملته قد استوى فى ذلك العامى والمقلد الجاهل والمتكلم بزعمه المستدل وكل امرئ من متكلمى الفرق التى ذكرنا يدعى انه انما أخذ ما أخذ وترك ما ترك ببرهان واضح ثم هكذا نجدهم حتى فى الفتيا اما حنيفى يجادل عن حنيفيته واما مالكى يقاتل عن مالكيته واما شافعى يناضل عن شافعيته واما حنبلى يضارب عن حنبليته واما ظاهرى يحارب عن ظاهريته واما متحير مستدل فهنالك جاء التحارب حتى لا يتفق اثنان منهم على مائة مسألة الا فى الندرة وكل امرئ ممن ذكرنا يرى على الاخرين وكلهم يدعى انه مشرف على الحقيقة وهكذا القائلون بالدهر أيضا متباينون متنافرون مختلفون فيما بينهم فمن موجب ان العالم لم يزل وان له فاعلا لم يزل ومن موجب أزلية الفاعل وأشياء أخر معه وان سائر العالم محدث ومن موجب أزلية الفاعل وحدوث العالم ومبطل للنبوات كلها كما اختلف سائر أهل النحل اولا فرقا قالوا فصح ان جميعهم اما متبع للذى نشأ عليه والحالة التى ترى عليها واما متبع لما قد تخيل له انه الحق فهم على ما ذكرنا دون تحقيق قالوا فلو كان للبرهان حقيقة لما اختلفوا فيه هذا الاختلاف ولبان على طول الايام وكرور الزمان ومر الدهور وتداول الاجيال له وشدة البحث وكثرة ملاقاة الخصوم ومناظراتهم واهمائهم الاوقات وتسويدهم القراطيس واستعدادهم ووجدهم أين الحق فيرتفع الاشكال بل الامر واقف بحسبه أو متزيد فى الاختلاف وحدوث التحادث والفرق قالوا وأيضا فانا نرى المرء الفهم العالم المميل المتمكن فى علوم الفلسفة والكلام والحجاج المستنفد لعمره فى طلب الحقائق المؤثر للبحث عن البرهان على كل ما سواه من لذة أو مال أو جاه المستمع لقوته فى ذلك النافر عن التقليد يعتقد مقالة ما ويناظر عنها ويحاجج دونها ويدافع امامها ويعادى من خالفها مدة فى ذلك موقنا بصحته ماحقا من خالفه منافرا له مضللا أو مكفرا أو يبقى كذلك الدهر الطويل

والاعوام الجمة ثم انه تبدوله بادية عنها فيرجع أشد ما كان عداوة لما كان ينصر ولا هل تلك المقالة التي كان يدين بصحتها وينصرف يقاتل في ابطالها ويناظر في افسادها ويعتقد من ضلالها وضلال أهلها الذي كان يعتقد من صحتها ويعجب الآن من نفسه أمس وربما عاد الى ما كان عليه أو خرج الى قول ثالث قالوا فدل هذا على فساد الادلة وعلى تكافؤها جملة وان كل دليل فهو هادم الآخر كلاهما يهدم صاحبه وقالوا أيضا لايخلو من حقق شيئا من هذه الديانات او المقالات من ان يكون صح له أو لم يصح له ولا سبيل الى قسم ثالث قالوا فان كان لم يصح له فاكثر من دعواه أومن تقليده مدعيا فليس هو أولى من غيره بالصواب وان كان صح له فلا يخلو من ان يكون صح له بالحواس أو بعضها أو بضرورة العقل وبديهته أو صح له بدليل ماغير هذين ولا سبيل الى قسم رابع فان كان صح له بالحواس أو ببعضها أو بضرورة العقل وبديهته فيجب ان لايختلف في ذلك أحد كما لم يختلفوا فيما أدرك بالحواس وبديهة العقل من أن ثلثه أكثر من اثنين وانه لايكون المرء قاعدا قائما معا بالعقل فلم يبق الاان يقولوا انه صح لنا بدليل غير الحواس فسألهم عن ذلك الدليل عاذا صح عندكم بالدعوى فلستم باولى من غيركم في دعواه أم بالحواس وبديهة العقل فكيف جرلفتهم فيه هذا ولايختلف في مدركاته أحد ام بدليل غير ذلك وهكذا ابدا الى مالا نهاية له قالوا وهذا مالا مخلص لهم منه قالوا وسألهم ايضا عن علمهم بصحة ماهم عليه ايعلمون انهم يعلمون ذلك املا فان قالوا لاتركوا دلائلهم احالوا وسقط قولهم وكفونا مؤنتهم لانهم يقرون انهم لايعلمون انهم يعلمون ماعلموا وهذا هوس وافساد لما يعتقدونه وان قالوا بل نعلم ذلك سألناهم اتعلمون علموا ذلك ام بغير علم وهكذا ابدا وهذا يقتضي ان يكون للعلم علم ولعلم العلم علم الى مالانهاية له وهذا عندهم محال

﴿قال أبو محمد﴾ هذا كل ماموهوا به مانعلم لهم شغبا غير ماذكرنا ولهم مغلق بشيء اصلا بل قد رددناه فيما رأينا لهم وتقصيناه لهم غاية الجهد كما فعلنا باهل كل مقالة

﴿قال أبو محمد﴾ كل هذا الذي موهوا به منحل بيقين ومنتقض بابين بيان بلا كثير كلفة ولم نجد احدا من المتكلمين السالفين اورد لنا جالصا في النقض علي هذه المقالة ونحن ان شاء الله تعالى ننقض كل ماموهوا به بالبراهين الواضحة وبالله تعالى التوفيق وذلك بعد ان نبين فساد معاقد هذه الطوائف المذكورة ان شاء الله عز وجل

﴿قال أبو محمد﴾ فنقول وبالله تعالى نتأيد اما الطائفة المتحيرة فقد شهدت على انفسها بالجهل وكفت خصومها مؤنتها في ذلك وليس جهل من جهل حجة علي علم من علم ولا من لم يتبين له الشيء غارا علي من تبين له بل من علم فهو الحجة على من جهل هذا هو الذي لايشك احد فيه في جميع العلوم والصناعات وكل معلوم يعلمه قوم ويجهله قوم ولا احمق ممن يقول لما جهلت انا امر كذا ولم اعرفه علمت ان كل احد جاهل به كجهلي وهذه صفة هؤلاء القوم نفسها ولو ساغ هذا لاحد لبطلت الحقائق وجميع المعارف وجميع الصناعات اذ لكل شيء منها من يجهله من الناس نعم ومن لايتصحح فيه ولايفهمه وان طلبه هذا امر مشاهد بالحواس فهم قد اقروا بالجهل وندعي نحن العلم بحقيقة مااعترفوا بجهلهم به فالواجب عليهم ان ينظروا في براهين المدعين للمعرفة بما جهلوه نظرا صحيحا متقصى بغير هوى فلا بد يقينا من ان يلوح حقيقة قول المحق وبطلان قول المبطل فتزول عنهم الحيرة والجهل حينئذ فسقطت هذه المقالة بيقين والحمد لله رب العالمين * واما من قطع بان ليس ها هنا مذهب صحيح اصلا فان قوله ظاهر الفساد بيقين لااشكال فيه لانهم اثبتوا حقيقة وجود العالم بما فيه وحقيقة

مايدرك

ما يدرك بالحواس وباول العقل وبديهته ثم لم يصححوا حدوثه ولا أزليته ولا ابطلوا حدوثه وازليته معا ولم يصححوا ان له خالقا ولا انه لا خالق له وأبطلوا كلا الامرين وأبطلوا النبوة وابطلوا ابطالها فقد خرجوا يقينا الى المحال والى اقبح قول السوفسطائية وفارقوا بديهة العقل وضرورته التى قد حققوها وصدقوا موجبها اذ لا خلاف بين أحد له مسكة عقل فى ان كل مالم يكن حقا فهو باطل ومالم يكن باطلا فانه حق وان اثنين قال أحدهما فى قضية واحدة فى حكم واحد قال نعم والآخر لا فاحدهما صادق بلا شك والآخر كاذب بلا شك هذا يعلم بضرورة العقل وبديهته واما قول قائل هذا حق باطل معا من وجه واحد فى وقت واحد وقول من قال لا حق ولا باطل فهو بين باطل معلوم بضرورة العقل وبديهته فواجب باقرارهم ان من قال ان العالم لم يزل وقال الآخر هو محدث ان احدهما صادق بلا شك وكذلك من أثبت النبوة ومن نفاها فظهر بيقين وضرورة العقل يقينا فساد هذه المقالة الا ان يبطلوا الحقائق ويلحقوا بالسوفسطائية فيكلمون حينئذ بما تكلم به السوفسطائية مما ذكرناه من قبل وبالله تعالى التوفيق وأما من مال الى اللذات جملة فانه ان كان من احدى هاتين الطائفتين فقد بطل عقده وصح يقينا انه على ضلال وخطا وباطل وفساد فى اصل معتقده الذى أداه الى الانهماك واذا بطل شيء بيقين قد بطل ما تولد منه وان مال الى احد الاقوال الاخر فكلها مبطل للزوم اللذات والانهماك فصح ضرورة بطلان هذه الطريقة وان صار الى تحقيق الدهرية كلم بما تكلم به الدهرية مما قد أوضحناه والحمد لله واما من قال بالزام المرء دين سلفه والدين الذى نشأ عليه فخطا لا خفاء به لاننا نقول لمن قال بوجوب ذلك ولزومه اخبرنا من اوجبه ومن ألزمه فالايجاب والالزام يقتضى فاعلا ضرورة ولابد منها فمن الزم ما ذكرتم من ان يلزم المرء دين سلفه أو الدين الذى نشا عليه الله ألزم ذلك جميع عباده أم غير الله تعالى أوجب ذلك اما انسان واما عقل واما دليل فان قال بل ما ألزم ذلك الا من دون الله تعالى قيل له ان من دون الله تعالى معصى مخالف مرفوض لا حق له ولا طاعة الا من اوجب الله عز وجل له فيلزم طاعته لان الله اوجبها لا لانها واجبة بذاتها وليس من أوجب شيئا دون الله تعالى باولى من آخر ابطل ما اوجب هذا وأوجب بطلانه وفى هذا كفاية لمن عقل ولا ينقاد للزوم من دون الله تعالى الا جاهل مغرور كالبهيمة تقاد فتنقاد ولافرق وان قال ان العقل ألزم ذلك قيل له انك تدعى الباطل على العقل اذا ادعيت عليه ماليس فى بنيته لان العقل لايوجب شيئا وانما العقل قوة تميز النفس بها الاشياء على ماهى عليه فقط ويعرف ماصح وجوبه مما اوجبه من تلزم طاعته مما لم يصح وجوبه مما لم يوجبه من يجب عليه طاعته ليس فى العقل المراد به التمييز شيء غير هذا أصلا وايضا فان قائل هذا مجاهر بالباطل لانه لا يخلو ان يكون يزعم ان العقل اوجب ذلك ببديهته أو ببرهان راجع الى البديهة من قرب أو من بعد فان ادعى ان العقل يوجب ذلك ببديهته كابر الحس ولم يمتنع بهذا ايضا لانه لا يعجز عن التوقع بمثل هذه الدعوى احد فى اى شيء شاء وان ادعى انه اوجب ذلك برهان راجع الى العقل كلف المجيء به ولا سبيل اليه ابدا فان قال ان الله عز وجل اوجب ذلك سئل الدليل على صحة هذه الدعوى التى اضافها الى البارى عز وجل وهذا ما لا سبيل اليه لان ما عند الله عز وجل من الزام لا يعرف البتة الا بوحى من عنده تعالى الى رسول من عنده يشهد له تعالى بالمعجزات واما بما يصعه الله عز وجل فى العقول وليس فى شيء من هذين دليل على صحة دعوى هذا المدعى واما احتجاجه بانه هو الدين الذى اختاره الله عز وجل لكل أحد وانشاه عليه فلا حجة له فى هذا لاننا لم نخالفه فى ان هذا درب على هذا الدين

وخلقه الله عز وجل ثم من دربه عليه بل نقر بهذا كما نقر بان الله خلقنا في مكان ما في صناعة ما وفي معاش ما وفي خلق ما وليس في ذلك دليل عند احد من العالم على انه لايجوز له فراق ذلك الخلق الى ما هو خير منه ولا على انه لزمه لزوم المكان الذي خلق فيه والصناعة التي نشأ عليها والقوت الذي تربى عليه بل لا يختلف اثنان في ان له مفارقة ذلك المكان وتلك الصناعة وذلك المعاش الى غيره وان فرضا عليه الزوال عن كل ذلك اذ كان مذموما الى المحمود من كل ذلك وأيضا فان جميع الاديان التي أوجبها كلها هذا القائل وحقق جميعها فكل دين منها فيه انكار غيره منها واهل كل دين منها تكفر سائر اهل تلك الاديان وكلهم يكذب بعضهم بعضا وفي كل دين منها تحريم التزام غيره على كل احد فلو كان كل دين منها لازما ان يعتقده من نشأ عليه لكان كل دين منها حقا واذا كان كل دين منها حقا فهو يبطل سائرها وكل ما ابطله الحق فهو باطل بلا شك فكل دين منها باطل بلا شك فوجب ضرورة على قول هذا القائل ان جميع الاديان باطل وان جميعها حق فجميعها حق باطل معا فبطل هذا القول بيقين لاشك فيه والحمد لله رب العالمين واما من قال اني الزم فعل الخير الذي اتفقت الديانات والعقول على انه فضل واجتنب ما اتفقت الديانات والعقول على أنه قبيح فقول فاسد مموه مضمحل أول ذلك انه كذب ولا اتفقت الديانات ولا العقول على شيء من ذلك بل جميع الديانات الا الاقل منها مجمعون على قتل من خالفهم واخذ اموالهم وكل دين منها لايحاشي دينا قائل باحكام هي عند سائرها ظلم واما المنانية فانها وان لم تقل بالقتل فانها تقول بترك النكاح الذي هو مباح عند سائر الديانات ويقولون باباحة اللياطة والسحق وهم مع ذلك [illegible] لذلك فما اتفقت الديانات على شيء أصلا ولا على التوحيد ولا على ابطاله لكن اتفقت الديانات على تخطئته وتكفيره والبراءة منه اذا لم يعتقد دينا فيها فبطلب موافقة جميع الديانات حصل على مخالفة جميعها وهكذا فليكن السعي المضلل وكذلك طبائع جميع الناس مؤثرة للذات كارهة لما يأثره اهل الشرائع والفلاسفة فبطل تعلقهم بشيء يجمع عليه ولم يحصل الاعلى طمع خائب مخالف لجميع الديانات غير متعلق بدليل لاعقلي ولاسمعي وقد قدمنا أن العقول لاتوجب شيئا ولا تحسنه ولا تقبحه وبرهان ذلك أن جميع أهل العقول الا يسيرا فانهم أصحاب شرائع وقد جاءت الشرائع بقتل من خالفها وضرب الانسان وذبح الحيوان فما قال قط اصحاب العقول انها جاءت بخلاف ما في العقول ولا ادعى ذلك الا اقل الناس ومن ليس عقله عيارا على عقل غيره ولو كان ذلك واجبا في العقول لوجده سائر أهل العقول كما قالوا هم سواء سواء فصح ان دعواهم على العقول كاذبة في باب التقبيح والتحسين جملة وهذا اكسر عام لنفس أقوالهم والحمد لله رب العالمين * ثم نذكر ان شاء الله تعالى البراهين على ابطال حججهم الشنعة المموه بها وبالله تعالى تايد

﴿ قال ابو محمد ﴾ أما احتجاجهم بان قالوا وجدنا أهل الديانات والآراء والمقالات كل طائفة تناظر الاخرى فتنتصف منها وربما غلبت هذه في مجلس ثم غلبتها الاخرى في مجلس آخر على حسب قوة المناظر وقدرته على البيان والتحيل والشغب فهم في ذلك كالمحاربين يكون الظفر سجالا بينهم فصح أنه ليس هنا قول ظاهر الغلبة ولو كان ذلك لما اشتكل على احد ولا اختلاف الناس فيه كما لم يختلفوا فيما أدركوا بحواسهم وبداية عقولهم وكما تم [illegible] الحساب وفي كل شيء عليه برهان لائح واللائح الحق على مرور الزمان [illegible] وطول المناظرات قالوا ومن المحال أن يبدو الحق الى الناس ظاهرا فيعاندوه الا [illegible] ويرضوا بالهلاك في الدنيا والآخرة بلا سبب قالوا فلما بطل هذا صح ان كل [illegible]

ماشاهدت عليه وأما مايحيل لاحدهم انه الحق دون تثبت ولا يقين قالوا وهذا مشاهد من كل ملة ونحلة وان كان فيها مالا يشك في بطلانه وسخافته

(قال أبو محمد) هذه جمل نحن نبين كل عقدة منها ونوفيها حقها من البيان بتصحيح أو افساد بما لا يخفى على أحد صحته وبالله تعالى التوفيق أما قولهم ان كل طائفة من أهل الديانات والاراء يناظر فينتصف وربما علت هذه في مجلس ثم علتها الاخرى في مجلس آخر على قدر قوة المناظر وقدرته على البيان والتحيل والشغب والتمويه فقول صحيح الا أنه لاحجة لهم فيه على ما دعوه من تكافؤ الادلة أصلا لان غلبة الوقت ليست حجة ولا يقطع بها عالم محقق وان كانت له ولا يلتفت اليها وان كانت عليه وانما يحتج بها ويغضب منها أهل الجهالة والجهال وأهل الصياح والتهويل والتشنيع القانعون بان يقال غلب فلان فلانا وان فلانا لنطار جدال ولا يبالون بتحقيق حقيقة ولا ابطال باطل فصح ان تغالب المتناظرين لا معنى له ولا يجب أن يعتد به لاسيما تجادل أهل زماننا الذين أملهم نوب معدودة لا يتجاوزونها بكلمة وامان يغلب الصليب الرأس بكثرة الصياح والتوقح والتشنيع والحماقات وانما لكثير الهدر قوي على أن يملأ المجلس كلاما لا يتحصل منه معنى وانما الذي يعتقده أهل التحقيق الطالبون معرفة الامور على ماهي عليه فهو ان يبحثوا بما يطلبون معرفته على كل حجة احتج بها أهل فرقة في ذلك الباب فاذا تقصوها ولم يبقوا منها شيئا تأملوا كل حجة حجة فميزوا الشغبي منها والاقناعي فاطرحوها وفتشوا البرهاني على حسب المقدمات التي بيناها في كتابنا الموسوم بالتقريب في مائية البرهان وتمييزه مما يظن أنه برهان وليس برهان وفي كتابنا هذا وفي كتابنا الموسوم بالاحكام في أصول الاحكام فان من سلك تلك الطرق التي ذكرنا وميز المبدأ مما يعرف باول التمييز والحواس ثم ميز ماهو البرهان مما ليس برهانا ثم لم يقبل الاما كان برهانا راجعا رجوعا صحيحا ضروريا الى ماأدرك بالحواس أو ببديهة التمييز وضرورة في كل مطلوب يطلبه فانه يلوح له الحق واضحا ممتازا من كل باطل دون اشكال والحمد لله رب العالمين وأما من لم يفعل ماذكرنا ولم يكن وكده الا نصر المسألة الحاضرة فقط أو نصر مذهب قد ألفه قبل ان يقوده الى اعتقاده برهان فلم يجعل غرضه الا طلب أدلة ذلك المذهب فقط فبعيد عن معرفة الحق من الباطل ومثل هؤلاء غروا هؤلاء المخاذيل فظنوا ان كل بحث ونظر فهو على هذا المجرى الذي عهدوه ممن ذكرنا فضلوا ضلالا بعيدا وأما قولهم فصح انه ليس هاهنا قول ظاهر الغلبة ولو كان ذلك لما أشكل على أحد ولما اختلف الناس فيه كما لم يختلفوا فيما أدركوه بحواسهم وبداية عقولهم وكما لم يختلفوا في الحساب وفي كل ما عليه برهان لائح فقول أيضا مموه لانه كله دعوى فاسدة بلا دليل وقد بينا فساد كل ابطال هذه الاقوال كلها بالبرهان بما فيه كفاية وهذا لا يمكن فيه تفصيل كل برهان على كل مطلوب لكن نقول جملة ان من عرف البرهان وميزه وطلب الحقيقة غير مائل بهوى ولا الف ولا نفار ولا كسل فمضمون له تمييز الحق وهذا كمن سأل عن البرهان على أشكال اقليدس فانه لا اشكال في جوابه عن جميعها بقول مجمل لكن يقال له سل عن شكل شكل نخبر برهانه أو كمن سأل عن النحو وأراد ان يوقف على قراءته جملة فان هذا لا يمكن باكثر من أن يقال له هو بيان حركات وحروف يتوصل باختلافها الى معرفة مراد المخاطب باللغة العربية ثم لا يمكن توقيفه على حقيقة ذلك ولا الى اثباته جملة الا بالاخذ معه في مسألة مسألة وهكذا في هذا المكان الذي نحن فيه لا يمكن ان نبين جميع البرهان على كل مختلف فيه باكثر من أن يقال له سل عن مسألة مسألة نبين لك برهانها بحول الله تعالى وقوته ثم نقول

لمن قال من هؤلاء ان هها قولاصحيحا واحدا لا شك فيه اخبرنا من اين عرفت ذلك واما الامر كما
يقول من قال ان جميع الاقوال كلها حق فان قال لا لانها لو كانت حقا لكان محالا ممتنعا لان فيها
اثبات الشيء وابطاله معا ولو كان جميعها باطلا لكان كذلك ايضا سواء سواء وهو محال ممتنع لان
فيه أيضا اثبات الشيء وابطاله معا واذا ثبت اثبات الشيء بطل ابطاله بلا شك واذا بطل اثباته ثبت
ابطاله بلا شك فاذ قد بطل هذان القولان بيقين لم يبق بلا شك الا أن فيه حقا بعينه و باطلا فيه قلنا
له صدقت واذ الامر كما قلت فان هذا العقل الذى عرفت به فى تلك الاقوال قولا صحيحا بلا شك به
تميز ذلك القول الصحيح بينه مما ليس بصحيح لان الصحيح من الاقوال يشهد له العقل والحواس
ببراهين ترده الى العقل والى الحواس ردا صحيحا وأما الباطل فينقطع ويقف قبل أن يبلغ الى العقل
والى الحواس وهذا بين والحمد لله رب العالمين * واما من ابطل ان يكون فى الاقوال كلها قول صحيح
فقد اخبرنا انه مبطل للحقائق كلها متناقض لانه يبطل الحق والباطل معا وبالله تعالى التوفيق أما قولهم
لو كان هها قول صحيح لما أشكل على أحد ولا اختلف فيه كما لم يختلفوا فيما ادركوه بحواسهم ولا في
الحساب فان هذا قول فاسد لان اشكال الشيء على من أشكل عليه انما معناه انه جهل حقيقة ذلك
الشيء فقط وليس جهل من جهل حجة على من علم برهان هذا انه ليس فى العالم شيء الا ويجهله بعض
الناس كالمجانين والاطفال ومن غمرة الجهال والبلدة ثم يتزيد الناس في الفهم فيفهم طائفة شيئا لا تفهمه
المجانين وتفهم اخرى ما لا تفهمه هؤلاء وهكذا الى أرفع مراتب العلم فكما اختلف هؤلاء ووقف على
الحقيقة فيه من فهمه وان كان خفي على غيره هذا أمر مشاهد محسوس فى جميع العلوم وآفة ذلك ما قد
ذكرنا قبل وهو اما قصور الفهم والبلادة وأما كسل عن تقصى البرهان واما لالف او نفار تعدا بصاحبهما
عن الغاية المطلوبة أو تعديها وهذه دواعى الاختلاف فى كل ما اختلف فيه فاذا ارتفعت الموانع لاح
البرهان بيقين فبطل ما شغبوا به والحمد لله رب العالمين * وأما قولهم كما لم يختلفوا فيما أدركوه بحواسهم
وفي الحساب وفيما أدركوه ببداية عقولهم فقول غير مطرد والسبب فى انقطاع اطراده هو انه ليس فى
أكثر ما يدرك بالحواس و ببداية العقول شيء يدعو الى التنازع ولا الى تقليد يتها لك فى نصره او ابطاله
وكذلك فى الحساب حتى اذا صرنا الى ما فيه تقليد مما يدرك بالحواس أو باوائل التمييز وجد فيه من
التنازع والمكابرة والمداومة وجحد الضرورات كالذى يوجد فيما سواه كمكابرة النصارى واستهلاكهم
فى ان المسيح له طبيعتان ناسوتية ولاهوتية ثم منهم من يقول ان تلك الطبيعتين صارتا شيئا واحدا
وصار اللاهوت ناسوتا تاما محدثا مخلوقا وصار الناسوت الها تاما خالقا غير مخلوق ومنهم من يقول
امتزجا كامتزاج العرض بالجوهر ومنهم من يقول امتزجا كامتزاج المطالبة والطهارة وهذا حمق ومحال
يدرك فساده باول العقل وضرورته وكما تهالكت المانية على ان الفلك فى كل أفق من العالم لا يدور الا
كما يدور الرحى وهذا أمر يشاهد كذبه بالعيان وكما تهالكت اليهود على ان النيل الذى يحيط بارض
مصر وروبله ومعادن الذهب وان الفرات المحيط بارض الموصل مخرجها جميعا من عين واحدة من
المشرق وهذا كذب يدرك بالحواس وكما تهالكت المجوس على ان الولادة من انسان وان مدينة
واقفة من بنيان بعض ملوكهم بين السماء والارض وكتهالك جميع العامة على ان السماء مستوية
كالصحيفة لا مقببة مكورة وان الارض كذلك أيضا وان الشمس تطلع على جميع الناس في
جميع الارض فى ساعة واحدة وتغرب عنهم كذلك وهذا معلوم كذبه بالعيان وكتهالك
الاشعرية وغيرهم ممن يدعى العلم والتوفيق فيه أن النار لا حر فيها وأن الثلج لا برد فيه وأن

الزجاج والحصا لها طعم ورائحة وان الخمر لا تسكر وان ههنا أحوالا لا معدومة ولا موجودة ولا هى حق ولا هى باطل ولا هى مخلوقة ولا غير مخلوقة ولا هى معلومة ولا مجهولة وهذا كله معلوم كذبه وبطلانه بالحواس وباول العقل وضرورته وتخليط لا يفهمه أحد ولا يتشكل فى وهم أحد ولو لا اننا شاهدنا أكثر من ذكرنا لما صدقنا ان من له مسكة عقل ينطلق لسانه بهذا الجنون وكتهالك طوائف على ان اسمين يقعان على مسميين كل واحد من ذينك المسميين لا هو الآخر ولا هو غيره وكالسوفسطائية المنكرة للحقائق وأما الحساب فقد اختلف له فى أشياء من التعديل ومن قطع الكواكب وهل الحركة لها أو لافلاكها وأما الذى لا يخلو وقت من وجوده فخطأ كثير من أهل الحساب في جمع الاعداد الكثيرة حتى يختلفوا اختلافا ظاهرا حتى اذا حقق النظر يظهر الحق من الباطل وهذا نفس ما يعرض في كل ما يدرك بالحواس فظهر بطلان تمويههم وتشبيههم جملة والحمد لله رب العالمين وصح ما أنكروه من ان كثيرا من الناس يغيبون عن اعتقاد ما شهدت له الحواس وينكرون أوائل العقول ويكابرون الضرورات أما لانهم كسلوا عن طلب البرهان وقطعوا بظنونهم وأما لانهم زلوا عن طريق البرهان وظنوا انهم عليه واما لانهم اتبعوا ما مالت اليه أهواؤهم لالف شيء ونفار عن آخر وأما قولهم ولو لاح الحق على مرور الازمان وكثرة البحث وطول المناظرات فيقال لهم وبالله تعالى التوفيق نعم قد لاح الحق وبان بطن الباطل وان كان كل طائفة تدعيه فان من نظر على الطريق التى وصفنا صح عنده المحق المدعى من المبطل وبالله تعالى التوفيق وأما قولهم ومن المحال ان يبدو الحق الى الناس فيعاندوه بلا معنى ويرضوا بالهلاك فى الدنيا والآخرة بلا معنى فقول فاسد لانا قد رأيناهم أتوا أشياء بدا الحق فيها الى الناس فعانده كثير منهم وبذلوا مهجهم فيه وكأنهم ما شاهدوا الامر الذى ملا الارض من المقاتلين الذين يعرفون بقلوبهم ويقرون بالسنتهم انهم على باطل يقتتلون ويعرفون بانهم يبلغوا مهجهم ودماءهم وأموالهم وأديانهم ويوتمون أولادهم ويرملون نساءهم في قتال عن سلطان غائب عن ذلك القتال لا يرجون زيادة درهم ولا يخاف كل امرىء منهم في ذاته تقصيرا به لو لم يقاتل أو لم يروا كثيرا من الناس ياكلون أشياء يوقنون بانهم يستضرون بها ويكثرون شرب الخمر وهم يقرون انها قد آذتهم وأفسدت أمزجتهم وانها تؤديهم الى التلاف وهم يقرون مع ذلك انهم عاصون لله تعالى وكم رأينا من الموقنين بخلود العاصى فى النار المحققين لذلك يقر على نفسه انه يفعل ما يخلد به فى النار فان قالوا ان هؤلاء يستلذون ما يعملون من ذلك قلنا لهم ان استلذاذ من يدين بشيء ما نصره لما يدين به وتعصبه له أشد من استلذاذ الاكل والشرب لما يدرى انه يبلغه من ذلك ثم نقول لهم اخبرونا عن قولكم هذا انه ليس ههنا قول سطعت حجته ولو كان لما اختلف الناس فيه أحق وهى هذه القضية التى قطعتم بها وهل قولك هذا ظاهر الصحة متيقن الحقيقة أم لا فان قالوا لا أقروا بان قولهم لم تصح حجته ولا لاح برهانا وانه ليس حقا ما قالوه وان قالوا بل هو حق قد لاحت حجته قلنا لهم وكيف خولفتم فى شيء لاحت حجته حتى صار أكثر أهل الارض يعمون عما لا شك فيه عندكم وعن ما لاح الحق فيه حتى اعتقدوا فيكم الضلال والكفر واباحة الدم وهذا هو نفس ما أنكروا قد صح جدا انه حق والحمد لله رب العالمين وأما احتجاجهم بانتقال من ينتقل من مذهب الى مذهب وتهالكه فى اثباته ثم تهالكه في ابطاله ورومهم ان يفسدوا بهذا جميع البراهين فليس كما ظنوا لان كل منتقل من مذهب الى مذهب فلا يخلو ضرورة من احد ثلاثة اوجه اما ان يكون انتقل من خطا الى خطا أو من خطا الى صواب أو من صواب الى خطا وأى ذلك كان فانما أتى فى الانتقالين

الاثنين الذين هما الى الخطا من انه لم يطلب البرهان طلبا صحيحا بل عاجزا عنه باحد الوجوه التى قدمنا قبل وأما الانتقال الى الصواب فانه وقع عليه بجد صحيح وطلب صحيح أو بجد وبحث وهذا يعرض فيما يدرك بالحواس كثيرا فيرى الانسان شخصا من بعيد ويظنه فلانا ويحلف عليه ويكابر ويجرد ثم يتبين له أنه ليس هو الذي ظن وقد يشم الانسان رائحة يظنها من بعض الروائح ويقطع على ذلك ويحلف عليه مجدا ثم يتبين له انه ليس هو الذى ظن وهكذا فى الذوق أيضا وقد يعرض هذا فى الحساب فقد يغلط الحاسبون فى جمع الاعداد الكثيرة فيقول أحدهم ان الجميع من هذه الاعداد كذا وكذا ويخالفه غيره في ذلك حتى اذا بحثوا بحثا صحيحا صح الامر عندهم وقد يعرض هذا للانسان فيما بين يديه يطلب الشيء بين متاعه طلبا مرددا المرة بعد المرة فلا يجده ولا يقع عليه وهو بين يديه ونصب عينيه ثم يجده فى أقرب مكان منه وقد يكتب الانسان مستمليا أو يقرأ فيصحف ويزيد وينقص وليس هذا بموجب الا يصح شيء بادراك الحواس أبدا ولا الا يصح وجود الانسان شيئا افتقده أبدا ولا الا يصح جمع الاعداد أبدا ولا الا يصح حرف مكتوب ولا كلمة مقروءة أبدا لامكان وجود الخطا فى بعض ذلك لكن التثبت الصحيح يلوح الحق من الباطل وهكذا كل شيء أخطأ فيه ولا بد من برهان يلوح الحق فيه من الباطل ولا يظن جاهل ان هذه المعانى كلها حجة لمبطلى الحقائق بل هي برهان عليهم لائح قاطع لان كل ما ذكرنا لا يختلف حس أحد في ان كل ذلك اذا فتش تفتيشا صحيحا فانه يقع اليقين والضرورة بان الوهم فيها غير صحيح وان الحق فيها ولا بد فبطل تعلقهم بمن رجع من مذهب الى مذهب . لم يحصلوا الا على ان قالوا انا نرى قوما يخطئون وقلنا لهم نعم ويصيب آخرون فاقرارهم بوجود الخطا موجب ضرورة ان ثم صوابا لان الخطا هو مخالفة الصواب فلو لم يكن صوابا لم يكن خطا ولو لم يكن برهانا لم يكن شغب مخالف للبرهان ثم نعكس استدلالهم عليهم ونقول لهم وبالله تعالى نتأيد فاذ قد وجدتم من يعتقد ما أنتم عليه ثم يرجع عنه فهلا قلتم ان مذهبكم هذا كالاقوال الاخر التى أبطلتموها من أجل هذا الظن الفاسد فى الحقيقة وهو فى ظنكم صحيح فهو لكم لازم لانكم صححتموه ولا يلزمنا لاننا لا نصححه ولا صححه برهان

(قال أبو محمد) وبهذا الذى قلنا يبطل ما اعترضوا به من اختلاف المدعين الفلسفة والمتحلين الكلام في مذاهبهم وما ذكروه من اختلاف المختارين أيضا فى اختيارهم لانا لم ندع ان طبائع الناس سالمة من الفساد لكننا نقول ان الغالب على طبائع الناس الفساد فان المنصف لنفسه أولا ثم ... ثانيا الطالب البرهان على حقيقة المعارف به فدليل برهانا على هذا ما رجحناه من اختلاف الناس واختلافهم كثيرا دليل على كثرة الخطأ فيهم وقلة المصيب اذ وجود الخطأ يقتضي ضرورة وجود الصواب منهم ولا بد وليس اختلافهم دليلا على ان لا حقيقة فى شيء من أقوالهم ولا على امتناع وجود السبيل الى معرفة الحق وبالله تعالى التوفيق واما احتجاجهم بانه لا يخلو من حقق شيئا من الديانات والمقالات والآراء من أن يكون صح له بالحواس أو ببعضها أو ببديهة العقل بغير برهان أو بدليل من الادلة غير هذين فانه لو صح بالحواس او بالعقل لم يختلف فيه والزامهم فى الدليل مثل ذلك الى آخر كلامهم فهذا كله مقرر فيه ما مضى الكلام فيه وقد أريناهم انه قد يختلف الناس فيما يدرك بالحواس وبديهة العقل كاختلافهم فى الشخص يرونه ويختلفون فيه ما هو وفى الصوت يسمعونه فيختلفون فيما هو ويخلطون فيه وكاقوال النصارى وغيرهم مما يعلم بضرورة العقل فساده ثم نقول لهم ان أول المعارف هو ما أدرك بالحواس وببديهة العقل وضرورته ثم ينتج براهين راجعة الى قرب

أو من بعد ذا إلى أول العقل أو إلى الحواس فما صححته هذه البراهين فهو حق وما لم تصححه هذه البراهين فهو غير صحيح ثم نعكس عليهم هذا السؤال بعينه فنقول لهم وبالله تعالى التوفيق قولكم هذا بأي شيء علمتموه بالعقول أم بالحواس أو بدليل غيرهما فإن علمتموه بالحواس أو العقول فكيف خولفتم فيه وإن كنتم عرفتموه بدليل فذلك الدليل بما عرفتموه أبالحواس أم بالعقول أم بدليل آخر وهكذا أبدا وكل سؤال أفسد حكم نفسه فهو فاسد وعلى أن هذا لهم لازم لأنهم صححوه ومن صحح شيئا لزمه ونحن لم نصحح هذا السؤال فلا يلزمنا وقد أجبنا عنه بما دفعه عنا وأمامهم فلا مخلص لهم منه وبالله تعالى التوفيق وأما قولهم نسألهم عن علمهم بما يدعون صحته أتعلمونه أم لا فإن قالوا لا نعلمه بطل قولهم إذا أقروا بأنهم لا يعلمونه وإن قالوا بل نعلمه سألناهم أبعلم علمتم علمكم بذلك أم بغير علم وهكذا أبدا فهذا أمر قد أحكمنا بيان فساده في باب أفردناه في ديواننا هذا على أصحاب معمر في قولهم بالمعاني وعلى الأشعرية ومن وافقهم من المعتزلة في قولهم بالأحوال وإنما كلامنا هذا مع من يقول بتكافؤ الأدلة

﴿قال أبو محمد﴾ وهذا السؤال نفسه مردود عليهم كما هو ونسألهم أتعلمون صحة مذهبكم هذا أم لا فإن قالوا لا أقروا بأنهم لا يعلمون صحته وفي هذا إبطاله والله إنما هو ظن لا حقيقة وإن قالوا بل نعلمه سألناهم أبعلم تعلمونه أم بغير علم وهكذا أبدا إلا أن السؤال لازم لهم لأنهم صححوه ومن صحح شيئا لزمه وأما نحن فلم نصححه فلا يلزمنا وقد أجبنا عنه في بابه بأننا نعلم صحة علمنا بعلمنا ذلك بنفسه لا بعلم آخر وبعد أن الاعتقاد [illegible] إنما هو سؤال من يبطل الحقائق كلها لا من يقول بتكافؤ الأدلة فبطل كل ما موهوا به والحمد لله رب العالمين

﴿قال أبو محمد﴾ ثم نقول لهم إنكم قد أثبتم الحقائق وفي الناس من يبطلها ومن يشك فيها وهم السوفسطائية وعلمتم أنهم مخطئون في ذلك ببراهين صحاح فببراهين صحاح أيضا صح ما أبطلتموه أو شككتم فيه من أن في مذاهب الناس مذهبا صحيحا ظاهر الصحة فإذا سئل عنها أجيب بها في مسألة مسألة

(قال أبو محمد) ويقال لمن قال لكل ذي ملة أو نحلة أو مذهب إنك مخطئ وأنت تظن أنك مصيب لأن هذا ممكن في كثير من الأقوال لأنك أحد من في الناس من يذهب مذهبه وهو يظن أنه صحيح الدماغ فإذا ذكر له كان يدفع المشاهدات وإن قال هذا ممكن قيل له لعلك أنت الآن كذلك وأنت تظن أنك سالم الدماغ فإن قال لا لأن ههنا براهين تصحح أني سالم الدماغ قيل له وكذلك ههنا براهين تصحح الصحيح من الأقوال وتبينه من الفاسد فإذا سئل عنها أجيب بها في مسألة مسألة

﴿قال أبو محمد﴾ فإذ قد بطل بيقين أن تكون جميع أقوال الناس صحيحة لأن في هذا أن يكون الشيء باطلا حقا معا وبطل أن تكون كلها باطلا لأن في هذا أيضا إثبات الشيء وضده معا لأن الأقوال كلها إنما هي نفي شيء يثبته آخر من الناس ولو كان كلا الأمرين باطلا لبطل النفي في الشيء وإثباته معا وإذا بطل إثباته صح نفيه وإذا بطل نفيه صح إثباته فكان يلزم من هذا أيضا أن يكون الشيء حقا باطلا معا فثبت يقينا أن في الأقوال حقا وباطلا وإذ هذا لا شك فيه فبالضرورة نعرف أن بين الحق والباطل فرقا موجودا وذلك الفرق هو البرهان فمن عرف البرهان عرف الحق من الباطل وبالله تعالى التوفيق فإن قال قائل فإنكم تحيلون على براهين تقولون إن ذكرها جملة لا يمكن وتقرون بأنكم في طلبها فما الفرق بينكم وبين دعاة الإسماعيلية والقرامطة الذين يحيلون على مثل هذا قلنا لهم الفرق بيننا وبينهم ظاهر لأن

واضحان احدهما ان القوم يامرون باعتقاد أقوالهم وتصديقهم قبل أن يعرفوا براهينهم ونحن لا نفعل هذا بل ندعوا الى معرفة البراهين وتصحيحها قبل أن نصدق فيما نقول والثانى أن القوم يكتمون اقوالهم و براهينهم معا ولا يبيحونها للسبر والنظر ونحن نهتف باقوالنا و براهيننا لكل أحد و ندعوا الى سبرها ونقيبسها وأخذها ان صحت ورفضها ان لم تصح والحمد لله رب العالمين وانما نقول اننا لا نقدر أن نحد براهيننا بحد جامع مبين لها بل نقدر على ذلك وهو أن البرهان المفرق بين الحق والباطل فى كل مااختلفوا فيه أن يرجع رجوعا صحيحا متيقنا الى الحواس او الى العقل من قرب أو من بعد رجوعا صحيحا لايحتمل ولا يمكن فيه الا ذلك العمل فهو برهان وهو حق متيقن وان لم يرجع كما ذكرنا الى الحواس أو الى العقل فليس برهانا ولاينبغي ان تشتغل به فانما هو دعوى كاذبة وبالله تعالى التوفيق وبهذا اسقط القياس والتقليد لانه لايقدر القائلون بهما على برهان فى تصحيحهما يرجع الى الحواس أوالى أول العقل رجوعا متيقنا

(قال أبو محمد) ونحن نقول قولا كافيا بعون الله وقوته وهو أن أول كل مااختلفت فيه من غير الشريعة ومن تصحيح حدوث العالم وان له محدثا واحدا لم يزل ومن تصحيح النبوة ثم تصحيح نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فان براهين كل ذلك راجعة رجوعا صحيحا ضرورياً الى الحواس وضرورة العقل وما لم يكن كذا فليس بشيء ولا هو برهانا وان كان مااختلف فيه من الشريعة بعد صحة جملها فان براهين كل ذلك راجعة الى ماأخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى اذ هو المبعوث الينا بالشريعة فما لم يكن هكذا فليس برهانا ولا هو شيئا وفى أول ديواننا هذا باب في ماهية البراهين الموصلة الى معرفة الحقيقة فى كل مااختلف الناس فيه فاذا أضيف الى هذا ارتفع الاشكال والحمد لله رب العالمين

﴿ الكلام فى الالوان ﴾

(قال أبو محمد) الارض غبراء وفيها حمراء وفيها بيضاء وصفراء وخضراء وسوداء وموشاة والماء كله أبيض الا أن يكتسب لونا بما استضاف اليه لفرط صفائه فيكتسى لون انائه أو ماهو فيه وانما قلنا انه أبيض لبراهين * أحدها أنه اذا صب فى الهواء بهرق ظهر أبيض صافى البياض * والثاني في انه اذا جمد فصار ثلجا أو بردا ظهر أبيض شديد البياض وأما الهواء فلا لون له أصلا ولذلك لا يرى لانه لايرى الا اللون وقد زعم قوم انه انما لايرى لانطباقه على البصر وهذا فاسد جداً و برهان ذلك أن المرء يغوص فى الماء الصافي ويفتح عينيه فية فيرى الماء وهو منطبق على بصره لاحائل بينهما ولا يرى الهواء فى تلك الحال وان استلقى على ظهره فى الماء وهذا أمر مشاهد واما الذى يرى عند دخول خط ضياء الشمس من كوة فانما هو ان الاجسام تنحل منها ابدا أجزاء صغار وهى التى تسمى الهباء فاذا انحصر خط ضياء الشمس وقع البصر على تلك الاجزاء الصغار وهى متكاثفة جدا ولونها الغبرة فهى التى يرى لاما سواها ومن تامل هذا عرفه يقينا وان البيوت مملوءة من هذا الضياء المنحل من الارض والثياب والابدان وسائر الاجرام ولكن لدقتها لا يرى الا ان انحصر خط الشمس فيرى مافى ذلك الانحصار منها فقط واما النار فلا ترى ايضا لانه لالون لها فى فلكها واما المرئية عندنا فى الحطب والفتيلة وسائر مايحترق فانما هى رطوبات ذلك المحترق تستحيل هواء فيه نار يا فتكتسب ألوانا بمقدار ما تعطيها طبيعتها فتراها خضراء ولازوردية وحمراء و بيضاء وصفراء و بالله تعالى التوفيق وهذا يعرض للرطوبات المتولد منها دائرة قوس قزح

(قال أبو محمد) أجمع جميع المتقدمين بعد التحقيق بالبرهان على أنه لايرى الا الالوان وان كل مايرى فليس الا لونا وحدوا بعد ذلك البياض بانه لون يفرق البصر وحدوا السواد بانه لون يجمع البصر

(قال أبو محمد) وهذا حد وقعت فيه مسامحة وانما خرجوه على قول العامة فى لون السواد ومعنى يجمع البصر أنه يقبضه فى داخل الناظر ويمنع من انتشاره ومن تشكل المرئيات واذ هذا معنى القبض فلاشك فهو معنى منع البصر والادراك وكفه ومن هذا سمي المكفوف مكفوفا فاذا السواد يمنع البصر من الانتشار و يقبضه عن الانبساط ويكفه عن الادراك وهذا كله معنى واحد وان اختلفت العبارات فى بيانه فالسواد بلا شك غير مرئى اذ لو رؤى لم يقبض خط البصر اذ لارؤية الا بامتداد البصر فاذ هو غير مرئى فالسواد ليس لونا اذ اللون مرئى ولا بد ومالم ير فليس لونا وهذا برهان عقلى ضرورى و برهان آخر حسي وهو أن الظلمة اذا اطبقت فلا فرق حينئذ بين المفتوح العينين السالم النظرين وبين الاعمى المنطبق والمسدود العينين سدا أو كما فاذ ذلك كذلك فالظلمة لاترى ومن الباطل الممتنع أن تكون ترى الظلمة وبالحس نعلم أن المنطبق العينين فيها بمنزلة واحدة من عدم الرؤية ومع المفتوح العينين فيها والظلمة هي السواد نفسه فمن إدعى أنهما متغايران فقد كابر العيان و ادعى مالا يأتي عليه بدليل أبدا ونحن نجد ان لو فتح في حائط بيت مغلق كوتان ثم جعل على احداهما ستر أسود وتركت الاخرى مكشوفة لما فرق الناظر من بعد بينهما أصلا ولو جعل على احداهما ستر أحمر أو أصفر أو أبيض لتبين ذلك للناظر يقينا من بعد أو قرب وهذا بان ان السواد والظلمة سواء و برهان آخر حسي وهو أن خطوط البصر اذا استوت ولا بد من أن تقع على شيء مالم يقف فيه مانع من تماديها ونحن نشاهد من بين يديه ظلمة أو هو فيها لايقع بصره على حائط ان كان فى الظلمة وسواء كان فيها حائط مانع من تمادى خط البصر أو لم يكن فصح يقينا أن الظلمة لا ترى بل هى مانعة من الرؤية والظلمة هى السواد والسواد هو الظلمة لم يختلف قط فى هذا اثنان لا بطبيعة ولا بشريعة ولا فى معنى اللغة ولا بالمشاهدة فقد صح ان السواد لايرى اصلا وانه ليس لونا

(قال أبو محمد) وانما وقع الغلط على من ظن ان السواد يرى لانه أحس بوقوع خطوط البصر على ماحوالى الشيء الاسود من سائر الالوان فعلم بتوسط ادراكه ماحوالى الاسود ان بين تلك النهايات شيئا خارجا عن تلك الالوان فقدر انه يراه ومن ههنا عظم غلط جماعة ادعوا بظنونهم من الجهة التى ذكرنا انهم يرون الحركات والسكون فى الاجرام والامر فى كل ذلك وفى الاسود واحد ولافرق فان قال قائل أنه ان كان فى جسم الاسود زيادة نابتة سوداء كسائر جسده رأيناها فلو لم نر لم نعلم بنتوء تلك الهيئة النابتة له على سطح جسده قيل له و بالله تعالى التوفيق هذا أيضا وهم لانه لما لم يمتد خط البصر عند قبض تلك الهيئة النابتة له وامتدت سائر الخطوط الى أبعد من تلك المسافة وعلمت النفس بذلك توهم من لم يحقق أن هذه رؤية وليست كذلك وتوهموا أيضا أنهم يرون السواد ممازجا لحمرة أو لغبرة أو لخضرة أو لصفرة أو لزرقة فاذا كان هذا هكذا فان البصر يرى ما فى ذلك السطح من هذه الالوان على حسب قوتها وضعفها فقط فيتوهمون من ذلك انهم رأوا السواد ويتوهمون ايضا أنهم يرونه لانهم قالوا نحن نميز الاسود البراق المصقول واللماع من الاسود الاكدر الغليظ

(قال أبو محمد) وهذا مكان ينبغى أن نتثبت فيه فنقول وبالله تعالى التوفيق ان الاملاس

هو استواء أجزاء السطح والخشونة هي تباين أجزاء السطح وقد نجد أملس لماعا وأملس كدرا
فاذ ذلك كذلك فالبصيص واللمعان شيء آخر غير استواء أجزاء السطح واذ هو كذلك وهو مرئي
فالبصيص بلا شك لون آخر محمول في الملون بالحمرة أو الصفرة أو سائر الالوان وفيما عرى من جميع
الالوان سواء فاذا قلنا أسود لماع فانما نريد انه ليس فيه من الالوان الا اللمعان فقط فهو لون صحيح
وقد عرى من الحمرة ومن الصفرة ومن البياض والخضرة والزرقة ومما تولد من امتزاج هذه الالوان
ولعل الكدرة أيضا لون آخر مرئي كاللمعان وهي أيضا غير سائر الالوان فهذا ما لا يوجد ما يمنع
منه بل الدليل يثبت ان الكدرة أيضا لون وهو وقوع البصر عليها وهو لا يقع الا على لون ومن أبى
من هذا كلفناه أن يحد لنا اللمعان والكدرة فانه لا يقدر على شيء أصلا غير ما قلنا وبالله تعالى التوفيق
فان قال قائل فانا نرى الثوب الاسود يستبين نسج خيوطه ونتوء ما نتأ منها وانخفاض ما انخفض
ولولا انه يرى ما علم ذلك كله فالجواب وبالله التوفيق اننا قد علمنا ان خطوط البصر تخرج من الناظر
ولها مساحة ما وبعضها أطول من بعض بلا شك لان الخطوط الخارجة من البصر الى السماء أطول
من الخطوط الخارجة من البصر الى الجالس لك بلا شك فاذا خرجت خطوط البصر الى الثوب المذكور
انقطع تمادي بعضها أكثر من تمادي البعض فالحس عالم بهذا الانقطاع وقد علمنا أن النور أيضا
فان النور هو اللون الذي طبعه بسط قوة الناظر واستخراج قوى البصر حتى انه اذا قوي جدا ضعف
البنية بطبعه أو نقص اجتلاب جميعه واستلابه كله أو اقتطعه فعلى مقدار النور في اللون المرئي وضعفه
فيه يكون وقوع البصر عليه هذا أمر مشاهد بالعيان فكلما قل النور في اللون كان وقوع البصر عليه
أضعف وكانت الرؤية له أقل حتى اذا عدم النور جملة ولم يبق منه شيء فقد بطل البصر وبأن نفقد
خطوط البصر اليه وان يقع الناظر عليه اذ لا نور فيه ولا يختلف ذو حس في العالم في ان السواد المحض
الخالص ليس فيه شيء من النور فاذ لا شك في هذا فلا شك في انه لا يرى وبالله تعالى التوفيق
وأيضا فان خطا ذا لون ما وأرضا ذات لون ما وفيهما غاران مظلمان لا شك أن كل ناظر اليهما فانه
لا يرى الا ما حول الغارين وانه لا يرى ما ضمه خط الغارين فاذ هذه كلها براهين ضرورية
مشاهدة حسية عقلية فالبرهان لا يعارضه برهان أصلا والبرهان لا يعارض بالدعوى ولا بالظنون
والحمد لله رب العالمين وأما من كلام الله تعالى فالله يقول * ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده
لم يكد يراها * وقوله تعالى * يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا *
فصح يقينا ان الظلمة مانعة من النظر والرؤية جملة وهو السواد بلا شك فان قيل نرى وقد حال في
أن البصر القليل يداوى بالثوب الاسود والقعود في الظلمة وليس ذلك الا لانه يقوى بذلك خط بصره
ويكل باستمداده وبالله تعالى التوفيق اذ قيل السواد غير الظلمة فانا اذا نظرنا الى الارض بالليل لم نر فرقا في
صار في بيت مظلم شديد الانطباق لا يدخله شيء من النور فانه فتح عينيه بحسب طاقته ولم يأتلم
بالنظر اليه ومتى جعلناه في بيت مضيء وعلى وجهه وعينيه ثوب كثيف جدا اسود فانه فتح عينيه
حسب طاقته ولم يألم بالنظر فيه وكانت حاله في تغطية وجهه بذلك الثوب كحاله في الظلمة التامة
سواء سواء وكذلك يعرض للصحيح البصر في الحالين المذكورين ولا فرق ومن جعلنا على بصر
الارمد ثوبا أبيض ألم ألما شديدا كالمه اذا نظر في الضوء ولا فرق فان جعلنا على وجهه ثوبا أصفر
ألم دون ذلك وان كان أحمر ألم دون ذلك وان كان أخضر ألم دون ذلك على قدرهما في النور من مخارجه
الباطن له فصح ان السواد والظلام شيء واحد وقال بعض أصحابنا السواد غير الظلمة فهو لا يرى لان

الزنجى والغراب والثوب ليس شيء من ذلك اسود وكل ذلك يرى ولون كل ما ذكرنا لون غير السواد الا انه سمى باسم السواد مجازا وقال بعضهم السواد اسم مشترك يقع على الظلمة ويقع على لون الزنجى والغراب والثوب فكل ظلام سواد وليس كل سواد ظلاما فان عنيت بالسواد لون الزنجى والغراب والثوب فهو يرى وهو غير الظلمة وان عنيت بالسواد الظلمة فهو لا يرى وقال بعضهم الظلمة لا ترى وليست سودا أصلا والسواد شيء آخر غير الظلمة وهو لون يرى وقال بعضهم الظلمة والسواد شيء واحد وكلاهما يرى وأقروا بان الاعمى والاكمه والمفقوء العينين والمطبق العينين يرى الظلمة

﴿ الكلام فى المتوالد والمتولد ﴾

(قال ابو محمد) الحيوان كله ينقسم أقساما ثلاثة متوالد ولا بد ولا يتولد ومتولد ولا بد لا يتوالد وقسم ثالث يتوالد ويتولد أيضا فاما المتولد المتوالد فكبنات وردان فانها تتولد وقد رأيناها تتسافد وكالحملان فانها تتولد وقد رأيناها تتسافد وكثير من الحيوان المتولد فى النبات وقد رأيناه يتسافد ومثل القمل فانا قد شاهدناه يخرج من تحت الجلد عيانا ويحدث فى الرؤس وقد يتوالد وقد نجد بعضه اذا قطع مملوء بيضا وأما المتولد الذي لا يتوالد فالحيوان المتولد فى أصول أشفار العينين وأصول شعر الشارب واللحية والصدر والعانة وهو ذوا رجل كثيرة لا يفارق موضعه وما علمناه يتوالد أصلا ومثل الصغار المتولد فى العطن وشحمة الارض وكل هذا لا نعلمه يتوالد البتة وقد شاهدنا ضفادع صغارا تتولد من ليلتها فتصبح مناقع المياه منها مملوأة ومنها الثلاندرية وهو حيوان كبير يشبه الجرادين الصغار بطيئه الحركة وحيوانات كثيرة منها صغير مفرط الصغر يكاد لصغره لا يتجزأ مثلما كثيرا رأيناه فى الدوى والدفاتر وهو سريع المشى جدا ومنها السوس المتولد فى الدقيق والدود المتولد فى الجراحات وفي الحمص والبلوط وفى التفاح وبين الحشيش وبين الصنوبر وفى الكنف وهى ذوات الاذناب والحباحب المتولد فى الحصر وهو فى غاية الحسن ومنه ما يضيء بالليل كانه شرارة نار والدود ذوات الارجل الكثيرة والذراريح وهذا كثير لا يحصيه لا خالقه عز وجل ومنها الضفادع والجنادب فقد صح عندنا يقينا لا مجال للشك فيه انها تتولد فى مناقع المياه دويبات صغار ملس شديدة السواد ذوات أذناب تمشى عندنا ثم صح عندنا كذلك انها تكبر فتقطع أذنابها وتتبدل ألوانها وتستحيل أشكالها وتعظم فتصير ضفادع ثم تزيد كبرا واستحالة ألوان فتصير جنادب

﴿ قال ابو محمد ﴾ قد رأيتها فى جميع تنقلها كما وصفنا وقد عرض علينا فى مناقع المياه خطوط ظاهره قيل لنا انها بيض الضفادع وأما الذباب فقد شاهدناها عيانا تتناكح والانثى منها هي الكبار والذكور هى الصغار وشاهدنا البراغيث تتناكح أيضا والكبار هى الاناث والذكور هى الصغار شاهد ذلك بان الاعلى هو الصغير أبدا ونجد الانثى مملوءة بيضا اذا وضعت فتلقى بيضها فى القباب وفي خلال أجزاء الثياب ثم يخرج

(قال أبو محمد) وقد رأينا ذبابا صغارا جدا وذبابا كبارا مفرط الكبر وشاهدنا باصفهان الدود الطويل الذنب المتولد فى الكنف وبزول البقر والغنم يستحيل فيصير فراشا طيارا مختلف الالوان بديع الخلقة من أبيض وأصفر فاقع وأخضر ولازوردى منقط ولا ندرى كيف الحال فى العقارب واما ما كان من البق الا انا ندري ان دود الحرير يتناكح بعد الذكور منها والاناث وتبيض ثم تموت بيضها هذا ما لا خلاف فيه وما رأى أحد قط دود حرير يتولد من غير بيضه وكذلك النمل فانه يتوالد وقد رأينا بيضه والعرب تسميه المازن وكذلك النحل يتوالد ويوجد فى مواضع من

ثنائه في تضاعيف القبر الذي فيه العسل وكذلك الجراد والعرب تسميه بيضة الصرد

﴿قال أبو محمد﴾ وما رأى أحد قط نحلا يرلد ولا نملا يتولد ولا جرادا يتولد الا في اكذوبات لا تصح وأما سائر الحيوان فتوالد ولابد من مني أو بيض وكل ذي أذن بارزة يلد طائرا كان أو غير طائر كالخفاش وغيره وكل ما ليس له أذن بارزة فهو يبيض طائرا كان أو غير طائر كالحيات والجرادين والوزغ وغير ذلك :

﴿قال أبو محمد﴾ فطلبنا أن نجد حدا يجمع ما يتولد دون ما يتوالد أو ما يتوالد دون ما يتولد فلم نجد الا اننا رأينا كل ذي عظم وفقارات لا سبيل البتة الى ان يوجد من غير تناكح كحيوان البحر الذي له العظم والفقارات ورأينا مالا عظم له ولا فقار فمنه ما يتولد ولا يتوالد ومنه ما يتوالد ويتوالد معا وكل ذلك خلق الله عز وجل يخلق ما شاء كما شاء لا اله الا هو وليست القدرة في الخلق في خلق ما خلقه الله عز وجل حيوانا ذا أربع أو ذا ريش من بيضة أو من مني بأعظم من القدرة من خلقها من تراب دون توسط بيضة ولا مني ولا البرهان عن الصنع والابتداء في احداهما بأوضح منه في الآخر بل كل ذلك برهان على ابتداء الخلقة وعلى عظيم القدرة من البارى لا اله الا هو

﴿قال أبو محمد﴾ وقد ادعى قوم انه يتولد في الثلج حيوان ويتولد في النار حيوان وهذا كذب وباطل وانما قاسوه على تولد حيوان ما في الارض والماء والقياس باطل لانه دعوى بلا برهان وما لا برهان له فليس بشيء وبالله تعالى التوفيق

﴿قال أبو محمد﴾ واذا حصلت الامر فالحيوان لا يتولد من الماء وحده ولا من الارض وحدها ولكن مما يجتمع من الارض والماء معا فتبارك الله أحسن الخالقين لا معقب لحكمه لا اله غيره عز وجل *

تم السفر الثالث بتمام جميع الديوان من الفصل في الملل والاراء والنحل بحمد الله وشكره على حسن تأييده وعونه * وافق الفراغ منه في تسعة أيام خلت من شهر ذى القعدة سنة ١٢٧١ احدى وسبعين ومائتين بعد الالف * من هجرة من له العز والشرف * على يد الفقير الى الله محمد بن موسى غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ يقول مصححه الراجي غفران المساوي * محمد محمد ماضي الرخاوي ﴾

الحمد لله الذي تفرد بالتوحيد وتوحد بالازلية والتأبيد وتمجد بالصمدانية وتقدس عن التولد والتوليد وجل ذاتا وصفة وفعلا عن الضد والشبيه والنديد خالق الخلق وباسط الرزق ومدبر الامور ومصرفها كيف يشاء ويريد بلا همامة ولا فكرة ولا تردد ولا ترويد القائم على كل نفس بما كسبت والرقيب على خلقه والشهيد الذي لا تنفد خزائن رحمته ولا يبيد ملكه ولا يعيد أحمده وأشكره وأتوب اليه وأستغفره وأسأله اللطف بما جرت به المقادير وأصلي وسلم على سيدنا محمد الفاتح لما اغلق والناصر الحق بالحق والهادي الى الصراط المستقيم (أما بعد) فقد تم بعون الله سبحانه وتعالى طبع كتاب الفصل في الملل والاهواء والنحل للامام أبو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم وان هذا السفر من أنفس الاسفار التي وضعت للبحث في الديانات والكتب السماوية وآراء الفلاسفة والخلاف بينهم وبين المليين والرد على منكري الالوهية ومعتنقي الاديان المخالفة لدين الاسلام وبيان ما طرأ على معتقداتهم من زيغ وتضليل ودخل على كتبهم من تحريف وتبديل . عني فيه مؤلفه رضي الله عنه بالبحث والتمحيص . وايراد الادلة والحجاج العقلية والنقلية التي تدت باجلى البراهين . وأدمغ الحجج حقيقة الشريعة المحمدية ووضوح محجتها وخلوصها من كل شوائب التغير والفساد ومتانة أصولها وبعدها عن كل ما ينافي التوحيد وعصمة الانبياء وسلامة نصوصها من كيد الكائدين وعبث العابثين وبهامشه كتاب الملل والنحل لابي الفتح محمد بن أحمد بن القاسم عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني رضي الله عنهم جميعا ونفع بمؤلفاتهم جميع الملة الاسلامية ووفق أهل الزيغ والاهواء للدين الحنيف والملة السمحاء هذا وقد قام بشرح معضلات الفاظه وتبيين كلامه فضيلة الاستاذ العلامة الشيخ عبد الرحمن خليفه المدرس بمدرسة ماهر باشا وقد قام بطبعه حضرة الهمام السيد محمد علي صبيح وذلك بمطبعته الكائن مركزها بجوار الازهر الشريف بمصر وكان تمام طبعه وحسن تنسيقه ووضعه في أواخر شهر ربيع الثاني من شهور سنة ١٣٤٨ هجرية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية آمين

فهرست الجزء الخامس من كتاب الفصل فى الملل والأهواء والنحل